شرح البخاري
القسطلاني

(فهرسة غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائص الفاضحة)

١٢٤

صحيفة

صحيفة

صحيفه

صحيفة

صحيفة

٣٦٢

صحيفة

(تمت)

غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائص الفاضحة للشيخ
الامام العلامة الاديب المتفنن أبي اسحق
برهان الدين ابراهيم بن يحيى بن علي
الكتبي المعروف بالوطواط
رحمه الله تعالى
آمين
م

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذى جعل اللسان عنوان عقل الانسان وآلة تظهر سر الجنان بفصيح العبارة وصريح البيان وصلاته وسلامه على سيدنا محمد المجتبى من سرة عدنان المبعوث بجوامع الكلم الشاملة لانواع البيان الباهرة بفصاحتها عقول ذوى الفطن والاذهان والمخصوص بمحاسن الشيم المتممة لمكارم الاخلاق ومزايا الاحسان والحائز فى حلبات الاصطفاء قصبات الرهان وعلى آله وصحبه فروع شجرته الباسقة الافنان وفراقد سماء رسالته أعيان السادات وسادات الاعيان صلاة وسلاما دائمين مادام طرف القلم مقادا بعنان البنان *(وبعد)* فانى لما رأيت تغاير معانى الاخلاق دالا على تباين مبانى الاعراق والنفوس تتفاوت فى ميلها الى أغراضها على حسب اختلاف جواهرها واعراضها حدانى غرض اختلج فى سرى وأمل اعتلج فى صدرى على أن أجمع كلاما فى المحامد والمذام المتخلقة بها نفوس الخواص والعوام وأجعله كتابا يغنى اللبيب عن الخليل والنديم ويخبر بالحديث والقديم فشمرت عن ساق الجد وحسرت عن

ساعد الكد وعمدت الى حسان الكتب المجموعة فى ضروب الادب
فتصفحت مضمونها وتلمحت فنونها واستفتحت عيونها واستبحت
ابكارها وعونها (وجمعت فى هذا الكتاب) من زواهر أسدافها وجواهر
أصدافها ملح فكاهات جلت عرائس المعانى فى حلل موشاة وأظهرت
نفائس المحاسن فى أنواع من البراعة مغشاة وأزاهر بيان يغدو المتلفظ بها
غايات ويروح المتحفظ بها صاحب آيات وجعلته شاملا لمصايد شواردها
ناهلا من الفضائل أعذب مواردها محتويا من احراز الالفاظ على درر
منظومة تستفتح النواظر بلمعات سلكها ومن أسرار المعانى على سرر
مختومة تستروح الخواطر بنفحات مسكها

أحاديث لو صيغت لألهت بحسنها * عن الدر أو شمت لاغنت عن المسك

(وكسوته) من الاخبار بزة رفيعة وأبدعت فيما أودعت فيه من الفكاهات
الرائقة البديعة من نوادر مطربات وأبيات مهذبات هى للاوراق شموس
مشرقات ولآلئ أنوارها بارقات ألفاظها أرق من النسيم وأروق من
التسنيم (مفرد)

كما أزهرت روضات حسن وأثمرت * فأضحت وعجم الطير فيها تغرد

(وجنبته) خرافات الاخبار ومطولات الاسمار لئلا تسأمه عند المطالعة
النفوس ولئلا يكون ذكرها وضحا فى غرر الطروس (وجعلته ستة عشر بابا)
تسفر عن وجه الابداع نقابا وجعلتها متضادة لتضاد الاخلاق والشيم
وتباين الاقدار والهمم (كل باب يشتمل على ثلاثة فصول) فى ثلاثة
معان تفك بلطائفها من أدهم الهم كل قلب عان وهذه الفصول قلائد
أجناس فصلت بلآلئ أنواعها ومعاهد ايناس نصبت أشراك النفوس
برباعها فجاءت فصولا تعبر عن حسان فنونها ومعانيها وتغبر فى وجه
عائبها وشانيها (وقدمت) فى أبواب المحامد فصلا فى مدائحها ليتنسم
المتأمل عرف اليمن من فواتحها (وأتبعته) فصلا ثانيا فيما ذكر عن المتخلقين
بها من أزهار خمائل الاخبار وأبكار عقائل الافكار الفائقة باختبارها
درر الامثال السائرة الرائقة فى اختيارها فهى عن غرر المفاخر سافرة
(وعززت) بثالث فى ذم ما مدح من الاخلاق لسبب يطرأ عليها اذا البدر

يطرأ عليه الخسوف والمحاق والشئ بالشئ يعرف فيذكر بعد أن كان يجهل وينكر فربما تجاذبت الاحاديث أذيالها فطلبت من المنمق أشكالها ولا غرو فالحديث كما يقال شجون وأحسنه ما جذل جده برقيق الهزل مقرون على أنني لم آل جهدا في اضافة كل شئ الى ما يشاكله ويلائمه ويضاهيه في المعنى ويساهمه مما يجرى في هذا الاسلوب ولا يخرج عن المقصود والمطلوب (ورتبت) فصول أبواب المذام على العكس من أبواب المحامد والمآثر وأطلعت في دياجي مساويها من محاسن الملح الانجم الزواهر ترتيبا لا يرتاب في جودته أريب وتقريبا يؤمن به من كل ماريب فأبوابه على اختلافها بائتلافها في الحسن نظائر وبعضها لبعض ضرائر ان ازدهى الحسن بابا منها بتقسيمه ووصفه تنفس الآخر عن حسن ترصيعه وطيب عرفه (مفرد)

ضدان لما استجمعا حسنا * والضد يظهر حسنه الضد

وسددته جهدى رجاء أن يصيب صميم الآمال والاعراض وخوفا أن تصرفه النفوس عند النقد بالصد عنه والاعراض (ووسمته) بغرر الخصائص الواضحة وعرر النقائص الفاضحة اسم يكون لحلة أدبه طرازا معلما وبمكنون أسراره معلنا ومعلما اذ الكتاب لا يعلم ما في باطنه الا من سمة عنوانه كما أن الانسان يعلم ما في قلبه من لفتات وجهه وفلتات لسانه (وأنا راغب) لمن وقف على هذا الكتاب من سراة الاعيان والكتاب القاطفي أزهار الآداب من جنان الخواطر العاطفي نفار الالباب في عنان النوادر أن لا يفوق لهدف الاختيار سهم الاختبار وأن يحدق اليه ببصر الاعتقاد عند الانتقاد فأى جواد لا يكبو وأى مهند لا ينبو ومع هذا فان لسان التقصير عن القيام بالعذر قصير والمصنف وان استعان في تنقيح ما ألف بمالك وعقيل معرض لطاعن وحاسد الا أن يتاح له عاذر ومقيل (مفرد)

وانى لأرجو أن يفخم أمره * من الناس حر شأنه الصفح والستر

(والله أسأل) أن يكسبه دلا معشقا يكون به لداء القلوب محظيا ويكسبه حسنا ورونقا حتى يكون بعيون العقول مرعيا وللافهام مرضيا وبه

أستعين على سبيل الرشاد فيما نحوت فهو المعين بهدايته لتحقيق ما رجوت (ولما انتهى) بنا جواد قريحتنا الى غاية البيان عن المراد وحاز قصب السبق فى مضمار النطق بالسداد رأينا صوابا أن نعقبه بذكر مقدمة فى حض الانسان على الدأب فى طلب المعالى ليظفر بالحظ الاوفر من الشرف المتعالى تكون أسا المقاصد نافيه التحرير والتحبير من الكشف عن ماهية الاخلاق وحقيقة معانيها وكيفية صورها ومبانيها بقول شاف وتلخيص كاف وهو مما اخترناه من كلام الحكماء الاعلام أولى البصائر والاحلام (قالوا) الخلق عادة للنفس يفعلها الانسان بلا روية وهى نوعان جميل محمود وقبيح مذموم والاخلاق المحمودة وان كانت فى بعض الناس غريزة فان الباقين يمكن أن يصيروا اليها بالرياضة والالفة ويرتقوا اليها بالتدرب والعادة فانهم وان لم يكونوا على الخير مطبوعين صاروا به متطبعين والفرق بين الطبع والتطبع أن الطبع جاذب منفعل والتطبع مجذوب مفتعل تتفق نتائجهما مع التكلف ويفترق تأثيرهما مع الاسترسال وقد يكون فى الناس من لا يقبل طبعه العادة الحسنة ولا الاخلاق الجميلة ونفسه مع ذلك تتشوف الى المنقبة وتتأفف من المثلبة لكن سلطان طبعه يأباه عليه واستعصاؤه مع تكلف ماندب اليه يختار العطل منها على التحلى ويستبدل الحزن على فواتها بالتسلى فلا ينفعه التأنيب ولا يردعه التأديب وسبب ذلك على ماقرره المتكلمون فى الاخلاق أن طبع المطبوع أملك للنفس التى هى محله لاستيطانه اياها وكثرة اعانته لها والادب طار على المحل غريب فيه قال الشاعر فى ذلك

اذا كان الطباع طباع سوء * فليس بنافع أدب الاديب

(وقال آخر)

ومن يبتدع ماليس من خيم نفسه * يدعه ويغلبه على النفس خيمها

وأما الذى يجمع الفضائل والرذائل فهو الذى تكون نفسه الناطقة متوسطة الحال بين اللؤم والكرم وقد تكتسب الاخلاق من معاشرة الاخلاء فان صلاحها من معاشرة الكرام وفسادها من مخالطة اللئام ورب طبع كريم أفسدته معاشرة الاشرار وطبع لئيم أصلحته مصاحبة

الاخيار (وقد ورد) عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قال يحشر المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل (وقال عليّ) رضى الله عنه لولده الحسن الاخ رقعة فى ثوبك فانظر بم ترقعه وقال بعض الحكماء فى وصية لولده يابنيّ احذر مقارنة ذوى الطباع المرذولة لئلا يسرق طباعك من طباعهم وأنت لاتشعر ثم أنشد

واصحب الاخيار وارغب فيهم * ربّ من صاحبته مثل الجرب

فاذا كان الخليل كريم الاخلاق حسن السيرة طاهر السريرة فبه فى محاسن الشيم يقتدى وبنجم رشده فى طرق المكارم يهتدى واذا كان سيِّئ الاعمال خبيث الاقوال كان المغتبط به كذلك ومع ذلك فواجب على العاقل اللبيب والفطن الاريب أن يجهد نفسه حتى يحوز الكمال بتهذيب خلائقه ويكتسى حلل الجمال بدماثة شمائله وحميد طرائقه ويكدّ فى الهواجر ويسهر الليالى الى أن يرتقى شرفات المجد والمعالى فقد قيل من شمر عن ساق الجدّ وجد مفتاح الجدّ ومن كلام الثعالبى لايحصل برد العيش الابحرّ النصب ولله درّ الوزير أبى القاسم الحسين بن عليّ المغربى حيث قال

سأعرض كل منزلة * يعرض دونها العطب
فان اسلم رجعت وقد * ظفرت وأنجح الطلب
وان أعطب فلا عجب * لكلّ منية سبب

(وقال عمرو بن العاصى) المرء حيث يجعل نفسه ان رفعها ارتفعت وان وضعها اتضعت وقال الشاعر

وما الحرّ الاحيث يجعل نفسه * ففى صالح الاعمال نفسك فاجعل

وقال بعض الحكماء النفس عروف عزوف ونفور ألوف متى ردعتها ارتدعت ومتى حملتها حملت وان أهملتها فسدت وقال الشاعر

صبرت على اللذات حتى تولت * وألزمت نفسى هجرها فاستمرّت
وجرّعتها المكروه حتى تجرّدت * ولو حملته جملة لاشمأزت
وما النفس الاحيث يجعلها الفتى * فان أطمعت تاقت والاتسلت
وكانت على الآمال نفسى عزيزة * فلما رأت عزمى على الترك ذلّت

(وقال آخر)

والنفس

والنفس راغبة اذا رغبتها * واذا تردّ الى قليل تقنع

(وقالوا) الفخر بالنفس والافعال لا بالاعمام والاخوال (وقالوا) الشرف بالهمم العالية لا بالرمم البالية (وقال عامر بن الطفيل)

وانى وان كنت ابن فارس عامر * وفى السر منها والصريح المهذب
فما سودتنى عامر عن وراثة * أبى الله أن أسمو بأم ولا أب
ولكننى أحمى حماها وأتقى * أذاها وأرمى من رماها بمقنب

(وقال أبو الطيب المتنبى)

لا بقومى شرفت بل شرفوا بى * وبجدّى فخرت لا بجدودى

(وقالوا) كن عصاميا لا عظاميا ومعناه لا تفتخر بشرف آبائك ولكن بما يؤثر من أبنائك وعصام المشار اليه كان رجلا سوقة ثم صار حاجبا للنعمان ابن المنذر فسئل عن سبب وصوله الى هذه المنزلة العالية والرتبة الحالية فقال

نفس عصام سوّدت عصاما * وعلمته الكر والاقداما * وصيرته ملكا هماما

(وقالوا) شرف الاعراق يحتاج الى شرف الاخلاق ولا حمد لمن شرف نسبه وسخف أدبه (يحكى فى هذا) أن رجلا من بنى هاشم تخطى رقاب الناس فى مجلس أحمد بن أبى دواد فقال له أحمد يا بنى الادب ميراث الاشراف ولست أرى عندك من سلفك ميراثا فاستحسن كلامه من حضر مجلسه (شاعر)

واذا افتخرت بأعظم مقبورة * فالناس بين مكذب ومصدق
فأقم لنفسك فى انتسابك شاهدا * بحديث مجد للقديم محقق

(آخر)

اذا ما الحى عاش بذكر ميت * فذاك الميت حى وهو ميت
ومن يك بيته بيتا رفيعا * وهدمه فليس لذا بيت

(ابن الرومى)

وما الحسب الموروث لا در دره * بمحتسب الا بآخر مكتسب
فلا تتكل الا على ما فعلته * ولا تحسبن المجد يورث بالنسب
وليس يسود المرء الا بنفسه * وان عد آباء كراما ذوى حسب
اذا المرء لم يثمر وان كان شعبه * من المثمرات اعتده الناس فى الحطب

(وقال آخر يهجو رجلا شريفا)

من كان يعمر ما شادت أوائله * فأنت تهدم ما شادوا وما سمكوا
ما كان في الحق أن تأتي فعالهم * وأنت تحوي من الميراث ما تركوا

(وقال آخر)

يزين الفتى أخلاقه ويشينه * وتذكر أخلاق الفتى وهو لا يدري

وقال أبو تمام حبيب بن أوس الطائي

واني رأيت الوسم في خلق الفتى * هو الوسم لا ما كان في الشعر والجلد

(وقال أبو الطيب مقتفيا أثره ومصدقا خبره)

وما الحسن في وجه الفتى شرفا له * اذا لم يكن في فعله والخلائق

وقال بعض من له في الحكمة فصل المقال منبها على ما تدرك به رتبة الكمال الانسان التام من نزع عن نفسه ربقة المساوي والملاوم وبذ بجده المساوي والمقاوم وهذا الحد قلما ينتهي اليه انسان واذا انتهى الانسان الى هذا كان بالملائكة أشبه منه بالناس لان الانسان مضروب بأنواع الشر مستول عليه وعلى طبعه ضروب النقص والكمال وان كان بعيدا لا ينال فانه ممكن وذلك ان الانسان اذا صرف عزيمته وأعطى الاجتهاد حقه كان ممكنا وهو أن يكون راغبا بجميع مناقبه وخصائصه متيقظا لصرف معايبه ونقائصه واردة طرائقه شرعة المكارم الصافية رافلة خلائقه في أبراد المحامد الضافية مستعملا كل فضيلة متجنبا كل رذيلة مجتهدا في بلوغ القصوى وقمع النفوس عما تحب وتهوى عاشقا لصورة الجمال مستلذا بمحاسن الخلال يرى الكمال دون محله والتمام أقل أوصافه ونبله فقد قيل قبيح بذي العقل أن يكون بهيمة وقد أمكنه أن يكون انسانا أو انسانا وقد أمكنه أن يكون ملكا (قال المتنبي)

ولم أر في عيوب الناس شيأ * كنقص القادرين على التمام

(وقال علي بن مقلة)

واذا رأيت فتى بأعلى قمة * في شامخ من عزة المترفع
قالت لي النفس العروف بفضلها * ما كان أولاني بهذا الموضع

(والمنهج القويم) الموصل الى الثناء الجميل أن يستعمل الانسان فكره وتمييزه

فيما

فيما ينتج عن الاخلاق المحمودة والمذمومة منه ومن غيره ومن أخذ نفسه بما استحسن منها واستملح وصرفها عما استهجن منها واستقبح فقد قيل له كذلك تهذيبا وتاديبا لنفسك تركما كرهه الناس من غيرك (وقيل لعيسى عليه السلام) من أدبك قال ما أدبني أحد رأيت جهل الجاهل فتجنبته

اذا أعجبتك خلال امرئ * فكنه تكن مثل من يعجبك
وليس على المجد والمكرمات * اذا جئتها حاجب يحجبك

(وقالوا) من نظر في عيوب الناس فأنكرها ثم رضيها لنفسه فذلك هو الاحمق بعينه

لاتلم المرء على فعله * فأنت منسوب الى مثله
من ذم شيأ وأتى مثله * فانما دل على جهله

(ويقال) الانسان يضارع الملك بقوة الفكر والتميز ويضارع البهيمة بقوة الشهوة والغذاء فمن صرف همته الى رتبة الفكر والتميز حتى يرى بهما عاقبة فعله فخقيق أن يلحق بالملائكة فيسمى ملكا لطهارة أخلاقه ومن صرف همته الى رتبة القوة الشهوانية بايثار اللذة البدنية يأكل كما تأكل الانعام فحقيق أن يلحق بالبهائم فيصير اما غمرا كثور أوشرها كخنزير أوضريا ككلب أوحقودا كجمل أومتكبرا كنمر أوروغا كثعلب أوجامعا لذلك كشيطان ولقد صدق من قال

واذا الفتى ساس الامور بعلمه * وأعين بالتأديب والتهذيب
سمت الامور به فيبرز سابقا * في كل حال مشهد ومغيب

(اللهم) كما خلقت الانسان بقدرتك في أحسن تقويم وأعليته باختصاصك له ذروة التكريم وهديته بارادتك نجدي الخير والشر وصرفته بقضائك في عناني النفع والضر روض اللهم جوامح نفوسنا الى اقتفاء أثر الاكارم واقتناء ما يبعث على حمدها من صنوف المكارم وذد اللهم سوائم طباعنا عن مراتع الملاوم ومرابع ما يتوجه به علينا لوم اللوائم فاليك الخذلان والعون وبيدك أزمة المكان والكون (وهذا) أوان انشقاق كمائم هذا الكتاب عما أكنته من زهرات الآداب واهتصار أفنان فنونه الدانية القطاف المتسقة بأنواع التحف والالطاف

(الباب الرابع عشر فى الانتقام وفيه ثلاثة فصول)

(الباب الخامس عشر فى الاخوة وفيه ثلاثة فصول)

(الباب السادس عشر فى العزلة وفيه ثلاثة فصول)

(الباب الاول فى الكرم وفيه ثلاثة فصول)

(الفصل الاول من الباب الاول)

(فى وصف الاخلاق الحسان المتخلقة بها نفوس الاعيان)

(قال الله تعالى) ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم (وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم) ليس فى الميزان شئ أثقل عند الله من الخلق الحسن وما حسن الله خلق رجل وخلقه فأدخله النار (وقال على كرم الله وجهه) نعم الحسب الخلق الحسن (وقال الحسن البصرى) سعة الاخلاق منحة من الله فاذا أراد الله بعبد خيرا منحه خلقا حسنا (وقال عليه الصلاة والسلام) من لانت كلمته وجبت محبته وحسنت احدوثته وظمئت القلوب الى لقائه وتنافست فى مودته (وقالوا) أحسن الشيم ما انشام منه بارقة الكرم (وأوصى حكيم ولده) فقال يابنى ان مكارم اخلاقك تدل على شرفك وطيب أعراقك (سمع) بعض الاعراب يقول لولده

أبنى ان البر شئ هين * وجه طليق وكلام لين

وفى بعض الكتب القديمة الاخلاق الصالحة ثمرات العقول الراجحة

(وقالوا)

(وقالوا) من حسنت أخلاقه درت أرزاقه (وقيل لبعض الادباء) متى يبلغ الرجل ذروة الكمال قال اذا اتقى من خلقه وجاد بما رزقه واختار من القول أصدقه وحسن فى كل الاحوال خلقه فذلك الذى أنهج الى الكمال طرقه (ويقال) ان فى التوراة يقول الله تعالى ياموسى ليكن وجهك بساما وكلامك لينا تكن أحب الى الناس والى ممن يعطيهم الذهب والفضة (وقال) ابن الرومى

له محيا جميل يستدل به * على جميل وللبطنان ظهران
وقل من أضمرت خيرا طويته * الا وفى وجهه للخير عنوان

(وما أصدق قول القائل)

وما اكتسب المحامد طالبوها * بمثل البشر والوجه الطليق

(وفى بعض الآثار المروية) عن ابن عباس أن موسى عليه السلام قال يارب أمهلت فرعون أربعمائة سنة يكذب رسلك ويجحد آياتك فأوحى الله اليه انه كان حسن الخلق سهل الحجاب فأحببت أن أكافئه

(وعلى ذكر الحجاب وان لم يكن من الباب)

كانت العرب تقول ماشئ أضيع للمملكة وأهلك للرعية من شدة الحجاب للولى ولا أهيب للرعية والعمال من سهولة الحجاب لان الرعية اذا وثقت من الولاة بسهولة الحجاب أحجمت عن الظلم واذا وثقت بشدة الحجاب تهجمت على الظلم وركب القوى الضعيف فخير خلال الولاة سهولة الحجاب

(وصف أخلاق أهل الوفاق)

فلان خلقه كنسيم الاسحار على صفحات الانوار * أخلاق قد جمعت الحرية أطرافها وفرشت المروأة أكنافها * أخلاق تجمع الاهواء المتفرقة على محبته وتؤلف الاراء المشتتة فى مودته * أخلاق هى المسك لولا فأرته والورد لولا امرارته والماء لولا اسراعه الى الكدر والروض لولا حاجته الى المطر قد جمع شرف الاخلاق الى طيب الاعراق

له خلق على الايام يصفو * كما رقت على الزمن العقار

(آخر)

خلق سهول المكرمات سهوله * ووعر الايام من أوعاره

ان لاح فهو الصبح فى أنواره * أو فاح فهو الروض فى نواره

(المتنبى)

صفت مثل ما تصفو المدام خلاله * ورقت كما رق النسيم شمائله

(آخر)

موفق لسبيل الرشد متبع * يزينه كل ما يأتى ويجتنب
تسمو اليه عيون كلما انفرجت * للناس وجهة الابواب والحجب
له خلائق بيض لا يغيرها * صرف الزمان كما لا يصدأ الذهب

(عيون من مكارم الاخلاق الدالة على طيب الاعراق)

(قال رسول الله صلى الله عليه وسلم) بعثت لاتمم مكارم الاخلاق وهو ما أوصاه به ربه عز وجل فى قوله خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين فلما امتثل أمر ربه وناطقه بشغاف قلبه أثنى على فعله بقوله تنويها بفضله الجسيم وانك لعلى خلق عظيم ولهذا قال عليه الصلاة والسلام ألا أدلكم على خير أخلاق أهل الدنيا من وصل من قطعه وعفا عمن ظلمه وأعطى من حرمه (وقال الحسين) بن مطير يفتخر

أحب مكارم الاخلاق جهدى * وأكره ان أعيب وان أعابا
وأصفح عن سباب الناس حلما * وشر الناس من يهوى السبابا
ومن هاب الرجال تهيبوه * ومن حقر الرجال فلن يهابا

(وقال الاحنف بن قيس) واسمه الضحاك وقيل صخر لبنيه ألا أدلكم على المحمدة الخلق السجيح والكف عن القبيح (وقال أكثم بن صيفى) لولده يا بنى ذللوا أخلاقكم للمطالب وقودوها على المحامد وعلموها المكارم ولا تقيموا على خلق تذمونه من غيركم وصلوا من رغب اليكم وتخلقوا بالجود يلبسكم المحبة ولا تعتقدوا البخل فتتعجلوا الفقر (وقيل) لحسمة بن رافع الدوسى من أكرم الناس قال من اذا قرب منح واذا بعد مدح واذا ظلم صفح واذا ضويق سمح (وقالوا) من الاخلاق التى تزين ولا تشين وتحض على المكرمات وتعين نشر البشر وترك الكبر ونصر الحر وسلامة الصدر (وقال) جعفر بن محمد الصادق خير السادة أرحبهم ذراعا عند الضيق وأعدلهم حلما عند الغضب وأبسطهم وجها عند المسئلة وأرحمهم قلبا اذا سلط وأكثرهم صفحا

اذاقدر (وقال عامر العدوانى) يامعشرعدوان الخيرألوف عروف وانه لن يفارق صاحبه حتى يفارقه وانى لم أكن سيدكم حتى تعبدت لكم (وقال) يزيد بن المهلب استكثروا من الحمد فان الذم قلما ينجو منه أحد ومن رغب فى المكارم صبرعلى المكاره واجتنب المحارم (ويقال) المكارم موصولة بالمكاره فمن أراد مكرمة احتمل مكروها وقال أبو الشيص

عشق المكارم فهو معتمد لها * والمكرمات قليلة العشاق
وأقام سوقا للثناء ولم يكن * سوق الثناء يعد فى الاسواق
بث الصنائع فى البلاد فأصبحت * يجبى اليه مكارم الاخلاق

(وقال أبو الطيب المتنبى)

تلذله المروأة وهى تؤذى * ومن يعشق يلذله الغرام

(ولله درالقائل)

الحمد شهد لايرى مشتاره * يجنيه الامن نقيع الحنظل
غل لحامله ويحسبه امرؤ * لم يوه عاتقه خفيف المحمل

(وقال على بن الفضل)

لوقرب الدر على جلابه * مانجح الغائص فى طلابه
ولوأقام لازما أصدافه * لم تكن التيجان فى حسابه
مالؤلؤ البحر ولا مرجانه * الاوراء الهول من عبابه
من يعشق العلياء يلقى عندها * مالقى المحب من أحبابه

(وقال الشاعر)

دعينى أنل مالا ينال من العلا
فصعب العلا فى الصعب والصعب فى السهل
تريدين ادراك المعالى رخيصة * ولابد دون الشهد من إبر النحل

(وقال الاشعث بن قيس) واسمه معديكرب لقومه انما أنا رجل منكم ليس لى فضل عليكم ولكنى أبسط لكم وجهى وأبذل لكم مالى وأحفظ حريمكم وأقضى حقوقكم وأعود مريضكم وأشيع جنائزكم فمن فعل مثل هذا فهومثلى ومن زاد عليه فهوخيرمنى ومن قصرعنه فأنا خيرمنه قيل له وماهذا قال أحضكم على مكارم الاخلاق

(ومن روائع عادات السادات ووشائع سادات العادات)

السخاء والنجدة والمروأة فالسخاء التبرع بالنائل قبل الحاف السائل والنجدة الذب عن الجار والاقدام عند الكريهة والمروأة حفظ الرجل دينه واحراز نفسه عن الدنس الى غير ذلك من الاخلاق الجميلة التى هى بالمدح كفيلة وسنذكر جملة منها فيما سيأتى (وقيل) أسباب السودد سبعة العقل والحلم والصيانة والصدق والعلم والسخاء وأداء الامانة وأضيف الى ذلك الصبر والتواضع والعفاف تلك عشرة كاملة هى لمحاسن الشيم شاملة (وقال) ابن عمر ما رأيت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الصحابة أسود من معاوية فقيل له أهو خير من أبى بكر وعمر قال هما خير منه وهو أسود منهما حلمه وجوده فانا معشر قريش نعد الحلم والجود السودد (ويحكى) أن رجلا رأى معاوية وهو صغير يلعب مع الصبيان فقال انى أظن هذا الغلام سيسود قومه قالت أمه هند ثكلته ان كان لا يسود الا قومه (وقيل) السيد من أورى ناره وحمى معاره ومنع جاره وأدرك ثاره (وقال النبى صلى الله عليه وسلم) اضمنوا الى ستا أضمن لكم الجنة اصدقوا اذا حدثتم وأوفوا اذا وعدتم وأدوا الامانة اذا ائتمنتم واحفظوا فروجكم وغضوا أبصاركم وكفوا أيديكم (وذكر) أن عبد الملك بن مروان دخل على معاوية وعنده عمرو بن العاص فسلم ثم جلس فلم يلبث أن قام فقال معاوية ما أكمل مروأة هذا الفتى قال عمرو انه أخذ بأخلاق أربعة وترك أخلاقا أربعة أخذ بأحسن البشر اذا لقى وبأحسن الحديث اذا حدث وبأحسن الاستماع اذا حدث وبأيسر المؤنة اذا خولف وترك مزاح من لا يثق بعقله وترك مجالسة من لا يرجع الى دينه وترك مخالطة لئام الناس وترك من الكلام كل ما يعتذر منه (وقال هشام بن عبد الملك) لخالد بن صفوان بم بلغ فيكم الاحنف ما بلغ قال ان شئت أخبرتك بخلة واحدة وان شئت بخلتين وان شئت بثلاث قال فما الخلة قال كان أقوى الناس على نفسه قال وما الخلتان قال كان موقى الشر ملقى الخير قيل فما الثلاث قال كان لا يحسد ولا يبخل ولا يبغى (وقال رجل للاحنف) بم سودك قومك وما أنت بأشرفهم بيتا ولا بأصبحهم وجها ولا بأحسنهم خلقا قال بخلاف ما فيك يا ابن أخى قال وما ذاك قال

بتركى من أمرك مالا يعنينى كما عناك من أمرى مالا يعنيك (وقال) عبد الملك لبنيه كلكم يترشح لهذا الامر ولن يصلح له الا من كان له سيف مسلول ومال مبذول ولسان معسول وعدل تطمئن اليه القلوب وأمن تستقر به فى مضاجعها الجنوب (وقيل لقيس بن عاصم المنقرى) بم سدت قومك قال ببذل القرى وترك المرا ونصرة المولى * وروى علىّ رضى الله عنه قال لما أتينا بسبايا طيئ كانت فى النساء جارية هيفاء سمراء كحلاء لمياء خميصة الخصر هضيمة الكشح مصقولة المتن فلما رأيتها أعجبت بها فلما تكلمت أنستنى بعقالها مارأيته من جمالها فكان من كلامها أن قالت يامحمد هلك الوالد وغاب الوافد فان رأيت ان تمنّ علىّ وتخلى عنى ولا تشمت بى أحياء العرب فانى ابنة سيد قومها ان أبى كان يحمى الذمار ويفك العانى ويشبع الجائع ويكسو العارى ويفشى السلام ولا يرد طالب حاجة أبدا فقال عليه الصلاة والسلام من أبوها قالوا حاتم طى فقال عليه الصلاة والسلام لو كان أبوها مسلما لترحمنا عليه خلوا عنها فان أباها كان يحب مكارم الاخلاق ثم قال للمسلمين ما حازت أسنتها وحوته أعنتها غير التهيئة والابضاع فلو فعلوا لفعلت فقالوا يارسول الله أمرنا لامرك تبع فاصنع مابدا لك فقال أعلى أصحابى وأهلك أعدائى وأبدل الانصار بالمضاضة غضاضة وأطلقها رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرجت الى أخيها عدى وكان بدومة الجندل فقالت ائت هذا الرجل قبل أن تعلقك حبائله فانى رأيت هديا ورأيا ستغلب به أهل الغلب رأيت خصالا أعجبتنى رأيته يحب الفقير ويفك الاسير ويرحم الصغير ويعرف حق الكبير ومارأيت أحدا أجود منه ولا أكرم صلى الله عليه وسلم (وقال معاوية) لا ينبغى للملك أن يكون كذابا ولا حديدا ولا بخيلا ولا جبانا ولا حسودا فانه ان كان كذابا ووعد بخير لم يرج أو أوعد بشرّ لم يخف وان كان حديدا مع القدرة هلكت الرعية وان كان بخيلا لم يناصحه أحد ولا تصلح الولاية الا بالمناصحة وان كان جبانا اجترأ عليه عدوه وضاعت ثغوره فذل وان كان حسودا لم يشرف أحدا ولا يصلح الناس الا باشرافهم (ويقال) ليس للملك أن يغضب لان القدرة من وراء حاجته وليس له أن يكذب لان أحدا يستردّه حديثا ولا أحد يكرهه على ما يريد

وليس له أن يكون حقودا لان خطره عظيم عن المجازاة (وقال) عبدالله بن طاهر لا ينبغى للملك أن يظلم وبه يستدفع الظلم ولا ان يعجل ومنه تلتمس الاناة ولا ان يبخل ومنه يتوقع الجود (وقالوا) ينبغى للملك أن يكون سخيا لا يبلغ التبذير وحافظا لا يبلغ البخل وشجاعا لا يبلغ التهوّر ومحترسا لا يبلغ الجبن وقائلا لا يبلغ الهذر وصموتا لا يبلغ العىّ وحليما لا يبلغ العجز (وقال) اسماء ابن خارجة لا أشاتم أحدا ولا أردّ سائلا فانما هو كريم أسدّ خلته أو لئيم أسترعرضى منه * وروى البيهقى فى كتابه شعب الايمان باسناده عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مكارم الاخلاق عشرة تكون فى الرجل ولا تكون فى ابنه وتكون فى الابن ولا تكون فى أبيه وتكون فى العبد ولا تكون فى سيده يقسمها الله لمن شاء من عباده صدق الحديث وصدق البأس وأن لا يشبع وجاره وصاحبه جائعان واعطاء السائل والمواساة بالنائل والمكافأة بالصنائع وحفظ الامانة وصلة الرحم والتذمم للجار وقرى الضيف ورأسهنّ الحياء * ومن أخلاقهم صون الوجه بقناع الحياء وعقل اللسان عن اللجاج والمراء الحياء دليل الدين الصحيح وشاهد الفضل الصريح وسمة الصلاح الشامل وعنوان الفلاح الكامل من كان فيه نظم قلائد المحامد ونسق وجمع من خلال الكمال ما افترق (قال) رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل شئ خلقا وخلق هذا الدين الحياء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحياء من الايمان والايمان فى الجنة وقال الحياء لا يأتى الا بخير وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم استحيوا من الله حق الحياء قيل كيف ذلك يا رسول الله قال من حفظ الرأس وما وعى والبطن وما حوى وذكر الموت والبلا وترك زينة الحياة الدنيا وآثر الآخرة على الاولى فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء * فالحياء اسم جامع يدخل فيه الحياء من الله تعالى لانّ ذمّه فوق كل ذم ومدحه فوق كل مدح (وقال) يزيد ابن على انى لاستحى من الله تعالى ان أفضى اليه بشئ أخفيه من غيره والحياء من الناس يكون بكف الاذى وترك المجاهرة بالقبيح (ويروى) عن النبىّ صلى الله عليه وسلم انه قال من تقوى الله اتقاء الناس * وقيل هو أن يستحى منهم فى سره كما يستحى منهم فى جهره (وقيل) من المروأة أن لا تعمل شيأ فى السر

يستحيامنه فى العلانية * وكان يقال أحيوا الحياء بمجالسة من يستحيا منه (وقال) النبى صلى الله عليه وسلم لابى عليك بالحياء والانفة فانك ان استحييت من الغضاضة اجتنبت الخساسة * وأما استحياء الرجل من نفسه فهو أن لا يأتى فى الخلاء الاما يأتى فى الملا * وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد حياء من العذراء فى خدرها وكان اذا كره شيأ عرفناه فى وجهه * وكان عثمان بن عفان قد خص من الحياء بأجل السهام ومنح منه بأوفر الاقسام وشهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه تستحيى منه الملائكة الكرام (قال) الامام مالك رضى الله عنه انه أول من ضرب الابنية فى السفر * وقالوا من لا يستحيى من نفسه فجدير أن لا يستحيى من غيره * وقالوا فى حد الحياء التوقى من فعل المساوى خوف الذم * ويقال الحياء خوف المستحيى من تقصير يقع به من غير من هو أفضل منه (وقال عمرو بن بحر الجاحظ) الحياء لباس سابغ وحجاب واق وستر من العيب وأخو العفان وحليف الدين ورقيب من العصمة وعين كالئة تذود عن الفحشاء وتنهى عن ارتكاب الارجاس وسبب الى كل جميل (وقالوا) من عفت أطرافه حسنت أوصافه (ويقال) لا ترض قول امرئ حتى ترضى فعله ولا ترض فعله حتى ترض عقله ولا ترض عقله حتى ترضى حياءه فان ابن ادم مجبول على أشياء من كرم ولؤم فاذا قوى الحياء قوى الكرم واذا ضعف الحياء قوى اللؤم (وقال) بشار بن برد

وأعرض عن مطاعم قد أراها * فاتركها وفى بطنى انطواء
فلا وأبيك مافى العيش خير * ولا الدنيا اذا ذهب الحياء

(وقال بعض الاعفاء)

ورب قبيحة ما حال بينى * وبين ركوبها الا الحياء
فكان هو الدواء لها ولكن * اذا ذهب الحياء فلا دواء

(وقالوا) لا يزال الوجه كريما مادام حياؤه ولم يرق باللجاج ماؤه * وقالوا حياة الوجه بحيائه كما أن حياة الغرس بمائه (وقال ابن المعتز) فى كتاب الادب من كساه الادب ثوبه ستر عن الناس عيبه * وقالوا فلان يتحدر من أسارير وجهه ماء الحياء ويتيرلا لاء غرته حنادس الظلماء (وقال) الفرزدق

فى على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهم
يغضى حياء ويغضى من مهابته * فلا يكلم الا حين يبتسم
(لليلى الاخيلية فى توبة الحميرى)
ويخرق عنه القميص تخاله * وسط البيوت من الحياء سقيما
حتى اذا رفع اللثام رأيته * تحت اللواء على الخميس زعيما
(ولابن المعتز)
ويظل صباغ الحياء بخده * تعبا يصفر تارة ويورّد
(وقال اخر)
كريم وغض الطرف بعض صفاته * ويدنو واطراف الرماح دوان

(جوامع ممادح الاخلاق والشيم المتحلية بها ذوو الاصالة والكرم)

(مدح اعرابى رجلا فقال) كان والله تعبا فى المكارم غير ضالّ فى طرقها ولا متشاغل بغيرها عنها * وقال آخر فلان لو وجد الكرم فى يد غيره لعلم أنه ضالة له * ومدح أعرابى رجلا فقال كان والله صحيح النسب محكم الادب من أىّ أقطاره أتيته انثنى اليك بكرم فعال وحسن مقال * وذكر أعرابى رجلا فقال كانت الالسن والقلوب ريضت له فلا تنعقد الا على ودّه ولا تنطق الا بثنائه وحمده * وقالوا فلان من شجر لا يختلف ثمره ومن ماء لا يأتلف كدره (وسأل) يحيى بن خالد رجلا عن ابنه الفضل فقال تركته وماء الحياء يتحدّر من أسارير وجهه وسيول الجود سائلة من فروج أنامله ولآلئ العلم منتثرة من مسارب منطقه * نظم هذه الكلمات ابراهيم بن هلال الصابى فى أبيات يمدح بها الوزير المهلبى
له يد برعت جودا بنائلها * ومنطق درّه فى الطرس منتثر
فخاتم كامن فى بطن راحته * وفى أناملها سحبان مستتر
(وقال زرعة بن سنان مادحا)
مآثره غر وأيامه زهر * وطلعته بدر وراحته بحر
وهذا غاية فى التقسيم (وقال ديك الجن) يفتخر بمثل ذلك
انّ العلا شيمى والبأس من نقمى * والمجد خلط دمى والصدق حشو فمى
(وقال النمر بن تولب مفتخرا)

لا يعلم اللامعات اللائحات ضحى * ما تحت كشحى ولا يعلمن أسرارى
ولا أخون ابن عمى فى حليلتـه * ولا البعيـد نأى عنى ولا جارى

(وقال آخر يفتخر بنفسه وكان دميم الخلق أى قصيرا)

* ألم تعلمى يا عمـرك الله اننى * كريم على حـين الكرام قليل
اذا كنت فى القوم الطوال فضلتهم * بعارفة حـتى يقال طويل
فان لم يكن جسمى طويلا فاننى * له بالفعال الصالحات وصول

(وقال ابن حبيب التميمى)

اذا مار فيقى لم يكن خلف ناقتى * له مركب فضـل فلاحملت رحـلى
ولم يك من زادى له نصف مزودى * فلا كنت ذا زاد ولا كنت ذا رحل
شريكين فيما نحن فيـه وقد أرى * علىّ له فضلا بما نال من فضلى

(آخر)

وما أنا بالساعى بفضل زمامها * لتشرب ماء الحوض قبل الركائب
وما أنا بالطاوى حقيبة رحلها * لأبعثها خفا وأترك صاحـبى
اذا كنت ربا للقلوص فلا تذر * رفيقك يمشى خلفها غير راكب
أنخها وأردفه فان حملتكما * فذاك وان كان العقاب فعاقب

(وقال ملك بن نويرة الفزارى)

لا يبعـد الله قوما ان سألتهـم * اعطوا وان قلت يا قوم انصروا انصروا
وان أصابتهـم نعماء سابغـة * لم يبـطروها وان فاتتهـم صبروا
والكاسرون عظاما الاجبار لها * والجابرون عظاما ليس تنكسر

(وقال مروان بن أبى حفصة يمدح آل معن بن زائدة من أبيات)

هم القوم ان قالوا أصابوا وان دعوا * أجابوا وان أعطوا أطابوا وأجزلوا
ولا يستـطيع الفاعلون فعالهـم * ولو أحسنوا فى النائبات وأجملوا

(والاسباب المانعة من السيادة سبعة)

الحداثة والبخل والزنا والظلم والحمق والفقر والكذب واعتبرت هذه الاسباب فوجدتها قد تفرقت فى الاعيان الاماثل والسرات الافاضـل (أما الحداثة) فقد ساد أبو جهل وما طر شاربه ودخل دار الندوة وما استوت لحيته (وأما البخل) فقد ساد أبو سفيان وكان أبخل من نار الحباحب وقيل

من أبى حباحب (وأما الزنا) فقد ساد عامر بن الطفيل وكان أزنى من قرد (وأما الظلم) فقد ساد كليب بن وائل وكان أظلم من حية (وأما الحمق) فقد ساد عيينة بن حصن وكان أظلم من دغة (وأما الفقر) فقد ساد أبو طالب وعتبة ابن ربيعة وكانا أفلس من ابن المذلق (ولا) يعرف فى العرب والعجم كذاب ساد قط الا المهلب بن أبى صفرة فانه كان أكذب من فاختة وكان اذا أخذ فى الحديث يقول أصحابه راح يكذب

(شرح ماذكر من الامثال الواقعة فى هذا المثال)

(أمّا) سيادة أبى جهل ودخوله دار الندوة فكانت دار الندوة نادى سادات قريش لايدخلها الامسوّد (وأمّا) قولهم أبخل من أبى حباحب على أحد الروايتين فهو رجل من العرب كان لبخله يوقد نارا ضعيفة فاذا أبصرها مستضىء أطفأها وعلى الرواية الاخرى فهى النار التى تقدحها الخيل بحوافرها وتوصف بالبخل لقلتها وعدم الانتفاع بها (وأما) قولهم أزنى من قرد فهو قرد بن عمرو بن معاوية الهذلى وقيل هو الحيوان المعروف (وأمّا) قولهم أظلم من حية فلانها لاتتخذ لنفسها بيتا بل كل جحر أمّته هرب أهله منه وتركوه لها (وأمّا) قولهم أحمق من دغة فانها مارية بنت مغنج وهو ربيعة ابن عجل ومن حمقها انها تزوّجت وهى صغيرة فى بنى العنبر بن تميم فحملت فلما أضربها المخاض ظنت أنها تريد الخلاء فبرزت الى بعض الغيطان فوضعت فاستهل الوليد فانصرفت الى الرحل تظن أنها أحدثت فقالت لضرّتها ياهنتاه أيفغر الجعر فاه قالت نعم ويدعو أباه ثم مضت الضرّة وأخذت الولد اليها وربته وبنو العنبر يعيرون بذلك ويعرفون ببنى الجعراء (وأمّا) قولهم افقر من ابن المذلق فهو رجل من بنى عبد شمس بن سعد بن زيد مناة لم يكن يجد بيتة ليلة وأبوه وأجداده يعرفون بالافلاس وفى أبيه يقول الشاعر

فانك ان ترجو تميما ونفعها * كراجى الندى والعرف عند المذلق

ويروى بالدال المهملة (وأمّا) قولهم أكذب من فاختة فلان حكاية صوتها هذا زمان الرطب تقول ذلك والطلع لم يطلع

(قال بعضهم)

أكذب من فاختة * تصيح عند الكرب

والنخل

والنخل غير مطلع * هذا أوان الرطب

(وقالوا) عشر خصال فى أناس أقبح منها فى غيرهم الفسق فى الملوك والكذب فى القضاة والخديعة فى العلماء والغضب فى الابرار والغدر فى الاشراف والسفه فى الشيوخ والمرض فى الاطباء والتهزى فى الفقراء والشح فى الاغنياء والفخر فى الأعزاء

(الفصل الثانى من الباب الاول)

فى ذكر الصنائع والمآثر المفصحة عن أحساب الاكابر

(قال خالد بن صفوان) كان الاحنف بن قيس يفرّ من الشرف والشرف يتبعه (لما) تولى عبد الله بن طاهر بن الحسين خراسان بعد موت أبيه من قبل الواثق دخل عليه عبد الله بن خليد بن سعد المعروف بأبى العميثل بقصيدة يمدحه فيها ويهنئه بالولاية فجاء منها قوله

يا من يؤمّل أن تكون خصاله * كخصال عبد الله أنصت واسمع
اصدق وعفّ وبرّ وانصف واحتمل * واكفف وكاف ودار واحلم واشجع
والطف ولن واشتدّ وارفق واتئد * واحزم وجدّ وحام واحمل وادفع
فلقد نصحتك ان قبلت نصيحتى * وهديت للنهج الاسدّ المهيع

(آخر)

ان كنت ترغب فى شأو الكرام فسر * فى الناس بالفضل والدين الذى شرعوا
حافظ اذا غدروا واشجع اذا جبنوا * واحلم اذا جهلوا وابذل اذا منعوا

(فمن ما تزدوى الكرم فى النجار الذب عن النزيل وحفظ الجار)

كما قيل الكريم يرعى حق اللحظ ويتعهد حرمة اللفظ (وقالوا) وجه الكريم جنة وكنفه جنة * كان بعض الهاشميين اذا نزل به جار قال له يا هذا انك قد اخترتنى جارا واخترت دارى دارا فجناية يدك علىّ دونك فاحتكم علىّ حكم الصبى على أهله * وهذا مثل تضرب به العرب فى التزام ما يحكم به عليها وذلك أن الصبى اذا كان عزيزا فى أهله حمله الدلال على طلب ما يستحيل وجوده ويصعب مرامه فهم أبدا يسعون فى تحصيل أغراضه وآرابه ليظفروا برضاه ويقدموه على أترابه (وكان) حارثة بن مرّ يسمى مجير الجراد وذلك أنه نزل بفنائه جراد فغدا أهل الحىّ اليه ليدفعوه عنهم فمنعهم منه وقال لهم ما تريدون

منه قالوا نريد قتله فانه نزل بجوارك فقال أما اذ سميتموه جاري فوالله لا تصلون اليه أبدا واوطردهم عنه (وكان) ثور بن شحمة العنبري يسمى مجير الطير فكانت الطير لا تصاد بأرضه ولا تضار (وحكى) أن زيادا الاعجم وفد على المهلب فأكرمه وأنزله على أبيه فجلسا يوما يشربان فى بستان فغنت حمامة على فنن فطرب لها زياد فقال له حبيب انها فاقدة الف كنت أراه معها فقال زياد هو أشد لشوقها ثم أنشد

تغني أنت في ذممي وعهدي * وذمة والدي أن لا تضاري
وعشك أصلحيه ولا تخافي * على زغب مصغرة صغار
فانك كلما غنيت صوتا * ذكرت أحبتي وذكرت داري
فاما يقتلوك طلبت ثارا * لانك ياحمامة في جواري

فضحك حبيب ثم قال ياغلام هلم القوس فجاء بها فنزع لها بسهم فاصابها فوقعت ميتة فنهض زياد مغضبا وقال أخفرت أبا بسطام ذمتي وقتلت جاري وشكاه الى المهلب فغضب على حبيب وقال أما علمت أن جار أبي لبابة جاري وذمته ذمتي والله لألزمنك دية الحر وأخذه من ماله ألف دينار فقال فيه من أبيات ذكر القصة فيها جاء منها قوله

فلله عينا من رأى كقضية * قضى لي بها شيخ العراق المهلب
قضى ألف دينار لجار أجرته * من الطير اذ يبكي شجاه ويندب

(ولما) ولي صالح بن علي مصر من قبل ابن أخيه أبي العباس السفاح خرج عليه رجاء بن روح بفلسطين مع عمه الحكم بن ضبعان وكان على شرطة مصر فأرسل اليهم أباعون ومحمد بن أشعث الخزاعي بعسكر فهزما الحكم وبلغ صالح ابن علي أن رجاء بن روح دخل مصر واستجار بمحمد بن معاوية فأجاره فأرسل اليه فحضر فقال ألم أكرمك ألم أشرفك قال بلى قال فكان جزائي منك أن أجرت عدوي قال وماذاك أيها الامير قال رجاء بن روح وابنه قال أصلح الله الامير اختر واحدة من اثنتين لي فيهما براءة اما أن أثلج صدرك بيمين أو ترسل رجلا من ثقاتك يفتش منازلي قال وتحلف قال نعم فأحلفه بطلاق زوجته وعتق عبيده ومشيه الى مكة راجلا حافيا فحلف له ثم انصرف الى منزله وأعلم زوجته فاعتزلت عنه وقالت له لا تنقطع عني لئلا يشعر بك فلما عزل صالح عن

مصر ورجع الى بغداد أظهر محمد بن معاوية طلاق زوجته وأعتق رقيقه ومشى الى مكة كما شرط عليه (ولما) كان يوم فتح مكة لجأ الحرث بن هشام الى منزل أمّ هانئ أخت على بن أبى طالب رضى الله عنه مستجيرا بها فدخل عليها علىّ فخبرته الخبر فأخذ السيف ليقتله فقالت أمّ هانئ يا ابن أمّ قد أجرته فلم يلتفت الى قولها فوثبت فقبضت على يديه وقالت والله لا تقتله وقد أجرته فلم يقدر علىّ أن يرفع قدمه عن الارض وجعل يتفلت منها فلا يقدر فدخل النبىّ صلى الله عليه وسلم اليها فقالت يا رسول الله ألا ترى انى أجرت فلانا فاراد علىّ أن يقتله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أجرنا من أجرت ولا تغضبى عليا فانّ الله يغضب لغضبه أطلقى عنه فاطلقت عنه فقال عليه الصلاة والسلام يا على غلبتك امرأة فقال والله يا رسول الله ما قدرت أرفع قدمى من الارض فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لو أنّ طالبا ولد الناس كانوا شجاعا (ومن أحسن ما يحكى فى هذا الباب) أهدر المهدى دم رجل كان يسعى فى فساد دولته وجعل لمن يقتله أو يأتيه به مائة ألف درهم فاختفى الرجل زمانا ثم ظهر مستنكرا خائفا يترقب فبصر به رجل فى بعض دروب بغداد فعرفه وأخذ بيده وقال بغية أمير المؤمنين فاجتمع الناس عليه وجهدوا على أن يطلقوه منه فلم يقدروا فمرّ به وهو فى تلك الحالة معن بن زائدة فناداه يا أبا الوليد أجرنى أجارك الله فوقف الرجل وقال للرجل الذى تعلق به ما شأنك قال بغية أمير المؤمنين الذى جعل لمن يقتله أو يأتيه به مائة ألف درهم فقال معن لبعض غلمانه انزل عن دابتك واحمله عليها وانطلق به الى منزلى فقال الرجل أتحول بينى وبين بغية أمير المؤمنين فقال معن اذهب الى أمير المؤمنين وأخبره أنه عندى فذهب الرجل وأوصل الخبر الى المهدى فبعث اليه من يحضره فركب معن وقال لمن خلفه من غلمانه فى منزله لا يخلص الى هذا الرجل أحد وفيكم عين تطرف فلما دخل على المهدى سلم فلم يردّ عليه السلام وقال له أتجير علىّ قال نعم قال ونعم أيضا فقال معن يا أمير المؤمنين لقد قتلت فى طاعتكم باليمن فى يوم واحد خمسة عشر ألفا فى أيام كثيرة عرف فيها بلائى وعنائى فما رأيتمونى أهلا لان يوهب لى رجل واحد استجار بى فأطرق المهدى مليا ثم رفع رأسه وقد سرّى عنه وقال لقد

أجرنا من أجرت يا أبا الوليد فقال معن فان رأى أمير المؤمنين أن يصله فيكون قد أحياه وأغناه فقال قد أمرنا له بخمسين ألفا فقال يا أمير المؤمنين ان صلات الخلفاء تكون على قدر جنايات الرعية وان ذنب الرجل عظيم فأجزل له الصلة قال قد أمرنا له بمائة ألف درهم قال عجلها له فان خير البر عاجله فعجلت فأخذها وانصرف بها الى الرجل ولم ير المهدى وجهه (والمثل المضروب) فى هذا الباب جار كجار أبى دواد وذلك ان أبا دواد نزل بكعب بن مامة وكان كعب اذا جاوره رجل قام له بما يصلحه وأهله وحماه ممن يقصده وان هلك له شئ أخلفه عليه وان مات وداه التراب فجاوره أبو دواد الايادى فتعلم منه فكان يفعل بجاره مافعل كعب به فضرب به المثل ونسى كعب (قال) على بن العباس بن جريج الرومى

هو المرء أمّا ماله فمحلل * لعاف وأمّا جاره فمحرم

(وقال شبيب بن البرصاء)

وجاراتنا مادمن فينا عزيزة * كأروى ثبير لا يحل اصطيادها
يكون علينا نقضها وضمانها * وللجاران كانت تريد ازديادها

(وقال مروان بن أبى حفصة)

هم المانعون الجار حتى كأنما * لجارهم فوق السماكين منزل

(ولآخر)

الباذلون الندى والناس باخلة * والمانعون وحق الجار يحترم

(ومن صنيع من زكت فى الكرم أرومه صون المضيم بنفسه من عدو يرومه)

(ورد) فى بعض الآثار أن الله تعالى أوحى الى داود عليه السلام يا داود اسمع منى والحق أقول من لقينى بحسنة واحدة حكمته فى رحمتى قال داود يارب وما تلك الحسنة قال من فرّج عن مكروب كربته (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم من فرّج عن أخيه كربة من كرب الدنيا فرّج الله عنه كربة من كرب الآخرة والله فى عون العبد مادام العبد فى عون أخيه (ويقال) من كفارات عظائم الذنوب اغاثة الملهوف والتنفيس عن المكروب (وقيل) أفضل المعروف اغاثة الملهوف (ومن أمثالهم) رب أخ لك لم تلده أمك (فمن) الاخبار فى ذلك ماحكى ان حاتما الطائى مرّ بأرض عنزة فناداه أسير يا أبا

سفانة أكلني القدّ والاسار والقمل فقال ما أنا بأرض قومي وقد أخطأت اذ نوهت باسمي ولا معي ما أفديك به ثم قال للذي هو في يده خل عنه سبيله واجعلني في القدّ مكانه ففعل وبعث الى قومه فأتوه بما فدى به نفسه (وذكر) انّ بني كلب بن وبرة أغاروا على حيّ من احياء العرب فقتلوا منهم عشرة أنفس غيلة فاستنجدوا عليهم وقالوا امّا الثأر وامّا الديات فسألوهم المهلة في ذلك الى أجل فأجابوا فخرج بنو كلب يسألون قبائل العرب المعونة حتى قدموا أرض تميم فقروا ماءاً ماء وحياً حياً فلم يجدوا أحداً يدفع عنهم ولا يعينهم وكانوا زهاء مائة نفس فمرّوا بعطارد بن حاجب بن زرارة بن عدى فسألوه ذلك فقال قولوا شعراً وخذوها فلم يكن فيهم من يقول شعراً فتركوه ومضوا فاتوا على بني مجاشع فمرّوا بوادٍ قد امتلأ ابلا وبه صعصعة جدّ الفرزدق وهو بفناء ابل له فسألوه القرى فقال لكم البذل قبل القرى ما الذي جئتم فيه فأخبروه بأمرهم فأعطاهم عشر ديات ثم أنزلهم وأضافهم فقالوا أرشدك الله من سيد أرحتنا من طول التعب ولو عرفناك لقصدناك وصعصعة هذا أوّل من ترك وأد البنات وفداهنّ بماله وكفت العرب عن وأدهنّ من بعد (ومما) يمتزج بما ذكرناه امتزاج اللبن بالماء القراح ويتعلق به تعلق الانامل بالراح ما حكاه الجهشيارى في كتاب الوزراء انه لما تفرّق الامر عن مروان بن محمد الجعدى طلب عبد الحميد بن يحيي كاتبه وكان صديقاً لعبد الله بن المقفع ففاجأه الطلب وهما في بيت فقال الذين دخلوا عليهما أيكما عبد الحميد فقال كل واحد منهما أنا خوفاً أن ينال صاحبه مكروه وخشي عبد الحميد أن يسرعوا الى ابن المقفع بما يكره فقال لهم تثبتوا فانّ في عبد الحميد علامات يعرف بها فارسلوا الى مرسلكم من يستوصفها منه فأينا وجدتموها فيه فخذوه ففعلوا فوصف لهم عبد الحميد بعلامات اشتمل عليها بدنه فأخذ وحمل الى أبي العباس السفاح فولى عقوبته عبد الجبار بن عبد الرحمن فكان يحمى له طشتاً ويضعه على رأسه فلم يزل يفعل به ذلك حتى مات وقيل غير ذلك وانا ذاكره فيما يأتي من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى (وقريب من هذه الحكاية) ما حكاه صاحب المستجاد قال لما أحرق جامع مصر ظنّ المسلمون أنّ النصارى أحرقوه فاحرقوا لهم خاناً كانوا يبيعون فيه الزيت فقبض السلطان على جماعة من الذين

السفانة مشددة بنت حاتم قاله المجد

أحرقوا الخان وكتب رقاعا فيها القتل وفيها القطع وفيها الجلد ونثرها عليهم فمن وقعت فى يده رقعة فعل به ما فيها فوقعت فى حجر رجل رقعة فيها القتل فلما قرأها بكى وقال والله لولا أمّ لى ما باليت فالتفت اليه شاب كان الى جانبه فقال له فى رقعتى الجلد ولا أمّ لى فخذ رقعتى وادفع الىّ رقعتك فأبى عليه فأقسم أن لابدّ ففعلا فقتل هذا وجلد هذا (وحكى) الزبير بن بكار فى كتابه الذى سماه الموفقيات قال استشهد باليرموك الحرث بن هشام وعكرمة ابن ابى جهل وسهيل بن عمرو فأتوا بماء وهم صرعى وفيهم رمق فتدافعوه كلما دفع الى رجل منهم قال اسق فلانا حتى ماتوا ولم يشربوه (مسلم بن الوليد) يمدح من هذه خلقه

يجود بالنفس ان ضنّ الجواد بها * والجود بالنفس أقصى غاية الجود

(وقال عمارة بن حمزة)

ينسى مضرّته لنفع صديقه * لاخير فى شرف اذا لم ينفع

(البحترى)

يخونك ذو القربى مرارا وربما * وفى لك عند العهد من لا تناسبه

وحسب الفتى من نصحه ووفائه * تمنيه أن يؤذى ويسلم صاحبه

(آخر)

قوم اذا حالفتهم * لم تخش نائبة الصروف

واذا وصلت بحبلهم * حبلا أمنت من المخوف

(وقال) أبو نواس الحسن بن هانئ الحكمى يمدح الامين بحسن العهد والتذمم

أخذت بحبل من حبال محمد * أمنت به من طارق الحدثان

تغطيت من دهرى بفضل جناحه * فعينى ترى دهرى وليس يرانى

فلو تسأل الايام عنى لما درت * وأين مكانى ما عرفن مكانى

(ومن أمتن أسباب الحسب والديانة وفاء العهد وأداء الامانة)

(قالوا) الوفاء أفضل شمائل العبد وأوضح دلائل المجد وأقوى أسباب الاخلاص فى الود وأحق الافعال بالشكر والحمد (وقالوا) الوفاء أتمّ حميد الخلال ومنتهى غاية الكمال تمس الحاجة اليه وتجب المحافظة

عليه

عليه ولقد صار رسما دارسا وحله لا تجد لها الابسا ومنقبة قل أن تجد فيها مستأنسا ولله در من قال

وصادق الود صادق الخبر * مغرى برعى العهود مصطبر
هذا الذى لا أزال أسمعه * وماله فى الزمان من أثر
لو أن كفى بمثله ظفرت * قاسمته فى المتاع والعمر

(وقالوا) من صحب الناس بلسان صادق وعاملهم بحسن الخلائق وألزم نفسه رعى العهود والمواثق فقد أرضى المخلوق والخالق (ويقال) بالوفاء تملك القلوب وتستدام الالفة بين المحب والمحبوب (وقالوا) من تحلى بالوفاء وتخلى عن الجفاء فذلك من أخوان الصفاء ولقد أحسن من قال

اذا أنت محضت المودة صافيا * ولم ترع عن وصل الصديق مجافيا
ووفيت بالعهد الذى خانه الورى * ولم أر مخلوقا على العهد باقيا
فقد حزت أسباب المكارم كلها * وجددت للعليا رسوما عوافيا

(وقالوا) الوفاء ضالة كثير ناشدها قليل واجدها كما قيل الوفاء من شيم الكرام والغدر من خلائق اللئام (وقالوا) اذا ترك الوفاء نزل البلاء (ويقال) من أودع الوفاء صدور الرجال ملك أعناقهم (ومن أمثالهم) فى ذلك أوفى من السموأل وهو السموأل بن عادياء بن حياء اليهودى صاحب قصر تيماء المسمى بالابلق الفرد (ومن خبره) أن امرأ القيس كان قاصدا للشأم فأودع السموأل أدراعه وكراعه فمات امرؤ القيس بأنقرة فقصد السموأل بعض ملوك غسان يطلب منه ما كان أودعه امرؤ القيس عنده فأبى أن يسلمه له فقال ان لم تسلمه ذبحت ولدك وكان قد أسره عند نزوله على القصر فقال أجلنى الليلة ثم جمع أهله واستشارهم فكل أشار بأن يدفع اليه ما طلبه منه فلما أصبح قال له ليس الى دفعها سبيل فافعل ما بدا لك فذبح الملك ولده ورحل عنه ثم ان السموأل وافى الموسم بالادراع فدفعها لورثة امرئ القيس (وفيه) يقول الاعشى يخاطب شريح بن السموأل بن عادياء وقيل شريح بن حصن بن السموأل وقيل شريح بن عمران بن السموأل من أبيات

كن كالسموأل اذ طاف الهمام به * فى جحفل كسواد الليل جرار

بالابلق الفرد من تيماء منزله * حصن حصين وجار غير غدار
فسامه خطتى خسف فقال له * قل مابدالك انى مانع جارى
فقال ثكل وغدر أنت بينهما * فاختر وما فيهما حظ لمختار
فشك غير طويل ثم قال له * اقتل أسيرك انى مانع جارى
فقال تقدمة اذرام يقتله * أشرف سموأل فانظر فى الدم الجارى
أأقتل ابنك صبرا أوتجىء بها * طوعا فأنكر هذا أى انكار
فشك أوداجه والصدر فى مضض * عليه منطويا كاللذع بالنار
واختار ادراعه من أن يسب بها * ولم يكن عهده فيها بختار
وقال لا أشترى عارا بمكرمة * فاختار مكرمة الدنيا على العار
والصبر منه قديما شيمة خلق * وزنده فى الوفاء الثاقب الوارى

(وفى ذلك يقول السموأل مفتخرا)

وفيت بأدرع الكندى انى * اذا ماخان أقوامى وفيت
وأوصى عاديا يوما بأن لا * تخرب ياسموأل مابنيت
بنى لى عاديا حصنا حصينا * وماء كلما شئت استقيت

والملك هو الحرث بن شمر الغسانى (وحدث الكندى) فى كتابه أخبار الامراء بمصر قال لما ولى المطلب بن عبد الله امارة مصر من قبل المأمون خوفه أهل مصر من ابراهيم بن نافع الطائى قبل الوصول اليه أن يثب عليه فطلبه المطلب فلم يقدر عليه واتهم به جماعة من قواد مصر وكان هبيرة بن هشام صاحب شرطة مصر يعرف المكان الذى اختفى فيه وكان ابراهيم ابن نافع قد أودع ماله عند هبيرة بن هشام فسعى بهبيرة الى المطلب فأحضره وقال له ادفع الى ما أودعه عندك ابراهيم فقد بلغنى الثقة ان ماله مودع عندك وان لم تجئنى به أخذت مافيه عيناك فأنكر فأوجعه ضربا وهو يزيد انكارا فلما طال على المطلب جحود هبيرة وخاف عليه التلف تركه ثم لما سكن عن ابراهيم الطلب أخرجه هبيرة من مصر سرا ثم أرسل اليه ماله بعد ذلك مع التجار وفيه يقول سعد بن عنين

لعمرى لقد أوفى وزاد وفاؤه * هبيرة فى الطائى وفاء السموأل
وقاه المنايا اذ أتته بنفسه * وقد برقت فى عارض متهلل

(أتى الحجاج) بقوم ممن خرج عليه فأمر بهم فضربت أعناقهم وأقيمت صلاة المغرب وقد بقى من القوم واحد فقال لقتيبة بن مسلم انصرف به معك حتى تغدو به علىّ قال قتيبة فخرجت والرجل معى فلما كنا ببعض الطريق قال لى هل لك فى خير قلت وماذاك قال انى والله ماخرجت على المسلمين ولا استحللت قتالهم ولكن ابتليت بما ترى وعندى ودائع وأموال فهل لك أن تخلى سبيلى وتأذن لى حتى آتى أهلى وأردّ على كل ذى حق حقه وأوصى ولك علىّ أن أرجع حتى أضع يدى فى يدك قال قتيبة فعجبت له وتضاحكت لقوله قال فضينا هنيهة ثم أعاد علىّ القول وقال انى أعاهد الله لك على أن أعود اليك قال قتيبة فوالله ماملكت نفسى حتى قلت له اذهب فلما توارى عنى شخصه أسقط فى يدى فقلت ماذا صنعت بنفسى وأتيت أهلى مهموما مغموما فسألونى عن شأنى فأخبرتهم فقالوا لقد اجترأت على الحجاج فبتنا بأطول ليلة فلما كان عند أذان الغداة اذا الباب يطرق فخرجت فاذا أنا بالرجل فقلت أرجعت قال سبحان الله جعلت لك عهد الله علىّ فاخونك ولا أرجع فقلت أما والله ان استطعت لأنفعنك وانطلقت به حتى أجلسته على باب الحجاج ودخلت فلما رآنى قال ياقتيبة أين أسيرك قلت أصلح الله الامير بالباب وقد اتفق لى معه قصة عجيبة قال ماهى فحدثته الحديث فأذن له فدخل ثم قال ياقتيبة أتحب أن أهبه لك قلت نعم قال هو لك فانصرف بامعك فلما خرجت به قلت له خذ أى طريق شئت فرفع طرفه الى السماء وقال لك الحمد يارب وما كلمنى بكلمة ولاقال لى أحسنت ولا أسأت فقلت فى نفسى مجنون والله فلما كان بعد ثلاثة أيام جاءنى وقال لى جزاك الله خيرا أما والله ماذهب عنى ماصنعت ولكن كرهت أن أشرك مع حمد الله حمد أحد (ولما) تفرق الامر عن مروان بن محمد وأيقن بزوال ملكه وغلبة بنى هاشم عليه قال لكاتبه عبد الحميد بن يحيى انى قد احتجت أن تكون مع عدوى فتظهر لهم الغدر بى فان اعجابهم بأدبك وحاجتهم اليك تمنعهم منك وتدعوهم الى حسن الظن بك فان استطعت أن تنفعنى فى حياتى والا فلا تعجز عن حفظ حرمتى بعد وفاتى فقال عبد الحميد ان الذى أمرتنى به أنفع الامرين لك وأضرهما بى وماعندى الا الوفاء حتى يفتح الله لك أو أقتل معك ثم أنشد

أسر وفاء ثم أظهر غدرة * فمن لي بعذر يشمل الناس ظاهره

فأمسك عنه ساعة وأعاد عليه القول ثانية فقال والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس فلم يزل معه حتى قتل وذلك في آخر سنة اثنتين وثلاثين ومائة وله تسع وخمسون سنة وقتل ببوصير قرية من صعيد مصر وهو آخر ملوك بني أمية وكانت دولتهم ثلاثا وتسعين سنة واحد عشر شهرا وأياما وهرب عبد الحميد الى قرية تعرف بالاشمونين فاختفى بها فدل عليه وحمل الى أبي العباس السفاح بامان فلم يحظ عنده وقال الجهشياري قتل وقد ذكر آنفا (ومن أحسن ما تطرب به الاسماع) ويلطف به كثيف الطباع ما يحكى ان معاوية بن أبي سفيان تزوج ميسون بنت مجدل ونقلها من البدو الى الشام وكانت كثيرة الحنين الى اناسها والتذكر لمسقط راسها فأنصت لها يوما فسمعها تنشد

مدة دولة بني أمية

لبيت تخفق الارياح فيه * أحب الي من قصر منيف
ولبس عباءة وتقر عيني * أحب الي من لبس الشفوف
وأكل كسيرة في كسر بيتي * أحب الي من أكل الرغيف
وأصوات الرياح بكل فج * أحب الي من نقر الدفوف
وكلب ينبح الطراق دوني * أحب الي من قط الوف
وبكر يتبع الاظلال صعب * احب الي من بغل زفوف
وخرق من بني عمي نحيف * أحب الي من علج عنيف
خشونة عيشتي في البدو أشهى * الى نفسي من العيش الظريف
فما أبغي سوى وطني بديلا * فحسبي ذاك من وطن شريف

فلما سمع معاوية الابيات قال مارضيت بي بنت مجدل حتى جعلتني علجا عنيفا ثم طلقها وردها الى أهلها (ويقال) من الوفاء تشوق الرجل لاخوانه وحنينه الى أوطانه وتلهفه على ما مضى من زمانه (وقالوا) الكريم يحن الى جنابه كما يحن الاسد الى غابه (ويقال) من علامة الكريم أن تكون نفسه الى مولده تواقة والى مسقط رأسه مشتاقة (شاعر)

أحب بلاد الله ما بين منعج * الي وسلمى أن يجود سحابها
بلاد بها نيطت علي تمائمي * وأول أرض مس جلدي ترابها

(وقالت

(وقالت الحكماء) أرض الرجل ظئره وداره مهده والغريب كالغرس الذى زايل أرضه فهو ذاو لا ينمى وذابل لا ينضر وفطرة الرجل معجونة بحب الاوطان مجبولة على تذكر ماضى الزمان * وقد ذكر ابن الرومى السبب الموجب لحب الاوطان بقوله

وحبب أوطان الرجال اليهم * مآرب قضاها الشباب هنالكا
اذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم * عهود الصبا فيها فحنوا لذلكا

(وقالوا) ليس فى الحيوان السانح أشد وفاء من الفاختة فانها اذا مات الفها لا تزال تندبه ولا تألف غيره حتى تموت

(ومن أحاسن فعلات الاشراف الاتصاف بالعدل والانصاف)

(فالعدل) قوام الدنيا والدين وسبب صلاح المخلوقين وله وضعت الموازين وهو المرغوب المألوف المؤمن من كل مخوف به تألفت القلوب والتأمت الشعوب وظهر الصلاح واتصلت أسباب النجاح وانعقلت عرى اليمن والفلاح وشمل الناس التناصف والتواصل والتعاطف وهو مأخوذ من الاعتدال الذى هو القوام والاستواء المتجانبان للميل والالتواء وهو ميزان الله فى أرضه الذى يوفى به الحقوق ويرأب به الصدوع والفتوق * وحقيقته وضع الامور فى مواضعها لا توضع الشدة مكان اللين وبضد ذلك ولا السيف مكان السوط وبالعكس من ذلك والى هذا أشار المتنبى فى قوله

ووضع الندى فى موضع السيف بالعدى
مضر كوضع السيف فى موضع الندى

(والانصاف) هو استيفاء الحقوق واستخراجها بالايدى العادلة والسياسات الفاضلة وهو والعدل توأمان نتيجتهما علو الهمة وبراءة الذمة باكتساب الفضائل واجتناب الرذائل فالانصاف استثمار والعدل استكثار فيصير الملك بالانصاف مستثمرا وبالعدل مستكثرا وما نقص ملك من انصاف ولا جاه من اسعاف * وقد قيل من عدل فى سلطانه استغنى عن أعوانه * وقيل عدل السلطان أنفع للرعية من خصب الزمان * وروى الثقاة بأسانيد حسنة عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال عدل

ساعة خير من عبادة ستين سنة (وعن) عبد الرحمن بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المقسطون على منابر من لؤلؤ يوم القيامة بين يدى الرحمن بما أقسطوا فى الدنيا * وقال حكيم لبعض الملوك أيها الملك انما فخرك باظهار عدلك وايثار فضلك لا بجمال بزتك وتمكن عزتك وفراهة مركبك وكثافة موكبك (ويقال) الملك يبقى على العدل والكفر ولا يبقى على الايمان والجور واليه أشار الشاعر بقوله

عليك بالعدل ان وليت مملكة * واحذر من الجور فيها غاية الحذر

فالملك يبقى على عدل الكفور ولا * يبقى مع الجور فى بدو ولا حضر

(دخل) عمر بن الخطاب على أبى بكر الصديق رضى الله عنهما فسلم فلم يرد عليه فقال لعبد الرحمن بن عوف أخاف أن يكون قد وجد على خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلم عبد الرحمن أبا بكر فى ذلك فقال انه أتانى وبين يدى خصمان قد فرغت لهما سمعى وبصرى وقلبى وعلمت أن الله سائلى عنهما وعما قالا وعما قلت (ويقال) اذا عدل السلطان فى رعيته ثم جار على واحد لم يف عدله بجوره (ويقال) حق على من ملكه الله على بلاده وحكمه فى عباده أن يكون لنفسه مالكا وللهوى تاركا وللغيظ كاظما وللظلم هاضما وللعدل فى حالتى الرضا والغضب مظهرا وللحق فى السر والعلانية مؤثرا واذا كان كذلك ألزم النفوس طاعته والقلوب محبته وأشرق بنور عدله زمانه وكثر على عدوه أنصاره وأعوانه ولقد صدق من قال

لكل ولاية لا بد عزل * وصرف الدهر عقد ثم حل

وأحسن سيرة تبقى لوال * على الايام احسان وعدل

(وقال) عمرو بن العاص ملك عادل خير من مطر وابل * وكان كسرى يقيم رجلين من موابذته عن يمينه وشماله اذا أراد النظر فى أمور الناس فكان اذا زاغ حركاه بقضيب معهما وقالا له والرعية يسمعون أيها الملك أنت مخلوق لا خالق وعبد لا مولى وليس بينك وبين الله قرابة انصف الخلق وانظر لنفسك (ويقال) انه كتب ثلاث رقاع فى احداها أمسك غضبك فانك لست باله وانك ستموت ويأكل بعضك بعضا وفى الثانية ارحم عباد الله

يرحمك الله وفى الثالثة احمل عباد الله على الحق فانه لا يسعهم الا ذلك وكان اذا جلس للناس عامة لينظر فى أمورهم قام بعض الحجاب على رأسه وبيده الرقاع فاذا رآه غضب على أحدنا وله الرقعة الاولى فان راه تمادى على غضبه ناوله الثانية فان لم ينتبه ناوله الثالثة (وكان) عمر بن الخطاب رضى الله عنه يأمر عماله أن يوافوه فى الموسم فاذا اجتمعوا قال يا أيها الناس انى لم أستعمل عمالى عليكم ليصيبوا من أبشاركم ولا من أعراضكم ولا من أموالكم شيأ انما استعملتهم ليحجزوا بينكم ويردوا عليكم فيئكم فأيكم كانت له عندى مظلمة فليقم * وصف أعرابى أميرا عادلا فقال هو عالم برعيته عادل فى أقضيته عار من الكبر قابل للعذر سهل الحجاب متحيز الى الصواب رفيق بالضعيف مكرم للشريف غير مجاف للقريب ولا مخيف للغريب (وكان) شمس المعالى قابوس بن وشمكير عادلا فى ملكه كان لا يؤتى بمفسد الا أقام الحق عليه ولو أنه أقرب الناس اليه * وقع جعفر بن يحيى الى بعض عماله أنصف من وليت أمره والا أنصفه منك من ولى أمرك * ووقع أخوه الفضل بئس الزاد الى المعاد التعدى على العباد (وسأل) عمر بن عبد العزيز رجاء بن حيوة عن حال رعيته مع العمال فقال رأيت الظالم مقهورا والمظلوم منصورا والغنى موفورا والفقير مبرورا فقال الحمد لله الذى وهب لى من العدل ما تطمئن اليه قلوب رعيتى * وتعرض له متظلم فى بعض الطرق فوقف له وأزال شكايته فقيل له هلا صبرت حتى يستقر بك المنزل فقال الخير سريع الذهاب وخشيت أن أفوته بنفسى وانما هى فرصة قدمت فيها العزم واستصحبت الحزم * قال شاعر يمدح متوليا اتصف بهذه الحلة من الرؤساء الجلة

لا تقدح الظنة فى حكمه * شيمته عدل وانصاف
يمضى اذا لم تلقه شبهة * وفى اعتراض الشك وقاف

(ومما اتفق على مدحه الاوائل والاواخر تواضع من حاز الفضائل والمفاخر)

(قالوا) ينبغى لمن عظم قدره وامتثل نهيه وأمره وانتشر فى الخافقين ذكره أن يكون للاعجاب مطرحا وعن الكبر منتبذا ومنتزحا فان همة الرجل العاقل الفاضل شريفة علية وباحتقار ما أوتيت من رياسات

الاموال والاعمال مليئة (قال ذو النون) من تطأطأ لقى رطبا ومن تعالى لقى عطبا (وقال عروة بن الزبير) التواضع من مصايد الشرف وكل نعمة محسود عليها الا التواضع * ويقال التواضع فى الشرف أشرف من الشرف * ويقال اسمان يتفق معناهما ويفترق لفظهما التواضع والشرف * وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجيب دعوة الحر والعبد والامة والمسكين ويقول لو دعيت الى كراع لاجبت * وكان يخصف النعل ويحلب الشاة ويركب الحمار ردفا ويرقع الثوب ويطحن مع الخادم اذا أعيت ويأكل معها ويحمل بضاعته من السوق ويسلم مبتدئا ويصافح الغنى والفقير ويخالط أصحابه ويحادثهم ويمازحهم ويلاعب صبيانهم ويجلسهم فى حجره وما دعاه أحد من أصحابه ولا من أهل بيته الا قال لبيك وقال لا تفضلونى على يونس ابن متى ولا ترفعونى فوق قدرى فتقولون فى ما قالت النصارى فى المسيح ان الله اتخذنى عبدا قبل أن يتخذنى رسولا * وكان صلى الله عليه وسلم لا يأكل متكئا ويأكل الخبيص ويقول انما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد (وقال) البراء بن عازب رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق ينقل التراب حتى وارى التراب صدره وكان ينقل اللبن على عاتقه مع أصحابه عند بناء مسجده بالمدينة هذا ولسان فخره ينزع عن الابانة عن علو قدره فيقول أنا سيد ولد آدم آدم ومن دونه تحت لوائى أنا أول من تنشق عنه الارض لست كأحدكم انى أظل عند ربى يطعمنى ويسقينى شرف صرفت أمانى الآمال عن بلوغ مداه وتقطعت دونه أيدى الطمع فلا تصل الى علاه (ولما) ولى أبو بكر الخلافة قال انى وليتكم ولست بخيركم فلما بلغ كلامه الحسن البصرى قال بلى ولكن المؤمن يهضم نفسه (وسئل) بعض التابعين هل رأيت أبا بكر قال نعم رأيت ملكا فى زى مسكين (وقال ابن عباس) كان أبو بكر كثيرا ما ينشد

اذا أردت شريف الناس كلهم * فانظر الى ملك فى زى مسكين
ذاك الذى حسنت فى الناس قالته * وذاك يصلح للدنيا وللدين

آخر

ان السعيد الذى تمت سيادته * فتى يفر من الدنيا الى الدين

يصدّ بالطرف منه عن زخارفها * فيغتدى ملكا فى زىّ مسكين

(وقال المرار بن المنقذ العدوى)

ياحبذا حين يمسى الريح باردة * وادى الاضاء وفتيان بها هضم
مخدّمون كرام فى مجالسهم * وفى الرجال اذا صاحبتهم خدم
وما أصاحب من قوم فأذكرهم * الا يزيدهم حبا الىّ هم

(وكان) رضى الله عنه اذا امدح قال اللهم أنت أعلم بى من نفسى وأنا أعلم بنفسى منهم اللهم اجعلنى خيرا مما يحسبون واغفرلى مالايعلمون ولاتؤاخذنى بمايقولون (وروى) أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه نادى يوما الصلاة جامعة فلما اجتمع الناس صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس لقد رأيتمونى وأنا أرعى على خالات لى من بنى مخزوم يقبض لى القبضة من التمر أو الزبيب فقال عبد الرحمن بن عوف ما أردت على أن قصرت على نفسك فقال ويحك يا ابن عوف خلوت بنفسى فقالت لى أنت أمير المؤمنين وليس بينك وبين الله أحد فمن ذا أفضل منك فاردت أن أعرّفها قدرها (واشترى) أمير المؤمنين علىّ رضى الله عنه تمرا بدرهم فحمله فى ردائه فسأله بعض أصحابه حمله عنه فقال أبو العيال أحق بحمله (وحكى الشعبىّ) قال ركب زيد بن ثابت فدنا منه عبد الله بن عباس فاخذ بركابه فقال لاتفعل يا ابن عمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا فقال زيد أرنى يدك فأخذها وقبلها وقال هكذا أمرنا ان نفعل بأهل بيت نبينا (ودخل) بعض الشعراء على الحسن بن زيد فأنشده

الله فرد وابن زيد فرد * فقال بفيك الاثلب الاقلات * الله فرد وابن زيد عبد

ونزل عن سريره وألصق خدّه بالارض (وكان) عبد الله بن عمر اذا سافر مع قوم يحتطب لهم و يطبخ لهم و يستقى لهم و يؤذن لهم (وكان) أبو هريرة خليفة مروان بن الحكم على المدينة يحتطب و يأتى بالحزمة الحطب على ظهره يشق بها السوق و يقول جاء الامير جاء الامير حتى يعلم الناس به فينصرفون اليه فى حوائجهم (البحترى مادحا)

دنوت تواضعا وعلوت قدرا * فشا ناك انحدار وارتفاع
كذاك الشمس تبعد أن تساما * ويدنو الضوء منها والشعاع

(ولآخر)

تواضع تكن كالنجم لاح لناظر * على صفحات الماء وهو رفيع
ولاتك كالدخان يعلو بنفسه * الى طبقات الجوّ وهو وضيع

(كان) ابن مسعود اذا مشى خلفه أحد قال أخروا عنى نعالكم فانها ذلة للتابع وفتنة للمتبوع * ولما ولى على بن عيسى الوزارة وذلك فى سنة ثلثمائة رأى الناس يمشون حوله كما كانوا يمشون حول الوزراء قبله فالتفت اليهم وقال انا لا نرضى لعبيدنا أن يفعلوا هذا معنا فكيف نكلفه قوما أحرارا لا احسان لنا عليهم ومنعهم من المشى فى ركابه فكأنما عناه أبو تمام حبيب بقوله

متبذل فى القوم وهو مبجل * متواضع فى الحىّ وهو معظم

(وقال الحسن) أربعة لا ينبغى لشريف أن يأنف منهنّ قيامه عن مجلسه لابيه وخدمته لضيفه وقيامه على فرسه وخدمته لمن يأخذ من علمه (وقال عبد الله بن مسعود) رأس التواضع أن تبدأ بالسلام من لقيت وأن ترضى بالدون من المجلس * وقال عبد الله بن شداد أربعة من كنّ فيه فقد برئ من الكبر من اعتقل العنز وركب الحمار ولبس الصوف وأجاب دعوة الدون من الرجال

(ومما يدل على شرف الابوة الزام النفس بأنواع المروة)

(قال بهرام بن بهرام) المروأة اسم جامع للمحاسن كلها * وقال بعض البلغاء المروأة جامعة لاشتات المبرّات جالبة لاسباب المسرات دالة على كرم الاعراق باعثة على مكارم الاخلاق ناظمة لقلائد الفوائد عاقلة لشوارد المحامد * وقال بعض الحكماء المروأة سجية جبلت عليها النفوس الزكية وشيمة طبعت عليها الطباع الكريمة (وقالوا) أولى الناس بالمروّة من له نبوة النبوّة * وقد جمع الله تعالى متفرّقاتها فى قوله تعالى انّ الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى * وجمعها النبىّ عليه الصلاة والسلام على نوع آخر فقال من عامل الناس فلم يظلمهم ووعدهم فلم يخلفهم وحدثهم فلم يكذبهم فهو ممن كملت مروأته وظهرت عدالته ووجبت أخوته وحرمت غيبته

وجمعها بعضهم على نوع آخر فقال باب مفتوح وخير ممنوح وستر مرفوع وطعام موضوع ونائل مبذول وكلام معسول وعفاف معروف وأذى مكفوف * وجمعها آخر فقال مروأة الرجل صدق لسانه واحتمال عثرات اخوانه وبذل المعروف لاهل زمانه وكف الاذى عن جيرانه (وقال أعرابي) والله لولا أن المروأة ثقيل محملها شديدة مؤنتها ماترك اللئام للكرام منها شيأ * وقالوا المروأة الظاهرة الثياب الطاهرة كما قال يزيد بن المهلب لولده كن أحسن ماتكون في الظاهر حالا أقل ماتكون في الباطن مآلا (وقال عليه الصلاة والسلام) ان الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده ويكره البؤس والتباؤس * وقال الحسن بن على رضى الله عنهما ان الله جميل يحب الجمال (وقالوا) مروأة الرجل ان لايلبس ثوب شهرة كما قال بعض الظرفاء كل مااشتهت نفسك والبس مايلبسه أبناء جنسك ولقد أحسن بعض الشعراء حيث نظم هذه الكلمات يخاطب بها انسانا لبس ثوب شهرة فقال

ان العيون رمتك اذ فاجأتها * وعليك من شهر الثياب لباس
أما الطعام فكل لنفسك مااشتهت * واجعل لباسك مااشتهاه الناس

(وقالوا) التعرى البارح خير من الزى الفاضح (وقال عبد الملك بن صالح) ليس من لباس السادات ذوى المروات ذوات الالوان فانها من لباس الغلمان والنسوان قال الشاعر

قل للذى يخرج عن شكله * ليرتقى أسباب أوعار
كيف ترجى أن تنال العلا * ولم تبال الدهر من عار
من فارق المعهود من زيه * فذاك لاكاس ولاعار

* ورأى انسان على أبى طاهر الخبزارزى ثوبا حسنا فلامه فى ذلك وعنفه فأنشد

على ثياب فوق قيمتها فلس * وفيهن نفس دون قيمتها الانس
فثوبك صبح تحت أذياله دجى * وثوبى ليل تحت أذياله شمس

(فكل) من افتخر بمجده من الاكارم ومدح اسماله ورأى اكتساءه حلل المكارم أنمى لقدره وأسمى له اقتدى بالعتابى فى هذا المذهب وتختم بفصه

المذهب وذلك أنه دخل على يحيى بن خالد فى سمل وكان لا يبالى ما لبس فعابه عليه فقال يا أبا على خزى الله من يرفعه هيئاه جماله زماله حتى يرفعه أكبراه همته ونفسه وأصغراه قلبه ولسانه (قال شاعر) فى المعنى الذى نحاه

لا تنظرن الى الثياب فاننى * خلق الثياب من المروأة كاسى

(وقال أبو هفان وأجاد فى النحو الذى أراد)

تعجبت درّ من شيبى فقلت لها * لا تعجبى قد يلوح الفجر فى السدف
وزادها عجبا اذ رحت فى سمل * وما درت درّ أن الدرّ فى الصدف

(ولا خر فى المعنى)

يا هذه كم يكون اللوم والفند * لا تنكرى رجلا أثوابه قدد
ان عِس منفردا فالسيف منفرد * والليث منفرد والبدر منفرد
أو كنت أنكرت طمريه وقد خلقا * فالبحر من فوقه الاقذاء والزبد
ان كان صرف الليالى درّ بزغته * فبين طمريه منه ضيغم لبد

* ومن المروأة التطيب فانه ورد عن مكحول أنه قال من نظف ثوبه قل همه ومن طاب ريحه زاد عقله ومن جمع بينهما ظهرت مروأته (وقيل) من الظرف والكرم الاستقصاء فى التبخر * وكان صلى الله عليه وسلم يعرف خروجه من منزله برائحة المسك * وكان اذا سلك طريقا عرف السائل عنه أين يمم لطيب ريحه * وكان ابن عباس رضى الله عنهما اذا اجتاز فى طريق قال الناس لطيمة مسك أو ابن عباس لطيب ريحه (قال الشاعر)

ويفوح مسكا طيب ريح ثيابه * وكذاك ريح الماجد الوهاب

(الفصل الثالث من الباب الاول)

(فى ذم التخلق بالاحسان اذا لم يوافق القلب اللسان)

قال الله تعالى يا أيها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ذا الوجهين لا يكون عند الله وجيها (وقال) عمر بن الخطاب رضى الله عنه من تخلق بما ليس من خلقه فهو منافق (وقال) ابن مسعود من كان كلامه لا يوافق فعله فانما يوبخ بذلك نفسه (وقيل) ما الدخان بأدل على النار من ظاهر الرجل

على باطنه (وقال) زهير بن أبي سلمى

ومهما تكن عند امرء من خليقة * وان خالها تخفى على الناس تعلم

(وقال آخر)

كل امرئ راجع يوما لشيمته * وان تخلق أخلاقا الى حين

(وقال) بعض الحكماء لتلميذه يا من باطنه منظور الحق وظاهره منظور الخلق حسن ما شئت لما شئت (وقالوا) ما أقبح بالانسان أن يقول ما لا يفعل وما أحسن الفعل ابتداء قبل القول فان من مات محمودا أحسن حالا ممن عاش مذموما (وقال) أكثم بن صيفي فضل القول على الفعل دناءة وفضل الفعل على القول مكرمة (ويقال) أحسن المقال ما صدق بحسن الفعال (وكان) رجل يكثر الثناء على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بلسان لا يوافقه القلب فقال له رضي الله عنه يوما وقد ألح عليه في الثناء أنا دون ما تقول وفوق ما في نفسك (فانظر) الى هذه الفراسة المفترسة لحبات القلوب المكشوف لها الغطاء عن خفيات الغيوب (وقال) بعض الحكماء لأن يكون لي نصف لسان ونصف وجه على ما فيهما من قبح المنظر وسوء المخبر أحب الي من أن أكون ذا وجهين وذا لسانين وذا قولين مختلفين (وقال) ارسطوطاليس وجهك مرآة قلبك فانه يظهر على الوجوه ما تضمره القلوب وقالوا العيون طلائع القلوب (وقد) أولع الشعراء بنظم هذا المعنى كثيرا (فمن ذلك) قول بعضهم

ان العيون لتبدي في نواظرها * ما في القلوب من البغضاء والاحن

(وقال آخر)

تريك أعينهم ما في صدورهم * ان الصدور يؤدي سرها النظر

(آخر)

عيناك قد دلتا عيني منك على * أشياء لولاهما ما كنت أدريها

تظل في نفسك البغضاء كامنة * والقلب يضمرها والعين تبديها

والعين تعرف من عيني محدثها * ان كان من حزبها أو من أعاديها

(ويقال) العادات قاهرات فمن اعتاد شيأ في السر فضحه في العلانية (وقالوا) حقيقة النفاق اختلاف السر والعلن واختلاف القول والعمل (وقال) أبو سعيد الجرجاني لا ينبغي أن يكون حسن القول تمهيدا لقبح الفعل

(لام الشعبى) واسمه عامر بن شراحيل عبد العزيز بن مروان على تقصير فى الخطبة لما كان عاملا على مصر وتركه استعمال البلاغة مع القدرة عليها فقال انى لأستحيى من الله تعالى أن أقول بلسانى على منبرى خلاف ما أعلمه من قلبى (وكتب) رجل الى صديق له اما بعد فعظ الناس بفعلك ولا تعظهم بقولك (وأوحى) الله تعالى الى عيسى عليه الصلاة والسلام يا عيسى عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس

ومما يعاب من خلال الانسان أن يكون بديع مقال اللسان بعيد مجال الاحسان

قال عليه الصلاة والسلام ليس الملق من أخلاق المؤمنين (ابن المعتز) من كثر ملقه لم يعرف بشره * ذم أعرابى قوما فقال قلوبهم أمر من الدفلى وألسنتهم من العسل أحلى وقال الشاعر

اذا انصبوا للقول قالوا فأحسنوا * ولكن حسن القول خالفه الفعل

(وقال ابن حبير)

الناس شبه ظروف حشوها صبر * وفوق أفواهها شئ من العسل
تحلو لذائقها حتى اذا انكشفت * له تبين ما تحويه من زغل

(وقالوا) فلان يبدى وجه المطابق الموافق ويخفى نظر المسارق المنافق قال شاعر

يا أيها المتحلى غير شيمته * ومن شمائله التبديل والملق
ارجع الى خلقك المعروف ديدنه * ان التخلق يأتى دونه الخلق

(وقالوا) شر الناس من هو فى الظاهر صديق موافق وفى الباطن عدو منافق قال شاعر

لعمرك ما ود اللسان بنافع * اذا لم يكن أصل المودة فى القلب

(وقال) رجل لعلى رضى الله عنه علمنى السلام على الاخوان فقال لا تبلغ بهم النفاق ولا تقصر بهم عن الاستحقاق (ولقد) صدق صالح بن عبد القدوس فى قوله

وأكثر من تلقى يسرك قوله * ولكن قليل من يسرك فعله
وقد كان حسن الظن بعض مذاهبى * فأدبنى هذا الزمان وأهله

وقال

(وقال آخر وبالغ فى الذم)

لم يبق فى الناس الا المكر والملق * شوك اذا اختبروا زهر اذا رمقوا
فان دعاك الى ائتلافهم قدر * فكن جحيما لعل الشوك يحترق

(آخر)

خل النفاق لاهله * وعليك فانتهج الطريقا
واذهب بنفسك لن ترى * الا عدوا أو صديقا

(آخر)

يريك النصيحة عند اللقا * ويبريك فى السر برى القلم
فبت حبالك من وصله * ولا تكثرن عليه الندم

(ومما يلحق بهذا أن عمل الرياء سالب عن صاحبه جلباب الحياء)

(الرياء) من الكبائر وأخبث السرائر شهدت بمقته الآيات والآثار وتواردت بذمه القصص والاخبار (قال) رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لا يقبل عملا فيه مثقال ذرة من رياء (وأما الحياء) فهو من ثلاثة أوجه من الله ومن الناس وحياء المرء من نفسه فانه من استحيا من الله ولم يستحى من الناس فقد استهان بالناس ومن استحيا من الناس ولم يستحى من الله فقد استهان بالله ومن استحيا من الناس ولم يستحى من نفسه فليس لنفسه عنده قدر وويل لمن أرضى الله بلسانه وأسخطه بقلبه (وكان) أبو مسلم الخولانى يقول ما عملت منذ كذا وكذا سنة عملا أبالى أن يراه الناس الا حاجة الرجل الى أهله وحاجته الى الخلاء (وقال) الحسن البصرى لأن تطلب الدنيا بأقبح ما تطلب به أحب من أن تطلبها بأحسن ما تطلب به الآخرة (وقال) الفتح بن خاقان كنت يوما ألاعب المتوكل بالنرد فاستؤذن لاحمد بن أبى دواد فأذن له فلما قرب منا همت برفعها فمنعنى المتوكل وقال كيف أجاهر الله بشئ وأستره عن عباده (وكان) الشبلى اذا رأى من يدعى التصوف يقول ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى (وقال) شاعر يذم المرائين منهم

قد لبس الصوف لترك الصفا * مشايخ العصر لشرب العصير
الرقص والشاهد من شأنهم * شر طويل تحت ذيل قصير

(آخر)

أظهروا للناس نسكا * وعلى المنقوش داروا
وله صاموا وصلوا * وله حجوا وزاروا
ان يكن فوق الثريا * ولهم ريش لطاروا

(ولآخر يحض على الاعتزال عن هؤلاء)

لاتصحبن عصابة * حلقوا الشوارب للطمع
يبكوا وجل بكائهم * ماللفريسة لاتقع

(قال) ثابت البنانى دخلت على داود الطائى فقال لى ماحاجتك قلت زيارتك قال ومن أنا حتى أزار ليس من العباد أنا لا والله ولا من الزهاد أنا لا والله ثم ضرب بيده على لحيته وأقبل على نفسه يوبخها وقال كنت فى زمن الشباب فاسقا ثم شبت فصرت مرائيا والله ان المرائى لشر من الفاسق (ويقال) كان الناس يراؤن بما يفعلون لا بما يقولون فصاروا يراؤن بما يقولون ولا يفعلون ثم صاروا يراؤن بما لا يقولون ولا يفعلون (ذم) البديع الهمدانى قاضيا بالرياء فقال قد بيض لحيته بسواد صحيفته وأظهر ورعه ليخفى طمعه وقصر سباله ليظهر سرباله وتغشى محرابه ليغطى حرابه يبرز فى ظاهر أهل السمت وهو فى باطن أهل الصمت (شاعر)

تصنع كى يقال له أمين * ومامعنى تصنعه الامانه
ولم يرد الاله به ولكن * أراد به طريقا للخيانه

(آخر)

ودع التواضع فى اللباس تحريا * فالله يعلم ماتكن وتكتم
فرثاث ثوبك لايزيدك رفعة * عند الاله وأنت عاص مجرم

(ويقال) أربعة لايعتد بهن زهد الخصى وتوبة الجندى وشكوى المرأة وتقوى الاحداث (صلى) رجل صلاة خفيفة فقيل له أقصرت الصلاة قال لا بل هى صلاة ليس فيها رياء (نظر) أبا أمامة الباهلى رجل فى المسجد وهو ساجد يبكى فقال نعم الرجل أنت لو كان هذا فى بيتك

ومن ظرف الحكايات وتحف الفكاهات

عمن كان له من الرياء غرة فاضحة ومن عدم الحياء سمة لائحة

(وفد

(وفد) على عمر بن عبد العزيز بلال بن أبي بردة فجعل يصلي و يطيل الصلاة فقال عمر للعلاء ترى ذلك تصنعا فقال العلاء أنا آتيك بخبره يا أمير المؤمنين فأتى الى داره بين العشاءين فوجده يصلي فقال له خفف فان لي اليك حاجة فخفف وسلم وقال ما الحاجة فقال له العلاء تعرف محلي من أمير المؤمنين فان أنا أشرت بك عليه في ولاية العراق فما تجعل لي قال لك على عمالتي سنة وكان مبلغ ذلك عشرين ألف درهم فسأله العلاء أن يكتب له بذلك شرطا على نفسه فكتب له فاتى العلاء بالشرط الى عمر فقال انه غرنا بالله فكدنا نغتر وكنا نظنه ذهبا فلما سبكناه وجدناه خبثا (وأدخل) على المنصور رجل أراد أن يوليه قضاء ناحية من العراق قد جعل السجود بين عينيه كركبة الجمل فقال له المنصور ان كنت أردت الله بهذا فما ينبغي لنا أن نشغلك عنه وان كنت أردتنا فما ينبغي لنا أن نخدع لك ولم يوله شيأ (مر) بعض المرائين بابن مرداد وهو جالس على باب داره و بين عيني الرجل سجادة عظيمة وكان ابن مرداد شيخا ابن ثمانين سنة ومقعدا من ثلاثين سنة فقال امرأتي طالق ان كان في استي من القعود ما في جبهة هذا من السجود (وضع) بعض المرائين بين عينيه سجادة ودلكها بنواة وشد عليها ثوما وبات بها فزاغت العصابة عن مكانها وصارت في ناحية صدغه فاتسم فقيل لولده كيف أصبح أبوك قال أصبح ممن يعبد الله على حرف (وقال) ظريف من الشعراء المراء يتهكم به في معرض الوصية

شمر ثيابك واستعد لقابل * واحكك جبينك للقاء بثوم
وامش الدبيب اذا مشيت لحاجة * حتى تصيب وديعة ليتيم

(و بلغ الرشيد) قول أبي نواس

يا أحمد المرتجى في كل نائبة * قم سيدي نعص جبار السموات

(وقوله)

ألا فاسقني خمرا وقل لي هي الخمر * ولا تسقني سرا اذا أمكن الجهر

(وقوله)

ما جاءنا أحد مذ مات يخبرنا * في جنة جسمه قد كان أو نار

فقال هذا كلام زنديق وأمر الفضل بن الربيع بحبسه فحبسه وتناساه زمانا فاظهر التوبة وكتب الى الفضل من الحبس بهذه الابيات

فارعوى باطلى وأقصر جهلى * وتبدلت عفة وزهاده

بركوع أزينه بخشوع * واصفرار مثل اصفرار الجراده

لوترانى شبهتنى الحسن البصرى * فى حال نسكه أوقتاده

التسابيح فى ذراعى والمصحف فى لبتى مكان القلاده

فاذا شئت أن ترى ظرفة تعجب منها مليحة مستجاده

فادع بى لاعدمت تقويم مثلى * وتأمل بعينك السجاده

تر أثرا من الصلاة بوجهى * توقن النفس أنها من عباده

لورآها بعض المرائين يوما * لاشتراها يعدها للشهاده

ولقد طال ماشقيت ولكن * أدركتنى على يديك السعاده

فلما وصلت الابيات الى الفضل ضحك منها وكلم فيه الامين فأطلقه ولما أطلق من حبسه كتب الى الفضل يشكره على جميل فعله

(الباب الثانى فى اللؤم وفيه ثلاثة فصول)

(الفصل الاول من هذا الباب)

(فى ذم من ليس له خلاق وما اتصف به من الاخلاق)

قال الله تعالى هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد أثيم عتل بعد ذلك زنيم هذه النقائص كلها يجمعها سوء الخلق (وقيل) ان سوء الخلق شؤم يجذب صاحبه فى الدنيا الى العار وفى الآخرة الى النار (وقال) أبو هريرة رضى الله عنه سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الشؤم فقال الشؤم سوء الخلق (وقال) عمر بن الخطاب اذا كان فى الانسان عشر خصال تسعة منها صالحة وواحدة هى سوء الخلق أفسدت هذه الخصلة تلك التسعة (شاعر)

وكم من فتى أزرى به سوء خلقه * فأصبح مذموما قليل المحامد

(وقالوا) من ساءت أخلاقه طاب فراقه (وقالوا) سوء الخلق يدل على خبث الطبع ولؤم العنصر ويكاد سيئ الخلق أن يعد من البهائم (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الخلق السيئ يفسد العمل كما يفسد الخل العسل (وروى) عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ان سوء الخلق زمام من عذاب الله فى أنف صاحبه والزمام فى يد شيطان يجره الى النار أخرجه البيهقى فى شعب الايمان (وقالوا) فلان له خلق خلق وشأن شائن وشيمة مشؤمة وخيم وخيم

وطبع

وطبع طبيع

(فى مساوى اخلاقهم الذميمة نقل الاقدام بالسعاية والنميمة)

(قالوا) النميمة من الخصال الذميمة تدل على نفس سقيمة وطبيعة لئيمة مشغوفة بهتك الاستار وافشاء الاسرار (وقال) بعض الحكماء الاشرار يتبعون مساوى الناس ويتركون محاسنهم كما يتبع الذباب المواضع الألمة من الجسد ويترك الصحيحة (وقالوا) لم يمش ماش شرّ من واش والساعى بالنميمة يهلك نفسه ومن سعى به ومن سعى اليه كما حكى أنّ عمرو بن معاوية ابن عمرو بن عتبة بن أبى سفيان العتبى رأى رجلا يسعى برجل عند صديق له فقال له نزه سمعك عن استماع الخنى كما تنزه لسانك عن التكلم به فان السامع شريك القائل وانما نظر شرّ ما فى وعائه فأفرغه فى وعائك ولو ردّت كلمة ساع الى فيه لسعد رادّها كما شقى قائلها والنمام شرّ من الساحر فانّ النمام يفسد فى الساعة الواحدة ما لا يفسد الساحر فى المدة الطويلة (أتى رجل) عبد الله بن عباس وهو والى البصرة من قبل علىّ رضى الله عنه بنميمة فقال له ان شئت سألنا عما جئت به فان كنت صادقا مقتناك وان كنت كاذبا عاقبناك وان شئت أقلناك فقال ان شئت أن تفعل فافعل (شاعر)

توخ من الطرق أوساطها * وعدّ عن الجانب المشتبه
وسمعك صن عن سماع القبيح * كصون اللسان عن النطق به
فانك عند سماع الحديث * شريك لقائله فانتبه

(وقال أبو الاسود الدؤلى)

لا تقبلنّ نميمة بلغتها * وتحفظنّ من الذى أنباكها
انّ الذى ألقى اليك نميمة * سينمّ عنك بمثلها قد حاكها

هذا منظوم قول الناس من نمّ لك نمّ عليك (وسعى رجل) برجل عند عمر بن عبد العزيز فقال له عمر ان شئت نظرنا فى أمرك فان كنت كاذبا فأنت داخل تحت حكم هذه الآية ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا وان كنت صادقا فأنت من هذه الآية همّاز مشاء بنميم وان شئت عفونا عنك (وقال) بعض الملوك لولده ليكن أبغض رعيتك اليك أشدّهم كشفا لمعايب الناس فان للناس معايب وأنت أحق بسترها وأنت انما تحكم بما ظهر لك والله يحكم فيما غاب

عنك واكره للناس ماتكره لنفسك واستر العورة يستر الله عليك ماتحب ستره ولاتصغ الى تصديق ساع فانّ الساعى غاش وان قال قول نصيح (وقال) ارسطاطاليس النميمة تهدى الى القلوب البغضاء ومن نقل اليك نقل عنك (وقالوا) شرّ من النميمة قبولها لانّ النميمة دالة والقبول اجازة وليس من دلّ على شئ كمن قبله وأجازه (وقال المهدىّ) ما الساعى بأعظم عورة ولا أقبح حالا من قابل سعايته ولايخلو أن يكون الساعى حاسد نعمة فلا يشفى غيظه أو عدوا فلا يعاقب له عدوّه لئلا يشمت به (ولقد) أحسن بعض الشعراء لظرفاء فى قوله

لاتسمعنّ من الحسود مقالة * لو كان حقا مايقول لماوشى

(وقال آخر يذمّ صديقاله نماما)

وصاحب سوء وجهه لى أوجه * وفى فمه طبل بسرّى يضرب

ولا بدّ لى منه فحينا يغصنى * وينساغ لى حينا ووجهى يقطب

كما بدرب الحاج فى كل منهل * يذمّ على ما كان منه ويشرب

(وقال السرىّ الرفاء يذمّ نماما)

أنمّ بما استودعته من زجاجة * يرى الشئ فيها ظاهرا وهو باطن

(وقال ابن وكيع فى المعنى)

ينم بسرّ مستر عيه لؤما * كما نمّ الظلام بسرّ نار

أنمّ من النصول على مشيب * ومن صافى الزجاج على عقار

(ولقد أحسن محمد بن شرف القيروانى فى قوله يصف نماما)

وناصت نحو أفواه الورى أذنا * كالقعب يلفظ منها كل ماسقطا

يظل بالقول والاخبار مجتهدا * حتى اذا ماوعاها زق مالقطا

* (والنميمة والكذب رضيعا لبان وفى مشوار الدناءة فرسا رهان) *

(قال أبو حيان التوحيدى) الكذب شعار خلق وأدب سيئ وعادة فاحشة وقلّ من استرسل معه الا الفه وقلّ من ألفه الا أذله (وأوصى) بعض الحكماء ولده فقال اياك والكذب فانه يزرى بقائله وان كان شريفا فى أصله ويذله وان كان عزيزا فى أهله (وقالوا) ثنتان لايجتمعان الكذب والحياء (ارسطاطاليس) فضل الناطق على الاخرس بالنطق وزين النطق بالصدق

(وقال

(وقال بزرجمهر) الكاذب والميت سواء فانه اذا لم يوثق بكلامه بطلت حياته (وقال معاوية) يوما للاحنف وقد حدثه أتكذب قال والله ما كذبت منذ علمت أن الكذب شين (وقال) بعض الاعراب عجبت من الكذاب المشيد بكذبه وانما هو يدل الناس على عيبه ويتعرض للعقاب من ربه فالآثام له عادة والاخبار عنه متضادة ان قال حقا لم يصدق وان أراد خيرا لم يوفق فهو الجانى على نفسه بفعاله الدال على فضيحته بمقاله فما صح من صدقه نسب الى غيره وما صح من كذب غيره نسب اليه (ويقال) الكذب جماع النفاق وعماد مساوى الاخلاق عار لازم وذل دائم يخيف صاحبه من نفسه وهو امن ويكشف ستر الحسب عن لؤمه الكامن (قال الشاعر)

ان النموم أغطى دونه خبرى * وليس لى حيلة فى مفترى الكذب
لا يكذب المرء الا من مهانته * أو عادة السوء أو من قلة الادب

* ويكفى فى ذم الكذب قوله تعالى انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الصدق يهدى الى البر والبر يهدى الى الجنة والكذب يهدى الى الفجور والفجور يهدى الى النار وقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه لأن يضعنى الصدق وقلما يفعل أحب الى من أن يرفعنى الكذب وقلما يفعل (وقيل) لا يجوز أن يكذب الرجل لاصلاح نفسه فان ما عجز الصدق عن اصلاحه كان الكذب أولى بفساده (ولقد صدق من قال)

عود لسانك قول الصدق تحظ به * ان اللسان لما عودت معتاد
موكل بتقاضى ما سننت له * فى الخير والشر فانظر كيف ترتاد

* ويكفى فى معرة الكذب أن من عرف به مقت اذا نطق وكذب وان صدق * قال رجل لابى حنيفة ما كذبت قط فقال له أبو حنيفة اما هذه فواحدة أشهد عليك بها * وقال الاصمعى لرجل كذاب أصدقت قط قال نعم قيل له عجب قال خفت أن أقول لا فأصدق (وقيل لبعض الحكماء) أيما أشر الكذاب أو النمام فقال الكذاب لانه يخلق عليك والنمام ينقل عنك (شاعر)

لى حيلة فيمن ينم وليس فى الكذاب حيله
من كان يخلق مايقو * ل فحيلتى فيه قليله

(ومن ظريف أخبار الكذبة) أنّ رجلا من آل الحرث بن ظالم قال لقد بلغني أنّ الحرث غضب يوما فانتفخ في ثوبه فبدر من ثوبه أربعة أزرار ففقأت أربعة أعين من عيون جلسائه (شاعر)

حلفت برب مكة والمصلى * وايدا الواقفين على عكاظ
لاكذب ما يكون اذا تألى * وشدّدها بأيمان غلاظ

* وآفة الكذب النسيان كذا ورد في النبا المأثور والخبر المشهور قال الشاعر

اذا عرف الكذاب بالكذب لم يزل * لدى الناس كذابا وان كان صادقا
ومن آفة الكذاب نسيان كذبه * وتلقاه ذا ذهن اذا كان حاذقا

(ومن مستقبح خلائق اللوم الصراح اللسان البذئ والوجه الوقاح)

قال النبي صلى الله عليه وسلم شر الناس الذين يكرمون اتقاء ألسنتهم * وقال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ما استب رجلان الا غلب ألأمهما * وقال الاحنف بن قيس الا أخبركم بأدوا الداء الخلق الدنئ واللسان البذى (وقالوا) اللئيم يعد الخنى جنة والوقاحة جنة فوجهه صلب ولسانه خلب (وقالوا) الفاقة خير من الصفاقة (وقال أبو حيان) انّ الخصم اذا كان الهوى مركبه والعناد مطلبه فلن يفلح معه ولو خرجت اليد بيضاء وانقلبت العصا حية (قال بعض الشعراء يهجو معاندا)

تراه معدّا للخلاف كأنه * بردّ على أهل الصواب موكل

(وقالوا) الوقاحة في الرجل تدل على لؤم نجره وخساسة قدره وقلة خيره وكثرة شره وقال الشاعر

صلابة الوجه لم تغلب على أحد * الا تكمل فيه الشر واجتمعا

(وقال بعضهم في ذمه أوقاحا)

لو انّ أكفانهم من حرّ أوجههم * قاموا الى الحشر فيها مثل ما رقدوا

(ولابي العبر في مثل ذلك وأحسن في قوله)

ياليت لي من جلد وجهك رقعة * فأقدّ منها حافرا للاشهب

* أنشدنا ناصر الدين حسن الكناني عرف بابن النقيب لنفسه في أوقاح فقال

تعالى الله خالقها وجوها * فما أخفت من الحيوان حالا
لقد صلبت وخفت من حياء * وغير خلقها حتى استحالا
وجوه ليت لى منها حذاء * وليت لبغلتى منها نعالا

(وقال الناجم يهجو)

لك عرض مثلم من قوارير * ووجه مململم من حديد

* ليم بعضهم على الوقاحة فقال الوجه ذو الوقاحة من الوجوه الوقاحة يبنى على صاحبه الانفال ويفتح له الاقفال ويلقطه الارطاب ويلقمه ما استطاب ويجسره على قول المنطيق ويسر له فعل ما لا يطيق (ثم أنشد)

اذا رزق الفتى وجها وقاحا * تقلب فى الامور كما يشاء

(وقال جعفر الصادق) ان الله يبغض السباب الطعان المتفحش قال الشاعر

من لم يكن عنصره طيبا * لم يخرج الطيب من فيه
كل امرئ يشبهه فعله * ويرشح الكوز بما فيه
أصل الفتى يخفى ولكنه * من فعله يظهر خافيه

* (جماع ما يتخلق به الانذال من الشيم والخلال) *

(قال بعض الحكماء) أربعة من علامات اللؤم افشا السر واعتقاد الغدر وغيبة الاحرار واساءة الجوار * وسأل عبد الملك بن مروان الحجاج بن يوسف عن خلقه فتلكأ وأبى أن يخبره فاقسم عليه ان لابد فقال حسود كنود لجوج حقود فقال عبد الملك ما فى ابليس شر من هذه الخصال فبلغ ذلك خالد بن صفوان فقال لقد انتحل الشر بحذافيره ومرق من جميع خلال الخير بأسره وتأنق فى ذم نفسه وتجرد فى الدلالة على لؤم طبعه وأفرط فى اقامة الحجة على كفره وخرج من الخلال الموجبة لرضا ربه (وقال أبو تمام)

مساو لو قسمن على الغوانى * لما أمهرن الا بالطلاق

(وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم) أربعة من كن فيه فهو منافق من اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا عاهد غدر واذا ائتمن خان (وقالوا) اللئيم كذوب الوعد خؤن العهد قليل الرفد (وقالوا) اللئيم اذا استغنى بطر واذا افتقر قنط وان قال أفحش وان سئل بخل وان سأل ألحف

وان أسدى اليه صنيع أخفاه وان استكتم سرا أفشاه فصديقه منه على حذر وعدوه منه على غرر

(ومما اخترناه فى غدر اللئام من درر الأهاجى والمذام)

(ذم أحمد بن يوسف الكاتب بنى سعيد بن مسلم بن قتيبة فقال) محاسنهم مساوى السفل ومساويهم فضائح الامم ألسنتهم معقودة بالعى وأيديهم معقولة بالبخل واعراضهم أغراض الذم فهم كما قيل

لا يكثرون وان طالت حياتهم * ولا تبيد مخازيهم وان بادوا

* وذم أعرابى قوما فقال أولئك قوم سلخت أقفاؤهم بالهجاء ودبغت جلودهم باللؤم فلباسهم فى الدنيا الملامة وفى الآخرة الندامة * وذم أعرابى قوما فقال أولئك قوم هم أقل الناس ذنوبا الى أعدائهم وأكثرهم تجريا على أصدقائهم يصومون عن المعروف ويفطرون على الفحشاء * وكان عيسى ابن فرخان شاه يتيه على أبى العيناء فى حال وزارته فلما انصرف عنها لقى أبا العيناء فى بعض السكك فسلم عليه سلاما خفيا فقال أبو العيناء لغلامه من هذا قال أبو موسى فدنا منه حتى أخذ بعنان بغلته وقال لقد كنت أقنع بايمائك دون بيانك وبلحظك دون لفظك فالحمد لله على ما آلت اليه حالك فلئن كنت أخطأت فيك النعمة لقد أصابت فيك النقمة ولئن كانت الدنيا أبدت قبائحها بالاقبال عليك لقد أظهرت محاسنها بالادبار عنك ولله المنة اذ أغنانا عن الكذب عليك ونزهنا عن قول الزور فيك فقد والله أسأت حمل النعمة وما شكرت حق المنعم ثم أطلق يده من عنانه ورجع الى مكانه فقيل له يا أبا عبد الله لقد بالغت فى السب فما كان الذنب فقال سألته حاجة أقل من قيمته فردنى عنها بأقبح من خلقته (قال بعض الأعراب) نزلت بذلك الوادى فاذا ثياب أحرار على أجسام عبيد اقبال حظهم ادبار حظ الكرام (أخذ هذا المعنى شاعر فقال)

أرى حللا تصان على رجال * واعراضا تذال ولا تصان
يقولون الزمان به فساد * وهم فسدوا وما فسد الزمان

(وسئل) بعض البلغاء عن رجل فقال هو صغير القدر قصير الشبر ضيق الصدر لئيم النجر عظيم الكبر كثير الفخر (وسئل آخر) عن رجل فقال

لوقذف على الليل لؤمه لانطمست منه نجومه (وسئل آخر) عن رجل فقال
يكاد يعدى بلؤمه كل من تسمى باسمه (وقال حجاج بن هرون) والله ماله
فى الشرف أسباب متان ولا فى الخير عادات حسان (وذمّ أعرابى) رجلا
فقال هو عبد البدن حر الثياب عظيم الرواق صغير الاخلاق الدهر
يرفعه وهمته تضعه (وذمّ آخر رجلا) فقال أمّا الوجه فدميم وأمّا الخلق
فذميم وأمّا الخيم فوخيم وأمّا العرض فزنيم وأمّا الحسب فلئيم (وقال
الجاحظ) فلان لا تنجع فيه الرقى ولا تنفذ فيه الحيل ولا يهزه المدح
ولا يحزنه الذم ولا يخجله التقريع ولا يذله التوبيخ ولا يرحم المظلوم فان
استرحمته ازداد غلظة ولا يرق لفقير وان تعرّض له قتله جوعا (وقال اخر)
فلان غثّ فى دينه قذر فى دنياه رث فى مروآته سمج فى هيئته منقطع
الى نفسه راض عن عقله بخيل بما وسع الله عليه كتوم لما آتاه الله
من فضله حلاف لجوج ان سال ألحف وان وعد أخلف لا ينصف الاصاغر
ولا يعرف حق الاكابر (وأنشد لابن قادوس)

تأنست بذميم الفعل طلعته * تأنس المقلة الرمداء بالظلم

(وقالوا) فلان كالشجرة التى قل ورقها وكثر شوكها وصعب مرتقاها

(قال الشاعر يهجو قوما لئاما)

هم الكشوث فلا أصل ولا ثمر * ولا نسيم ولا ظل ولا ورق
جفوا من اللؤم حتى لو أصابهم * ضوء السهى فى ظلام الليل لاحترقوا
لو صافحوا المزن ما ابتلت أناملهم * ولو يخوضون بحر الصين ما غرقوا

(ومن محاسن التلفيق فى الذمّ) فلان له كيد مخنث وحسد نائحة وشره قواد
وذل قابلة وملق داية وبخل كلب وحرص نباش ونتن جورب ووحشة قرد

(قال ابن حجاج فى مثل ذلك)

نسيم حش وريح مقعدة * ونفث أفعى ونتن مصلوب

(وله يهجو)

نعمة الله لا تعاب ولكن * ربما استقبحت على أقوام
لا يليق الغنى بوجه أبى يعـ * ـلى ولا نور بهجة الاسلام
وسخ الثوب والعمامة والبر * ذون والوجه والقفا والغلام

(ومن التلفيق) فلان يروغ من الحق روغان الثعلب ويشره الى الادناس شره الخنزير ويستسلم الى عدوه استسلام الضبع ويدب الى الشر دبيب العقرب وينام عن الخير نوم الفهد ويجبن عن القرن جبن العصفور ويخبط فى الجهل خبط الناقة (ابن عروس يهجو)

كم قال منتقـدوك أحمر زائف * ماذا أقول وقد عصيت الناقدا
ولقد عرضـتك يازنيم بدرهـم * فيمن يزيد فاوجـدت مزايدا
سافر بطرفك هل ترى لك شاكرا * أو ذاكرا أوحاسـدا أو حامدا

(آخر)

أما الهجاء فدق عرضك دونه * والمدح فيـك كما علمت جليل
فاذهب فأنت طليق عرضك انه * عرض عززت به وأنت ذليل

(الفصـل الثانى من الباب الثانى)
فى ذكر الفعل والصنيع الدالين على لؤم الوضيع

(قال رسول الله صلى الله عليه وسلم) ان مما أدرك الناس من كلام النبوة الاولى اذا لم تستح فاصنع ماشئت (وقال الشاعر)

اذا لم تصن عرضا ولم تخش خالقا * وتستحى مخلوقا فماشئت فاصنع

(وقالوا) فلان لايستحى من الشر ولايحب أن يكون من أهل الخير فلو أفلتت كلمة سوء لم تنسب الااليه وان رفعت لعنة لما وقعت الا عليه (وسئل معاوية) عن السفلة فقال الذى ليس له فعـل موصوف ولا نسب معروف كما قال بعض الاعراب وقد سـئل عن رجل فقال عليه كل يوم قسامة من فعله تشهد عليه بلؤم أصله وشهادات الافعال أصدق من شهادات الرجال * وقال بعض العارفين أفعال المرء شهود لواصفيه * وسئل محمد بن الحسـن عن السفلة فقال من يخل بقطعه الحجام ويفعل فى الطريق فعل الطغام * وقال الاصمعى السفلة من لايبالى بما قال أو قيل له (وقال يحيى بن أكثم) السفلة الذى لايعيبه ماصنع (وقال أبو مسلم) ألأم الاعراض عرض لم يرتع فيه مدح ولاذم * وسمع الاحنف رجـلا يقول لا أبالى مدحت أو ذممت فقال ياهذا استرحت من حيث تعب الكرام

(فى فعلات من خلع فى اللوم الرسن المكافأة بالقبيح عن الفعل الحسن)

(من

(من أمثال العرب فى ذلك) أكفر من ناشرة وذلك أن همام بن مرة كان قد أخذ ناشرة من أمه لماماتت أبوه وضاقت بتربيته ذرعا فرباه وأحسن اليه فلما بلغ الحلم هجاه هجوا قبيحا فنهاه عنه فتركه حتى نام واغتاله (وحكى الاصمعى) أن أعرابيا ربى جرو ذئب وجعل يغذيه بلبن شاة له حتى كبر فخرج معها يوما للرعى كعادته فحركته الطبيعة الدنية والنفس الذئبية على افتراس الشاة فلما رأى الاعرابى الشاة فريسة أنشد

عقرت شويهتى وفجعت قومى * بشاتهم وأنت لها ربيب
غذيت لبانها ونشأت معها * فمن أنباك أن أباك ذيب
اذا كان الطباع طباع سوء * فليس بنافع أدب الاديب

* وأغار خيثمة بن مالك الجعفى على بنى القين فاستاق منهم ابلا فاطلقوا خلفه الاعنة فلم يقدروا عليه ولا وصلوا اليه فنادوه وقالوا له ان أمامك مفازة ولا ماء معك وقد فعلت جميلا فانزل ولك الذمام والحباء فنزل فلما اطمأن وسكن أخذته سنة فنام فوثبوا عليه وقتلوه

(ومما يستغرب منه ويستعجب فى هذا الباب ويستعذب)

لما حارب الحجاج عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث برز من أصحاب عبد الرحمن عبد الله بن سواد الحارثى وطلب المبارزة فبرز اليه بعض أصحاب الحجاج فقتله عبد الله ثم عاد فطلب المبارزة فخرج اليه آخر فقتله ثم عاد فطلب البراز فخرج اليه آخر فقتله ثم عاد وطلب البراز فقال الحجاج للجراح بن عبد الله الحكمى اخرج اليه فخرج فقال له عبد الله وكان صديقا له ما أخرجك قال ابتليت بك قال فهل لك فى خير قال الجراح وما هو قال أنهزم لك فترجع الى الحجاج وقد أحسنت عنده وأما أنا فأحتمل مقالة الناس فى انهزامى حبا لسلامتك فانى لا أحب قتل مثلك من قومى قال افعل فحمل الجراح على عبد الله فاستطرد له عبد الله وتبعه الجراح يريد قتله فصاح بعبد الله غلام له وكان ناحية عنه وكان معه اداوة وقال له ياسيدى ان الرجل يريد قتلك فعطف على الجراح فضربه بعمود على رأسه فصرعه فقال له يا جراح بئس ما جزيتنى به أردت لك العافية وتريد قتلى انطلق فقد تركتك للصداقة التى بينى وبينك فشتان ما بين الفعلين * قصد أبو بكر الخوارزمى الصاحب بن عباد ومدحه

بقصيدة قال فيها

وما خلقت كفاك الا لاربع * عوائد لم يخلق لهنّ يدان

لشكرك أفواه وتنويل نائل * وتغليب هندى وأخذ عنان

فلما بلغ الى هذا البيت قال له لم تذكر القلم وهو آلة الكاتب وبه تقدم ورأس فقال قصيدة مدحه بها جاء منها

يد تراها أبدا * فوق يد وتحت فم

ما خلقت بنانها * الا لسيف وقلم

فخلع عليه كل ملبوسه وخلع عليه كل من كان فى مجلسه من الثياب موافقة للصاحب فحصلت له مائة جبة فلم يرضه ذلك وانصرف فهجاه بقوله

لا تحمدن ابن عباد ولو مطرت * كفاه بالجود حتى جازت الديما

لكنها خطرات من وساوسه * يعطى ويمنع لا بخلا ولا كرما

واتفق ان مات الخوارزمى عقب قوله هذه الابيات فلما بلغ الصاحب موته قال

سألت بريدا من خراسان مقبلا * أمات خوارزميكم قال لى نعم

فقلت اكتبوا بالجص من فوق قبره * ألا لعن الرحمن من يكفر النعم

(ومما يدل على خبث نجار اللئيم الغدر بمن يركن اليه ويستنيم)

(قال رسول الله صلى الله عليه وسلم) اذا جمع الله الاولين والآخرين رفع لكل غادر لواء وقيل هذه غدرة فلان (وقالوا) من نقض عهده ومنع رفده فلا خير عنده (وقالوا) العذر يصلح فى كثير من المواطن ولا عذر لغادر ولا خائن (شاعر)

أخلق بمن رضى الخيانة شيمة * أن لا يرى الا صريع حوادث

مازالت الاثراء تلحق بؤسها * أبدا بغادر ذمة أو ناكث

(وقالوا) الغدر من صغر القدر (ويقال) من تعدى على جاره دل على لؤم نجاره * وقال على رضى الله عنه الوفاء بأهل الغدر غدر والغدر بأهل الغدر وفاء * ذكر أن عيسى عليه السلام مر بانسان يطارد حية وهى تقول له والله لئن لم تذهب عنى لأنفخن عليك نفخة أقطعك بها قطعا فمضى عيسى وعاد فوجد الحية فى جونة الرجل محبوسة فقال لها ويحك اين ما كنت

تقولين قالت يا روح الله انه حلف لى وغدر وأن سم غدره أقتل له من سمى
* أعرق الناس فى الغدر عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث بن قيس بن معديكرب فان عبد الرحمن غدر بالحجاج لما ولاه بلاد خراسان وادعى الخلافة وقاتله وكانت بينهم ثمانون وقعة وكان آخرها دائرة السوء عليه (وغدر) محمد بن الاشعث بأهل طبرستان وكان عبيد الله ولاه اياها فصالح أهلها على أن لا يدخلها ثم عاد اليهم غادرا فأخذوا عليه الشعاب وقتلوا ابنه أبا بكر (وغدر) الاشعث بن قيس ببنى الحرث بن كعب غزاهم فأسروه ففدى نفسه بمائتى بعير فأعطاهم مائة وبقيت عليه مائة فلم يؤدها لهم حتى جاء الاسلام فهدم ما كان فى الجاهلية (وكان) بين قيس بن معديكرب وبين مراد عهد الى أجل فغزاهم فى آخر يوم من الاجل وكان يوم الجمعة فقالوا انه لا يحل لنا أن نقاتل يوم السبت فأخرهم فلما كان صبيحة السبت قاتلهم فقتلوه وهزموا جيشه (وغدر) معديكرب بمهرة وكان بينه وبينهم عهد الى أجل فغزاهم ناقضا لعهدهم فقتلوه وفتقوا بطنه وملؤه بالحصا

(ومما ينزع لباس الحسب والصيانة رفول المرء فى أطمار الخيانة)

* قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ايمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له * وقال صلى الله عليه وسلم لا تزال أمتى بخير ما لم تر الامانة مغنما والصدقة مغرما (ومن الحكايات فى هذا الباب) ما يحكى أن شهر بن حوشب وكان من أجلة القراء وأصحاب الحديث دخل على معاوية وبين يديه خرائط قد جمعت لتوضع فى بيت المال فقعد على احداها ومعاوية يراه فلما رفعت الخرائط فقد من عددها خريطة فأعلم الخازن بذلك معاوية فقال هى محسوبة لكم ولا تسألوا عن آخذها وفيه يقول الشاعر

لقد باع شهر دينه بخريطة * فمن يأمن القراء بعدك يا شهر

* كان للمأمون خادم يسرق طسه الذى يتوضأ فيه فقال له يوما هلا اذا سرقت تأتينى بما تسرقه فأشتريه منك قال فاشتر منى هذه وأشار الى التى بين يديه قال بكم هى قال بدينارين قال على أن لا تسرقها فقال نعم فأعطاه دينارين ولم يعد الخادم يسرق شيأ لما رأى من حلمه عنه * وقال المنصور لعامل بلغه عنه خيانة يا عدو الله وعدو أمير المؤمنين وعدو المسلمين أكلت مال الله

وخنت خليفة الله فقال يا أمير المؤمنين نحن عيال الله وأنت خليفته والمال مال الله فمن أين نأ كل اذا فضحك منه وأطلقه وأمر أن لا يولى عملا بعدها (سرق) رجل فى مجلس أنوشروان جام ذهب وهو يراه فلما فقده الشرابى قال والله لا يخرج أحد حتى يفتش فقال أنوشروان لا تتعرض لاحد فقد أخذه من لا يرده ورآه من لا ينم عليه (وأودع) بعض التجار عند قاضى معرة النعمان وديعة وغاب عنها مدة فلما جاء طالبها بها فأنكرها فتشفع اليه برؤساء بلده فى ردها فلم يزالوا به حتى أقر بها وادعى أنها سرقت من حرزه فاستحلفه فحلف فعمل فيه ابن الدويرة الشاعر المعرى أبياتا منها

لا يصدق القاضى الخؤن اذا ادعى * عدم الوديعة من حصين المودع

ان قال قد ضاعت فيصدق انها * ضاعت ولكن منك يعنى لو تعى

أو قال قد وقعت فيصدق انها * وقعت ولكن منه أحسن موقع

(وقال ابن حجاج)

وادعوهم الى القاضى عساهم * اذا وقع الجحود يحلفونى

وأضيع ما يكون الحق عندى * اذا عزم الغريم على اليمين

(آخر)

اذا حلفونى بالغموس منحتهم * يمينا كسحق الاتحمى الممزق

وان أحلفونى بالعتاق فقد درى * سحيم غلامى أنه غير معتق

وان أحلفونى بالطلاق رددتها * على خير ما كانت كأن لم تطلق

(وقف) بعض المجان على قبر سارق فقال رحمك الله فلقد كنت أحمر الازار حاد السكين ان نقبت فجرذ وان تسلقت فسنور وان استلبت فحدأة وان ضربت فقاص ولكنك اليوم وقعت فى زاوية سوء وليس كل حبس تحبس فيه الى التناد على أموال العباد

ومن الصنيع الدال على لؤم الاصول

من كان بسيف جوره على العباد يصول

---

* قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الظلم ظلمات يوم القيامة * وقال عليه الصلاة السلام أعتى الناس على الله وأبغض الناس الى الله وأبعد الناس من الله رجل ولاه الله تعالى من أمة محمد شيأ فلم يعدل فيهم (وقال) سفيان

الثورى لان تلقى الله تعالى بسبعين ذنبا فيما بينك وبينه أهون عليك من أن تلقاه بذنب واحد فيما بينك وبين العباد (ويقال) من طال عدوانه زال سلطانه (وقال) أمير المؤمنين على رضى الله عنه يوم المظلوم على الظالم أشد من يوم الظالم على المظلوم (ويقال) الظلم يجلب النقم ويسلب النعم (وقالوا) من ظلم من الملوك فقد خرج من كرم الحرية والملك الى دناءة العبودية والملك (ويقال) ليس شئ أسرع الى تغيير نعمة وتعجيل نقمة من الاقامة على الظلم (وفى الخبر) يقول الله تعالى اشتد غضبى على من ظلم من لا يجد له ناصرا غيرى (وقالت الحكماء) شر الملوك الافاك السفاك (وقال) أبو منصور الثعالبى اخلق بالملك الظلوم أن يصير غصة للمرائين وعظة للراوين (وقالوا) الظلم أسرع الى تبديل النعم وتعجيل النقم من الطيور الى الاوكار ومن الماء فى الانحدار (وقالوا) سبع خطوم خير من وال ظلوم (كان) زياد بن أبيه ممن استطال بجوره وعسفه فى ولايته عراقى البصرة والكوفة فلما ذل له من فيهما كبرت عليه نفسه واستقلهما لها فكتب الى معاوية انى قد ضبطت العراقين بيمينى وبقيت شمالى فارغة فجمع له معاوية الحجاز واتصلت ولايته بالمدينة فاجتمع أهل المدينة فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلاذوا بقبره يسألون الله تعالى الاقالة منه ورفع عبد الله بن عمر يديه وقال اللهم اكفنا شمال زياد كما كفيتنا يمينه فطعن فيها فشاور شريحا فى قطعها فقال له رزق مقسوم وأجل معلوم وانى أكره ان كانت لك مدة أن تعيش أجذم وان حم أجلك أن تلقى الله مقطوع اليد فاذا سألك لم قطعتها فتقول بغضا للقائك وفرارا من قضائك فتركها فلما خرج شريح من عنده لامه الناس فقال انه قد استشارنى والمستشار مؤتمن ولولا أمانة المشورة لوددت ان الله قطع يده يوما ورجله يوما وسائر أعضائه يوما يوما وزاره شريح بعد ذلك فلما خرج من عنده قال له مسروق كيف تركت الامير قال تركته يأمر وينهى فأول قوله فاذا هو يأمر بالوصية وينهى عن البكاء عليه ومات من تلك سنة ثلاث وخمسين فى رمضان وكان مولده عام الهجرة ودفن فى أرض الكوفة وسنأتى على نتف من مولده ونسبه فيما يلى هذا الفصل ان شاء الله تعالى (ومن المفرطين فى العسف والعنف) يوسف ابن عمر الثقفى قلده هشام بن عبد الملك العراق وكان شيطانا مريدا وجبارا

عنيدا سفاكا للدماء معروفا بالظلم والغشم ولما قلده أمره بالقبض على خالد بن عبد الله القسرى فسار اليه حتى هجم عليه وهو فى قصره على حين غفلة من أمره فأخذه ثم رقى المنبر وقال يا أهل العراق ان الحجاج كان دخانا أنا ناره ولهبا أنا شراره فعليكم بالطاعة العائدة بجزيل الثواب واياكم والمخالفة الموجبة لوشك العقاب وقد أعذر من أنذر ثم نزل (يحكى عنه) أنه دخل دار الضرب فعاير درهما فوجده ناقصا حبة فضرب فيها الامناء والصناع عشرة آلاف سوط (وكان) الفضل بن مروان وزير المعتصم ظالما غاشما متبجحا بالظلم متجبرا متكبرا كان المعتصم يقول الفضل بن مروان أسخط الله وأرضانى فسلطنى الله عليه دخل عليه الهيثم بن فراس الشاعر متظلما من بعض عماله فصرف وجهه عنه ولوى عطفه فخرج من عنده وهو ينشد

تجبرت يافضل بن مروان فانتظر * فقبلك كان الفضل والفضل والفضل
ثلاثة أملاك مضوا لسبيلهم * أبادهم التغيير والموت والقتل
فان تك قد أصبحت فى الناس ظالما * ستودى كما أودى الثلاثة من قبل

فلما سمع الفضل أبياته قال ما الذى عنى بقوله فقيل انه أراد الفضل بن يحيى والفضل بن سهل والفضل بن الربيع فتغير وجهه ولم يلبث الا أياما يسيرة حتى قبض عليه (وفيه) يقول بعض الشعراء من أبيات هى قوافيها على ألفاظ الفضل المتفقة مبانيها المختلفة معانيها ولقد أبدع وأجاد فيها

نصحت فأخلصت النصيحة للفضل * وقلت فبينت المقالة للفضل
ألا ان فى الفضل بن يحيى لعبرة * ان اعتبر الفضل بن مروان بالفضل
وفى ابن الربيع الفضل للفضل زاجر * ان ازدجر الفضل بن مروان بالفضل
وللفضل فى الفضل بن سهل مواعظ * ان اتعظ الفضل بن مروان بالفضل
اذا ذكروا يوما وقد صرت رابعا * ذكرت بقدر السعى منك الى الفضل
فأبق جميلا من حديث تكونه * ولا تدع المعروف والاخذ بالفضل
فانك قد أصبحت للناس قائما * وصرت مكان الفضل والفضل والفضل

من أبيات كثيرة أتيت منها على ما مست الحاجة اليه ووقع الاختيار عليه

(وقال شاعر فى نكبته)

لا تغبطن أخا الدنيا بمقدرة * فيها وان كان ذا عز وسلطان

يكفيك

يكفيك من غير الايام ماصنعت * حوادث الدهر بالفضل بن مروان
ان الليالى لم تحسن الى أحد * الا أساءت اليه بعد احسان

(وصف) بعض البلغاء عاملا للمأمون فقال يا أمير المؤمنين ما ترك فضة الا فضها ولا ذهبا الا ذهب به ولا علقا الا علقه ولا ضيعة الا أضاعها ولا غلة الا غلها ولا عرضا الا عرض له ولا ماشية الا امتشها ولا جليلا الا أجلاه ولا دقيقا الا دقه ولا رقيقا الا أرقه فضحك منه وصرفه عن أهل ناحيته (ووصف) بعضهم عامل ولاية فقال والله ما الذئب فى الغنم بالقياس اليه الا من المصلحين ولا السوس فى الخز من الصيف الا من العادلين ولا يزدجرد الاثيم فى أهل فارس بالاضافة اليه الا من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ولا فرعون فى بنى اسرائيل اذا قابلته به الا من الملائكة المقربين (ووصف) آخر عامل ولاية فقال كان يجبى خراج الوحش ويأخذ جزية السمك ويطلب زكاة الملائكة ويلتمس جمع الريح ويروم القبض على الماء وحصر الحصا وكيل الانهار وتحصيل الهباء ولئن كانت النعمة عظمت على قوم خرج عنهم لقد جلت المصيبة بقوم نزل فيهم (وذم) البديع الهمدانى قاضيا ووصفه بالظلم فقال قاض لا شاهد عنده أعدل من السكر والجام يدلى بهما الى الحكام ولا ولى أصدق لديه من الصفر الذى يرقص على الظفر ولا وثيقة أحب اليه من غمزات الخصوم على الكيس المختوم ولا وكيل أعز عليه من المنديل والطبق فى وقتى الفلق والغسق واقسم لو ان اليتيم وقع بين الاسود بل الحيات السود لكانت سلامته منها أيسر من سلامته من أصحابه وما ظنك برجل يعادى الله فى الغلس ويبيع الدين بالثمن البخس ولص لا ينقب الا خزائن الاوقاف وكردى لا يغير الا على الضعاف وذئب لا يفترس عباد الله الا بين الركوع والسجود ومحارب لا ينهب مال الله الا بين العدول والشهود (قيل) لبعض الاعراب ايما أحب اليك أن تلقى الله ظالما أو مظلوما قال ظالما قيل له ويحك ولم قال ما عذرى اذا قال لى خلقتك سويا قويا لم تستعد وأنشد بيت زهير ابن أبى سلمى

ومن لا يذد عن حوضه بسلاحه * يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم

(ومن معايب من رغب عن المكارم القاء الحشمة في ارتكاب المحارم)

كما يحكى ان نصر بن سيار مر بأبي الهندى وكان شريفا في قومه وهو يميل سكرا فقال له أفسدت شرفك فقال أبو الهندى لولم أفسد شرفي لم تكن أنت والي خراسان (وكان) يزيد بن معاوية يلقب بالسكران لكثرة انهماكه على كثرة شرب الخمر ولقب أيضا يزيد الخمر بلغه ان المسور بن مخرمة يرميه بشرب الخمر فكتب الى عامله بالمدينة أن يجلد المسور حد القذف ففعل فقال المسور

أتشربها صرفا تطن دنانها * أبا خالد والحد يضرب مسور

وكان له قرد يكنى أبا قيس يحضره مجلس شرابه ويطرح له متكأ ويسقيه فضلة كأسه واتخذ له أتانا وحشية قد ريضت له وذللت وصنع لها سرج ولجام من ذهب يركبه بهما عليها ويسابق بها الخيل يوم حلبة الرهان فجاء يوما سابقا وتناول القصبة التي هي الغاية ودخل الحجرة قبل مجيء الخيل وعليه قباء وقلنسوة من الحرير الاحمر وفيه يقول بعض شعراء الشام

تمسك أبا قيس بفضل زمامها * فليس عليها ان سقطت ضمان
الا من رأى القرد الذي سبقت به * جياد أمير المؤمنين أتان

(وكان) الوليد بن يزيد بن عبد الملك ماجنا زنديقا مستهزئا مستخفا مستهينا بالخاصة والعامة مدمنا للخمر متلاهيا باللهو واللعب مصرا على ارتكاب الفواحش مشتغلا بخلاعته عن النظر في أمور المسلمين والقيام بحقوق الخلافة وأمور المملكة وأحوال الرعية وفيه يقول القائل

مضى الخلفاء بالامر الحميد * وأصبحت المذمة للوليد
تشاغل عن رعيته بلهو * وخالف قول ذي الرأي السديد

ذكر ثقات المؤرخين ان المؤذن أذنه يوما للصلاة وهو في لهوه فأمر جارية من جواريه الفواسق أن تعتم وتتلثم وتصلي بالناس فخرجت على هذه الصفة وصلت بهم * وبلغ من تهكمه بالشريعة أنه كان يفطر في رمضان والشاهد عليه ما يقال انه من شعره

ألا من مبلغ الرحمن عني * بأني تارك شهر الصيام

(وقوله)

يا أيها السائل عن ديننا * نحن على دين أبي شاكر

نشربها صرفا وممزوجة * بالسخن والبارد والفاتر

(وحكى) أنه استدعى أشعب الطامع من المدينة وألبسه سراويل من جلد قرد له ذنب واقترح عليه صوتا يرقص به فلما فعل ذلك أعطاه ألف درهم وقيل انه لما دخل عليه أخرج له ذكره منعظا وقال له هل رأيت مثل هذا قال لا قال فاسجد له فسجد وهو القائل يخاطب المصحف وقد جعله هدفا حين تفاءل منه فخرج قوله تعالى واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد

أتوعد كل جبار عنيد * فها أنا ذاك جبار عنيد
اذا ما جئت ربك يوم حشر * فقل يارب مزقنى الوليد

والسبب فى قوله هذا أنه لما رأى حالته قد انحل نظامها ودولته مدبرة وقد نفدت ايامها فتح المصحف ينظر فيه فألا فخرج له واستفتحوا الآية

(ومن قوله يخاطب المصحف فعل من بدل وحرف)

تخوفنى الحساب ولست أدرى * أحقا ما تقول من الحساب
فقل لله يمنعنى طعامى * وقل لله يمنعنى شرابى
تلاعب بالنبوة هاشمى * بلا وحى أتاه ولا كتاب

فمنعه الله طعامه وشرابه كما أراد فى مقاله وسلط عليه من قتله وهكذا عادة الله فى أمثاله فقتل يوم الخميس لليلتين بقيتا من جمادى الاولى سنة ست وعشرين ومائة بالبخراء وهو قصر على ستة أميال من تدمر وله من العمر اثنتان وأربعون سنة وقيل تسع وثلاثون وأشهر وكانت مدة خلافته سنة وشهرين وعشرين يوما وحمل رأسه الى دمشق وعلق بها وقرن به دف وطنبور ولم يزل أثر الدم على الجدران الى أن قدمها المأمون سنة خمس عشرة ومائتين فأمر بحكه (وكان) والبة بن الحباب من الخلعاء المستهزئين وهو الذى ربى أبا نواس وأدبه يحكى عنه أنه كشف يوما عن فقحته فقبلها فضرط على لحيته فقال له ويلك ما هذا فقال أما سمعت المثل *جزاء مقبل الوجعاء ضرطه* فزاد كلامه عجبا به (يحكى) أن جماعة اجتمعوا فى مجلس لمطيع بن اياس يشربون الخمر فأقاموا على ذلك ثلاثة أيام فقال لهم يحيى بن زياد ليلة وهم سكارى ويحكم ما صلينا منذ ثلاثة أيام فقوموا حتى نصلى فقام مطيع فأذن وقال للقينة تقدمى وصلى بنا واقرئى فى صلاتك

علق القلب الربابا * بعد ماشابت وشابا

فتقدمت وصلت وكانت بلا سراويل وعليها غلالة رقيقة يظهر سائر جسدها منها فلما سجدت انكشف سترها وبدا هنها فوثب اليه مطيع وقبله ثم قال

ولما بدا هنها جاثما * كرأس حليق ولم يعتمد

سجدت عليه فقبلته * كما يفعل العابد المجتهد

فقطعوا صلاتهم بالضحك وعادوا لما نهوا عنه (ومن أشعارهم) قول أبي نواس

انما الدنيا غلام * وطعام ومدام

فاذا فاتك هذا * فعلى الدنيا السلام

فبؤسا لهم ألم يعلم عاقلهم وجاهلهم بان الله يرى وأن بيده نواصي ماذرأ وبرا ولكن غرهم الامهال حتى ظنوا أنه اهمال فبدلنا الله من سنة الغفلة يقظة الطاعة وألهمنا من العمل مانفوز بأجره الى قيام الساعة آمين

(ومن خلائق العريق في الوضاعة أخذ النفس بالتكبر والرقاعة)

قال الشافعي أظلم الناس لنفسه اللئيم اذا ارتفع جفا أقاربه وأنكر معارفه واستخف بالاشراف وتكبر على ذوي الفضل (وقال) أبو مسلم ماضاع الاوضيع ولا فاخر الالقيط ولا تعصب الادخيل (وقال عمر) ماوجد أحد في نفسه كبرا الالمهانة يجدها في نفسه (ويقال) الاعجاب يغطي سائر المحاب ويكفي في ذم الكبر قول الله تعالى سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق قال ابن عيينة حرمهم فهم القرآن (قال) بعض البلغاء الكبر من أخبث سرائر القلوب وأعظم كبائر الذنوب لايرى صاحبه أبدا الافظا غليظا ولايرى لاحد سواه في الفضل حظا حظيظا وكفى به شيمة مشؤمة وخلة مذمومة أهلكت الاكابر حديثا وقديما وعاد الكريم من الرجال ذميما مليما (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم لايدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر (وكان) يقال من جهل قدر نفسه فهو بقدر غيره أجهل ومن أنف من عمل نفسه اضطر الى عمل غيره (وقالوا) من قل لبه كثر عجبه (وقال) أزدشير بن بابك ما الكبر الافضل حمق لم يدر صاحبه أين يضعه فصرفه الى الكبر وقال الشاعر

وقل لمعتصم بالتيه من حمق * لو كنت تعرف ما فى التيه لم تته
التيه مفسدة للدين منقصة * للعقل مهلكة للعرض فانتبه

(آخر)

رايت الفتى يزداد نقصا وذلة * اذا كان منسوبا الى العجب والكبر
ومن ظن أن العجب من كبر همة * فانى رأيت العجب من صغر القدر

(وأنشد) الامام محيى الدين محمد عرف بحامى رأسه النحوى لنفسه

ومعتقد أن الرياسة فى الكبر * فأصبح ممقوتا به وهو لا يدرى
يجر ذيول الفخر طالب رفعة * ألا فاعجبوا من طالب الرفع بالجر

(وقال معاوية) ان التواضع مع البخل والجهل أزين بالرجل من الكبر مع البذل والعقل فيالها حسنة غطت على سيئتين كبيرتين ويالها من سيئة غطت على حسنتين عظيمتين * وقالوا من أصاب حظا من جاه فأصاره الى كبر وترفع أعلم الناس انه دون تلك المنزلة ومن أقام على حاله أعلمهم أن تلك المنزلة دونه وأنها دون ما يستحق * مر المهلب بن أبى صفرة على مطرف بن عبد الله وهو يتبختر فى جبة خز فقال يا عبد الله هذه مشية يبغضها الله ورسوله فقال المهلب أما تعرفنى فقال له ومن أنت قال أنا المهلب قال نعم أعرفك أولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة وأنت فيما بين هذا وهذا تحمل العذرة نظم بعضهم هذه الكلمات فقال

عجبت من معجب بصورته * وكان بالامس نطفة مذره
وفى غد بعد حسن طلعته * يصير فى اللحد جيفة قذره
وهو على تيهه ونخوته * ما بين جنبيه يحمل العذره

(ولآخر)

يا مظهر الكبر اعجابا بصورته * انظر خلاك فان النتن تثريب
لو فكر الناس فيما فى بطونهم * ما استشعر الكبر شبان ولا شيب
هل فى ابن ادم مثل الرأس مكرمة * بأربع هو بالاقذار مضروب
أنف يسيل وأذن ريحها سهك * والعين مرمصة والثغر ملعوب
يا ابن التراب ومأكول التراب غدا * أقصر فانك مأكول ومشروب

(ومن ظريف) ما يذكر من أخبار المتكبرين ما يحكى أن علقمة بن وائل

الحضرمي قدم على النبي صلى الله عليه وسلم فيمن وفد عليه من سادات العرب فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم معاوية أن ينطلق به الى منزل رجل من الانصار لينزله عنده وكان منزله بأقصى المدينة قال معاوية فخرجت معه وهو راكب ناقته وأنا أمشي في ساعة قيظ يشوي الوجوه وليس لي حذاء فقلت له أردفني خلفك فقال لست من أرداف الملوك قلت اني ابن أبي سفيان قال قد سمعت ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قلت فألق لي نعليك قال لا تقبلان قدميك ولكن امش في ظل ناقتي فكفى بذلك شرفا وان الظل لك لكثير قال معاوية فما مر بي مثل ذلك اليوم قط والله لخلته أنه من جهنم ثم أدرك سلطاني فلم أواخذه بل أجلسته معي على سريري هذا (وحكى) أن عمارة بن حمزة وكان متكبرا جدا دخل على المهدي يوما فلما استقر به مجلسه قام رجل كان المهدي قد أعده ليتهكم بعمارة فقال مظلوم يا أمير المؤمنين قال من ظلمك قال عمارة هذا غصبني ضيعتي وكانت من أحسن ضياع عمارة فقال المهدي قم فاجلس مع خصمك قال يا أمير المؤمنين ما هو لي بخصم ان كانت الضيعة له فلست أنازعه فيها وان كانت لي فقد وهبتها له ولا أقوم من مجلس شرفني به أمير المؤمنين فلما خرج الرجل وانفض المجلس سأل عمارة عن صفة الرجل وما كان لباسه وأين كان موضع جلوسه فلم يعلم (وكان) من تيهه أنه اذا أخطأ يمر في خطئه تكبرا عن الرجوع ويقول نقض وابرام في ساعة واحدة الموت أهون منه (وقال) ابن عبدوس الجهشياري كان عمارة أعور دميما استعمله المنصور على الخراج وكور دجلة والاهواز وكور فارس وقلده المهدي ذلك أيضا * وكان عبد الدولة بن جهير وزير المستظهر بالله متكبرا كثير الكبر يكاد يعد كلامه عدا وكان اذا كلم رجلا كلاما يسيرا هنئ ذلك الرجل بكلامه * ومن الكبر المستبشع والتيه المستشنع ما يحكى أن ثوابة دعا أكارا فكلمه فلما فرغ من كلامه دعا بماء وتمضمض به استقذارا لمخاطبته (وأنشدت) لبعض المتكبرين مفتخرا

أتيه على جن البلاد وانسها * ولو لم أجد خلقا لتهت على نفسي
أتيه فما أدري من التيه من أنا * سوى ما يقول الناس في وفي جنسي
فان زعموا أني من الانس مثلهم * فمالي عيب غير أني من الانس

(ولابن صابر)

أيها المدعى الفخار دع الفخـ * ـر لدى الكبرياء والجبروت
نسج داود لم يفد ليلة الغا * ر وكان الفخار للعنكبوت
وبقاء السمند فى لهب النا * ر مزيل فضيلة الياقوت

(وصف) البديع الهمدانى متكبرا فقال كأن الدنيا خاتم فى خنصره وحساب خراجها فى بنصره وكأن الشمس تطلع من جبينه والغمام يندى من يمينه وكان كسرى حامل غاشيته وقارون وكيل نفقته * وقال آخر كان العجب شقيقه والبذخ رفيقه والنفخ أليفه والصلف حليفه * وقال جعيفران يهجو سعيد بن مسلم بن قتيبة

أم سعيد لم ولدتيه * ملوثا بالكبر والتيه
ليتك اذ جئت به هكذا * حين خريتيه أكلتيه

(اخر)

كبر بلا نسب تيه بلا حسب * فخر بلا أدب هذا من العجب

(والهجو) الفظيع القبيح قول بعض الشعراء فى أبى جعفر العباس بن الحسن

ان ابن عباس أبا جعفر * يبذل للنائك أوراكه
تراه من تيه ومن نخوة * كأنه ناك الذى ناكه

* وليم بعض المتكبرين على الاعجاب فقال التواضع يكسب المذلة والافراط فى المؤانسة يوجب المهانة وأنشد

ونفسك أكرمها فانك ان تهن * عليك فلن تلقى لها الدهر مكرما

(وقال فى معناه صالح بن عبد القدوس)

اذا ما أهنت النفس لم تلق مكرما * لها بعد ما عرضتها الهوان

(اخر)

وأكرم نفسى اننى ان أهنتها * وجدك لم تكرم على أحد بعدى

(واعتذر متكبر عن كبره بقوله)

ومالى وجه فى اللئام ولا يد * ولكن وجهى فى الكرام عريض
أهش اذا لاقيتهم وكأننى * اذا أنا لاقيت اللئام مريض

* (الفصل الثالث من الباب الثانى) *

(فى أنّ من تخلق باللؤم انتفع وعلا على الكرام وارتفع)

قال سعيد بن المسيب الدنيا مذلة تميل الى الانذال وقال لولم يزهد فى الدنيا الالانها فى يد الانذال لكان ينبغى لنا ذلك لهوانها على الله * وقال الشافعى فى ذمّ الدهر وسوء معاملته لسراته وسقياه لهم أكواب حسراته

محن الزمان كثيرة لاتنقضى * وسروره يأتيك كالاعياد

ملك الاكابر فاسترقّ رقابهم * وتراه رقا فى يد الاوغاد

(ابن الرومى)

رأيت الدهر يرفع كل وغد * ويخفض كل ذى شيم شريفه

كمثل البحر يغرق كل حىّ * ولا ينفك يطفو فيه جيفه

أو الميزان تخفض كل واف * وترفع كل ذى زنة خفيفه

(آخر)

رأيت الدهر بالاشراف يكبو * ويرفع راية القوم اللئام

كأنّ الدهر موتور حقود * يطالب حقه عند الكرام

(وقال اسامة بن منقذ)

شغل الزمان باهل النقص يرفعهم * حتى يتم للورّاث ما خزنوا

ألهاه رفع لئام الناس فهو على * ذوى المكارم والافضال مضطغن

(اخر)

يادهر صافيت اللئام ولم تزل * أبدا لابناء الكرام معاندا

وعرفت كالميزان ترفع ناقصا * أبدا وتخفض لامحالة زائدا

(اخر)

قل لدهر من المكارم عطل * ياقبيح الفعال جهم المحيا

كم رفيع حططته فى حضيض * ووضيع ألحقته بالثريا

(آخر)

عجبا للزمان يرفع حرّا * ماله يه ويمنح المال نذلا

فهو مثل الميزان يرفع ماخف ويهوى فى الوزانة سفلا

(ولقد أحسن الآخر فى قوله)

سألت زمانى وهو بالخفض مولع * وبالجهل محفوف وبالنقص مختص

فقلت

فقلت له هل من طريق الى العلا * فقال طريقان الوقاحة والنقص
(ويقال) اتضاع الاعالى بارتفاع الاسافل واذا ارتفعت الاراذل هلكت الافاضل (وقال) قيس بن زهير أربعة لا يطاقون عبد ملك ونذل شبع وأمة ورثت وقبيحة تزوجت (وقال) اردشير ماشئ فى انتقال الدول أمرّ من رفع وضيع الى مرتبة شريف فانّ الوضيع اذا ارتفع تكبر واذا تموّل استطال واذا تمكن صال (وقالوا) سوء القتل ولا رياسة النذل (ولنرجع الى خبر أبى بكر الخوارزمى الذى ورد به شرعة الانصاف وحسم فيه بين العقلاء مادّة الخلاف قال لا صغير فى الولاية والعمالة ولا كبير مع العطلة والبطالة وانما الولاية أنثى تصغر وتكبر بواليها ومطية تحسن وتقبح بممتطيها والصدر بمن يليه والدست بمن يجلس فيه والاعمال بالعمال كما أنّ النساء بالرجال (ويؤيد) قوله هذا أنّ الرشيد بلغه أنّ موسى بن عيسى الهادى وكان أميرا على مصر من قبله عازم على خلعه فقال والله لاعزلنه بأخس من على بابى وقال ليحيى بن خالد اطلب لى كاتبا عفيفا يصلح لعمل مصر واكتم خبره فلا يشعر به موسى حتى يفجأه فقال قد وجدته قال من هو قال عمر بن مهران وكتب له بخطه كتابا الى موسى بتسليم العمل اليه فسار وليس معه غير غلام أسود اسمه ابو درّة على بغل استأجره ومعه خرج فيه قميص ومبطنة وشاش وطيلسان وخف فلما وصل الى مصر نزل خانا فأقام فيه ثلاثة أيام يبحث عن أخبار البلد وعمن فيه من العمال وأخبر من كان بجواره فى الخان انه قد ولى مصر واستعمل منهم كاتبا وحاجبا وصاحبا شرطيا وقلد آخر بيت المال وأمر من تبعه ووثق به أن يدخل معه على موسى فاذا سمعوا حركة فى دار الامارة قبضوا على الديوان فلما أبرم أمره بكر الى دار الامارة فأذن موسى للناس اذنا عاما فدخل فى جملتهم ومن اتفق معه وموسى جالس فى دسته والقوّاد بين يديه وكل من قضيت حاجته ينصرف وعمر جالس والحاجب ساعة بعد ساعة يسأله عن حاجته وهو يتغافل حتى خف الناس فتقدم وأخرج كتاب الرشيد ودفعه لموسى فقبله ووضعه على رأسه ثم فتحه وقرأه فانتقع لونه وقال السمع والطاعة ثم قال أقرئ أبا حفص السلام وقل له كن بموضعك حتى نتخذ لك منزلا ونامر

الجنديسـتقبلونك قال أنا عمر بن مهران وقد أمرني أمير المؤمنين أن أقيمك للناس وأنصف المظلوم منك وأنا فاعـل ما أمرني به أمير المؤمنين فقال له موسى أنت عمر بن مهران قال نعم قال لعن الله فرعون حيث قال أليس لي ملك مصر واضطرب المجلس فقبض على الديوان فبلغ موسى الخبر فنزل عن فرشه وقال لا اله الا الله هكذا تقوم الساعة ماظننت ان أحدا يبلغ من الحيلة والحزم مابلغت تسلمت مني العمل وأنت في مجلسي ثم نهض عمر الى الديوان ونظر فيه وأمر ونهى وعـزل وولى وكان بمصر قوم يدافعون الخراج فأحضر أشدهـم مدافعة فطالبه فاستمهله ثم طالبه الثانية فاستمهله فلما كان في الثالثة فاستمهله خلف أيمانا مؤكدة لايستأديه الا في بيت المال ببغداد ووكل به من أشخصه الى بغـداد فخاف الناس من مثل ذلك فلم ينكسر من الخراج بعدها درهـم (وانما) ذكرناهـذه الحكاية لما فيها من التنبيه على أن الرتبة النفيسة اذا وليها ذو القدر الحقير والنفس الخسيسة لايكون ذلك قادحا في جلالتها ولا مغيرا لها عن حالتها وانما ذلك بحسب ماينظر اليها الزمان فربما نظر اليها بسعد أو نظر اليها بحرمان فان سعدت وليها من هو أكبر منها وان حرمت تولاها من يصرف السعد عنها

*(ذكر من نال المراتب السنية * من ذوى الاعراق الدنية)*

ونقتصر منهـم على ذكر ثلاثة وهـم زياد والحجاج بن يوسف وأبو مسلم وانما اقتصرنا على هؤلاء لانهم أقاموا دول من كانوا نوابهم من الخلفاء فزياد لمعاوية والحجاج لعبد الملك بن مروان وأبو مسلم لبني العباس (فأما زياد) فقيل فيه زياد ابن أبيه وقيل زياد بن عبيد الثقفي وقيل زياد بن سمية وقيل زياد بن أبي سفيان وانما قيل ابن أبيه لاختلاف الناس فيمن ينسب اليـه وسمية كانت عند كسرى فوهبها لابي الخير قيل من أقيال حمير فدخل بها الطائف فمرض فطبه الحرث بن كلدة طبيب العرب فنجع فيه طبه فوهب له سمية فولدت له نفيعا ويكنى أبا بكرة ونافعا ثم كانت تحت عبد لصفية بنت عبد الله بن أسد بن علاج الثقفي وكان يسمى عبيـدا فولدت له زيادا ويقال ان أبا سفيان واقعها على كره منها في حال سكره وكانت بغيا فحـملت منه بزياد وقيل لعبيد انه لفراشك فكان عبيد يكنى به * وروى ابن عبد البر في الاستيعاب ان زيادا اشترى

عبيدا بألف درهم وأعتقه فكان يغبط بذلك * وأما السبب فى اضافة أبى سفيان زيادا الى نفسه والحاقه به ماذكر أن عمر بن الخطاب بعث زيادا فى اصلاح فساد وقع فى اليمن فلما رجع من وجهته خطب خطبة لم يسمع الناس مثلها فقال عمرو بن العاصى لو كان هذا الغلام قرشيا لساق العرب بعصاه فقال أبو سفيان والله انى لاعرف من وضعه فى رحم أمه فقال له أمير المؤمنين على كرم الله وجهه ومن هو يا أبا سفيان قال أنا فقال له على رضى الله عنه مهلا يا أبا سفيان فقام وأنشد

أما والله لولا خوف شخص * يرانى يا علىّ من الاعادى
لاظهر أمره صخر بن حرب * ولم تكن المقالة عن زياد
ولكنى أحاذر خيف كف * لها نقم ولفتى عن بلادى
فقد طالت مجاملتى ثقيفا * وتركى فيهم ثمر الفؤاد

وكانت من أبى سفيان فلتة فذلك الذى حمل معاوية على الحاق زياد بأبى سفيان وذلك فى سنة أربع وأربعين وشهد عنده زياد بن اسماء ومالك بن ربيعة والمنذر بن الزبير على اقرار أبى سفيان بأنه ولده وكان أبو بكرة يقول ما رأت سمية أبا سفيان قط (ولما) ألحق معاوية زيادا بأبيه دخل مروان بن الحكم عليه فأنشده قول أخيه عبد الرحمن فيه

الا أبلغ معاوية بن صخر * فقد ضاقت بما يأتى اليدان
أتغضب أن يقال أبوك عف * وترضى أن يقال أبوك زانى
فاشهد أن الك من زياد * كال الفيل من ولد الاتان
وأشهد أنها حملت زيادا * وصخر من سمية غير دانى

وهذا الشعر يؤيد قول أبى بكرة ويروى أنها ليزيد بن مفرغ الحميرى وأولها

الا أبلغ معاوية بن صخر * مغلغلة من الرجل اليمانى

(وقال يزيد)

ان زيادا ونافعا وأبا * بكرة عندى من أعجب العجب
هم رجال ثلاثة خلقوا * فى رحم أنثى وكلهم لاب
ذا قرشى كما يقول وذا * مولى وهذا بزعمه عربى

وهذا يشير الى أن الثلاثة أولاد الحرث بن كلدة (وليزيد) يهجو عباد بن زياد

أعبادما اللؤم عنك محوّل * ولالك أمّ من قريش ولا أب
وقل لعبيد الله مالك والد * بحق ولا يدرى امرؤ كيف ينسب

(وسأل) رجل الشعبيّ هل تجوز الصلاة خلف ولد الزنا فقال نحن منذ ثلاثين سنة نصلى خلفه ونرجو من الله القبول يعنى زيادا وقال زياد لرجل يا ابن الزانية فقال أتسبنى بشئ شرفت به أنت وآباؤك (قال المداينى) قدم زياد البصرة مع أخويه أبى بكرة ونافع وهو غلام وكان يكتب بالقلمين العربى والفارسى فاستكتبه المغيرة بن شعبة وأجرى له كل يوم درهمين درهم عن القلم العربى ودرهم عن القلم الفارسى ثم ترقت به الحال وظهرت مراتبه وانتهى أمره الى أن ادّعاه معاوية أخا وولى فارس لعلىّ رضى الله عنه ثم احتمل مالا وهرب الى معاوية وجمع له معاوية العراقين وهو أوّل من جمعا له وجمعا بعده لابنه عبيد الله ولمصعب بن الزبير ولمسلمة بن عبد الملك ولعمر بن هبيرة وليزيد بن عمر بن هبيرة ولم يجمعا لاحد غير هؤلاء فى أيام بنى أمية

(ومنهم كليب ثقيف الحجاج ذو المراء فى سفك الدماء واللجاج)

ولؤم الحجاج من قبل رضاعه ومكاسب آبائه * قيل ان أم الحجاج واسمها الفارعة بنت مسعود الثقفية كانت قبل أن يتزوّجها يوسف عند المغيرة بن شعبة فدخل عليها يوما حين أقبل من صلاة الغداة وهى تتخلل فقال يا فارعة لئن كان هذا التخلل من أكل اليوم انك لنهمه وان كان من أكل البارحة فانك لقذرة انصرفى فأنت طالق فقالت سخنت عينك ماهو من ذا ولا من ذاك ولكنى استكت فتخللت من سواكى فاسترجع ثم خرج فلقى يوسف بن الحكم ابن عقيل فقال انى قد نزلت اليوم عن خير نساء بنى ثقيف وحدّثه بالقصة فتزوّجها فولدت له الحجاج مشوّها لا دبر له فنقب دبره وأبى أن يقبل الثدى من المراضع وأعياهم أمره فيقال ان ابليس تصوّر لهم على صورة الحرث بن كلدة وأشار عليهم أن يذبح جدى أسود ويولغوه دمه يومين وفى الثالث يذبح له تيس ويولغوه من دمه ويطلوا وجهه بما بقى منه فانه يقبل الثدى ففعلوا ذلك فأقبل على ثدى أمّه فأكسبه الرضاع الاول لؤما والرضاع بغير الطباع فكان فى كبره سفاكا للدماء فلما بلغ أشدّه صار هو وأخوه معلمين بالطائف وفيه يقول مالك بن الحريث يهجو الحجاج

فلولا بنو مروان كان ابن يوسف * كما كان عبدا من عبيد زياد
زمان هو العبد المقر بذله * يراوح صبيان القرى ويغادى

(وقال اخر) يذكر تعليمه الصبيان

أينسى كليب زمان الهزال * وتعليمه سورة الكوثر
رغيف له فلكة ماترى * وآخر كالقمر الازهر

هكذا رواه جميع الاخباريين والصواب ماذكره الحموى فى كتاب البلدان له قال الكوثر قرية فى الطائف كان الحجاج معلما بها وأنشد شاهدا على ذلك

آينسى كليب زمان الهزال * وتعليمه صبية الكوثر

وعلى هذا يكون اسمه كليبا وهو الاولى به وقد تقدم منه الولوغ وقال آخر

كليب تعاظم فى أرضكم * وقد كان فينا صغير الخطر

(ورأيت) فى بعض كتب التواريخ ان الحجاج لما احتضر قال لمنجم كان عنده هل ترى ملكا يموت قال نعم ولست به انى أرى ملكا يموت يسمى كليبا قال أنا والله كليب بذلك كانت أمى تسمينى (ومما يؤيد) ماذكرنا من لؤمه ما كتب به اليه عبد الملك بن مروان لما أراد قتل أنس بن مالك رضى الله عنه أما بعد فانك طفت لك الامور وعلوت فيها حتى تعديت طورك وتجاوزت قدرك وركبت داهية دهماء أردت ان تزورنى بها فان سوغتكها نصبت قدما وان لم أفعل رجعت القهقرى فلعنك الله أخفش العينين منقوص الجاعرتين ممسوح الساعدين أصك الرجلين أراك قد نسيت ما كنت عليه أنت وآباؤك من الدناءة واللؤم فاذكر مكاسب آبائك بالطائف اذ كانوا ينقلون الحجارة على ظهورهم ويحفرون الآبار بأيديهم وايم الله يا ابن المستفرية بعجم الزبيب لاغمزنك غمز الليث الثعلب ولاركضن بك ركضة تدخل بها فى جعس أمك فاذا أتاك كتابى هذا فكن لانس أطوع من عبد لسيده والا أصابك منى سهم مشكل ولكل نبا مستقر وسوف تعلمون (وصف) الحسن البصرى الحجاج فقال أتانا أخيفش أعمش يخطر فى مشيته ويصعد المنبر فيقوم عليه حتى تفوته الصلاة لامن الله يتقى ولامن الناس يستحى فوقه الله وتحته مائة ألف أو يزيدون لايقول له قائل الصلاة أيها الرجل هيهات دون ذلك السيف والسوط

(وفيه يقول الاحمر بن سالم وأحسن)

ثقيف بقايا من ثمود ومالهم * أب ماجد من قيس عيلان ينسب
وأنت دعيّ يا ابن يوسف فيهم * زنيم اذا ما حصلوا متذبذب

ويقال ان الحجاج طلبه فهرب الى هيت فأخذه عامله عليها فقتله وأحرقه وذراه في الريح (وجرى) بينه وبين بعض الخوارج مشاجرة فقال له الخارجي لولم يكن من لؤم أبيك الا أنه ولد مثلك لكفاه فأمر به فقتل (وقال) الحجاج يوما لعبد الملك لو كان رجل من ذهب لكنته قال وكيف ذلك قال لانى لم تلدنى أمة بينى وبين حوّاء الا هاجر فقال له عبد الملك لولا هاجر كنت كلبا من الكلاب (وأوّل ولاية) تولاها تبالة فلما رآها استقلها فرجع عنها فقالوا فى المثل أهون من تبالة على الحجاج * وأوّل أمره ومصيره الى روح بن زنباع وتضمن ما اتفق من أمره معه وكيفية وصوله الى عبد الملك فى المجلدة الثالثة من التذكرة * وفى كتاب أخبار القدماء وذخائر الحكماء لابى حيان التوحيدى فى سبب تولية الحجاج العراق قال العتبى لما اشتدت شوكة أهل العراق على عبد الملك بن مروان خطب الناس وقال ان نيران أهل العراق قد علا لهبها وكثر حطبها فجمرها حار وشهابها وار فهل من رجل ذى سلاح عتيد وقلب حديد أبعثه لها فقام الحجاج وقال أنا يا أمير المؤمنين قال ومن أنت قال الحجاج بن يوسف بن الحكم بن عامر فقال له اجلس ثم أعاد الكلام فلم يقم أحد غير الحجاج فقال كيف تصنع ان وليتك قال أخوض الغمرات واقتحم الهلكات فمن نازعنى حاربته ومن هرب منى طلبته ومن لحقته قتلته أخلط عجلة بتأنّ وصفوا بكدر وشدّة بلين وتبسما بازورار وعطاء بحرمان ولا على أمير المؤمنين ان يجرّب فان كنت للاوصال قطاعا وللارواح نزاعا وللاموال جماعا والا فليستبدل بى فقال عبد الملك من تأدّب وجد بغيته اكتبوا له كتابه

(ومنهم ذو الاصل الدنىء والنفس الابية أبو مسلم صاحب الدعوة العباسية)

كان أبو مسلم واسمه عبد الرحمن بن مسلم عبد العيسى بن معقل فباعه لاخيه ادريس جدّ أبى دلف واسمه قاسم بن عيسى بن ادريس العجلى وكان قهرمانا فجلس ادريس فى الكوفة وأبو مسلم معه يخدمه فرأى بكر بن هامان من أبى

موسى حذقا وكيسا فقال لادريس ماهذا الغلام فقال مملوك لى قال بعه لى قال هولك قال لابدّ من ثمنه قال هولك بماشئت فأعطاه أربعمائة درهم وأخذه وبعث به الى ابراهيم بن محمد بن علىّ بن عبد الله بن عباس المنعوت بالامام فدفعه ابراهيم الى موسى السراج فسمع منه وحفظ عنه ومازال قدره ينبل حتى أرسله ابراهيم بالدعوة لبنى العباس وذلك فى سنة ثمان وعشرين ومائة وله من العمر احدى وعشرون سنة وقدم الى خراسان يدعو الناس الى طاعتهم فى أوّل يوم من رمضان سنة تسع وعشرين فنزل قرية من قرى مرو ووثب دعاته فقال الناس رجل من بنى هاشم قد ظهر له حلم ورواء ووقار وسكينة فانطلق فتية من أهل مرو نساك وكانوا يطلون الفتنة فأتوا أبامسلم فى عسكره فسألوه عن نسبه فقال خبرى خير لكم من نسبى ثم سألوه عن أشياء من الفقه فقال انّ أمركم بالمعروف ونهيكم عن المنكر خير لكم من هذا ونحن الى دعوتكم أحوج منا الى اجابة مسئلتكم فاعفونا فقالوا والله مانعرف لك نسبا وما نظنك الا تبقى قليلا وتقتل وكان كذلك (ومن الدليل) على لؤم أصله مانقم عليه به أبوجعفر المنصور وهو أنه كتب اليه يخطب منه أمينة بنت علىّ بن عبد الله بن عباس وزعم أنه ابن سليط بن عبد الله فقال له المنصور عند تقريعه بذنوبه لما اراد قتله لقد ارتقيت لاأم لك مرتقى صعبا تقرّ على نفسك انك دعى ثم ترغب فى بنات العباس (ونقم) عليه أيضا أنه كتب اليه أيام خلافته عافانا الله واياك فبدأ بنفسه فى الدعاء (ولما) أراد المنصور قتله استشار مسلم بن قتيبة فى ذلك فقال لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا فقال حسبك يا أبا امية قد أصبت الغرض ثم استدعاه ولم يأذن لاحد معه فلما دخل عليه وأخذ مجلسه سأله أن يريه سيفه فلما تناوله منه جعل يذكره فعلاته التى نقمها عليه وهو يعتذر عنها ثم ركضه برجله فوثب عليه المرصدون لقتله فقتلوه وأخرج الى قواده وجنوده بالجوائز والخلع فقسمت بينهم ثم رمى برأسه اليهم فتفرقوا ورجعوا قائلين مضى مولانا بالدراهم انا لله وانا اليه راجعون وذلك فى سنة سبع وثلاثين ومائة (وكان) مولده على رأس المائة * وفيه يقول أبودلامة واسمه زيد بن الجون يهجوه

أبامجرم ماغير الله نعمة * على عبده حتى يغيرها العبد

أفى دولة المهدى حاولت غدره * ألا ان أهل الغدر آباؤك الكرد
أبا مجرم خوفتنى بك فانثنى * عليك بما خوفتنى الاسد الورد

وقد تقدمت ترجمته وكيفية ما قتله المنصور فى المجلدة الثالثة من التذكرة التوحيدية (وخطب) المنصور لما قتله فقال بعد حمد الله والثناء عليه أيها الناس لا تخرجوا من أنس الطاعة الى وحشة المعصية ولا تسروا غش الائمة فان أحدا لا يسر سريرة الا ظهر ذلك عليه فى فلتات لسانه وصفحة وجهه وبوادر نظره انا لم نبخسكم حقوقكم ولن نبخس الدين حقه انه من نازعنا عروة هذا القميص أوطأناه خبء هذا الغمد وان أبا مسلم بايع لنا على أنه من نكث بيعتنا فقد أباح دمه لنا ثم نكث هو فحكمنا عليه لانفسنا حكمه على غيرنا ولم يمنعنا رعاية الحق له من اقامة الحق عليه (وانما) اقتصرت على ذكر هؤلاء الثلاثة دون غيرهم لعظيم ما ارتكبوه من الجرائم التى نهى الله عن فعلها وأكد فى التحذير منها وبالغ فى الوعيد عليها وهى قتل النفس بغير حق واستباحة حريم مالها التى حرمته كحرمتها وهذا لا يرضى فعله كفرة أهل الكتاب ولا من يعتقد أن الى الله المرجع والمآب

ومما ينبغى أن يلحق بهذا الفصل تسلى من خفضه الزمان من أهل الفضل

بقلة الكرام وكثرة اللئام وتقلب الاحوال على مدى الايام

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس كابل مائة لا يكاد يوجد فيها راحلة (وقالوا) الكرام فى اللئام كالغرة فى جبهة الفرس أو كالرقمة فى يد الدابة (ويقال) لا يكاد يوجد كريم حتى يخاض اليه ألف لئيم * قال السموأل بن عاديا اليهودى

تعيرنا أنا قليل عديدنا * فقلت لها ان الكرام قليل
وما ضرنا أنا قليل وجارنا * عزيز وجار الاكثرين ذليل

وقال ابن المعتز اذا خرفت الدولة وقرب زوالها هبطت بالاخيار ورفعت درج الاشرار (وقال) أبو طالب يحيى بن أبى الفرج المعروف بابن زيادة البغدادى الكاتب

باضطراب الزمان ترتفع الانـ * ـذال فيه حتى يعم البلاء
وكذا الماء ساجيا واذا حرك * ثارت من قعره الاقذاء

(وكان)

(وكان) علىّ بن الحسين بن علىّ الوزير المغربى لمح هذا المعنى بقوله

اذا ما الامور اضطربن اعتلى * سفيه يضام العلا باعتلائه
كذا الماء ان حرّكته يد * طفا عكر راسب فى انائه

(ومن أحسن) ما ورد فى هذا الباب ما حكى أنّ المعتصم لما أراد أن يشرف اشناس التركى عقب فتح بابك أمر أصحاب المراتب أن يترجلوا له فكان فيمن ترجل الحسن بن سهل فرآه حاجبه يمشى و يعثر فبكى رحمة له فقال له لا يهمنك ما تراه ان الملوك شرفتنا ثم شرفت بنا (ولما عزل) قتيبة بن مسلم وكيعا عن رياسة بنى تيم قال شاعرهم

فان تك قد عزلت فلا عجيب * ضياء الشمس يمحوه الظلام

(وقال آخر يسلى معزولا)

عزلوه كالذهب المصفى لاترى * حالا مغيرة له عن حال
لم يعزلوا الاعمال عنه وانما * عزلوا العفاف به عن الاعمال

(آخر)

انّ الولاية لاتتمّ لواحد * ان كنت تنكر ذا فأين الاوّل
لاتجزعن فلكل وال معزل * فكما عزلت فعن قليل تعزل

ومن أحسن ما قيل فى تسلى معزول قول محمد بن يزيد الاموى فى مالك بن طوق

ليهنك ان أصبحت مجتمع الحمد * وراعى المحامى والمعالى عن المجد
وانك صنت الناس فيما وليته * وفرّقت ما بين الغواية والرشد
فلا تحسب الاعداء عزلك مغنما * فان الى الاحرار عاقبة الورد
وما كنت الا السيف جرّد فى الوغى * بأحمد سلا ثم ردّ الى الغمد

(آخر)

ما اختلف الليل والنهار ولا * دارت نجوم السماء فى الفلك
الا لنقل النعيم من ملك * قد انقضى ملكه الى ملك

(علىّ بن الجهم)

للدّهر ادبار واقبال * وكل حال بعدها حال
وصاحب الايام فى غفلة * وليس للايام اغفال
كم أبلت الدنيا وكم جدّدت * منى وكم تغنى وتغتال

تشهد أعدائى بأنى فتى * قطاع أسياف ووصال
لايملك الشدة عزمى ولا * يبطرنى جاه ولامال

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان حقا على الله ان لايرفع شيأ من هذه الدنيا الاوضعه ولايضع شيأ الارفعه (كتب) مفلس على خاتمه اصبر فالدهر دول

(راجز)

وانما الدنيا دول * كراحل قبل نزل * ونازل قبل رحل

وقال على رضى الله عنه ماقال الناس لشئ طوبى الاوقد خبأ له الدهر يوم سوء (وقال) مطرف لاتنظروا الى خفض عيش الملوك وطيبه ولكن انظروا الى سرعة ظعنهم وسوء منقلبهم * وأنشدت لابن الاعرابى

ربّ قوم رتعوا فى نعمة * زمنا والعيش ريان غدق
سكت الدهر طويلا عنهم * ثم أبكاهم دما حين نطق

ويقال لايقوم عز الولاية بذل العزل (ويقال) العزل طلاق الرجال * قال ابن المعتز

وذلّ العزل يضحك كل يوم * وينقر فى قفا الوالى المدلّ

(وله)

كم تائه بولاية * وبعزله ركض البريد
سكر الولاية طيب * وخمارها صعب شديد

(ابن زياد)

لاتغبطنّ وزيرا للملوك وان * أحله الدهر منهم فوق رتبته
واعلم بان له يوما تمور به الارض اطر باكما مارت لهيبته
هرون وهو أخو موسى وناصره * لولا الوزارة لم يأخذ بلحيته

(ولآخر)

تنح عن الوزارة لاتردها * فكل الخير فيما لاتريد
ألست ترى وزيرا كل يوم * يباع متاعه فيمن يزيد

(ومن أعجب مايحكى فى تنقل الاحوال) أن ثقل الفضل بن الربيع كان يحمل على ألف بعير ثم رؤى ثقله فى زنبيل وفيه أدوية لعلته تنقل من مكان الى مكان ورؤى ثقل الحسن بن سهل فى زنبيل فيه نعلان وقيصان واصطرلاب ثم رؤى

ثقله

ثقله على ألف بعير (قال بعضهم)

هى المقادير تجرى فى أعنتها * فاصبر فليس لها صبر على حال
يوما تريش خسيس الحال ترفعه * الى السماك وطورا تخفض العالى

(وتغير) أبو جعفر المنصور على وزيره أبو أيوب المرزبانى فقال

ألا ليتنى لم ألق ما قد لقيته * وكنت بأدنى عيشة الناس راضيا
رأيت علو المرء يدعو انحطاطه * ويضحى وسيط الحال من كان ناجيا

ولهذا قيل الفقر مع الامن خير من الغنى مع الخوف (وقال) بعضهم مسليا عن العطلة

لعمرك ما طول التعطل ضائر * ولا كل شغل فيه للمرء منفعه
اذا كانت الارزاق فى القرب والنوى * عليك سواء فاغتنم لذة الدعه
وان ضقت فاصبر يفرج الله ما ترى * ألا رب ضيق فى عواقبه سعه

(آخر)

كن بخمول النفوس قانع * لا تطلب الذكر فى المجامع
فلن يزال الفتى بخير * ما لم تشر نحوه الاصابع

(ابن مقلة يقول عند ما نكب)

زمان يمر وعيش يمر * ودهر يكر بما لا يسر
وحال يذوب وهم ينوب * ودنيا تناديك أن ليس حر

(آخر)

وأحسن ما استشعر المسلمو * ن عند النوائب حلم وصبر
ولله فى كل ما يأتنى * وأبلى به منه حمد وشكر

(سمع) أعرابى يقول هذا غنى لولا أنه فناء وعلا لولا أنه بلاء وبقاء لولا أنه شقاء وقيل لابن الجهم بعد ما صودر ما تفكر فى زوال نعمتك قال لا بد من الزوال فلان تزول وأبقى خير من أن أزول وتبقى (وقيل لاعرابى) صف لنا الدهر فقال الدهر سلوب لما وهب وهوب لما سلب كالصبى اذا لعب

(الباب الثالث فى العقل وفيه ثلاثة فصول)

(الفصل الاول من هذا الباب)

فى مدح العقل وفضله وشرف مكتسبه ونبله

(قال الله تعالى) ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد (سئل) الحسن بن سهل ما حد العقل فقال الوقوف عند الاشياء قولا وفعلا (وسئل) آخر فقال الاصابة بالظنون والتلمح فيما كان وما يكون ومراده فى القسم الثانى التجربة (وقالوا) هو درك الاشياء على ما هى عليه من حقيقة معانيها وصحة مبانيها (وقيل لحكيم) ما مقدار العقل فقال ما لم ير كاملا فى أحد فلا يعرف له مقدار (وقالوا) لكل شئ غاية وحد والعقل لا غاية له ولا حد ولكن الناس يتفاوتون فيه كتفاوت الازهار فى الرائحة والطيب (واختلف الحكماء أيضا فى ماهيته كما اختلفوا فى حده فقال بعضهم هو نور وضعه الله طبعا وغرزه فى القلب كالنور فى العين وهو البصر فالعقل نور فى القلب والبصر نور فى العين وهو ينقص ويزيد ويذهب ويعود وكما يدرك بالبصر شواهد الامور كذلك يدرك بنور العقل كثير من المحجوب والمستور وعمى القلب كعمى البصر قال الله تعالى فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور وقال النبى صلى الله عليه وسلم ليس الاعمى من عمى بصره ولكن الاعمى من عميت بصيرته (وقال بعض الحكماء) العقل غريزة لا يقدر أحد ان يصفها فى نفسه ولا فى غيره ولا يعرف الا بالاقوال والافعال الدالة عليه وعلى كل حال فلا سبيل أن يوصف بجسم ولا لون ولا عرض ولا طول (وقال العتبى) واسمه عبد الله بن عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبة بن أبى سفيان العقل عقلان عقل تفرد الله بصنعه وهو الاصل وعقل يستفيده المرء بأدبه وهو الفرع فاذا اجتمعا قوى كل واحد منهما صاحبه تقوية النار فى الظلمة البصر أخذه من هذه الابيات وتنسب الى أمير المؤمنين على كرم الله وجهه ورضى عنه

رأيت العقل عقلين * فمطبوع ومسموع
ولا ينفع مسموع * اذا لم يك مطبوع
كما لا تنفع الشمس * وضوء العين ممنوع

ويفهم من فحوى ما ذكرناه أن العقل فى القلب وهذا القول هو الموجود بصحة النظر والمعلوم من جهة الاثر (قال) الله تعالى أفلم يسيروا فى الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فانها لا تعمى الابصار

ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور (وروى) عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال العقل فى القلب به يفرق بين الحق والباطل (وقال) بعضهم هو فى الدماغ واليه ذهب أبو حنيفة وأصحابه (وقال) عمرو بن العاصى يثغر الغلام لسبع ويحتلم لاربع عشرة وينتهى طوله لاحدى وعشرين وينتهى عقله لثمان وعشرين ويبلغ أشده لخمس وثلاثين ومابعد ذلك تجارب وقال بعضهم * كل شئ مفتقر الى العقل والعقل مفتقر الى التجارب وقال بعضهم من طال عمره نقصت قوة بدنه وزادت قوة عقله (وقال) بعض الحكماء أربعة تحتاج الى أربع الحسب الى الادب والسرور الى الامن والقرابة الى المودة والعقل الى التجربة (ويقال) هرم السن شباب العقل وقال البستى

ما استقامت قناة رأيى الا * بعد ما عوج المشيب قناتى

(ما اخترناه من محاسن الكلم واسناها فى أن العقل أشرف المواهب وأسماها)

قال ابن عباس رضى الله عنه دخلت على عائشة رضى الله عنها فقلت لها ياأم المؤمنين أرأيت الرجل يقل قيامه ويكثر رقاده والآخر يكثر قيامه ويقل رقاده أيهما أحب اليك قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سألتنى فقال لى أحسنهما عقلا قلت يارسول الله انما سألتك عن عبادتهما فقال ياعائشة انهما لايسألان عن عبادتهما انما يسألان عن عقولهما فمن كان أعقل كان أفضل فى الدنيا والآخرة (وروى) عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال الجنة مائة درجة تسعة وتسعون منها لاهل العقل وواحدة لسائر الناس (وروى) البراء بن عازب أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لكل شئ وثيقة ومحجة واضحة وأوثق الناس مطية وأحسنهم دلالة ومعرفة بالحجة الواضحة أفضلهم عقلا (وقال) بزرجمهر الانسان صورة فيها عقل فان أخطأه العقل ولزمته الصورة فليس بانسان قال المتنبى

لولا العقول لكان أدنى ضيغم * أدنى الى شرف من الانسان

(وقال) الحسن بن على رضى الله عنهما انى لاعجب ممن رزق العقل كيف يسأل الله معه شيأ آخر (وقالت) عائشة رضى الله عنها أفلح من جعل الله له

عقلا (وقال مطرف) ما أوتى العبد بعد الايمان بالله تعالى أفضل من العقل ويقال ما تم دين امرئ حتى يتم عقله وما استودع الله رجلا عقلا الا استنقذه به يوما ما (وقال الاصمعى) لو صور العقل لاضاء معه الليل ولو صور الجهل لاظلم معه النهار (وقال بزرجمهر) العقل كالمسك ان خبأته عبق وان بعته نفق (وقالوا) كل شئ اذا كثر رخص الا العقل فانه اذا كثر غلا ولو بيع لما اشتراه الا العقلاء لمعرفتهم بفضله (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل داء دواء ودواء القلب العقل ولكل حرث بذر وبذر الآخرة العقل ولكل شئ فسطاط وفسطاط الابرار العقل (ويقال) العقل وزير رشيد وظهير سعيد من أطاعه نجاه ومن عصاه أرداه وقال بعضهم يصف العقل

لله در العقل من رائد * وصاحب فى العسر واليسر
وحاكم يقضى على غائب * قضية الشاهد للامر
وان شاء فى بعض أحواله * أن يفصل الخير من الشر
فذو قوى قد خصه ربه * بخالص التقديس والطهر

(آخر)

العقل حلة فخر من تسربلها * كانت له نسبا تغنى عن النسب
والعقل أفضل ما فى الناس كلهم * بالعقل ينجو الفتى من حومة الطلب

(ومن قولهم فى أن من وهب الله له عقلا كسى من المناقب حلة لا تبلى)

قال أبو هريرة رضى الله عنه لو ازددت كل يوم مثقال ذرة من عقل ما باليت ما فاتنى من أنواع التطوع (وقال وهب) مثل العقلاء فى الدنيا مثل الليل والنهار لا تقوم الدنيا الا بهما فكذلك المرء فى الدنيا لاحظ له الا اذا كان عاقلا (وقيل لأنوشروان) أى الناس أولى بالسعادة قال أنقصهم ذنوبا قيل نحن أنقصهم ذنوبا قال أتمهم عقلا (وقالوا) اذا كان العقل فى النفس اللئيمة كان بمنزلة الشجرة الكريمة فى الارض الذميمة ينتفع بثمرها على خبث المغرس فاجتن ثمر العقل وان أتاك من لئام الانفس (والى هذا) أشار أمير المؤمنين على رضى الله عنه فى قوله لولده الحسن رضى الله عنه خذ الحكمة أنى أتتك فان الحكمة تكون فى صدر المنافق فلا تزال تختلج فى صدره حتى تخرج فتسكن الى صاحبها (وقال) سعيد بن جبير لم تر عيناى

أفضل من فضل عقل يتردى به الرجل ان انكسر جبره وان صرع انعشه وان ذل أعزه وان اعوج أقامه وان عثر أقاله وان افتقر أغناه وان عرى كساه وان غوى أرشده وان خاف أمنه وان حزن أفرحه وان تكلم صدقه وان أقام بين ظهرانى قوم اغتبطوا به وان غاب عنهم أسفوا عليه وان بسط يده قالوا جواد وان قبضها قالوا مقتصد وان أشار قالوا عالم وان صام قالوا مجتهد وان أفطر قالوا معذور قال الشاعر

وأفضل قسم الله للمرء عقله * فليس من الخيرات شئ يقاربه
يزين الفتى فى الناس صحة عقله * وان كان محظورا عليه مكاسبه
وشين الفتى فى الناس قلة عقله * وان كرمت أعراقه ومناسبه
اذا أكمل الرحمن للمرء عقله * فقد كملت أخلاقه وماربه

(آخر)

ماوهب الله لامرئ هبة * أشرف من عقله ومن أدبه
هما حياة الفتى فان عدما * فان فقد الحياة أجمل به

(اخر)

يعد رفيع القوم من كان عاقلا * وان لم يكن فى قومه بحسيب
وان حل أرضا عاش فيها بعقله * وما عاقل فى بلدة بغريب

(وقال طاوس) ماقلادة نظمت من در وياقوت بأزين لصاحبها من العقل ولو ناصح المرء عقله لاراه مايزينه مما يشينه فالمغبون من أخطأ حظه من العقل

(ماأثبتناه من الكلام الرائع الرائق فيما يمتاز به العاقل من المائق)

قال بعض أهل العلم ان آدم عليه السلام لما أهبط الى الارض أتاه جبريل عليه السلام بثلاثة أشياء بالدين والعقل وحسن الخلق وقال ان الله يخيرك واحدا من هذه الثلاثة فقال ياجبريل مارأيت أحسن من هؤلاء فى الجنة ثم مد يده الى العقل وقال لذينك اصعدا قالا لانصعد قال أتعصيانى قالا لانعصيك ولكنا أمرنا ان نكون مع العقل حيث كان (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم للعاقل عشر خصال يعرف بها يحلم عمن ظلمه ويتواضع لمن دونه ويسابق الى بر من هو فوقه وينتهز الفرصة اذا أمكنته لايفارقه

الخوف ولا يصحبه العنف يتدبر ثم يتكلم فاذا تكلم غنم واذا سكت سلم واذا اعترضت له فتنة اعتصم بالله * وقال أبو عبادة مادحا

غريب السجايا ما تزال عقولنا * مدلهمة فى خلة من خلاله
عداه الحجى فى عنفوان شبابه * واقبل كهلا قبل حين اكتهاله

(وقالوا) من علامة العاقل ثلاثة تقوى الله وصدق الحديث وترك مالا يعنى (وفى) حكمة داود على العاقل أن يكون عالما باهل زمانه مالكا للسانه مقبلا على شانه (وقال) بعض الحكماء أربعة تدل على صحة العقل حب العلم وحسن الحلم وصحة الجواب وكثرة الصواب (وقالوا) ان أردت أن تعرف عقل الرجل فى مجلس واحد فحدثه فى خلال حديثك بما لا يكون فان أنكر فهو عاقل وان صدق فهو أحمق (وقالوا) لا تجد العاقل يحدث من يخاف تكذيبه ولا يسأل من يخاف منعه ولا يعد بما لا يستطاع انجازه (وقال) لقمان لابنه لا يتم عقل امرئ حتى يكون فيه عشر خصال يكون الكبر منه مأمونا والرشد فيه مأمولا وفضل ماله به مبذولا لا يصيب من الدنيا الا القوت التواضع أحب اليه من الشرف والذل أحب اليه من العز لا يسأم من طلب المعالى ولا يتبرم بطلب الحوائج اليه يستكثر قليل المعروف من غيره ويستقل كثيره من نفسه وأن يرى جميع أهل الدنيا خيرا منه وانه شر منهم وهذه الخصلة تشيد مجده وتكبت ضده وتعلى قدره وتطيب فى العالمين ذكره (وقالوا) العاقل اذا والى بذل فى المودة نصره واذا عادى رفع عن الظلم قدره فيستعين مواليه بعقله ويعتصم معاديه بعدله (وقال) المهلب بن أبى صفرة واسمه ظالم بن سراقة يعجبنى ان أرى عقل الرجل زائدا على لسانه ولا يعجبنى أن أرى لسانه زائدا على عقله (وقالوا) زيادة العقل على اللسان فضيلة وزيادة اللسان على العقل رذيلة والله أعلم

شوارد مجموعة فى احتياج ذوى العقل والحلم الى اكتساب فضيلتى الادب والعلم

(أما الادب) فقال بزرجمهر العقل يحتاج الى مادة الأدب كما تحتاج الابدان الى قوتها من الاطعمة (وقالوا) عقل بلا أدب فقر وأدب بلا عقل حتف (وقالوا) عقل بلا ادب كشجاع بلا سلاح (وقالوا) لا عقل الا بأدب

ولا

ولا أدب الا بعقل (وقال افلاطن) عقل بلا أدب كالشجرة العاقر والعقل مع الادب كالشجرة المثمرة (وقال بزرجمهر) الادب صورة العقل فحسن صورة عقلك كيف شئت (ابن المقفع) كما أن الادب لا يكمل الا بالعقل فكذلك لا يكمل العقل الا بالادب * وقالوا احرص أن لا يكون أدبك أغزر من عقلك فان من زاد أدبه على عقله كان كالراعى الضعيف فى الغنم الكثيرة * ويقال أدبوا أولادكم صغارا تقر أعينكم بهم كبارا (شاعر)

قد ينفع الادب الاحداث فى صغر * وليس ينفع بعد الكبرة الادب
ان الغصون اذا قومتها اعتدلت * ولن تلين اذا قومتها الخشب

(وقال) عبد الملك بن مروان لاعب ولدك سبعا وأدبه سبعا واستصحبه سبعا فان أفلح والا فألق حبله على غاربه ولا عبرة بقول من قال

قولا لمن ينصح ابناله * يردد القول لتهذيبه
ضيع الوقت بلا طائل * فيكثر القول ويهزى به
لـه الى الله وتدبيره * ثم الى الدهر وتجريبه
فانما الاقدار لابد أن * تأتى بما خط وتجرى به

فليس كما قال فانما الهمل فى الامهال ولا عذر له فى الاهمال وعود الصبا أبدا آمنا ان يحتاج الى الشفيف وطيش الشباب سريع الحراك فلا غناء له عن التوقيف (ويحكى) أن أبا الاسود الدؤلى كان له ولد فترك الصلاة يوما ومضى يلعب بالكلاب مع الصبيان فكتب الى مؤدبه رقعة وأرسلها معه مختومة يقول فيها

ترك الصلاة لاكلب يسعى بها * نحو الفراش مع الغواة الارجس
فليأتينك غاديا بصحيفة * كتبت كمثل صحيفة المتلمس
فاذا أتاك معذرا بملامة * فعظنه موعظة اللبيب الاكيس
واذا هممت بضربه فبدرة * واذا بلغت به ثلاثا فاحبس
واعلم بأنك مافعلت فنفسه * مع ماتجرعنى أعز الانفس

(وأما العلم) فقدره كبير وفضله كثير ويكفى فى شرفه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خير سليمان بين الملك والمال والعلم فاختار العلم فأعطى الملك والمال لاختياره العلم (قال) بعض الحكماء اذا اجتمع العقل والعلم فى رجل

فقد استطاب المحيا وسما الى الدرجة العليا وجمع الآخرة والدنيا (وقالوا) العلم أفضل مكتسب وأكرم منتسب وأشرف ذخيرة تقتنى وأطيب ثمرة تجتنى وبه يتوصل الى معرفة الحقائق ويتوصل الى رضا الخالق وهو أفضل نتائج العقل وأعلاها وأكرم فروعه وأزكاها لايضيع أبدا صاحبه ولا يفتقر كاسبه ولا يخيب طالبه ولا تنحط مراتبه (وقال) معاذ بن جبل تعلموا العلم فان تعليمه لله خشية وطلبه عبادة ومدارسته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه لمن لايعلمه صدقة وهو الانيس فى الوحشة والصاحب فى الغربة والوزير عند الخلاء والقريب بين الغرباء (شاعر)

أجل مايبتغى يوما ويكتسب * ويجتنى من حلا الدنيا وينتخب
علم شريف عميم النفع قد رفعت * لحامليه بآفاق العلا رتب
ان عاش عاش جميلا ساميا أبدا * لايستضام ولا يبنى فيجتنب
وان تمت فثناء شائع حسن * وبعده رحمة ترجى وترتقب

(آخر)

العلم أعلى من الاموال منزلة * لانه حافظ والمال محفوظ

(وقالوا) العلم عز لايبلى جديده وكنز لايفنى مزيده (وقال) ابن المقفع تعلموا العلم فان كنتم ملوكا فقتم وان كنتم أوساطا سدتم وان كنتم سوقة عشتم (وقالوا) لولم يكن من شرف العلم الا أن الملوك حكام على الناس والعلماء حكام على الملوك لكفى بذلك شرفا (وقال بعضهم)

العلم فيه جلالة ومهابة * والعلم أنفع من كنوز الجوهر
تفنى الكنوز على الزمان وصرفه * والعلم يبقى باقيات الاعصر

(ويحتاج) طالب العلم الى ستة أشياء فراغ وجده وجد واستاذ وطول عمر ومعونة من الله تعالى وهذا املاكها الذى لابد منه ولا غناء لاحد عنه (نظم ذلك الشاعر فقال)

أصخ لى فليس العلم الا بستة * سأنبيك عن مجموعها ببيان
ذكاء وحرص واجتهاد وبلغة * وارشاد استاذ وطول زمان

(وقالوا) العلم ميت يحييه الطلب فاذا حيى فهو ضعيف يقويه الدرس فاذا قوى بالدرس فهو محتجب تظهره المناظرة فاذا ظهر فهو عقيم نتاجه العمل

شاعر

(شاعر)

العلم من شرطه لمن خدمه * أن يجعل الناس كلهم خدمه
وواجب حفظه عليه كما * يحفظ ما عاش ماله ودمه
ومن حوى العلم ثم أودعه * غير محب له فقد ظلمه
وكان كالمبتنى البناء اذا * تم له ما أراده هدمه

(الفصل الثانى من الباب الثالث)
(فى ذكر الفعل الرشيد الدال على العقل المشيد)

(قالوا) العقل أصل لكل محمود من الاخلاق فاذا عدم الاصل فلا بقاء للفرع مع عدم الاصل (وقيل) للحسن بن على رضى الله عنهما متى يكون العاقل عاقلا قال اذا عقله عقله عما لا ينبغى فهو عاقل (وقال) على بن عبيدة الريحانى العقل ملك والخصال الحسنة رعيته فاذا ضعف عن القيام عليها وصل الخلل اليها (وقال) بعض الحكماء الملائكة روح وعقل والبهائم نفس وهوى والانسان يجمع الكل ابتلاء فان غلب الروح والعقل على النفس والهوى فضل الملائكة وان غلبت النفس والهوى على الروح والعقل فضلت البهائم فالعاقل من ذاد عن مراتع الهوى نفسه وكفها عن شهوات تقرب اليه رمسه (قال) رسول الله صلى الله عليه وسلم حبك الشئ يعمى ويصم * وقالوا الهوى خادع للالباب صارف عن الصواب صاحبه أعمى مبصر أصم سميع (وقالوا) الهوى أشأم دليل وألأم خليل وأغشم وال وأغش موال يكذب العيان ويقلب الاعيان ويجلب الهوان * وقال أبو بكر بن دريد

وآفة العقل الهوى فمن علا * على هواه عقله فقد نجا

(وقال) بعض الصالحين الهوى مركب ذميم يسير بك فى مضلات الفتن ومرتع وخيم يقعدك فى مواطن المحن ويعلقك فى حبائل الاحن ويقال من كان لعنان هواه أملك كان لطرق الرشاد أسلك * ويقال بغلبة سلطان العقل على الهوى ينال السودد وقال شاعر

واعلم بأنك لن تسود ولن ترى * طرق الرشاد اذا اتبعت هواكا

(آخر)

اذا أنت لم تعص الهوى قادك الهوى * الى كل ما فيه عليك مقال

(ويقال) عبد الهوى أذل من عبد الرق * وقالوا أعقل الناس من عصى مراده ولم يعط الهوى قياده (شاعر)

ان الردى تبع الهوى * ومن الهوى حلو ومر
اقنع بعيشك ترضه * واملك هواك وأنت حر

(وقال على بن الحسين المغربى)

ما للمطيع هواه * من الملام ملاذ
فاختر لنفسك اما * عرض واما التذاذ

* وقال حكيم لولده اعص هواك وأطع من شئت

(قال بعضهم)

اذا ما رأيت المرء يقتاده الهوى * فقد ثكلته عند ذاك ثواكله
وقد أشمت الاعداء حقا بنفسه * وقد وجدت فيه مقالا عواذله

(آخر وأجاد)

اذا ما دعتك النفس يوما لشهوة * وكان عليها للحرام طريق
فخالف هواها ما استطعت فانما * هواها عدو والخلاف صديق

(وقالوا) كم من عقل أسير عند هوى أمير (شاعر)

وعاص الهوى المردى فكم من محلق * الى النجم لما أن أطاع الهوى هوى

(ولبعضهم)

وما يزع النفس اللجوج عن الهوى * من الناس الا حازم الرأى كامله

(وقالوا) أعدل الناس من أنصف عقله من هواه ومنع نفسه مما يكون سببا لبلواه ولحظ الاشياء بعين فكره واضماره فعلم من ورود الامور عاقبة ايراده واصداره فيحسن بافعاله حمد الاوداء ويأمن فى ماله كيد الاعداء كما حكى أن نصيبا دخل على عبد الملك بن مروان فتغدى معه فلما رأى عبد الملك ظرفه وأدبه قال له هل لك فيما تنادم عليه قال يا أمير المؤمنين لونى حائل وشعرى مغلغل وخلقى مشوه ووجهى قبيح ولم أبلغ ما بلغت من اكرامك اياى لا لشرف أب ولا لكرم أم وانما بلغته بعقلى ولسانى فأنشدك الله يا أمير المؤمنين أن لا تحول بينى وبين ما بلغت به هذه المنزلة عندك فأعفاه وما أحسن قول تاج الدين الحبرازى مشيرا الى قول نصيب

أرى الكأس تذهب عقل الفتى * فيذهل عن كل مستمتع
ولولا ابتهاجى بكم لم أكن * لأشرب أكثر من أربع
وقالوا سرور فقلت السرور * بان تتركونى وعقلى معى

(وقال آخر)

رطلان لا أزداد فوقهما * فى الشرب ان حضروا وان وحدى
فليغتفر لى من ينادمنى * انى أحث عواقب الرشد
وأريد ما يقوى به بدنى * وأجانب الامر الذى يردى

وعلى ذكر ماينتج من شرب الخمر من زوال الذهن وذهاب العقل فحسن قول من قال الخمر مصباح السرور ولكنها مفتاح الشرور وقول أبى الفضل الميكالى

عيرتنى ترك المدام وقالت * هل جفاها من الرجال لبيب
هى تحت الظلام نور وفى الاكباد برد وفى الخدود لهيب
قلت يا هذه عدلت عن النصح وما للرشاد فيك نصيب
انها للستور هتك وفى الالباب فتك وفى المعاد ذنوب

(وقال) رجل لابنه وهو يتعاطى الشراب احذره فانه قىء فى شدقك أو سلح على عقبك أوحد فى ظهرك (وقال) الحصنكى ذاكرا لهذه العيوب

ونديم بت أعذله * ويرى عذلى من العبث
قلت ان الخمر مخبثة * قال حاشاها من الخبث
قلت منها القىء قال نعم * شرفت عن مخرج الحبث
قلت للازمات تشربها * قال طيب العيش فى الرفث

(وقريب من هذا) ما حكى ان الحجاج وفد على الوليد بن عبد الملك فلما كان بعد أيام وقد أخذا يتجاذبان أذيال المذاكرة فقال له الوليد هل لك فى الشراب قال يا أمير المؤمنين ليس محظورا مداخلة أمير المؤمنين ولكنى أمنع أهل عملى منه وأكره ان أخالف قول العبد الصالح لقومه وما أريد أن أخالفكم الى ما انهاكم عنه فاستحسن ذلك منه وأعفاه (وقال اسحق) ابن ابراهيم الموصلى دخلت على الهادى فقال غننى صوتا أطرب منه ولك حكمك فغنيته

وانى لتعرونى لذكراك هزة * كما انتفض العصفور بلله القطر

فقال أحسنت والله وضرب بيده الى دراعته فشق منها ذراعا فقال زدنى فغنيته

فياحبها زدنى جوى كل ليلة * ويا سلوة الاحباب موعدك الحشر

فقال أحسنت ثم ضرب بيده الى دراعته فشق منها ذراعا آخر فقال له زدنى فغنيته

هجرتك حتى قيل لا يعرف الهوى * وزرتك حتى قيل ليس له صبر

فقال أحسنت وشق باقى دراعته من شدة الطرب ثم رفع طرفه الى وقال لى تمن واحتكم فقلت أتمنى عين مروان قال اسحق فرأيته وقد دارت عيناه فى رأسه حتى خلتهما جمرتين ثم قال يا ابن اللخناء أتريد أن تشهرنى بهذا المجلس وتجعلنى سمرا وحديثا يقول الناس أطربه فوهبه عين مروان أما والله لولا بادرة جهلك التى غلبت على صحة عقلك لألحقتك بمن غبر من أهلك ثم أطرق اطراق الافعوان فرأيت ملك الملك بينى وبينه ينتظر أمره فى ثم رفع رأسه ودعا بابراهيم بن ذكوان وقال له خذ بيد هذا الجاهل وأدخله بيت المال فان أخذ ما فيه فدعه واياه قال اسحق فدخلت وأخذت ما يساوى عين مروان اضعافا (وما أحسن) ما قال بعض البلغاء يصف انسانا بصيرا بالعواقب فلان يعرف من مبادى الاحوال خواتيم الاعمال ومن صدور الامور اعجاز ما فى الصدور (وقال آخر) فلان يرى العواقب فى مرآة فكره فلا يشتبه عليه نفعه بضره * نادرة قيل لبعض المجانين هل لك فى الشراب فقال ان العاقل يشرب الخمر حتى يتشبه بى فأنا اذا شربته فبمن ذا أتشبه (واحسن منها) ما يحكى ان اعرابيا راود امرأة عن نفسها فأنعمت له فلما قعد بين شعبتيها قام عنها ولم يقض وطرا ولا عفى من غرضه أثرا فقالت له ياهناه ما الذى عراك وقد بلغت مناك فقال ان رجلا يبيع جنة عرضها السموات والارض باصبعين بين فخذيك لقليل الخبرة بالمساحة * والعاقل من اهتدى بمشورة نصحائه وكشف لهم عن مستور أغراضه وانحائه (قال الله تعالى) لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وشاورهم فى الامر فاذا عزمت فتوكل على الله فهذا الخطاب لمحمد صلى الله عليه وسلم ليعلم أصحابه ما فى المشورة من البركة

لا لحاجة

لا حاجة منه لرأيهم اذ هو المؤيد فى حركاته وسكناته بالوحى من ربه والمستغنى بما يلقى فى روعه من الرأى المصيب عن آراء صحبه (قال) الحسن البصرى ان الله عز وجل لم يأمر نبيه صلى الله عليه وسلم بمشورة أصحابه لحاجة به الى رأيهم وانما أراد أن يعرفهم ما بالمشورة من البركة (وقال) عليه الصلاة والسلام المشورة حصن من الندامة وأمن من الملامة (وقال) عمر بن الخطاب رضى الله عنه الرجال ثلاثة رجل ينظر فى الامور قبل أن تقع فيصدرها مصادرها ورجل متوكل لا يتأمل فاذا نزلت به نازلة شاور أصحاب الرأى وقبل قولهم ورجل حائر بائر لا يأتم رشدا ولا يطيع مرشدا * وقالوا مادة العقل من العقول كمادة الانهار من السيول (وقال) أمير المؤمنين على كرم الله وجهه نعم الموازرة المشاورة وبئس الاستعداد الاستبداد * وقال حكيم لولده يا بنى ان رأيك ان احتجت اليه وجدته نائما ووجدت هواك يقظان فاياك أن تستبد برأيك فيغلبك حينئذ هواك (وقالوا) الخطأ مع الاستشارة أحمد من الاصابة مع الاستبداد (ويقال) اذا استخار العبد ربه واستشار صديقه واجتهد رأيه فقد قضى ما عليه ويقضى الله فى أمره ما أحب * وقالوا من استغنى برأيه فقد خاطر بنفسه (وقالوا) عليك بالمشورة فانها تأمر بالتى هى أحسن وتهدى للتى هى أقوم * وقالوا لا تستبد بتدبيرك ولا تستخف بأميرك فمن استبد بتدبير زل ومن استخف بأميره ذل (وقالوا) من شاور الاخلاء أمن من كيد الاعداء * ومن أمثالهم زاحم بعود أودع (وقال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر من أبيات)

وان باب أمر عليك التوى * فشاور لبيبا ولا تعصه
وان ناصح منك يوما دنا * فلا تنأ عنه ولا تقصه

(ولآخر)

ان اللبيب اذا تفرق أمره * فتق الامور مناظرا ومشاورا
وأخو التكبر يستبد برأيه * وتراه يعتسف الامور مخاطرا

(بشار بن برد)

اذا بلغ الرأى المشورة فاستعن * برأى نصيح أو نصاحة حازم
ولا تجعل الشورى عليك غضاضة * فان الخوافى قوة للقوادم

وماخير كف أمسك الغل أختها * وماخير سيف لم يؤيد بقائم

(آخر)

لاتحقرن الرأى وهوموافق * حكم الصواب اذا بدا من ناقص

فالدر وهو أجل شئ يقتنى * ماحط رتبته هوان الغائص

(آخر)

شاور سواك اذا نابتك نائبة * يوما وان كنت من أهل المشورات

فالعين تلقى كفاحا مادنا ونأى * ولا ترى نفسها الا بمرآة

(آخر)

تأن وشاور فان الامو * ر منها مضىء ومستغمض

فرأيان أفضل من واحد * ورأى الثلاثة لا ينقض

(قال بزرجمهر) أفره الدواب لاغنى له عن السوط وأعقل النساء لاغنى لها عن الزوج وادهى الرجال لاغنى له عن المشورة

(فمن يعتمد عليه فى المشورة من تكون النفس بآرائه مسرورة)

(قالوا) لاتدخل فى مشورتك بخيلا فى عطاء فيقصر بك ولا جبانا فى حرب فيخوفك ولا حريصا فى بذل فيصدك فان البخل والجبن والحرص طبيعة واحدة يجمعها سوء الظن بالله (قيل) استشار زياد رجلا فقال حق المستشار أن يكون ذا عقل وافر واختبار متظاهر ولا أرانى كذلك

(قال الشاعر)

خصائص من تشاوره ثلاث * فخذ منها جميعا بالوثيقه

وداد خالص ووفور عقل * ومعرفة بحالك فى الحقيقه

فمن حصلت له هذى المعانى * فتابع رأيه والزم طريقه

(وقال آخر)

اذا الامر أشكل انفاذه * ولم تر منه سبيلا فسيحا

فشاور لامرك فى ستره * اخاك اللبيب الشفيق النصيحا

(آخر)

واذا الامور عليك يوما اشكلت * فاعمد لرأى أخ نصيح مرشد

واحفظ نصيحة من بدا لك وده * وبرأى أهل الخير جهدك فاهتد

(آخر)

فما كل ذى ودّ بمولیك نصحه * ولا كل مؤت نصحه بلبیب
ولكن اذا ما استجمعا عند واحد * فحق له من طاعة بنصیب

(وقال) الاحنف بن قیس لاتشاور المعزول فان رأیه مغلول * وقالوا لاتشاور الجائع حتی یشبع ولا العطشان حتی یروی ولا الاسیر حتی یطلق ولا المقلّ حتی یجد ولا الراغب حتی ینجح (وقال افلاطون) اذا استشارك عدوك فجرّد له النصیحة لانه قد خرج بالاستشارة من عداوتك الی موالاتك * ولما نوی ابن أبی مریم قاضی مرو أن یزوج ابنه استشار جاراً له مجوسیا فقال سبحان الله یستفتونك وأنت تستفتینی قال لابد أن تشیر علیّ فقال ان كسری رئیس الفرس كان یختار المال وقیصر رئیس الروم كان یختار الجمال ورئیس العرب كان یختار النسب ومحمد نبیكم كان یختار الدین فانظر بمن تقتدی (وقالوا) لاتشاور بخیلا فی صلة ولا جبانا فی حرب ولا شابا فی جاریة (وقال) بعض الحكماء علیكم بمشورة من حلب ضرع دهره ومرّت علیه صروف خیره وشره وبلغ من العمر أشده ومن التجربة أوری زنده ولذلك كانت العرب تقتدی برأی الشیوخ وتعتمد فی النوازل علی مشورة الكهول لما یوجد فیهم من اصالة الرأی واصابة الحدس وصحة النظر مع ما منحوا من حسن الاختبار وسمت الوقار * وقد عدل قوم عن هذا المرتع ونزعوا غیر هذا المنزع فجعلوا للشباب أیسر الاقسام من توقد الفطنة وأوفر السهام من نشاط النفس وقوة المنة فربما قصرت عن مقاومتهم الكهول ولجأت الیهم فی كثیر من تنقیح الفروع والاصول لتوفر غریزة العقل فیهم وحدة الخاطر التی ترشدهم الی الصواب وتهدیهم ولهذا قال الشاعر

رأیت العقل لم یكن انتهابا * ولا یقسم علی عدد السنینا
ولو أن السنین تقسمته * حوی الآباء أنصبة البنینا

(وكان بعض الحكماء) یقول علیكم بآراء الاحداث ومشورة الشبان لان لهم اذهانا تفل القواصل وتحطم الذوابل (وقالوا) آراء الشبان خضرة نضرة لم یهصر غصنها هرم ولا أذوی زهرها قدم ولا خبا من ذكائها بطول المدة ضرم

وقال الشاعر

عليكم بآراء الشباب فانها * نتائج مالم يبله قدم العهد
فروع ذكاء تستمد من النهى * بأنور فى الآراء من قمر السعد

(ومن) أحسن ماقيل فى مدح شاب غزير العقل كثير الفضل طاهر الفعل قول الشاعر

أدركت مافات الكهول من الحجا * فى عنفوان شبابك المستقبل
واذا أمرت فلا يقال لك اتئد * واذا قضيت فلا يقال لك اعدل

(وقيل) بل العاقل من أخذ بالاستبداد فى الامور وأجراها مختارا على حكم القضاء المقدور (قال المهلب بن أبى صفرة) لولم يكن فى الاستبداد بالرأى الاصون السر وتوفير العقل لوجب التمسك به (وقال بزرجمهر) أردت نصيحا أثق به فما وجدت غير فكرى واستضأت بنور الشمس والقمر فلم استضئ بشئ أضوأ من نور قلبى (وقال) على بن الحسين رضى الله عنهما الفكر مرآة ترى المؤمن سيآته فيقلع عنها وحسناته فيكثر منها فلا تقع مقرعة التقريع عليه ولا تنظر عين العواقب شزرا اليه (وقال) عبد الملك ابن صالح ما استشرت أحدا قط الا تكبر على وتصاغرت له ودخلته العزة ودخلتنى الذلة فعليك بالاستبداد فان صاحبه جليل فى العيون مهيب فى الصدور وانك متى استشرت تضعضع شانك ورجفت بك أركانك وماعز سلطان لم يغنه عقله عن عقول وزرائه وآراء نصحائه فاياك والمشورة وان ضاقت عليك المذاهب واشتبهت لديك المسالك وأنشد

فما كل ذى لب بمؤتيك نصحه * ولا كل مؤت نصحه بلبيب

(وقال) عبد الله بن طاهر ماحك ظهرى مثل ظفرى ولان أخطئ مع الاستبداد ألف خطأ أحب الى من أن أستشير فالحظ بعين النقص والتقصير

(وما أصدق قول القائل)

ليس احتيال ولا عقل ولا أدب * يجدى عليك اذا لم يسعد القدر
ولا توان ولا عجز يضر اذا * جاء القضاء بما فيه لك الخير

* وعلى المستبد أن يتروى فى رأيه فان أفضل الرأى ما أجادت الفكرة نقده واحكمت التروية عقده (وقالوا) كل رأى لم تتمخض به الفكرة ليلة كاملة

فهو

فهو مولود لغير تمام (شاعر)

اذا كنت ذا رأى فكن ذا اناءة * فان فساد الرأى أن تتعجلا
وما العجز الا أن تشاور عاجزا * وما الحزم الا أن تهم فتفعلا

(وقال شاعر فى مستبد)

ذهب الصواب برأيه فكأنما * آراؤه خلقت من التأييد
واذا دجا خطب تبلج رأيه * صبحا من التوفيق والتسديد

(وقالوا) فلان الخير معقود فى نواصى آرائه واليمن منقاد فى نواحى أنحائه فلان اذا ذكى سراج الفكر أضاء ظلام الامر (وقال ابن العميد) العاقل من استنتج فى كل أمر خاتمته وعلم من كل بدء عاقبته وطالع بقلبه من كل غصن ما يجنى منه ومن كل زرع ما يحصد عنه (ولله من قال) مادحا اصابة الرأى

وذو يقظات مستمر مريرها * اذا الدهر لاقاها اضمحلت نوائبه
بصير بأعقاب الامور كأنما * يخاطبه من كل أمر عواقبه
وأين يفر الحزم منه وانما * مرائى الامور المشكلات تجاربه

(وقال أبو عبادة البحترى فى سليمان بن عبد الله)

يريك بالظن ما فاق اليقين به * اذا تلبس دون الظن ايقان
كأن آراءه والحزم يتبعها * تريه كل خفى وهو اعلان
ما غاب عن عينه فالقلب يكلؤه * وان تنم عينه فالقلب يقظان

(ومنها)

يرى العواقب فى أثناء فكرته * كأن افكاره بالغيب كهان
لا فكرة منه الا تحتها عمل * كالدهر لا دورة الا لها شان

(وله)

يريك بالظن ما قال اليقين به * والشاهدان عليه العين والاثر
كأنه وزمام الدهر فى يده * يرى عواقب ما يأتى وما يذر

(آخر)

بديهته وفكرته سواء * اذا ما نابه الخطب الخطير
واحزم ما يكون الدهر يوما * اذا عجز المشاور والمشير

والعاقل من نصب من تحيله الحبائل واقتنص بها شوارد المطالب والوسائل

(قالوا) بالحيلة يستنزل الطير من جو السماء ويستخرج الحوت من جوف الماء (فمن المحكى في ذلك) ما ذكر ان رجلين وثبا على أحد مرازبة كسرى أنوشروان فقتلاه ولم يعرفا فخشى ان هو لم يقتلهما كان ذلك عارا عليه وعجزا ينسب اليه فقال في مجمع من الناس ان من قتل المرزبان لعظيم القدرة شديد البأس ولو ظهر لجازيناه بما يستحق ورفعناه على الناس فلما بلغهما كلامه ظهرا وأقرا فقال أنوشروان انى مجازيكما بما تستحقان فانه لا يكون جزاء من قتل سيده وغدر به الا القتل وأما رفعكما على الناس فانى أصلبكما على أطول جذع أجده ثم أمر ففعل بهما ذلك (واحسن منها) حيلة عملت على الاسكندر تخفى عليه الصواب في التخلص منها وهى ما حكى عنه أنه كان لا يدخل مدينة عنوة الا هدمها وقتل من فيها فقدم على مدينة كان فيها مؤدب له فخرج اليه فأعظمه وأكرمه وأكبره ثم قال له ما جاء بك قال أيها الملك ان أحق من زين لك أمرك وأعانك عليه لأنا وان أهل هذه المدينة أبوا طاعتك وطمعوا فيك لمكانى منك وأحب أن لا تشفعنى فيهم وأن تخالفنى في كل ما أسألك فيه من أمرهم فلما سمع الاسكندر مقالته ظن ذلك نصحا له وان غرض المعلم وافق غرضه وسر بذلك فلما رأى المعلم سروره طلب منه العهد على ذلك فعاهده فلما استوثق منه ذلك قال أيها الملك انى أرى من الرأى أن تهدم هذه المدينة وتقتل أهلها فقال الاسكندر لا سبيل الى ذلك ولا بد من مخالفتك قال فارتحل عنها اذا فارتحل (أمر) عمر بن الخطاب بقتل الهرمزان فشكا العطش فأتى باناء فيه ماء فلما تناوله أظهر رعشة في يده يوهم أنها من خوف فقال عمر لا بأس عليك حتى تشرب فرمى الاناء من يده فكسره فأمر عمر بقتله قال أوليس قد أعطيتنى الامان قال متى قال ألست قلت لا بأس عليك حتى تشرب ولم أشرب فقال عمر قاتله الله أخذ منا الامان ولم نشعر (ومن ظريف الحيل) ما حكى ان سلمان الفارسى خطب بنتا لعمر بن الخطاب رضى الله عنه فأجابه الى تزويجه فشق ذلك على ولده عبد الله وشكاه الى عمرو بن العاص فقال له أنا أرده عنك فقال ان رددته بما يكره غضب أمير المؤمنين فقال لك على أن أرده راضيا

ثم أتى سلمان فضرب بين كتفيه وقال هنيأ لك أبا عبد الله هذا أمير المؤمنين يتواضع بتزويجك بنته فالتفت اليه مغضبا وقال انى متواضع والله لا أتزوجها (وأسر) معاوية عمرو بن أوس الاودى وكان من أصحاب على يوم صفين فقدمه للقتل فقال لا تقتلنى فانك خالى فقال من أين أنا خالك ولم يكن بيننا وبين أود صهارة فقال ان أخبرتك يكن نافعى عندك قال نعم قال أليست أختك أم حبيبة زوجة النبى صلى الله عليه وسلم أم المؤمنين قال بلى قال فأنا ابنها وأنت أخوها فاستظرف قوله وخلى سبيله (وحاصر) سعد بن أبى وقاص حصن تيماء فطلب من فيه الامان فأجابهم الى ذلك فلما تسلمه قتل كل من فيه الا رجلا واحدا (وعزم معن بن زائدة) على قتل جماعة من الاسراء فلما مثلوا بين يديه قام أصغر القوم وقال أيها الامير أتقتل أسرائك وقد جاعوا وعطشوا فأمر لهم بطعام وشراب فلما أكلوا وشربوا قام اليه وقال أيها الامير أتقتل أضيافك فخلى عليهم وخلى سبيلهم * ولما قبض على ابن المقنع وكل به رجل يعذبه فى مال طلب منه فلما طال عليه ذلك وخشى على نفسه التلف اقترض من صاحب العذاب مائة ألف درهم فكان بعد ذلك يرفق به خوفا على ماله (واقتحم رجل) على الاحنف بن قيس مجلسه فلطمه فقال له ما حملك على ما فعلت فقال لطمنى رجل من تميم فأقسمت ان اقتص من سيدهم فقال له الاحنف لم تبر فى يمينك ولست بسيد تميم وانما سيدهم حارثة بن قدامة فذهب الرجل اليه فوجده بين قومه فلطمه فأمر بقطع يده فقطعت فيقال ما قطع يده الا الاحنف الذى جرأه على غيره ولم يؤدبه على فعله وان كانت هذه الحكاية ليست جارية على المعهود من حلم الاحنف فان النفوس الشريفة تأبى الاسترسال فى الاحتمال لما يحصل فى حقها من اهمال الجهال كما قال أبو تمام حبيب بن اوس الطائى معتذرا عمن أحوجه الذب عن سيادته الى الخروج عن عادته

اذا أحوجت ذا كرم تخطى * اليك ببعض أخلاق اللئام
وما خرق اللئيم وان تعدى * بأبلغ فيك من حقد الكرام

(ولى عبد الملك بن مروان) أخاه بشرا العراق وضم اليه روح بن زنباع فلما دخل العراق اغرى بالشراب وثقل عليه ابن زنباع فقال يوما من يحتال لى فيه فقال ثمامة الباهلى انا ثم صار الى دهليز روح وكتب على حائطه

ياروح من لزنابير محرّشة * اذا يقال لاهل المغرب الباغى
انّ الخليفة قد شالت نعامته * فاحتل لنفسك ياروح بن زنباع

فلما قرأه ما ظن الا أن بعض الجن كتبهما فعدا الى بشر فاستأذنه فى الرجوع الى الشام فامتنع بشر من الاذن له وجعل يسأله أن يقيم فأبى فأذن له فلما دخل على عبد الملك قال الحمد لله على سلامتك يا أمير المؤمنين قال وماذاك فأخبره الخبر فقال له سخر بك بشر وأهل العراق لما ثقلت عليهم فاحتالوا للراحة منك (وقدم قوم) غريما لهم الى قاض وادّعوا عليه بمال فصدقهم فأمره القاضى أن يدفع لكل ذى حق حقه فقال انّ لى ربعا وقد حان استغلاله فان رأوا أن يؤجلونى أياما حتى أستغله وأؤدّى اليهم حقوقهم فلا بأس فسألهم القاضى ذلك فقالوا والله ما نعلم له سبدا ولا لبدا فقال له القاضى اذهب فقد فلسك غرماؤك (وحكى) أنّ رجلا أراد الحج فأودع عند رجل مالا فلما رجع طلبه منه فجحده اياه فأتى اياسا القاضى فأخبره فقال له لا تعلم أحدا أنك جئتنى وعد الىّ بعد يومين ثم دعا اياس ذلك الرجل المودع عنده وقال له انه قد تحصل عندنا مال لأيتام وأريد دفعه اليك ليكون وديعة فى حرزك فحصن بيتك وانتخب أقواما ثقات يحملونه معك فرجع الرجل وأصلح منزله ثم دعا اياس صاحب المال وقال له انطلق الى صاحبك واطلب منه مالك وقل له ان أنت لم تردّه علىّ شكوتك للقاضى فذهب الرجل اليه وطلب منه المال فردّه عليه فأخبر الرجل اياسا بذلك فقال ربما كانت الحيلة وسيلة الى درك المطلوب ولم يعاود اياسا ذلك الرجل المودع عنده فيما وعده به

(والحازم من أضاف الى تاج رياسته عقودا من جواهر سياسته)

فانهم قالوا من طلب الرياسة فليصبر على مضض السياسة (ويقال) اذا صحت السياسة ثبتت الرياسة (وصف) أنوشروان سياسته فقال لم أهزل فى أمر ولا نهى ولم أخلف فى وعيد ولا وعد وأعاقب للذنب لا للغضب وأثيب للغنى لا للهوى فأودعت قلوب الرعية هيبة لا يشينها منهم هلع ومحبة لا يشوبها فيهم طمع وعممت بالقول وحذفت الفضول (وقال اردشير) لاصحابه وقد سعى عنده بانسان انما أملك الظواهر لا النيات وأحكم بالعدل لا بالرضا وأفحص عن الاعمال لا عن السرائر (ومن كلامه)

لاسلطان الا برجال ولا رجال الا بمال ولا مال الا بعمارة ولا عمارة الا بعدل (وقالت الحكماء) أسوس الملوك لرعيته من قاد أبدانها بقلوبها وقلوبها بخواطرها وخواطرها بأسبابها من الرغبة والرهبة (وقالوا) قلوب الرعية خزائن ملكها فما أودعها من شئ فليعلم أنه فيها (وقال بزرجمهر) العقل حديقة سياجها الشريعة والشريعة سلطان يجب لها الطاعة والطاعة سياسة يقوم بها الملك والملك راع يعضده الجيش والجيش أعوان يكفلهم المال والمال رزق تجمعه الرعية والرعية سواد يستعبدهم العدل والعدل أساس به قوام العالم (وقالوا) ينبغي للملك أن يتفقد أمر رعيته فى كل شهر وأمر خاصته فى كل يوم وأمر نفسه فى كل ساعة (وقال أبو منصور الثعالبى) اذا كان الملك واضح ميسم العدل فارش مهاد الفضل باسط جناح البر منبت نور المحبة ممتد ظل الهيبة مالك عنان السياسة فقد أرخ الزمان بحسن آثاره وشق على الملوك شق غباره (ومن كلام بعض البلغاء) خير الملوك من كفى وكف وعفا وعف (وقال الشاعر فى بعض ولاة بنى مروان)

اذا ما قضيتم ليلكم بمنامكم * وأفنيتم أيامكم بمدام
فمن ذا الذى يغشاكم فى ملمة * ومن ذا الذى يلقاكم بسلام
رضيتم من الدنيا بأيسر بلغة * بلثم غلام أو بشرب مدام
ألم تعلموا أن اللسان موكل * بمدح كرام أو بذم لئام

(ويقال) ينبغي للملك أن يعمل بخصال ثلاثة تأخير عقوبة المسىء وتعجيل ثواب المحسن والعمل بالاناة فيما يحدث له فان فى تأخير العقوبة امكان العفو وفى تعجيل ثواب المحسن المسارعة بالطاعة وفى الاناة انفساح الرأى واتضاح الصواب (وسأل المأمون) رسول الروم لما قدم عليه عن سيرة ملكهم فقال بذل عرفه وسل سيفه فاجتمعت عليه القلوب رغبة ولجأت اليه رهبة سهل النوال حزن النكال فالرجاء والخوف معقودان فى يده قال له فكيف حكمه قال يردع الظالم ويحنو على المظلوم فالرعية اثنان راض ومغتبط قال فكيف هيبته فيهم قال يتصور فى القلوب فتخشع له الابصار فقال له المأمون لله أبوك لقد أحسنت فيما وصفت (وما أحسن) قول معاوية

لمسلم بن زياد لما ولاه خراسان ان أباك كفاك أخاه عظيما وقد استكفيتك صغيرا فلا تتكلن على عذر منى فقد اتكلت على كفاية منك واياك منى قبل أن أقول اياى منك فان الظن اذا أخلف منى فيك أخلف منك فى وأنت فى أدنى حظك فاطلب أقصاه وقد أتعبك أبوك فلا تريحن نفسك (وقال أنوشروان) الناس ثلاث طبقات نسوسهم ثلاث سياسات طبقة هم خاصة الابرار نسوسهم بالعطف واللين والاحسان وطبقة هم خاصة الاشرار نسوسهم بالغلظة والعنف وطبقة هم العامة نسوسهم بالشدة واللين كيلا تخرجهم الشدة ولا يبطرهم اللين (وقال) عبد الله بن طاهر

اذا كنتم للناس أهل سياسة * فسوسوا كرام الناس بالرفق والبذل
وسوسوا لئام الناس بالذل يصلحوا * على الذل ان الذل أوفق للنذل

(وقال معاوية بن أبي سفيان) انى لا أضع سيفى حيث يكفينى سوطى ولا أضع سوطى حيث يكفينى لسانى ولو أن بينى و بين العامة شعرة لما انقطعت قيل له وكيف ذاك قال ان جذبوها أرخيتها وان أرخوها مددتها (وكان زياد) اذا ولى رجلا عملا قال له خذ عهدك وسر الى بلدك واعلم بأنك مصروف رأس سنتك وأنك تصير الى أربع خلال فاختر لنفسك ان وجدناك أمينا ضعيفا استبدلنا بك لضعفك وسلمتك من معرتنا أمانتك وان وجدناك قويا خائنا استعنا بقوتك وأحسنا على خيانتك أدبك وان جمعت علينا الجرمين جمعنا عليك المضرتين وان وجدناك قويا أمينا زدنا فى عملك ورفعنا ذكرك وأوطأنا عقبك (وقالوا) اذا كان للمحسن من الحق ما لا يقنعه وللمسىء من أليم العذاب ما يقمعه بذل المحسن النصح رغبة وانقاد المسىء الى الحق رهبة (ولا ينبغى) لاحد من الملوك أن يعدل عن قول أردشير بن بابك المستفاد منه والمستفاض عنه وهو قوله لبعض موابذته (اعلم) ان الملك والدين أخوان توأمان لا قوام لاحدهما الا بالآخر لان الدين هو أس الملك وعماده والملك هو قائم سيف الدين ونجاده ولابد للملك من أس ولابد للدين من حارس فان من لا حارس له ضائع ومن لا أس له مهدوم (واعلم) أنه يجب على الملك وعلى الرعية أن لا يكون للفراغ عندهم موضع فان التضييع فى فراغ الملك وفساد الملك من فراغ الرعية

(ويقال)

(ويقال) شيآن ان صلح أحدهما صلح الآخر السلطان والرعية (وقال المأمون) أسوس الملوك من ساس نفسه لرعيته فأسقط عنه مواقع حجتها وقطع مواقع حجته عنها (كان الرشيد) فى بعض غزواته فالح عليه الثلج ليلة فقال له بعض أصحابه يا أمير المؤمنين أما ترى ما نحن فيه من الجهد والنصب ووعثاء السفر والرعية قارة وادعة نائمة فقال اسكت فللرعية المنام وعلينا القيام ولابد للراعى من حراسة الرعية وتحمل الاذية واليه أشار بعض مداحه

غضبت لغضبتك الصوارم والقنا * لما نهضت لنصرة الاسلام
ناموا الى كنف بعد لك واسع * وسهرت تحرس غفلة النوام

والعاقل من شغله عيبه عن عيب من سواه
ولم يطع فى جواب السفيه أمير هواه

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وأنفق الفضل من ماله ورحم أهل الذلة والمسكنة وخالط أهل الفقه والحكمة (وقال عليه الصلاة والسلام) لا تتبعوا عورات المسلمين فان من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يوشك أن يفضحه ولو فى رحله (وقال اكثم بن صيفى) استرعيب أخيك لما تعلم من نفسك (وقالوا) أحمق الناس من أنكر من غيره ما هو مقيم عليه (قيل) للربيع بن خيثم مالك لا تعيب أحدا قال لست عن نفسى راضيا فاتفرغ لعيوب الناس ومذامهم (وقالوا) من أسرع الى الناس بما يكرهون قالوا فيه ما لا يعلمون ومن تتبع مساوى العباد فقد نحلهم عرضه قال الشاعر

لا تكشفن من مساوى الناس ماستروا * فيكشف الله سترا من مساويكا
واذكر محاسن ما فيهم اذا ذكروا * ولا تعب أحدا منهم بما فيكا

(وما أحسن قول القائل)

اذا شئت أن تحيا سليما من الاذى * ودينك موفور وعرضك صين
فلا ينتطق منك اللسان بسوأة * فللناس سوآت وللناس ألسن
وعينك ان أبدت اليك مساويا * لقوم فقل ياعين للناس أعين
فعاشر بانصاف وكن متوددا * ولا تلق الا بالتى هى أحسن

(وقالوا) فلان يصم أذنه عن الفحشاء ويخرس لسانه عن التكلم بها (وقال الشاعر يمدح)

غنيّ عن الفحشاء أمّا لسانه * فعف وأمّا طرفه فكليل

(آخر)

كريم له عينان عين عن الخنا * تنام وأخرى في المكارم تسهر

(آخر)

واذا أتوا خالي امرؤ بقبيحه * فأجبه بالاحسان والاجمال

(حكى) أن رجلا عاب رجلا عند المأمون فقال له المأمون قد استدللنا على كثرة عيوبك بما تذكر من عيوب الناس لان طالب العيوب انما يطلبها بقدر ما هي فيه لا بقدر ما فيه منها وقال الشاعر

أرى كل انسان يرى عيب غيره * ويعمى عن العيب الذي هو فيه
وما خير من تخفى عليه عيوبه * ويبدو له بالعيب عيب أخيه

(وقالت رابعة العدوية) الانسان اذا نصح لله في نفسه أطلعه الجبار على مساوي عمله فيتشاغل بها عن خلقه

(والعاقل من جعل اغضاءه عن المساوي حصنا اليه من ذم اللئام ياوي)

يقال ربما سخط العاقل فيبدي الرضا ويغضي عن مثل جمر الغضا (وقيل لبزرجمهر) من أعقل الناس قال من لم يجعل سمعه غرضا لسماع الفحشاء وكان الغالب عليه التغافل (وقال أبو بكر الصديق) رضي الله عنه من امتطى زمام التغافل ملك زمام المروأة (وقالوا) أشرف الكرم تغافلك عما تعلم (ويقال) التغافل من الكرام يمنحهم الاجلال والاكرام أنشد الباخرزي في الدمية لابي الفضل عبد الله بن محمد الحيري رحمه الله تعالى

يا من يعرّض بالخنا متوهما * جهلي به مهلا فانك جاهل
كم مرة أغضيت منك على قذى * لولا النهى لرأيت ما أنا فاعل

(آخر)

ويشتمني النذل اللئيم فلا أرى * كفوا العرضي عرضه فأجامله
أجرّ له ذيلي كأني غافل * أضاحكه طورا وطورا أخاتله

(وقيل) لبعضهم من العاقل قال الفطن المتغافل قال الشاعر

أعرض عن العوراء ان أسمعتها * واسكت كأنك غافل لم تسمع

ولبعضهم معرّ بابكرمه ومعرّفا بشيمه

وانى لاغضى عن أمور كثيره * ومن دونها قطع الحبيب المواصل

وأعرض حتى يحسب الناس أننى * جهلت الذى آتى ولست بجاهل

(آخر)

وأغضى عن العوراء حتى يقال لى * بأذنيه وقر عندها حين تنطق

حياء واكراما لعرض أصونه * ولاخير فى عرض يظل يمزق

(آخر)

دعى ملاحاة من هجانى * يانفس ان تغفلى تصانى

اذا حكيت البذا عليه * فما هجانى سوى لسانى

(وأما ماقيل فى التغاضى والاحتمال والكف عن جواب قبيح المقال)

(قالوا) أعقل الناس من لم يتجاوز الصمت فى عقوبة السفيه (وقال) بعض الحكماء السكوت عن السفيه جواب والاعراض عنه عقاب (قال الشاعر)

اذا نطق السفيه فلا تجبه * فخير من اجابته السكوت

فان جاوبته فرجت عنه * وان خليته كمدا يموت

(وقال بعضهم)

لاترجعنّ الى السفيه حكاية * الا جواب تحية حياكها

فمتى تحركه تحرك جيفة * تزداد نتنا ما أردت حراكها

(آخر)

أرى الكف عن شتم السفيه تكرما * أضرّ به من شتمه حين يشتم

(وقالوا) اذا سكت عن الجاهل فقد أوسعته جوابا وأوجعته عذابا (ويقال) ثلاثة لا ينتصفون من ثلاثة حليم من أحمق وبر من فاجر وشريف من دنىء (شاعر)

اذا أنت لم تعرض عن الجهل والخنا * أصبت حليما أو أصابك جاهل

فأصبحت اما نال عرضك جاهل * سفيه واما نلت مالا تحاول

(وقال بعض الاعراب يمدح قومه)

تخالهمو صما وعميا عن الخنا * وخرسا عن الفحشاء عند التهاجر
ومرضى اذا لوقوا حياء وعفة * وعند الحفاظ كالليوث الجواذر
لهم دل انصاف ولين تواضع * وعفو عن المولى وحسن تصابر
تخال بهم داء يخافون عاره * وما وصمهم الا اتقاء المعاذر

(والعاقل من قنع من الدنيا باليسير وحصل فيها من التقوى زاد المسير)

وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا فقال من صح فيها سقم ومن سقم فيها برم ومن افتقر فيها حزن ومن استغنى فيها فتن حلالها حساب وحرامها عقاب ومتشابهها عتاب من طلبها فاتته ومن قعد عنها أتته ومن بصر بها بصرته ومن نظر اليها أعمته (ووصف) ابن السماك الدنيا فقال من نال منها مات فيها ومن لم ينل منها مات عليها (ووصف) محمد بن تومر الدنيا فقال لحظة بين عدمين فيها شركاء متشاكسون (وقال حكيم) الدنيا تطلب لثلاثة أشياء للغنى وللعز وللراحة فمن قنع استغنى ومن زهد فيها عز ومن قل سعيه استراح (وقال) عيسى عليه السلام أنا الذى كببت الدنيا على وجهها وجلست على ظهرها فليس لى زوج تموت ولا دار تخرب (وقال) ابن السماك من جرعته الدنيا حلاوتها بميله اليها جرعته الآخرة مرارتها بتجافيه عنها (وقال) على رضى الله عنه الدنيا والآخرة كالمشرق والمغرب ان قربت من أحدهما بعدت عن الآخر (ويروى عنه) أنه قال الدنيا والآخرة ضرتان متى أرضيت احداهما أسخطت الاخرى ثم قال لابل أختان ولا يمكن الجمع بين الاختين (وقال) عليه الصلاة والسلام لدنياكم هذه أهون فى عينى من عراق جرو فى يد مجذوم (ويقال) عين الدهر تطرف بالمساوى والخلائق نيام بين أجفانها (وقال) بعض المستقيلين منها وأحسن

أف لدنيا ليست تواتينى * الا بنقضى لها عرى دينى
عينى لحينى تدير مقلتها * تريد ماساءها لتردينى

(مر) محمد بن واسع على قوم فسأل عنهم فقيل له هؤلاء الزهاد قال وما قدر الدنيا حتى يزهد فيها (وقال) على رضى الله عنه الدنيا جيفة فمن أرادها فليصبر على مخالطة الكلاب (وقال) منصور بن عمار الدنيا أولها بكاء وأوسطها عناء وآخرها فناء (وقال) لقمان لابنه يا بنى بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعا

ولا

ولا تبع آخرتك بدنياك فتخسرهما جميعا (وقال) الفضيل بن عياض لو عرضت على الدنيا بحذافيرها حلالا لا أحاسب عليها فى الآخرة لكنت أتقذرها كما يتقذر أحدكم الجيفة اذا مر بها أن تصيب ثوبه (وقال) جعل الخير كله فى بيت وجعل مفتاحه الزهد فى الدنيا (وقال) يوسف بن اسباط ان الدنيا لم تخلق لينظر اليها انما خلقت لينظر بها الى الآخرة (وقال) ابراهيم بن أدهم مساكين الاغنياء طلبوا الراحة فعدموها ووجدها الزهاد فلزموها

(ومن المنظوم فى ذلك)

تبا لطالب دنيا لا بقاء لها * كأنما هى فى تصريفها حلم
صفاؤها كدر سراؤها ضرر * أمانها غدر أنوارها ظلم
شبابها هرم راحاتها سقم * لذاتها ندم وجدانها عدم
لا يستفيق من الانكاد صاحبها * لو كان مامنحت ماضمنت ارم
تخل عنها ولا تركن لزهرتها * فانها نعم فى طيها نقم
واعمل لدار نعيم لا نفاد له * ولا يخاف به موت ولا هرم

(وقال بعض الزهاد وأحسن)

ومن يحمد الدنيا لشئ يسره * فسوف لعمرى عن قليل يلومها
اذا أدبرت كانت على المرء حسرة * وان أقبلت كانت كثيرا همومها

(آخر)

ياخاطب الدنيا الى نفسه * انته عن خطبتها تسلم
ان التى تخطب غرارة * قريبة العرس من المأتم

(وقال أحمد بن عبد ربه صاحب العقد)

الا انما الدنيا غضارة أيكة * اذا اخضر منها جانب جف جانب
هى الدار ما الآمال الا فجائع * عليها وما اللذات الا مصائب
فكم سخنت بالامس عين قريرة * وقرت عيون دمعها الآن ساكب
فلا تكتحل عيناك منها بعبرة * على ذاهب منها فانك ذاهب

(وذكرت) الدنيا عند الحسن البصرى فقال

الا انما الدنيا كأحلام نائم * وما خير عيش لا يكون بدائم
تأمل اذا حاولت بالامس لذة * فأفنيتها هل أنت الا كحالم

(آخر)

انما الدنيا كظل زائل * طلعت شمس عليه فاضمحل
كان فى دار سواها داره * عللته بالمنى ثم ارتحل

(آخر)

لعمرك ما الدنيا بدار اقامة * ولكنها دار انتقال لمن عقل
اذا رفعت حطت وان هى أحسنت * أساءت وان أعطت فأيامها دول

(آخر)

مزمومة بالهم مخطومة * سم زعاق سم اخلافها
ولم تزل تقتل ألافها * أف لقتالة ألافها

(و يقال) ليس الزاهد فى الدنيا من زهد فيها وقد أعرضت عنه وانبثت منه ولم تمكنه من متاعها وضاقت عليه مع اتساعها وهو مضطر الى ذلك لظهور عسرته ونفود يسرته وانما الزاهد فى الدنيا من أقبلت عليه وحشدت فوائدها اليه وحسنت له فى ذاتها وأمكنته من لذتها فأعرض عنها وزهد فيها (شاعر)

اذا المرء لم يزهد وقد جمعت له * ضروب من الدنيا فليس بزاهد

(ويروى) عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال انما الزاهد فى الدنيا من يكون بما فى يد الله أغنى منك بما فى يدك (وما أكثر انصاف من قال)

نراع بذكر الموت فى حال ذكره * ونعترض الدنيا فنلهو ونلعب
ونحن بنو الدنيا خلقنا لغيرها * وما كان منها فهو شئ محبب

(وقال بعض البلغاء) صاحب الدنيا ساكن راحل وأيامه مراحل وأنفاسه رواحل صاحب الدنيا بين فرحة وترحة وحبرة وعبرة صاحب الدنيا بين العسل والصاب والصحة والاوصاب (حكى) أن سليمان بن عبد الملك قال لعمر بن عبد العزيز وقد أعجبه سلطانه كيف ترى ما نحن فيه فقال عمر سرور لولا أنه غرور وحرم لولا أنه عدم وملك لولا أنه هلك وحياة لولا أنه موت ونعيم لولا أنه عذاب أليم فظهر فى وجه سليمان الكآبة من كلام عمر ولم ينتفع بنفسه بعد ذلك وتوفى سنة ثمان وتسعين وهو ابن خمس وأربعين سنة وكانت ولايته سنة ست وتسعين

الفصل الثالث من الباب الثالث
فى أن هفوات العقال لا يغضى عنها ولا تقال

(كما قيل)

لا يحقر الرجل الرفيع دقيقة * للسهو فيها للوضيع معاذر
ذو العلم يعسر أن تقال عثاره * وتقال عثرته الجهول العاثر

ولسليمان بن عبد الملك فيما قصدناه كلام هو النور اللائح والهادى الى الطريق الواضح (وهو قوله) السكوت عما يعنيك خير من الكلام فيما يضرك والسكوت عما لا يضرك خير من الكلام فيما لا يعنيك (وقال) عمر ابن الخطاب رضى الله عنه زلة الرجل تجبر وزلة اللسان لا تبقى ولا تذر (قال بعضهم)

يموت الفتى من عثرة من لسانه * وليس يموت المرء من عثرة الرجل

(وقالوا) طعن اللسان أنفذ من طعن السنان وجرح الكلام أصعب من وقع السهام (وقالوا) رب لسان أتى على انسان

* (ذكر من أرسل سهما من فيه فأصاب مقتله ولم يكد يخطيه) *

(حكى) أن رجلا من الفرس وقف الى شيرويه لما قتل ابرويز فقال الحمد لله الذى قتل ابرويز على يدك وملكك ما كنت أحق به منه وأراحنا من عتوه وكبره وتجبره وبخله وجهله فانه كان يأخذ بالاحنة ويقتل بالظنة ويخيف البرى ويذل السرى فلما سمع شيرويه كلامه قال للحاجب احمله الى فلما مثله بين يديه قال كم كان رزقك قال ألفين قال والآن قال ما زيد شيأ قال فما دعاك الى الوقوع فيه وانما ابتداء نعمتك من عنده ولم ترع له ذلك وأمر بنزع لسانه من قفاه (ولما) ظهر محمد بن عبد الله بن الحسن بن حسين بالمدينة فى أيام أبي جعفر المنصور دخل عليه سديف بن ميمون فأنشده أبياتا يحرضه فيها على اظهار الدعوة ويطعن فى دولة بنى العباس يقول فيها

انا لنأمل أن ترتد الفتنا * بعد التبعد والشحناء والاحن
وتنقضى دولة أحكام قادتها * فينا كأحكام قوم عابدى وثن
فانهض ببيعتكم ننهض ببيعتنا * ان الخلافة فيكم يا بنى حسن

فبلغت المنصور الابيات فكتب فيه الى عبد الصمد بن على وكان عامله على مكة

فأخذه وقطع يديه ورجليه وجدع أنفه فلم يمت فدفنه حيا (وكان) دعبل الخزاعى هجاء للملوك جسورا على أعراضهم متحاملا لا يبالى ما صنع حتى عرف بذلك واشتهر فصنع على لسانه بكر بن حماد الباهرى ممن كان دعبل يؤذيه ويهاجيه أبياتا يهجو فيها المعتصم وذكر قوم أنها له وهى

ملوك بنى العباس فى الكتب سبعة * ولم يأتنا عن ثامن لهم كتب
كذلك أهل الكهف فى الكهف سبعة * كرام اذا عدوا وثامنهم كلب
وما أنت عندى فى الوفاء ككلبهم * لانك ذو ذنب وما أذنب الكلب

فبلغت المعتصم الابيات فأمر بطلبه فهرب الى زويله بلد السودان بناحية المغرب فمات بها وقيل بالاهواز * وقيل لدعبل أنت القائل هذه الابيات قال لا والله ولكن من حشا الله قبره نارا يعنى ابراهيم بن المهدى اشاط بدمى لما هجوته بقولى فيه وهو خليفة

يا معشر الاعراب لا تقنطوا * خذوا عطاياكم ولا تسخطوا
فسوف نعطيكم شريجية * لا تدخل الكيس ولا تربط
والمعبديات لقوادكم * وما بهذا أحد يغبط
وهكذا يرزق أصحابه * خليفة مصحفه البربط

(وكان المعتصم) يلقب بالثمانى لانه اتفق له عدد الثمانية فى كثير من أموره ولد فى شهر شعبان وهو الثامن من شهور السنة وهى سنة ثمان وسبعين ومائة وهو ثامن بنى العباس مولدا وثامنهم ولاية وكانت خلافته ثمان سنين وثمانية أشهر وعمر ثمانا وأربعين وغزواته وفتوحاته ثمان وقتل ثمانية أعداء وخلف ثمان بنين وثمان بنات وترك ثمانمائة ألف دينار ومثلها دراهم الى غير ذلك من عدد الثمانية (رجع ما انقطع) * ذكر أبو القاسم الايادى أن جماعة من بنى أمية دخلوا على أبى العباس السفاح وفيهم الغمر بن هشام بن عبد الملك فألح اليه أبو العباس بالنظر فلما رأى الغمر ذلك منه أنشده

عبد شمس أبوك وهو أبونا * لا نناديك من مكان سحيق
والقرابات بيننا واشجات * محكمات العرى بعقد وثيق

فاعجبه ذلك منه وأجلسه معه على السرير وأقعد أصحابه يمينا وشمالا وقال

لهم انى أريد أن أخلطكم بنفسى واستخلصكم لها فشكروه على ذلك فبينما هم يتحدثون اذ دخل عليهم سديف فأنشد السفاح القصيدة التى أولها عمر الدين فاستبان مليا * حتى أتى على آخرها فقال السفاح يا ابن هشام كيف ترى شاعرنا فقال قولا مجللا لحينه وأرباب بنى أمية ان شاعرنا الاشعر من شاعركم وأكثر بيانا وأفصح لسانا فقال السفاح وما قال شاعركم فقال

لو تحمل البخت والافيال مثقلة * أحلامهم تركت عقرى الاباهير
لايعبثون اذا سحبت بحافلهم * زين المجالس فرسان المنابر

فاحمرت عينا السفاح وهاجت به حمة كانت فيه قد سكنت ثم ضرب على فخذ الغمر وقال

طمعت أمية أن تجاوز هاشما * عنها ويذهب زيدها وحسينها
كلا ورب محمد ومليكه * حتى يبيد كفورها وحرونها

ثم قال قوموا الى مقصورتكم ثم دعا بثلاثة وسبعين رجلا من أهل خراسان فاعطاهم الخشب وقال اشدخوهم فشدخوهم عن آخرهم قال سديف والله ماخرجت من الانبار حتى رأيتهم معلقين بعراقيبهم قد نهشت الكلاب رؤسهم (ولما) بنى زياد بيضاء البصرة وهى أول بناء بنى بالجص والآجر بالبصرة أمر أصحابه أن يسمعوا من أفواه الناس مايقولون فيها ويبلغوه ويأتوه بالقائل فأتى بانسان قيل انه لما رآها تلا قوله تعالى أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون فقال زياد ما حملك على هذا قال لم يكن أيها الامير هذا عن قصد وانما خطرت على قلبى فتلاها لسانى فقال والله لاعملن فيك بباقى الآية واذا بطشتم بطشتم جبارين وأمر به فبنى عليه ركن من أركانها (وكان) أحمد بن يوسف الكاتب كثير السقطات وكان يجالس المأمون وكان المأمون اذا تبخر لايستقصى البخور وتخرج المجمرة بما يبقى فيها فتوضع تحت الرجل والرجل من الجلساء اكراما لهم واعتناء بهم فجاءت النوبة يوما لاحمد بن يوسف فقال هاتوا المردود فسمعه المأمون فقال ألنا يقال هذا ونحن نجيز رجلا واحدا من خدمنا بعشرة آلاف درهم وأكثر ويحك انما قصدنا اكرامك أن أكون أنا وأنت اقتسمنا بخورا واحدا ولا يأبى الكرامة الا لئيم ثم أمر المأمون أن يطرح فى المجمرة ثلاث مثاقيل

من العنبر و يبخر بها أحمد ويدخل رأسه فى طوقه حتى ينفذ ريحها ففعل به ذلك وهو يستغيث فلا يغاث حتى احترق دماغه وقام من المجلس الى منزله فمات من ليلته

(وممن أسقط من العقلاء فى كلامه فكان سببا مؤكدا للومه وايلامه)

ذو الرمة فانه وصف لعبد الملك بن مروان ذكاؤه وجودة شعره فأحب أن يراه فأمر باحضاره فلما دخل عليه استنشده فأنشده قصيدته المذهبة وافتتحها بقوله

ما بال عينك منها الماء ينسكب * كأنه من كلا مفرية ينسرب

واتفق ان كانت عينا عبد الملك يسيلان دائما فظن أنه عرض به فغضب فقال له مالك يا ابن اللخناء ولهذا السؤال ثم قطع انشاده وأمر باخراجه فأقام حتى أذن للشعراء مرة ثانية فدخل معهم وقد غير ما قال أولا وأنشده

ما بال عيني منها الماء ينسكب * حتى انتهى الى قوله

كحلاء فى برج صفراء فى نعج * كأنها فضة قد مسها ذهب

فأجازه وأكرمه وقال له لو أنها قيلت فى الجاهلية لسجدت لها العرب (ودخل) أبو النجم الشاعر على هشام بن عبد الملك مع الشعراء فأنشده أرجوزته التى أولها * الحمد لله الوهوب المجزل * حتى انتهى الى قوله يصف الشمس * وهى على الافق كعين الاحول * ولم يقل الاحول وقطع انشاده وارتج عليه وعلم أنها زلة عاقل تخشى أن تكون غفلة جاهل لان هشاما كان أحول فقال له هشام ويلك أتمم البيت وأمر بوجء عنقه واخراجه من الرصافة (ولما مات عبد الملك بن مروان) وذلك فى النصف من شوال سنة ست وثمانين وكان عمره يومئذ ستين سنة وأياما وقيل اثنين وستين وكانت مدة خلافته احدى وعشرين سنة وأياما سجاه ابنه الوليد فأنشده هشام أخوه

فما كان قيس هلكه هلك واحد * ولكنه بنيان قوم تهدما

فلطمه الوليد على فيه وقال اسكت يا ابن الاشجعية فانك أحول أكشف تنطق بلسان شيطان (ودخل) جرير بن عطية الخطفى على عبد الملك بن مروان بعد ما منعه من الدخول عليه كراهة فيه وفى شعره فأنشد

أتصحو أم فؤادك غير صاح * عشية هم قومك بالرواح

فقال له بل فؤادك يا ابن المخناء فحصر جرير وخرج خائبا وفي هذه القصيدة يقول مادحا بما لم يأت أحد بمثله

ألستم خير من ركب المطايا * وأندى العالمين بطون راح

(خاصم رجلا) خالد بن أبي صفوان وكان قد كف بصره فترافعا الى بلال ابن أبي بردة وكان أمير الكوفة وقاضيها فقضى على خالد ثم مرّ به مركب بلال فسأل من هذا قالوا بلال فقام خالد وهو يقول

سحابة صيف عن قليل تقشع * فسمعه بلال فقال له والله لا تقشع حتى يصيبك منها شؤبوب برد ثم أمر به فضرب مائتي سوط وأمر بحبسه فقال له خالد علام تفعل بي هذا ولم أجن جناية فقال بلال يخبرك بذلك باب مصمت وأقياد ثقال وقيم يقال له حفص ثم ضرب الدهر ضربانه فنكب بلال بعد ذلك واحضره يوسف بن عمر الثقفي عامل هشام في قيوده وكان خالد جالسا عنده فقال له أيها الامير ان بلالا عدو الله ضربني وحبسني ولم أفارق جماعة ولا خلعت يدا من طاعة ثم التفت الى بلال وقال الحمد لله الذي أذل سلطانك وهد أركانك وأزال جمالك وغير حالك فوالله لقد كنت شديد الحجاب مستخفا بالشريف مظهر المعصية فقال بلال يا خالد انما استطلت عليّ بثلاث الامير عليك مقبل وعني معرض وأنت طليق وأنا عان وأنت في وطنك وأنا غريب فأفحمه

(ومن الهفوات الجارية مجرى التطير المؤذن لفظها بالزوال والتغير)

قال علوية كنت مع المأمون لما خرج الى الشأم فدخلنا دمشق وجعلنا نطوف فيها على قصور بني أمية فدخلنا قصرا من قصورها فوجدناه مفروشا بالرخام الاخضر كله وفيه بركة يدخلها الماء ويخرج منها وفيه روضة قد جمعت فيها أنواع الاشجار وفي القصر من أجناس الاطيار ما يغني صوتها عن العود والمزمار فاستحسن المأمون ما رأى وعزم على الصبوح فدعى بالطعام والشراب فأكلنا وشربنا ثم قال غنني بأطيب صوت والذه فلم يمر بخاطري غير هذا الصوت

لو كان حولي بنو أمية لم * ينطق رجال أراهم نطقوا

فنظر الي مغضبا وقال عليك وعلى بني أمية لعنة الله فعلمت اني قد أخطأت

فأخذت اعتذر من هفوتى وقلت يا أمير المؤمنين أتلومنى أن أذكر بنى أمية وزرياب عبدهم كان يركب فى مائتى غلام ومملوك له وملك ثلثمائة ألف دينار الى غير ذلك من الضياع والاثاث وأنا عبدكم أموت جوعا فقال ماوجدت شيأ تذكرنى به نفسك غير هذا ثم سكت ساعة وقال اعدل عن هذا وغنى بما اقترحت عليك فلم يحضرنى غير هذا الصوت

الحين ساق الى دمشق ولم * أرضى دمشق لاهلها وطنا

فرمانى بالقدح فاخطأنى وقال قم الى لعنة الله وحر سقره ثم قام وركب فكان آخر عهدى به حتى مات ومات المأمون لثلاث عشرة ليلة خلت من رجب سنة ثمان عشرة ومائتين وكانت خلافته منذ قتل الامين محمد عشرين سنة وأشهرا وله من العمر ثمان وأربعون سنة ومات المعتصم أيضا فى هذا العمر وكانت ولايته ثمان سنين وثمانية أشهر وكذلك عمر عبد الله بن طاهر وتوفى فى ربيع الاول سنة ثلاثين ومائتين وكانت مدة امارته بخراسان تسع عشرة سنة (ولما) فرغ المعتصم من بناء قصره بالميدان جلس فيه مع جمع من أعيان جلسائه وندمائه سرورا به فارأى الناس أحسن من ذلك اليوم فقام اسحق بن ابراهيم الموصلى وانشده قصيدة يهنئه فيها أولها

يادار غيرك البلى ومحاك * ياليت شعرى ماالذى أبلاك

فتطير المعتصم وتغامز الناس وعجبوا من بادرته وهفوته مع علمه وفهمه وطول خدمته للملوك وقام المعتصم من ذلك المجلس متطيرا فذكر أنه لم يعد اليه بعد (ومن قبيح ماوقع لابى نواس الذى اساء فيه أدبه وخالف به مذهبه) ماحكى أن جعفر بن يحيى البرمكى بنى دارا وتأنق فيها وانتقل اليها فدخل عليه أبونواس مع من دخل اليه من الشعراء اهنائها فأنشده

أدار البلى ان الخشوع لبادى * عليك وانى لم أخنك ودادى
فعذرة منى اليك بأن ترى * رهينة أرواح وصوت غوادى
ولا أدرأ الضراء عنك بحيلة * فما أنا منها قائل بسعادى
فان كنت مهجورا القناة فارمت * يدا الهجر عن قوس المنون فؤادى
فان كنت قد بدلت بؤسا بنعمة * فقد بدلت عينى قذى برقاد

وختمها بقوله

سلام على الدنيا اذا ما فقدتم * بنى برمك من رائحين وغاد

فتطير جعفر لها وأظهر الوجوم ثم قال نعيت الينا أنفسنا يا أبا نواس فلم تكن الامدة يسيرة حتى أوقع بهم الرشيد (وزعم بعض أهل التاريخ) ان أبا نواس قصد التشاؤم لهم لشئ كان فى صدره من الممدوح وسبب ذلك أن أبا نواس دخل عليه يوما فلم يهش له ولم يدن مجلسه وكلح فى وجهه ثم دخل مسلم بن الوليد فهش له وأدنى مجلسه وأقبل عليه فحمل أبا نواس واغراه الحسد فعمل هذه القصيدة على طريق التطير وقال المبرد فى الروضة ان أبا نواس عملها فى الفضل بن يحيى (وحكى الصابى فى كتاب الهفوات) أن شرف الملك أبا سعيد الوزير جلس يوم عيد والناس يدخلون عليه يهنؤنه ويمدحونه فأنشده أحد الشعراء من قصيدة يعاتبه

وأنت حصنى الذى ألوذ به * فماله قد تهدمت شرفه

فتطير من ذلك لمناسبة شرفه بشرف الملك فى لقبه ثم أنشد آخر قصيدة أولها

عقد الصيام بيوم الفطر محلول * فقدم الكاس فالقنديل معزول

فازداد تطيره وعجب الحاضرون من سوء ما اتفق فلما كان السابع من شوال قبض عليه

من استدرك هفوة لسانه من العقلاء ورد بالاعتذار عنه ما نزل به من البلاء

(يحكى) أن المنصور قال حججت سنة احدى وأربعين ومائة وأنا خليفة ماشيا النذر لزمنى فانفردت عن الناس فاذا أنا بأعمى كنت أعرفه يتردد الى مروان بن محمد فسلمت عليه وأخذت بيده فقال من أنت قلت رفيقك الى الشأم وأنت تريد مروان بن محمد فرد على السلام وأنشد

آمت نساء بنى أمية منهم * وبناتهم بمضيعة أيتام

نامت جدودهم وأسقط نجمهم * والنجم يسقط والجدود نيام

خلت المنابر والاسرة منهم * فعليهم حتى الممات سلام

فقلت له والغضب مستول على والرفق به مشير الى كم كان مروان أعطاك قال أغنانى حتى لا أسأل أحدا بعده أبدا ملكنى الغلمان والجوارى والمال والعقار قلت وأين ذاك قال بالبصرة قال المنصور فلولا أن حق الصحبة منعنى عنه كنت هممت به وشفيت نفسى منه فقلت له أتعرفنى قال ما أثبتك معرفة

ولا أنكرك من سوء قلت أنا المنصور فأسقط في يده ووقعت عليه الرعدة ثم قال يا أمير المؤمنين أقلني جبلت القلوب على حب من أحسن اليها فأقلته وانصرفت ثم طلبته بعد ذلك ليسامرني فلم أجده فكان البيداء أبادته قال أبو الفرج الاصفهاني وهذا الاعمى هو أبو العباس بن السائب بن فروخ من بني الليث وقيل من بني الديل بن بكر له في بني أمية مدائح أجزلوا له بها المنائح فمنها قوله

وكل خليفة وولي عهد * لكم يا آل مروان الفداء
امارتكم شفاء حيث كنتم * وبعض امارة الامراء داء
وكنتم تحسنون اذا ملكتم * وغيركم اذا ملكوا أساؤا
هم أرض لارجلكم وأنتم * لايديهم وأعينهم سماء

(ولى عمر) رضي الله عنه رجلا من قريش عملا فبلغه عنه أنه قال

اسقني شربة ألذ لديها * واسق بالله مثلها ابن هشام

فعزله فلما قدم عليه قال له أنت القائل وأنشده البيت قال نعم والقائل بعده

عسلا باردا بماء سحاب * انني لا أحب شرب المدام

فقال له عمر قاتلك الله كذا قلت ورده الى عمله (وأتى) عبد الملك بصلفة بن هبيرة الشيباني وكان ممن أخذ مع الخوارج فأمر بقتله وقال ألست القائل

ومنا سويد والبطين وقعنب * ومنا أمير المؤمنين شبيب

فقال يا أمير المؤمنين انما قلت أمير وفتح الراء فاستحسن ذلك منه وأطلقه (فانظر) الى حذق هذا الرجل سكن جأشا بحركة أمد عمره من أجلها بالبركة وذلك بفتح الراء من كلمة وجعل الهمزة حرف النداء والمنادى المضاف منصوب أبدا وقبل هذا البيت

ألا ابلغ أمير المؤمنين رسالة * وذو النصح ما ترعاه منك قريب
فانك الا ترض بكر بن وائل * يكن لك يوم بالعراق عصيب
فان يك منكم كان مروان وابنه * وعمرو ومنكم هاشم وحبيب

فمنا سويد البيت (وقال الحجاج) لعبد الرحمن بن أبي بكرة ما مالك قال لقد ختمت على ألف ألف درهم ثم ان عبد الرحمن بن أبي بكرة شعر بزلة لسانه وخاف غائلة الحجاج فتداركها مسرعا وقال ولقد أصبحت وما أملك الاخاتمي (وأتى المأمون)

برجل

برجل ادّعى النبوّة فقال له ما اسمك قال أنا أحمد النبى فقال له لقد ادعيت زورا ثم أمر به ليضرب فلما رأى الرجل الاعوان قد أحاطت به قال يا أمير المؤمنين أنا أحمد النبى فهل تذمّه أنت فتدارك المأمون ما بقى من رمق المنة بالمنة وأورى له زند المحبة بالمحنة وهذا الفن كثير لا يحصى ولا يعزو وجوده عند الاستقصا

(الباب الرابع فى الحمق وفيه ثلاثة فصول)

الفصل الاول من هذا الباب
فى ذم الجهالة والجنون * وما اشتملا عليه من الفنون

(قال) رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزوّجوا الحمقاء فان صحبتها بلاء وفى ولدها ضياع وفى حديث آخر لا تسترضعوا الحمقاء فانّ لبنها يغير الطباع (وقال) عمر رضى الله عنه لم يقم جنين فى بطن حمقاء تسعة أشهر الا خرج الولد مائقا (حدّ الحمق) قالوا هو قلة الاصابة ووضع الشئ فى غير الموضع الذى وضع له * وقيل هو فقدان ما يحمد من العاقل * وقيل لعمرو بن هبيرة ماحدّ الحمق قال لا حدّ له كالعقل (وقال) أبو يوسف الناس ثلاثة مجنون ونصف مجنون وعاقل فأمّا المجنون فأنت منه فى راحة لتركك الاختلاط به وأما نصف المجنون فأنت معه فى تعب لضرورتك اليه وأما العاقل فقد كفيت مؤنته

(فمن قولهم فى ذم الحمق واظهار خافيه وأنه داء عضال لا يمكن تلافيه)

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الاحمق أبغض الخلق الى الله تعالى اذ حرمه أعز الاشياء عليه وهو العقل (وقيل) أوحى الله تعالى الى موسى عليه الصلاة والسلام أتدرى لم رزقت الاحمق قال لا يارب قال ليعلم العاقل أنّ طلب الرزق ليس بالاجتهاد (وقيل) من لا عقل له لا دين له ومن لا دين له لا آخرة له (وقال الشعبى) اذا أراد الله أن يزيل عن عبد نعمته فانّ أول ما يغير منه عقله (وقالوا) الحمق داء دواؤه الموت وقال الشاعر

لكل داء دواء يستطبّ به * الا الحماقة أعيت من يداويها

(وقال بعض الحكماء) لو جاز لوم الاحمق على أن يعقل جاز لوم الاعمى على أن يبصر (وروى) أنّ عيسى عليه السلام أتى بأحمق ليداويه فقال أعيانى دواء

الاحمق ولم يعيني مداواة الاكمه والابرص وقال الشاعر

وعلاج الابدان أيسر خطبا * حين تعتل من علاج العقول

(وقال) معلم موسى الهادى له فى معرض التقريع له يا أحمق فهشم أنفه فسأله ابوه المهدى عن السبب فقال قال لى يا أحمق ولو قال لى يا مجنون لاحتملته (وقال الشعبى) خطب الحجاج يوم جمعة فاطال فقام اليه رجل أعرابى وقال ان الوقت لا ينتظرك وان الرب لا يعذرك فأمر به فحبس فأتاه أهله وقالوا انه مجنون فقال الحجاج ان أقر بالجنون خليت سبيله فجاء الى الرجل أهله وسألوه أن يقر لهم بالجنون فقال لا والله ولا أزعم أن الله ابتلانى وقد عافانى فبلغ الحجاج كلامه فعظم فى نفسه وأطلقه (وقال الاصمعى) قلت لغلام من أبناء العرب أيسرك أن يكون لك مائة ألف درهم وأنت أحمق قال لا والله قلت ولم قال أخاف أن يجنى على حمقى جناية تذهب مالى ويبقى حمقى (وقال) سعيد بن عمار مكتوب فى التوراة ان من صنع لأحمق معروفا فهو خطيئة مكتوبة عليه (وقيل) اذا قيل لك ان فقيرا استغنى أو غنيا افتقر أو حيا مات أو ميتا عاش فصدق واذا بلغك أن أحمق استفاد عقلا فلا تصدق (وقالوا) الاحمق تتمنى أمه لو ثكلته وتتمنى زوجته أنها عدمته ويتمنى جاره منه الوحدة ويريد جليسه منه الوحشة

(ومما اخترناه من حكم أولى التجارب فى ذم التعرف بمن هو للنهى محارب)

قول عبد الله بن عباس رضى الله عنه مجامعة العاقل فى الغل والوثاق خير من مجامعة الجاهل على السندس والاستبرق (وقال) الاحنف بن قيس انى لأجالس الاحمق ساعة فاتبين ذلك فى عقلى (وقال) لقمان لابنه لا تعاشر الاحمق وان كان ذا جمال فانه كالسيف حسن مخبره قبيح أثره (وقال الجاحظ) لا تجالس الحمقى فانه يعلق بك من مجالستهم يوما من الفساد ما لا يعلق بك من مجالسة العقلاء دهرا من الصلاح فان الفساد أشد التحاما بالطبائع (وقال بزرجمهر) مقاساة الاحمق عذاب الروح (وقال) مسلم بن قتيبة لا تطلب حاجتك الى أحمق فانه يريد أن ينفعك فيضرك فسكوته خير من نطقه وبعده خير من قربه وموته خير من حياته (وقالوا) العاقل مرجو خيره على كل حال

والاحمق مخوف شره على كل حال (وقالوا) صحبة العاقل فى لجج البحار وأهوال القفار ألذ من صحبة الجاهل بين جنات وأنهار وألوان أطعمة وثمار (وقالوا) صحبة الاحمق غدر ومجاورته خطر والبعد عنه ظفر (وقال) الحسن بن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه هجران الاحمق قربة الى الله تعالى (وقال) ابن المعتز ان الاحمق ضال مضل ان أونس تكبر وان أوحش تكدّر وان استنطق تجلف وان ترك تكلف مجالسته تضرّ وموالاته تغرّ ومقارنته شقاء ومفارقته شفاء (وقال) على بن بسام

لاتيأسنّ من اللبيب وان جفا * واقطع حبالك من حبال الاحمق
فعداوة من عاقل متجمل * أولى وأسلم من صداقة أخرق

(وقالت الحكماء) العاقل يضل عقله عند مجاورة الاحمق (وقالوا) مثل الاحمق كالثوب الخلق ان رفأته من موضع تخرق من موضع آخر (وقال) مسكين الدارمى

اتق الاحمق لاتصحبه * انما الاحمق كالثوب الخلق
كلما رقعت منه جانبا * حركته الريح وهنا فانخرق
أو كصدع فى زجاج فاسد * هل ترى صدع زجاج يرتتق
واذا عاتبته كى يرعوى * زاد جهلا وتمادى فى الحمق

(وقالوا) الاحمق كالرمل المنهار كلما قومت منه جانبا انهار عليك جانب آخر

(مايستدل به من ذميم الخلائق على خافى حمق الاهوج والمائق)

(قالوا) مما حكمت به التجربة أن من طالت قامته وصغرت هامته وانسدلت لحيته كان حقيقا على من يراه أن يقرئه عن عقله السلام (ابن الرومى) يهجو اللحى

ان تطل لحية عليك وتعرض * فالمخالى مخلوقة للحمير
علق الله فى عذاريك مخلا * ةولكنها بغير شعير
لورأى مثلها النبىّ لاجرى * فى لحى الناس سنة التقصير

(وقال آخر)

صاحبنا الخياط ذو لحية * كأنها فى عرضها والكمال

ملحفة للهو مضروبة * ووجهه من فوقها كالخيال

(فى التوراة) ان اللحية مخرجها من الدماغ فمن أفرط عليه طولها قل دماغه ومن قلّ دماغه قلّ عقله ومن قلّ عقله فهو أحمق (وقالت) أعرابية لقاض قضى عليها اصغر رأسك فبعد فهمك وانسدلت لحيتك فانشمر عقلك ومارأيت ميتا يقضى بين حيين غيرك (وقال) المأمون اذا طالت اللحية تكوسج العقل (وقال) مسلمة بن عبد الملك يوما لجلسائه يعرف حمق الرجل فى أربع طول لحيته وبشاعة كنيته وافراط شهوته ونقش خاتمه فدخل عليهم رجل طويل اللحية فقال لهم أما هذا فقد أتاكم بواحدة فانظروا أين هو من الثلاث فقيل له ما كنيتك قال أبو الياقوت قيل فما نقش خاتمك قال وتفقد الطير فقال مالى لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين قيل فأىّ الطعام أحب اليك قال الجنجبين وهو الورد المربى فأنشد مسلمة

مابعد كنيته وطول لحيته * ونقش خاتمه شك لمعتبر

(وممن شهر بالعقل النافر وعرف بالحمق الوافر)

المعلمون (قال الجاحظ) قسم الله الحمق مائة جزء فجعل منه تسعة وتسعين جزأ فى المعلمين والجزء الآخر فى سائر الناس *وقال الشاعر

كفى المرء نقصا أن يقال بانه * معلم صبيان وان كان فاضلا

(آخر)

وان أحمق خلق الله كلهم * من كان بالفصل والتعليم مشتغلا
الله صاغهم حمقى وكونهم * نوكى وأوجدهم بين الورى سفلا
ذاعت حماقتهم فى الناس واشتهرت * بين البرية حتى أصبحوا مثلا

(وحكى الجاحظ) قال مررت بمعلم شاب حسن الهيئة فجعلت أصعد نظرى ففهم عنى وأنشدنى

ماطار تحت الخافقيـ * ـن أقلّ عقلا من معلم
ولقد جلسنا فى الصنا * عة من قريب رب سلم

فكأنما ألقم فى حجرا فانصرفت وتركته * وكان الجاحظ كثيرا ما ينشد

وكيف يرجى العقل والرأى عند من * يروح على أنثى ويغدو على طفل

(ومن أمثالهم) أحمق من معلم ومن راعى ضان * قال المتنبى

يموت راعى الضان فى جهله * ميتة جالينوس فى طبه

*والنساء (قالوا) لاتدع أم صبيك تؤدّبه فانه أعقل منها وان كانت أسنّ منه بل أدبه بزجرك وهذبه بهجرك (ويقال) عقل مائة صبى بعقل معلم وعقل مائة معلم بعقل خصى وعقل مائة خصى بعقل امرأة * ويكفى فى ذمهن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء ناقصات عقل ودين وقوله لما بلغه أن الفرس ملكوا عليهم بوران لن يفلح قوم ولوا عليهم امرأة * والخصيان (قال الجاحظ) فى الخصى عشر خصال متضادة لم يخرج من ظهر مؤمن ولا يخرج من ظهره مؤمن وهو أكثر الناس غيرة وأشدهم قادة وهو أضعف الناس معدة وأشرههم على الطعام وهو أسوأ الناس أدبا و يعلمهم الادب وهو اغزر الناس دمعة وأقساهم قلبا ماخلا مع رجل الا حدثته نفسه أنه امرأة ولا خلا مع امرأة الا حدثته نفسه أنه رجل (بعض الشعراء) يذم الخصيان

ليس حمد الخصيان فى الناس الا * شدة الصبر عند سد الفقاح
معشر أشبهوا القرود ولكن * خالفوها فى خلقة الارواح

(وقد بالغ المتنبى) فى هجو كافور الاخشيدى وتعداد معايبه وأوصافه فلا حاجة الى ذكرها فى هذا المختصر ولابد من ايراد شئ منها (فمن ذلك) قوله

من أية الطرق يأتى نحوك الكرم * أين المحاجم يا كافور والجلم
جاز الاولى ملكت كفاك قدرهم * فعرفوا بك أن الكلب فوقهم
لاشئ أقبح من فحل له ذكر * تقوده أمة ليست لها رحم

وقوله

العبد ليس لحر صالح بأخ * لو أنه فى ثياب الحر مولود
لاتشتر العبد الا والعصا معه * ان العبيد لأنجاس مناكيد
من علم الاسود المخصى مكرمة * أقومه البيض أم آباؤه الصيد
أم أذنه فى يد النخاس دامية * أم قدره وهو بالفلسين مردود
أولى اللئام كفيا بغير مقدرة * فلا جميل ولا عفو ولا جود
وذاك أن الفحول البيض عاجزة * عن الجميل فكيف الخصية السود

(قبح الله الشعراء) ما أقل حفاظهم وأكثر ما تتفاوت بالكذب فى المدح والذم ألفاظهم يقول هذا بعد أن قال فيه وقد وصف خيلا أركبها اليه

فجاءت بنا انسان عين زمانه * وخلت بياضا خلفها وما آقيا
قواصد كافور توارك غيره * ومن قصد البحر استقل السواقيا

لقد باع من الوفاء علقا خطيرا واعتاض من الطمع شيأ يسيرا وحال بينه وبين العهد الوفاء وكان يضايق نفسه فى اختيار المتاع ويسامحها فى اختيار المبتاع ويخلع خلعة تساوى بدرة على عرض يساوى نقرة ويزف كريمة من كرائم شعره الى من لم تقم عنه كريمة ولم يعرف له قيمة لو رأى الطمع فى بحر النار لدخله ولو أتاه الدرهم من دبر كلب لاخذه وما غسله فلا جرم ان الناس كما استحسنوا قوله استقبحوا فعله وكما أعجبوا بشعره تعجبوا من غدره يشكر ثم يشكو ويمدح ثم يهجو ويشهد ثم يجرح شهادته ويعطى ثم يسترجع عطيته فكم حر سلبه نجاه وكم عرض جرده عنه كساه ومن صحفة أكل منها ثم شرق فيها ومن طوية زهدها ثم عكف عليها (وصف بعضهم) الخصيان مادحالهم فقال هم الامناء على الحرم البعداء عن التهم ولهم التظرف والتلطف والوقار وقلة الضحك وهم طراز الملك وجمال الدول وعنوان النعم وكثيرا ما أدبوا أولاد الملوك وهذبوهم وعرفوهم طريق السياسات ودربوهم * والحاكة (يقال) الحمق عشرة أجزاء تسعة منها فى الحاكة وواحد فى سائر الناس (وقالوا) لو أن للحائك قرنا لنطح به (وسأل رجل) الاعمش عن الصلاة خلف الحائك فقال لا بأس بها على غير وضوء قيل فما تقول فى شهادته قال تقبل مع شاهدين عدلين (وقال) الحسن البصرى من نظر فى طراز حائك لم يرجع اليه عقله أربعين يوما والسبب فى زوال عقولهم ما ذكر أن مريم عليها السلام ذهبت تطلب عيسى وكان قد ضل منها فلقيت حائكا فسألته كيف أخذ فدلها على غير الطريق التى سلك فقالت اللهم توهه فلا يوجد الا تائها وفى رواية أنها قالت اللهم اجعلهم سفلة الناس وأقلهم عقلا (قيل) لرجل من الحاكة هل فى بلد كم حائك قال لا قيل فمن ينسج ثيابكم قال كل منا ينسج ثوبه لنفسه قيل له فاذا كلكم حاكة (قالوا) فلان مجنون وأجن منه لا يكون فلان اذا رأيته نسيت مجنون بنى عامر

* (طرف مما ذم به أهل الجهالة المتمسكون بعرى الغواية والضلالة) *

يحكى

يحكى أن أبا الاسود الدؤلى قال اذا أردت أن تقهر عالما فأحضره جاهلا (وقالوا) لامعيبة أعظم من الجهل ولا صاحب أخذل منه (وقالوا) لامصيبة أعظم من الجهل (وقالوا) الجهل فى القلب كالا كلة فى الجسد (وقال) بزرجمهر العالم كبير وان كان صغيرا والجاهل صغير وان كان كبيرا (وقال) جعفر بن محمد الصادق رضى الله عنهما الادب عند الجاهل كالماء فى أصول الحنظل كلما ازداد ريا ازداد مرارة (وقال) وهب بن منبه يقال ان الجاهل اذا تكلم فضحه عيبه واذا سكت فضحه جهله لاعلم نفسه يغنيه ولاعلم غيره ينفعه ان قال لم يحسن وان قيل له لم يفقه (وذم) اعرابى رجلا فقال فلان ان أعرضت عنه اغتم وان أقبلت عليه اعتز وان حلمت عليه جهل عليك وان جهلت عليه حلم عنك * البشامى يهجو جاهلا

لنا جليس تارك للادب * جليسه من نوكه فى تعب
مخالف يغضب فى حال الرضا * عمدا ويرضى عند حال الغضب
كأنه من سوء تأديبانه * أسلم فى مكتب سوء الادب

(وقال بزرجمهر) الجاهل عدو نفسه فكيف يكون صديق غيره * وسئل أبو العيناء عن مالك بن طوق فقال لو كان فى بنى اسرائيل ووقعت قصة البقرة ماذبح غيره * شاعر يهجو جاهلا

ليس يدرى من الجهالة من ذا * دور البعر فى بطون الجمال

(آخر)

يظن بأن الحمل فى القطف نابت * وأن الذى فى باطن التين خردل

(وقالوا) فلان لايعرف اليمين من الشمال ولا الجنوب من الشمال ولا السماء من الارض ولا الطول من العرض ينظر الى العلم نظر المغشى عليه من الموت ان أصاب أجحم وان أخطأ صمم (وقالوا) فلان خطؤه بعد اجتهاد وصوابه عن غير اعتماد * وقال الشاعر

يصيب ولايدرى ويخطى ومادرى * وكيف يكون النوك الا كذلكا

(وقالوا) الجهل رأس الفضائح ومعدن القبائح ومضمار العثار وهو الدليل على غلظ الطبع وجمود الخاطر وفساد التركيب واعتلال الذهن وكذب النفس وخبث الطوية (ويقال) أشد حوادث الدنيا عالم يجرى عليه حكم

جاهل * وكانت ملوك الفرس اذا غضبت على عالم وأرادت عقوبته حبسته مع جاهل * شاعر

واذا بليت بجاهل متهكم * يجد المحال من الامور صوابا
أوليته مني السكوت وربما * كان السكوت عن الجواب جوابا

(وفي منثور الحكم) من عرف بالجهل فهو لكل قبيحة أهل (وقالوا) لايرى الجاهل الامفرطا أومفرطا يسيئ عمدا ويحسن غلطا (وقيل لبزرجمهر) مالكم لاتعاقبون الجهال على أن يعقلوا فقال انا لانكلف العمى بأن يبصروا ولا الصم بأن يسمعوا (وقال) بعض الحكماء عمى الجهل أشد من عمى العين لان الاعمى يتوقع أن يعثر فيما ارتفع من الارض أو يسقط فيما انخفض منها والجاهل ربما عثر فيما لايستقيل منه ووقع فيما لامخرج له عنه * ابن الرومي

كالثور عقلا ومثل التيس معرفة * فلا يفرق بين الحق والفند
الجهل شخص ينادى فوق هامته * لاتسأل الربع مافى الربع من أحد

(وقالوا) الجاهل يجنى على نفسه وليس شئ أحب اليه منها * استأذن رجل من ثقيف على الوليد وعنده عبد الله بن جعفر الصادق وهما يلعبان بالشطرنج فستر عبد الله الشطرنج فلما دخل الرجل وسلم سأله الوليد عن حاله فأخبره ثم قال له أقرأت القرآن قال لا والله يا أمير المؤمنين شغلني عنه أمور وهنات قال أرويت من الحديث شيأ قال لا والله يا أمير المؤمنين قال أتعرف الفقه قال لا والله يا أمير المؤمنين فكشف عن الشطرنج وقال شاهك يا أبا جعفر فقال عبد الله لو رفعت فقال العب فما عندك أحد

(ومن صفات من عدم خلال النهى   واعتراه فى عقله اختلال فوهى)

ان تكلم عجل وان حدث وهل وان استنزل عن رأى نزل وان حمل على باطل فعل (ومن علاماته) الغضب فى غير شئ والكلام فى غير نفع وافشاء السر والثقة بكل أحد وأن لايعرف صديقه من عدوه (ومن علاماته) العجلة والخفة والتوانى والضياع والتفريط والغفلة والسهو (ومن علاماته) ان استغنى بطر وان افتقر قنط وان فرح أشر وان بكى خار وان ضحك نهق وان أعطيته كفرك وان أعطاك منّ عليك (وقالوا) من علامات المائق كثرة الالتفات وسرعة الجواب وتحريك الرأس اذا مشى واذا اعتبرنا هذه الخلال

الرذلة وجدناها فى كثير من الناس فلا نكاد نعرف العاقل من كثرة الالتباس كما قال عليه الصلاة والسلام ليس من أحد الا وفيه حمقة فبها يعيش * وقال وهب بن منبه خلق ابن آدم أحمق ولولا ذلك لما هنأه العيش (نادرة) قيل لبهلول عدلنا المجانين فقال هذا يطول ولكنى أعدّ العقلاء * نظر الى هذا المعنى بعض الشعراء فقال وأجاد

وما بقيت من اللذات الا * محادثة الرجال ذوى العقول
وقد كانوا اذا ذكروا قليلا * فقد صاروا أقل من القليل

(الفصل الثانى من الباب الرابع)
فى ذكر النوادر الصادرة عن مجانين البادية والحاضرة

فمن شهر منهم بالملح وعرف واستحسن كلامه النادر واستظرف جعيفران واسمه جعفر وانما صغر للتحبيب وهو القائل فى نفسه

ماجعفر لابيه * ولا له بشبيه
أضحى لقوم كثير * فكلهم يدعيه
هذا يقول بنيي * وذا يخاصم فيه
والام تضحك منهم * لعلمها بأبيه

ويقال ان هذه الابيات وضعها فى دعبل فيكون قوله * مادعبل لابيه والرواية الاولى هى التى رواها أبو الفرج الاصفهانى فى كتاب الاغانى وكان جعيفران متشيعا قيل له يوما اشتم فاطمة وخذ درهما قال لابل أشتم عائشة وآخذ نصف درهم * واستقبلته امرأة صبيحة فبدر اليها وقبلها فأكب الناس عليه يضربونه فأنشد

علقوا اللحم للبزا * ة على ذروتى عدن
ثم لاموا المحب فيـ * ـه على خلعه الرسن
لو أرادوا عفافه * نقبوا وجهها الحسن

(ووقف) على علىّ بن اسمعيل الهاشمى فقال له أعطنى درهما فأمر الغلمان بطرده فطردوه فولى وهو ينشد

قد زعم الناس ولم يكذبوا * أنك من غير بنى هاشم

فقال لغلمانه ردّوه وأعطوه درهمين فأخذهما وانصرف وهو ينشد

قد كذب الله أحاديثهم * يا هاشمي الاصل من آدم

(وحكى الجاحظ) قال كان جعيفران يماشي رجلا فدفعه الرجل على كلب فقال له ماهذا قال أردت ان أقرنك به قال فمع من أنا منذ الغداة * وتشاجر رجلان في رجل ادعياه فقال أحدهما هو من طفاوة وقال الآخر هو من بني راسب وتحاكما الى جعيفران فقال ألقوه في الماء فان طفا فهو من طفاوة وان رسب فهو من بني راسب قال النسابون راسب بن سدعان بطن من الازد وطفاوة من ولد اعصر وهو منبه بن سعد بن قيس عيلان وهذه الحكاية نسبها الميداني في كتاب الامثال لهبنقة الليثي المضروب به المثل في التغفل والحمق

(ومن مشاهير مجانين الكوفة البهلول ذو العقل السقيم والذهن المفلول)

ولد لاسحق بن محمد الصباح بنت فساءه ذلك وامتنع من الطعام والشراب فدخل عليه بهلول وقال أيها الامير ماهذا الجزع والحزن جزعت لخلق سوي وهبه الملك العلي أيسرك أن يكون مكانها ابن وأنه مثلي فضحك الامير ودعا بالطعام والشراب وأذن للناس بالدخول عليه للهناء (ومر) بهلول بقوم في أصل شجرة يستظلون بفيئها فقال بعضهم لبعض تعالوا حتى نسخر من بهلول فلما اجتمعوا اليه قال أحدهم يابهلول تصعد هذه الشجرة وتأخذ من الدراهم عشرة قال نعم فأعطوه الدراهم فصرها في كمه ثم قال هاتوا سلما فقالوا لم يكن في شرطنا سلم قال كان في شرطي دون شرطكم * وسئل عن مسئلة من الفرائض وهي رجل مات وخلف ابنا وبنتا وزوجة ولم يترك من المال شيأ فقال للابن اليتم وللبنت الثكل وللزوجة خراب البيت ومابقي من الهم فللعصبة * وحمل عليه الصبيان يوما فألجؤه الى دار مفتوحة فولجها فوجد فيها قوما وبين أيديهم مائدة فيها من أنواع الاطعمة ماتشتهي الانفس وتلذ الاعين فرجع وغلق الباب ودخل وهو يقرأ فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب * وتبعه الصبيان يوما آخر فالتجأ الى دار بعض العلويين فرأى رجلا ضخما بضفيرتين فقال ياذا القرنين ان يأجوج ومأجوج مفسدون في الارض فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا فخرج الرجل واغلق الباب وحماه من الصبيان * وحمل عليه الصبيان يوما فالجؤه الى مضيق فشد عليهم بالقصبة وهو يقول

اذا تضايق أمر فانتظر فرجا * فأضيق الامر أدناه من الفرج

(وسمع البهلول) مجنونا يقول يوم عيد يا أيها الناس انى رسول الله اليكم فلطم وجهه وقال ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه * وقال له الرشيد يوما من أحب اليك قال من أشبع بطنى قال انى أشبعك فهل تحبنى قال له الحب لا يكون بالنسيئة * وأحضره يوما وأجلسه فى صحن الدار وجلست أم جعفر حيث لا يراها وعيسى بن جعفر جالس مع الرشيد فقال له الرشيد عدّ لنا المجانين فقال أولهم أنا والثانى هذه وأشار الى أم جعفر فقال له عيسى يا ابن اللخناء تقول هذا الاختى قال بهلول وأنت الثالث يا صاحب العربدة فقال الرشيد أخرجوه فقال بهلول وأنت الرابع (وقال) رجل لبهلول قد أمر الامير لكل مجنون بدرهمين فقال له امض وخذ نصيبك لئلا يفوتك (وقيل) أيما أفضل أبو بكر أو على فقال أما وأنا فى كندة فعلى واذا كنت فى بنى ضبة فأبو بكر وكندة فى الكوفة من غلاة الشيعة وبنو ضبة أهل نصب وهم أصحاب الجمل

نبذ مما يجلب التسلى لقلب المحزون من الفكاهات المحكية عن عليان المجنون

ذكر أنه وصف للمأمون فأمر باحضاره فلما مثل بين يديه ازدراه وأمر به أن يجلس فى مجالس العامة ثم قال له ما اسمك قال عليان فضحك منه فقال عليان ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون فهابه المأمون وعظم فى عينه بها (ومر به) رجل وهو يأكل تمرا والصبيان يؤذونه فقال للرجل انظر الى هذا التمر من رحمة الله وهؤلاء الصبيان من عذاب الله * وتولع الصبيان به يوما فقال له رجل هل لك فى طردهم عنك قال نعم وأنت معهم (ورآه رجل) وهو يأكل تمرا فى السوق فقال له يا عليان أتأكل فى السوق قال من جاع فى السوق أكل فى السوق * ورآه من لا يعرفه فقال له أنت مجنون فقال كل الناس مجانين ولكن حظى أوفر * وقال له رجل ما الذى صيرك الى ما أرى قال محتوم القضا * وقال له من لا يعرفه أغريب أنت قال أما عن العقل فنعم وأما عن البلد فلا * وأدخل بهلول على الرشيد وعنده عليان فكلمهما فأغلظا له فى القول وأمر بالنطع والسيف فقال عليان كنا مجنونين فصرنا ثلاثة فضحك الرشيد وعفا عنهما * ومات أبوه وخلف ستمائة درهم فأخذها القاضى

وحجر عليه ليختبر عقله فجاءه بعد مدة فقال له انك حجرت على لما علمت أنى مصاب
فى عقلى وأنا جائع فادفع لى مائتى درهم حتى أقعد بها فى أصحاب الخلقان أبيع
واشترى فان رأيت منى رشدا اجنحت الى الباقى وان أتلفتها كان الذى أتلفت
أقل مما بقى فأعطاه مائتى درهم فاخذها ولزم الحيرة حتى أنفدها ورأى القاضى
بعد ذلك فقال يا عليان ما صنعت بالدراهم قال أنفقتها فليزن القاضى أعزه الله
من ماله مائتى درهم ويردها الى الكيس حتى يرجع المال الى ما كان عليه

(طرف من لطائف أخبارهم الانيقة وتحف من لطائف نوادرهم الرشيقة)

(حكى) أن ثمامة بن أشرس قال بعثنى الرشيد الى دار المجانين لاصلح ما فسد من
حالهم فرأيت فيهم شابا حسن الزى كأنه صحيح العقل فقال لى يا ثمامة انك تقول
ان العبد لا ينفك من نعمة يجب الشكر عليها وبلية يجب الصبر لديها وأنت
تبيح المطبوخ أرأيت لو سكرت ونمت وقام اليك غلامك وأولج فيك مثل
ذراع البكر فقل لى أهذه نعمة يجب الشكر عليها أو بلية يجب الصبر لديها
قال ثمامة فلم أدر بماذا أجيبه فقال مسئلة قلت ماهى قال متى يجد النائم
لذة النوم ان قلت فى حال نومه فمحال وان قلت اذا استيقظ فبعيد أن يجد لذة
شئ انقضى ومضى فبهت لا أحير جوابا فقال مسئلة أخرى قلت وماهى
قال انك تزعم أن لكل أمة نذيرا فانذير الكلاب قلت لا أدرى فقال أما
الجواب عن المسئلة الاولى فيجب أن تقول النعم ثلاثة نعمة يجب الشكر عليها
وبلية يجب الصبر لديها وبلية يجب الصبر عنها فهذه من القسم الثالث وهى
البلية التى يجب الصبر عنها وأما المسئلة الثانية فالجواب عنها انها محال
لان النوم داء ولا لذة مع وجود الداء وأما المسئلة الثالثة وأخرج من كمه
حجرا وقال اذا عدا عليك كلب فهذا نذيره ورمانى بالحجر فأخطأنى وأصاب
الاسطوانة فلما رآه قد أخطأنى قال فاتك النذير يا أيها الكلب الحقير فعلمت
أنه مجنون وأن عقله مصاب فتركته وانصرفت وقنعت من الغنيمة بالاياب
(وكان) فى بنى أسد مجنون يسمى لغدان فمر بقوم من بنى تيم الله بن ثعلبة
فعبثوا به فقال يا بنى تيم الله ما أعلم فى الدنيا خيرا منكم قالوا وكيف ذلك قال لان
بنى أسد ليس فيهم مجنون غيرى وقد قيدونى وسلسلونى وكلكم مجانين وليس
فيكم مقيد (وكتب) بعض المجانين الى عساوة كاتبى اليك لثلاث ساعات من

ليلة الميلاد التى صبحها يوم المهرجان ودجلة تطفح بالماء هياها واالحجارة لاتزداد الا كثرة والصبيان قللهم الله وبدد شملهم لايزدادون الا وقاحة فان قدرت أن لاتبيت الا وحولك حجارة فافعل واستعمل قول الله تعالى وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدوّ الله وعدوّكم (وركب) بختيشوع المتطبب مع المأمون فتعلق به مجنون وقال أيها الطبيب جسّ نبضى لجسه وقال له ماتشتكى قال الشبق فقال له خذ مسواك أراك وأدخله من ورائك فانه صالح لذلك فرفع المجنون لحيته وضرط وقال خذ هذا جزاك حتى نجرّب دواك فان كان صالحا لذلك شكرناك وزدناك ولا يكون لنا طبيب سواك فخجل بختيشوع وضحك المأمون من كلام المجنون (ووقف) صباح الموسوس على قوم فسألهم شيأ فردّوه فولى وهو ينشد

أسأت اذ أحسنت ظنى بكم * والحزم سوء الظنّ بالناس

(وقال بعضهم) رأيت مجنونين يتنازعان رغيفا يؤثر كل واحد منهما صاحبه به وهما يتقاسمان عليه فقلت لهما وأنا أظن أنى أربح عليهما أنا آكله ان لم تأكلاه فقال أحدهما يا أحمق ان معه ادما لايسوغ الا به قلت وما هو قال ضيق الخنق ووجع العنق فوليت عنهما فقالا يا مجنون لولا غضاضة الادم لاكلناه منذ حين (وسمع) أبو الصقر المجنون سقاء يصيح فى يوم حر هذا يوم يسقى فيه الماء فقال وأىّ يوم يطعم فيه الخبز (وحكى) علىّ بن الجهم الشاعر قال مررت بمجنون والناس مجتمعون عليه يعبثون به فلما رآنى قصدنى دونهم وأخذ بعنان بغلتى ثم أنشد

لا تحفلنّ بعشر الهمج الذين تراهم
فوحق من أبلى بهم * نفسى ومن عافاهم
لو قيس موتاهم بهم * كانوا هم موتاهم

ثم جال بطرفه فى الحلقة فرأى فيها شابا مليح الوجه حسن الهيئة فوثب اليه ومزق ما كان عليه ثم نظر الىّ وأنشد

هذا السعيد لديهم * قد صار بى أشقاهم

(ووقف) بعض المجانين على باب مسجد فبال فأرادت العامة ضربه فقال لهم أرأيتم لو بال ههنا حمار أكنتم ضاربيه قالوا لا قال فهبونى حمارا فانه

لاعقل لى فرقوا له وأطلقوه (وقال المبرد) دخلت دار المجانين فوقفت تجاه مجنون وأخرجت لسانى فحوّل وجهه عنى فجئت الى الناحية التى حوّل وجهه اليها وأخرجت لسانى فحوّل وجهه الى ناحية أخرى فجئت اليه وفعلت مثل ذلك فلما أضجرته رفع رأسه الى السماء وقال انظر يارب من حلوا ومن ربطوا

(ما اختير من شعرهم الرقيق الجزل المنظوم فى سلكه جواهر الجدّ والهزل)

(حدّث) ابن حبيب فى كتابه الذى صنفه فى أخبار عقلاء المجانين باسناده الى أبى اسحق ابراهيم الايلى قال رأيت غورثا المجنون يوما خارجا من الحمام والصبيان قيام يضربونه ويؤذونه وهو يبكى فقلت له ما خبرك يا أبا محمد قال اذانى هؤلاء الصبيان أما يكفينى ما أنا فيه من العشق والجنون قلت ما أظنك مجنونا قال بلى والله وعاشق قلت وهل قلت فى عشقك شيأ قال نعم ثم أنشد

جنون وعشق ذا يروح وذا يغدو * فهذا له حدّ وهذا له حدّ
وقد سكنا تحت الحشى وتحالفا * على مهجتى أن لا يفارقها الجهد
وأىّ طبيب يستطيع بحيلة * يعالج من داءين ما منهما بدّ

قال الايلى فوليت عنه فقال قف واسمع ما أقول فانّ شرح غرامى على الخلىّ يطول فوقفت فأنشد

جنون ليس يضبطه الحديد * وحبّ لا يزول ولا يبيد
فجسمى بين ذا وذا نحيل * وقلبى بين ذا وذا عميد

ثم قال لى انصرف ما سمعته يكفيك * وأخذ يوما بيد المتهم بعشقه فقال له المعشوق رجاء الخلاص منه كيف أصبحت فقال

أصبحت منك على شفا جرف * متعرضا لموارد التلف
وأراك نحوى غير ملتفت * منحرفا عن غير منحرف
يا من أطال بهجره أسفى * أسفى عليك أشد من تلفى

(وحكى أيضا) أنّ هرون الرشيد مرّ بدير فى ظاهر الرقة فلما أقبلت مواكبه أشرف أهل الدير ينظرون اليه وفيهم مجنون مسلسل فلما رأى هرون رمى بنفسه بين يديه وقال يا أمير المؤمنين قد قلت فيك أربعة أبيات أفأنشدك اياها قال نعم فأنشده

لحظات طرفك فى العدا * تغنيك عن سل السيوف
وعزيم رأيك فى النهى * يكفيك عاقبة الصروف
وسيول كفك بالندى * بحر يفيض على الضعيف
وضياء وجهك فى الدجى * أبهى من البدر المنيف

ثم قال يا أمير المؤمنين هات أربعة آلاف درهم اشترى بها كيسا وتمرا فقال هرون تدفع له فحملت الى أهله (وحكى أيضا) قال ادريس بن ابراهيم اللخمى سمعنى مجنون أنشد فى يوم غيم

أرى اليوم يوما قد تكاثف غيمه * واقتامه فاليوم لاشك ماطر

فقال بديها من غير روية

وقد حجبت فيه السحائب شمسه * كما حجبت ورد الخدود المعاجر

(ومر) ابراهيم بن المدبر بالاهواز وقد صرف عنها فتعرض له مانى الموسوس واسمه محمد بن القاسم فأخذ بلجام بغلته وقال

ليت شعرى أى قوم أجدبوا * فأغيثوا بك من طول العجف
نظر الله اليهم دوننا * وحرمناك لذنب قد سلف
يا أبا اسحق سر فى دعة * وامض محمودا فما عنك خلف
انما أنت سحاب هاطل * حيثما صرفه الله انصرف

فأمر له بستمائة درهم (ونظر) اليه انسان وهو يأكل تمرا و يبلع نواه فقال له لم لاترمى نواه قال هكذا وزن على * وقيل له فى كم يصير الانسان مجنونا فقال على قدر الصبيان * ومن شعره

زعموا أن من تشاغل باللذات يوما عن حبه يتسلى
كذبوا والذى تساق له البد * ن ومن دار بالطواف وصلى
ان نار الهوى أحر من الجمـ * ـر على قلب عاشق يتصلى

وأخبار مانى أحلى من مسامرة الامانى لكن استيفاؤها ربما يخرج عن الغرض ويبدل جوهر ما شرطناه بالعرض (وحكى المبرد) قال خرجنا من بغداد الى واسط فملنا الى دير هرقل ننظر الى المجانين فنظرنا الى فتى منهم ناحية عنهم فملنا اليه وسلمنا عليه فلم يرد علينا السلام فقلنا له ما تجد فقال

الله يعلم أننى كمد * لا أستطيع أبث ما أجد

روحان لى روح تضمنها * بلد وأخرى حازها بلد
وأرى المقيمة ليس ينفعها * صبر وليس يفوتها جلد
وأظن غائبتى كشاهدتى * بمكانها تجد الذى أجد

فقلنا له أحسنت فأومأ بيده الى شئ لم يرمينا به فولينا هاربين فقال سألتكم بالله الا ما رجعتم حتى أنشدكم فان أحسنت قلتم أحسنت وان أسأت قلتم أسأت قال فرجعنا فقلنا له قل فأنشدنا

لما أناخوا قبيل الصبح عيسهم * ورحلوها وسارت بالدمى الابل
وقلبت من خلال السجف ناظرها * ترنو الى ودمع العين ينهمل
وودعت ببنان زانها عنم * ناديت لاحملت رجلاك ياجمل
ويلى من البين ويل حل بى وبها * من نازل البين جد البين وارتحلوا
ياحادى العيس عرج كى نودعهم * ياراحل العيس فى ترحالك الاجل
انى على العهد لم أنقض مودتهم * ياليت شعرى لطول الدهر مافعلوا

قال فقلنا له ماتوا فصاح وقال وانا والله أموت واستلقى على ظهره وتمددفمات فما برحنا حتى دفناه رحمة الله عليه

(الفصل الثالث من الباب الرابع)
فى احتجاج الاريب المتحامق على أن الحمق أزكى الخلائق

قال الله تعالى فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شئ عبر بالافئدة وهى القلوب عن العقول لانها مقرها (وقال) النبى صلى الله عليه وسلم يحاسب الله الناس على قدر عقولهم وفى طريق آخر ان الله يحاسب كل امرئ على مقدار عقله * وفى بعض الآثار ما جعل الله لرجل عقلا وافرا الا احتسبه عليه من رزقه وقيل من زيد فى عقله نقص من رزقه

(ماقيل فى ان لذاذة العيش لا تحصل الا بالجهالة والطيش)

(ذكر) ان بعض الحكماء سئل من أقر الناس عينا وأحسنهم حالا وأطيبهم عيشا وأنعمهم بالا فقال من كفى أمر دنياه ولولم يهتم لآخرته * أخذه المتنبى فقال

تصفو الحياة لجاهل أو غافل * عما مضى فيها ولا يتوقع
ولمن يغالط فى الحقيقة نفسه * ويسومها طلب المحال فيطمع

ولابى

(ولابى بكر الكاتب)

من رزق الحمق فذو نعمة * آثارها واضحة ظاهره
يحط ثقل الهمّ عن نفسه * والفكر فى الدنيا وفى الآخره

(وقال حكيم) ثمرة الدنيا السرور ولا سرور للعقلاء * وقال الشاعر

الروح والراحة فى الحمق * وفى زوال العقل والخرق
فمن أراد العيش فى راحة * فليلزم الجهل مع الحمق

(ومن أمثالهم) ما سر عاقل قط * وقولهم الهمّ والعقل لا يفترقان * وقولهم استراح من لا عقل له * وقال بعض الحكماء العاقل فى ربقة من عقله تحجبه عن اللذات وتصدّه عن الشهوات فمتى جرى على حكم البشرية فأطاع هواه واتبع غرضه ومناه قيل زلة عاقل وهفوة ذاكر فنعوذ بالله من شرّها ونرغب الى الله فى الكفاية منها * وقال الشاعر

أرى العقل بؤسا فى المعيشة للفتى * ولا عيش الا ما حباك به الجهل

(وقالوا) الجاهل ينال أغراضه ويظفر بآرابه ويطيع قلبه ويجرى فى عنان هواه وهو برىء من اللوم سليم من العيب تغفر زلاته وتتعمد هفواته * وقال آخر الجاهل رخىّ الذرع خالى البال عازب الهم حسن الظن لا يخطر خوف الموت بفكره ولا يجرى ألم الاشفاق على ذكره (وقالوا) الجهل مطية المسرة والمراح ومسرح الفكاهة والمزاح وحليف الهوى والتصابى صاحبه فى زمام من عهدة اللوم والعتب وأمان من قوارص الذم والسب * وقال الشاعر

ورأيت الهموم فى صحة العقـ * ـل فداويتها بامراض عقلى

(وقال) المغيرة بن شعبة ما العيش الا فى القاء الحشمة

ومن احتجاج من أطلق نفسه من عقال العقل
وألقى عصاه عامدا فى بيداء الجهل

قول بعضهم لما كان العقل فى المعنى ذائدا عن الآراب وحائلا دون الاعراض جعل اسمه مأخوذا من لفظة العقال فكم بين الطليق والعانى وأين المعقود من الشارد وهل من يتصرّف على اختياره ويجيب داعى أهوائه كمن

يقسر ويحصر ويكره ويجبر (وقالوا) لولم تكن فضيلة الجهل غير الاقدام وورود الحمام اذهما عين الشجاعة والبسالة وسببان لتحصيل الرفعة والجلالة وقال شاعرهم

مالى وللعقل لا استصحبته أبدا * فالعقل ينزل دار الذل والهون
لقد تعاقلت دهرا لا أرى فرجا * ومذ تحامقت صار الناس يدنونى

(وقال يحيى بن أكثم) ما رأيت العقل قط الا خادما للجهل (وقالوا) كم عاقل أخره عقله وجاهل صدره جهله (وقال) الشريف أبو يعلى بن الهبارية

تجاهلت لما لم أر العقل شافعا * وأنكرت لما كنت بالعلم ضائعا
وما نافعى عقلى وفضلى وفطنتى * اذا بت صفر الكف والبطن جائعا

(وما أحسن) قول عبد الله بن المعتز فى هذا المعنى مع زيادة للمصنف العقل كالمرآة المصقولة يرى صاحبها فيها مساوى الدنيا فلا يزال فى صحوه مهموما متعذر السرور حتى يشرب الخمر فان أكثر منها غشيه الصدا كله حتى لا تظهر تلك المساوى فيفرح ويمرح * والجهل كالمرآة الصدية لا يرى صاحبها الا مسرورا أبدا قبل الشرب وبعده من هنا للمصنف (فالعاقل) يستدعى حالة الجهل الى نفسه لترادف الهموم عليه فى العواقب والغرض فى اكتساب المحامد والمناقب فاذا ضاق بها ذرعا ولم يستطع لردائها نزعا احتال على ذهابها بالشراب لينحل عنه عقال الهموم والاتراح بأيدى المسرات والافراح (ومن) مستطرف ما نظم فى هذا المعنى قول أبي معاذ بشار بن برد

لما رأيت الحظ حظ الجاهل * والعيش فى الدنيا لغير العاقل
رحلت عيسا من كرائم بابل * فغدوت من عقلى بيعد مراحل

ومن أحاسن أقوالهم فى أن العقل طريق الى العنا
وسد يمنع صاحبه من الوصول للغنى

(روى) عن الامام محمد بن الحنفية رضى الله عنه أنه قال وكل الله الجهل بالغنى والعقل بالحرمان ليعتبر العاقل وليعلم أن ليس له من الامر شئ (وفى مثل هذا) يقول نصر بن احمد المعروف بالخبرارزى

سبحان من قدر الاشياء منزلها * وصير الناس مرفوضا ومرموقا

فعاقل

فعاقـل فطن أعيت مذاهبه * وأحمـق جاهـل تلقاه مرزوقا
هذا الذى ترك الاوهام حائرة * وصـير العالم النحرير زنديقا

(قال رجل) لبزرجمهر تعال نتناظر فى القدر قال وما أصنع بالمناظرة رأيت الظاهر فاستدللت به على الباطن رأيت الاحمق مرزوقا والعاقل محروما فعلمت ان التدبير ليس من العباد (وقيل) أعجب الاشياء نجح الجاهل واكداء العاقل حتى قيل لو جرت الاقسام على قدر العقول لم تعش البهائم

(قال حبيب بن أوس الطائى)

ينال الفتى من عيشه وهو جاهـل * ويكدى الفتى فى دهره وهو عالم
فلو كانت الارزاق تجرى على الحجى * هلكن اذا من جهلهن البهائم

(المتنبى)

ذو العقل يشقى فى النعيم بفضله * وأخو الحماقة فى الشقاء ينعم

(آخر)

العـقل ليس بمسعد خلقا اذا * ما عال حتى يسعد المقدور
وحكومة الايام يسعد جاهل * فيها ويشقى العالم النحرير

(آخر)

لو كانت الارزاق يدركها الفتى * بجـلادة أو قوة وشراس
لاخـذت أفضلها بيارع هـمتى * وبمنطقى وبحيلتى ومراسى
لـكنها قسم وليس بمـدرك * مالم يقـدره الاله الناس

(حـدث ابن حبيب) فى كتابه عقلاء المجانين قال حـدث سعيد بن على بن عطاف قال كان عندنا رجـل عاقل ظريف أديب يسمى عامرا وكان مع كثرة أدبه محروما فقيل لى انه قد تحامق فجعلت أطلبه حتى ظفرت به فى بعض الطرق والصبيان حوله يضحكون منه فقلت يا عامر ما هذه الحالة فانشد عجلا ومرتجلا

يا عاذلى لاتلم أخا حمـق * يضحك منه فالحمـق ألوان
حمقت نفسى لكى أنال غنى * فالعقل فى ذا الزمان حرمان

(وكان) الحمـدونى الشاعر يتحامق فعـذله بعض أصحابه على ذلك فقال حماقة تعولنى خير من عقل أعوله ثم أنشد

عذلونى على الحماقة جهلا * وهى من عقلهم ألذ وأحـلى

حمقى اليوم قائم بمعالى * ويموتون أن تعاقلت دلا

(ومن المنظوم فى أن من أفعال الزمان الباس العقلاء أسمال الحرمان)

(أبو يعلى بن الهبارية)

الجهل أروح للفتى من عقله * يمسى ويصبح آمنا مسرورا
ترك العواقب جانبا عن فكره * وسعى رواحا فى الهوى وبكورا
والعقل يعقله على حسراته * ويصده فيرده محسورا
وتراه مهتما كثيرا غمه * يحيا أسيرا أو يموت فقيرا
لما علا الجهال فى أيامنا * ورقوا ونالوا منزلا وسريرا
أخفيت علمى واطرحت فضائلى * على أكون اذا جهلت اميرا

(آخر)

دع عنك عقلى فالعقول مخارق * لا ينفع الانسان الا جهله
كم عاقل أمسى عقالا عقله * دون المنى وغدا فضولا فضله

(آخر)

ولما رأيت الدهر احمق جاهلا * يصيب ولا يدرى ويخطى ولا يدرى
ينيل ويعطى الاحمق الغمر سؤله * ويقصد أبناء الفضائل بالعسر
فيمنعهم من القرى ويذودهم * اذا وردا النوكى تحامقت للدهر

(عبد القاهر الجرجانى)

كبر على العقل يا خليلى * ومل الى الجهل ميل هائم
وكن حمارا تعش بخير * فالسعد فى طالع البهائم

(آخر)

طاب عيش الرقيع فى ذا الزمان * والجهول الغفول والصفعان
فاغتنم حمقك الذى أنت فيه * تحظ بالمكرمات والاحسان

(آخر)

اذا كان الزمان زمان حمق * فان العقل حرمان وشوم
فكن حمقا مع الحمقى فانى * أرى الدنيا بدولتهم تدوم

(آخر)

ان عاما فيه تسر بلت خزا * وترديت فى الرجال البرودا

لزمان أبدى النحوس الى النا * س واخفى عن العيون السعودا

(آخر)

قد كسد العقل وأصحابه * وفتحت للجهل أبوابه

فاستعمل الحمق تكن ذا غنى * فقد مضى العقل وأربابه

(آخر)

تحامق مع النوكى اذا ما لقيتهم * ولا تلقهم بالعقل ان كنت ذا عقل

وخلط اذا لاقيت يوما مخلطا * يخلط فى قول صحيح وفى فعل

فانى رأيت المرء يشقى بعقله * كما كان قبل اليوم يسعد بالعقل

(آخر)

أرى زمنا نوكاه أسعد أهله * ولكنما يشقى به كل عاقل

مشى فوقه رجلاه والرأس تحته * فكب الاعالى بارتفاع الاسافل

(وقال) بعض ظرفاء الادباء وهو أبو الحسن المائق

طلبت الرزق بالحذق * من الغرب الى الشرق

فلم يكسبنى العقل * سوى البعد من الخلق

فأدبرت عن العقل * وأقبلت على الحمق

فخاف الناس اشعارى * وقالوا أحمق الخلق

وجاؤا الابى الجش * بما شاء من الرزق

فمن لام على الحمق * فقد حاد عن الحق

ومما ذكر ان الحظ أجدى لصاحب الحجا

وأهدى فى طرق ما آربه من نجوم الدجى

ما حكى أهل التجارب فانهم قالوا العقل وسوء الحظ كالعلة والمعلول لا مفصل لاحدهما عن الآخر (وقالوا) افراط العقل مضر بالجد (وقيل) استأذن العقل على الجد فحجبه فقال اذهب انت بى لا انا بك (قال شاعر)

عش بجد ولا يضرك نوك * انما عيش من ترى بالجدود

(آخر)

لا تنظرن الى عقل ولا ادب * ان الجدود حديقات الحماقات

(آخر)

الجد أنهض بالفتى من عقله * فانهض بجدك فى الحوادث اوذر
ما أقرب الاشياء حين يسوقها * قدر وأبعدها اذا لم تقدر

(آخر)

متى ماترى الناس الغنىّ وجاره * فقير يقولوا عاجز وجليد
وليس الغنى والله من حيلة الفتى * ولكن أحاظ قسمت وجدود

(آخر)

لاتنظرنّ الى الجهالة والحجا * وانظر الى الادبار والاقبال
كم من صحيح العقل أخطأه الغنى * وعديم عقل فاز بالاموال

(ودعت) أم الاسكندر لولدها فقالت رزقك الله حظا يخدمك به ذووا العقول ولا رزقك عقلا تخدم به ذوى الحظوظ (وخير رجل) بين امرين فابى أن يختار وقال انا بجدى أوثق منى بعقلى (ومن أمثالهم) أن تجد فلا تكد (قال) أبو العلاء أحمد بن سليمان المعرى

لاتطلبنّ بغير حظ رتبة * قلم البليغ بغير حظ مغزل
سكن السما كان السماء كلاهما * هذا له رمح وهذا أعزل

(وقال بعضهم)

قالوا أقمت ومارزقت وانما * بالسير يكتسب اللبيب ويرزق
فاجبتهم ما كل سير نافع * الحظ ينفع لا الرحيل المقلق
كم سيرة نفعت وأخرى مثلها * ضرت ويكتسب الحريص ويخنق
كالبدر يكتسب الجمال بسيره * وبه اذا حرم السعادة يمحق

(آخر)

لايوجد الرزق بالامعان فى الطلب * ولا بكد ولا حرص ولا تعب
بل الحظوظ التى تعلو بصاحبها * لا بالخطوط التى فى سائر الكتب
كم من غلام أديب فيصل ذكر * شهم مهيب كحد السيف ذى الشطب
يمسى ويضحى من الافلاس فى تعب * يقلب الكف بالنيران واللهب
وآخر جلف طبع لاخلاق له * مذبذب العقل ثور امنتن الذنب
لايعرف الميم من واو اذا كتبا * ولا يميز بين التين والعنب
قد أقبلت نحوه الايام ضاحكة * وأخدمته الليالى كل ذى حسب

(وللشافعى

(وللشافعي رضى الله عنه)

بالجد يدنو كل أمر شاسع * والجد يفتح كل باب مغلق
فاذا سمعت بأن مجدودا حوى * عودا وأثمر فى يديه فحقق
واذا سمعت بأن محروما أتى * ماء ليشربه فغاض فصدق
لو كان بالحيل الغنى لوجدتنى * بنجوم أقطار السماء تعلقى
لكن من رزق الحجا حرم الغنى * ضدان مفترقان أى تفرق
ومن الدليل على القضاء وحكمه * بؤس اللبيب وطيب عيش الاحمق
وأحق خلق الله بالهم امرؤ * ذو همة يبلى برزق ضيق
فلربما امرت بقلبى ضجرة * فأودمنها أننى لم أخلق

(ويقال) اذا أقبل جد المرء فالاقدار تسعده والاوطار تساعده واذا أدبر فالايام تعاديه والنحوس تراوحه وتغاديه (ويروى) عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان السعادة لتلحظ الحجر فيدعى ربا والى هذا أشار حبيب بن أوس فى قوله

واذا تأملت الجبال وجدتها * تثرى كما تثرى الرجال وتعدم

(وقال آخر) وهو أبدع ما قيل فى هذا الباب

واذا السعادة لاحظتك بعينها * نم فالمخاوف كلهن أمان
واصطد بها العنقاء فهى حبائل * واقتد بها الجوزاء فهى عنان

وقال ابن نباتة

الا فاخش ما يرجى وجدك هابط * ولا تخش من شئ وجدك رافع
فلا نافع الا مع النحس ضائر * ولا ضائر الا مع السعد نافع

(آخر)

اذا كنت مرموقا بعين سعادة * فلا تخش يوما من رجوع الكواكب
فان الذى قد قرب الله سعده * بعيد لعمرى من صروف النواقب

(ومن الظريف) المطبوع فى هذا الباب قول محمد بن شرف القيروانى

اذا صحب الفتى جد وسعد * تحامته المكاره والخطوب
ووافاه الحبيب بغير وعد * طفيليا وقاد له الرقيب

(الباب الخامس فى الفصاحة وفيه ثلاثة فصول)

الفصل الاول من هذا الباب

(فى ان الفصاحة والبيان أزين ما تحلت بهما لاعيان)

قال الله تعالى الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان * وقال عليه الصلاة والسلام ان من البيان لسحرا (حد البيان) قال الجاحظ فى كتابه الذى سماه البيان والتبيين البيان اسم جامع لكل كلام كشف لك عن قناع المعنى وهتك الحجاب عن الضمير حتى يفضى السامع الى حقيقة اللفظ ويهجم على محصوله كائنا ما كان (وقيل) لجعفر بن يحيى بن خالد البرمكى ما البيان فقال أن يكون الاسم محيطا بمعناك كاشفا عن مغزاك (وقال آخر) خير البيان ما كان مصرحا عن المعنى ليسرع الى الفهم تلقنه وموجزا ليخف على اللسان تعاهده

(فمما ورد عن جهابذة هذا العقيان مدح موهبتى الفصاحة والبيان)

قول ابن المعتز البيان ترجمان القلوب وصيقل العقول * وقال سهل بن هرون البيان ترجمان اللسان وروض القلوب (وقال) بعض الاعراب لولده عليك بالفصاحة فى منطقك فانها مسامع صواب لفظك كالريش البهى فى حسن الصورة (ويقال) من عرف بفصاحة اللسان لحظته العيون بالوقار (وقال) هشام بن عروة ما أحدث الناس مروأة اعجب الى من الفصاحة (وقال) بعض البلغاء الفصاحة اوثق شاهد عدل على اجتماع شمل الفضل وأقوى دليل على استكمال الذكاء والنبل لم تزل تشيد لاهلها فى ربوع المجد فخرا وترفع لهم فى مراتب العلوم ذكرا وربما سودت غير مسود ورفعت من الحضيض الاوهد الى محل النسر والفرقد (ويقال) بالفصاحة والبيان استولى يوسف عليه السلام على مصر وملك زمام الامور وأطلعه ملكها على الجلى من أمره والمستور فان العزيز لما رأى فصاحة لسانه وحسن بيانه اعلى مكانه واعظم شانه

(ومما يتميز به نوع الانسان فصاحة المنطق وذلاقة اللسان)

(قال) بعض الحكماء الكلام حد الانسان الحى الناطق (وقالوا) الصمت منام والكلام يقظة وقال عبد الملك بن مروان ان الكلام قاض يحكم بين الخصوم وضياء يجلو الظلم حاجة الناس الى مواده كحاجتهم الى مواد الاغذية (ويقال) حد الانسان انه ناطق فمن كانت رتبته فى النطق أبلغ كان بالانسانية أخلق

وقال

(وقال) أبو الفرج الببغا فى رسالة له مدح فيها الكلام الحيوان كله متساو بنعت الحركة والنمو فالانسان والبهيمة باشتمال هذا الوصف عليهما سيان وانما فضل العالم الانسى بالنطق المترجم عن مراد العقل المظهر للحكمة من القلب الى العقل فاذا صحت بهذه القاعدة أن الانسان بفضيلة النطق أشرف مصنوع وأفضل مطبوع فقد وجب أن يكون اكمل هذا الجنس فضلا وأحمد هذا العالم فعلا ومن كان قسطه بفضيلة النطق موفورا فمحله من ربع البلاغة معمورا (وقال أيضا) من زعم أن الصمت أشرف مرتبة وأرفع منزلة من الكلام فقد حكم على الكلام بالنقصان وأحل العى محل البيان ولو كان الصمت أفضل من الكلام لتعبدنا الله به فيما انتدبنا له بالالهام وكان توحيد الله بحجج العقول فى غنى عن واسطة أو رسول (وقيل) لبعض الحكماء ايما أفضل الصمت أو النطق فقال ان الله تعالى بعث أنبياءه بالنطق لبيان الحجة وانك تمدح الصمت بالنطق ولا تمدح النطق بالصمت وماعبرت به عن شئ فهو أفضل منه (ويقال) من فضل الناطق على الصامت ان الناطق يهدى ضالا ويرشد غاويا ويعلم جاهلا (وقيل) لزيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم الصمت خير ام الكلام فقال لعن الله المساكتة فما أفسدها للسان وأجلبها للعى والله للمماراة أسرع فى هدم العى من السنان فى نبش العرفج (وقال آخر) الصمت مفتاح السلامة ولكنه قفل الفهم (وقال الشاعر)

خلق اللسان لنطقه وكلامه * لا للسكوت وذا لحظ الاخرس
فاذا نطقت فكن مجيبا سائلا * ان الكلام يزين رب المجلس

(وقالوا) اللسان عضو ان مرنته مرن وان تركته حرن (وقالوا) اللسان اذا كثرت حركته رقت عذبته كالرجل اذا عودت المشى سعت (وقال) خالد ابن صفوان ما الانسان لولا اللسان الا صورة ممثلة أو بهيمة مرسلة أو حالة مهملة (وقال أيضا) لسان الفتى أوجه شفعائه وأنفذ سلاحه على أعدائه به يتصل الود وينحسم الحقد (شاعر)

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده * ولم يبق الا صورة اللحم والدم

(وقال) بعض البلغاء مغرس الكلام القلب وزارعه الفكر وقيمه العقل وزهره الاعراب وثمره الصواب وجانيه اللسان

(ومما شرف به اللسان من خصائص الاحسان)

قالوا اللسان جوهر الانسان من خصائصه ان الله رفع قدره على سائر الاعضاء فأنطقه بتوحيده والهمه لتمجيده ومن خصائصه أنه اداة يظهر بها البيان وظاهر يخبر عما بطن فى الجنان وحاكم يفصل بالخطاب وناطق يرد الجواب وواصف تعرف به الاشياء وواعظ ينهى عن الفحشاء وشاهد يسأل به عن الغائب وشافع تدرك به المطالب ومونق يلهى الخاطر ومؤنس يزيل وحشة النافر ومعز تسكن به غلة الخليل ومزين يدعو الى الجميل وزارع ينبت الوداد وحاصد يذهب الضغائن والاحقاد

(ومما ينال به الخامل أعلى الرتب التحلى بأنواع جواهر الادب)

الادب نوعان نفسى وكسبى فالنفسى بتوفيق الله يهبه الله لمن يريد وهو ما كان من محاسن الافعال الدالة على كرم الطباع والكسبى ما استفادته الانفس من أحاسن الاقوال الآخذة بأعنة القلوب والاسماع وهو الذى ترجمت عليه فى هذا الموضع ليقع ذكره فى النفوس أحسن موقع لترمقه لاجله العيون بالاجلال وتجمل النفوس به لميلها اليه بتتابع الادلال وهو الظرف فى اللسان الكائن عن الاشتغال بفنون علوم الآداب الحسان كالنحو واللغة ونظم الشعر وانشاء النثر وما يتعلق بذلك من علم البديع والمعانى والبيان وما ذكرناه فهو الذى نال به حماد الراوية والاصمعى واسحق الموصلى العلا من الخلفاء والجوائز من الوزراء وسموا تشريفا لهم بالجلساء والندماء (قال) أكثم بن صيفى الرجل بلا أدب شخص بغير آلة وجسد بلا روح (وقال بزرجمهر) الادب شريف لا ينطبع الا فى مثله (وقال الاحنف) لكل شئ ذؤابة وذؤابة الشرف الادب (وقال أنوشروان) عجبت لمن يشهره الادب كيف تدعوه نفسه الى مكرمة (وقال) بعض الاعراب لولده عليك بالادب فانه يرفع العبد المملوك حتى يجلسه فى مجالس الملوك (وقال) عبد الملك لبنيه تأدبوا فان كنتم ملوكا بررتم وان كنتم أوساطا فقتم وان أعوزكم المعاش عشتم استفيدوا من الادب ولو كلمة واحدة (وقال) بعض الاعراب تعلموا الادب فانه زيادة فى الفضل ودليل على العقل وصاحب فى الغربة وأنيس فى الوحدة وجمال فى المحافل وسبب الى درك الحاجة (وقال المأمون) والله لان أموت طالبا

للادب

للادب خير من أن أموت قانعا بالجهل (ويقال) ذلـك قلبك بالادب كما تذكى النار بالحطب (وقال الخليل) بن أحمد من لم يكتسب بالادب مالا اكتسب به جمالا (وقال آخر) الادب أكرم الجواهر طبيعة يرفع الاحساب الوضيعة ويفيد الرغائب الجليلة وينجح القصد والوسيلة فالبسوه حلة وتزينوه حلية فانه أنفق معاش وأجمل رياش (وقال) الشعبي الادب للفقير مال وللغنى جمال وللحكيم كمال

(ومما ذكر أن التحلي بالآداب يلحق الدنىء بذوى الاحساب)

(قالوا) من قعد به نسبه نهض به حسبه (وقالوا) من تأدب وليس له حسب الحقه الادب بأهل الرتب (وقد) يستغنى بالادب عن الحسب كما حكى عن سيبويه قال تكلم رجل بين يدى المأمون فأحسن فقال له المأمون ابن من أنت قال ابن الادب يا أمير المؤمنين فقال نعم الحسب الذى انتسبت اليه (ولهذا قيل) المرء من حيث يثبت لا من حيث ينبت ومن حيث يوجد لا من حيث يولد وبآدابه لا بثيابه وبفضيلته لا بفصيلته وبعقله لا بعقائله وبأنبائه لا بآبائه وبكماله لا بجماله قال الشاعر

كن ابن من شئت واتخذ أدبا * يغنيك محموده عن النسب
ان الفتى من يقول ها أناذا * ليس الفتى من يقول كان أبى

(وقال بزرجمهر) من كثر أدبه كثر شرفه وان كان وضيعا وبعد صيته وان كان خاملا وساد وان كان غريبا وكثرت حوائج الناس اليه وان كان فقيرا (وقالوا) من دأب فى طريق الادب أدرك حاجته وملك ناصيته ونبل قدره ونبه ذكره قال الشاعر

لكل شئ زينة فى الورى * وزينة المرء تمام الادب
قد يشرف المرء بآدابه * فينا وان كان وضيع الحسب

(وما أحسن قول بعض الاعاجم يفتخر ويعتذر)

مالى عقلى وهمتى حسبى * ما أنا مولى ولا أنا عربى
واذا انتمى منتم الى أحد * فاننى منتم الى أدبى

(ويقال) حسن الادب يستر قبيح النسب (وقالوا) الفضل بالعقل والادب لا بالاصل والنسب (ويقال) الادب ينوب عن الحسب ولا ينفع حسب

بلا أدب شاعر

كم من خسيس وضيع القدر ليس له * فى العز بيت ولا ينمى الى نسب
قد صار بالادب المحمود ذا شرف * عال وذا حسب محض وذا نشب
يعلى التأدب أقواما ويرفعهم * حتى يساووا ذوى العلماء فى الرتب

(ذكر من دأب فى طلب الادب فنال به أعلى المناصب والرتب)

يكفى دليلا على ما ذكرناه وانموذجا لما وصفناه حال أحمد بن أبى دواد فى ترقيه الى بقاع المجد من الحضيض الوهد (يحكى أنه) كان يختلف الى مجلس بشر المريسى فى حالة رثة وهيئة رديئة وينصرف عنه فى قائم الظهيرة معلقا محبرته متابطا دفتره فيقيل عند أخ له فلما وجه المأمون المعتصم الى مصر التمس من بشر رجلا من أصحابه يكون فى صحبة المعتصم يوليه على المظالم ويكتب اليه أخباره فقال يا أمير المؤمنين معنا قوم لهم فقه ولكن لم يجمعوا اليه الادب ومعرفة أمور السلطان ثم وصف له احمد ابن أبى دواد قال انه جمع الى فقه أدبا وبيانا وعقلا فأرسل اليه وقلده المظالم ففعل ثم حل من المعتصم محلا عظيما لاختياره له أيام مقامه بمصر معه (ومنهم) الفضل بن سهل ذو الرياستين كان أهل بيته مجوسا وتجارا وصناعا فيهم الدهقان وبائع الخمر فبلغ به الادب الى أرفع الرتب (ذكر عنه) انه كان يتقلد بسيفين أحدهما أحمر الجفن مكتوب عليه رياسة الحرب والآخر أسود الجفن مكتوب عليه رياسة التدبير ولهذا سمى ذو الرياستين وصحب الفضل المأمون فى حداثته أيام أبيه الرشيد وهو مجوسى فغلب عليه وحمله على ايثار الادب وطلب الحكمة وكان الفضل يعلم أحكام النجوم فأخبره انه يرى فى طالعه أنه يلى الخلافة سلبا وان تدبيره يبعد عنه شرقا وغربا فبلغ الرشيد شأنه وخبره فهدر دمه فاستتر حينا ثم بدا له أن يظهر فأتى الرشيد وهو فى الحلبة فمثل بين يديه وهو يقول أعوذ يا أمير المؤمنين برضاك من سخطك واعترف بالذنب وأسلم لله على يدك فقال الرشيد من هذا قالوا المجوسى الذى هدرت دمه فقال قد وهبناك دمك اذ اسلمت له فاياك ومعاودة ما بلغنا عنك (ومنهم) محمد بن عبد الملك الزيات قال له العلاء ابن أيوب يوما وقد دارت بينهما محاورة فى مناظرة ليس هذا كيل الزيت ولا عد الجوز قال له ابا التجارة تعيرنى قد كنت تاجرا وكنت متاخرا فقدمنى

الله بالادب واصارنى بعد التجارة الى الوزارة وليس المعيب من كان خسيسا فارتفع وانما هو من كان شريفا فاتضع ولو كنت عاملتك معاملة الفضل ابن سهل واذللتك كما أذلك لم تقدم على تمثل هذا القول الذى لم ينفعك فقد كنت تدخل دار الخلافة تلوذ بالجدران وتتبع الافياء ناكس الرأس غضيض الطرف خوفا منه لكنى رفعتك فى المجلس فوق من هو أرفع منك وقدمتك على من هو متقدم عليك فقال له العلاء مهلا انما قلت كلمة مقولة وتمثلت بمثل مضروب لم اعتمد به فأما قولك انى كنت ألوذ بالجدران وأتبع الافياء خوفا من الفضل فقد كان ذلك ولكنى لم أكن أراك هنالك وان أولى الناس أن لا يعير أحدا باستخفاف الفضل لانت فقال ابن الزيات هذا شر من ذلك ونهض من مجلسه وقال احجبوه عنى فكان العلاء يأتى بابه كل يوم فيقف حتى ينصرف الناس ثم يمضى فلما رأى ابن الزيات صبره وأدبه صالحه وخالصه (وأراد) العلاء بقوله فان أولى الناس أن لا يعير أحدا باستخفاف الفضل لانت ان الفضل رأى على ابن الزيات سوادا فأمر بتمزيقه عليه وقال لا تتشبه بأصحاب السلطان وأرباب المراتب ثم لم تطل مدة الايام والليالى حتى قلد ابن الزيات الوزارة وجلس الفضل بن سهل بين يديه * وكان ابن الزيات مليا بعلم الادب كاتبا شاعرا لايشق فى شئ منها غباره ولا تدرك آثاره (يحكى) فى سبب تقدمه بعد ان كان يتولى قهرمة الدار ويشرف على المطبخ انه ورد على المعتصم كتاب البريد يخبر فيه ان بلاد الجبل نزل بها مطر عظيم كثر منه الكلا فقال المعتصم لاحمد بن عمارة وكان متقلد العرض عليه ما الكلا قال لا أدرى فقال المعتصم انا لله وانا اليه راجعون أخليفة أمى وكاتب عامى ثم قال من يقرأ لنا الكتاب فعرف بمكان محمد بن عبد الملك الزيات فطلبه فلما مثل بين يديه قال له ما الكلا قال النبات كله رطبه ويابسه فالرطب خاصة يقال له العشب واليابس خاصة يقال له الحشيش ثم اندفع فى وصف النبات من ابتدائه الى انتهائه فهذا هو السبب لما ذكرناه

(ومن ممادح أهل هذه الصناعة الآخذين بأعنة الفصاحة والبراعة)

وصف مسلم بن بلال بنى العباس وقد سئل عنهم فقال أولئك قوم بنور الخلافة يشرقون وبلسان النبوة ينطقون (ومدح) خالد بن صفوان رجلا ببراعة

المنطق فقال كان والله جزل الالفاظ عزيز مقال اللسان فصيح مآخذ البيان رقيق حواشى الكلام بليل الريق قليل الحركات ساكن الاشارات (ومدح) اعرابى رجلا فقال فلان أخذ بزمام الكلام فقاده أسهل مقاد وساقه أجمل مساق فاسترجع به القلوب الجامحة واستصرف به الابصار الطامحة (ووصف) ابن المقنع بليغا فقال مازالت ينابيع حكمه تترقرق فى مغابن الآذان حتى أعشبت بها القلوب عقولا (وقد) ألم بهذا المعنى المتنبى فى قوله

نطق اذا ما القول حط لثامه * أعطى بمنطقه القلوب عقولا

(ولابى اسحق الصابى فى الوزير أبى محمد المهلبى رحمه الله تعالى)

قل للوزير أبى محمد الذى * قد أعجزت كل الورى أوصافه
لك فى المحافل منطق يشفى الجوى * ويسوغ فى أدب الاريب سلافه
فكان لفظك لؤلؤ متنخل * وكأنما آذاننا اصدافه

(قيل) فلان اذا أنشأ وشى واذا عبر حبر فلان اذا أنشأ نثرت زهرات الآداب من عذوبة لسانه واذا أنشد حرك ذا الوقار طربا باحسانه لله در فلان ما أسبط لسانه وأطول عنانه وأفصح بيانه وأجود افتنانه

(أبو عبادة البحترى يصف بليغا)

حكم فسائحها خلال بنانه * متدفق وقليبها فى قلبه
كالروض مؤتلفا بحمرة نوره * وبياض زهرته وخضرة عشبه
وكأنها فى السمع معقود بها * شخص الحبيب بدا لعين محبه

(ولبعض شعراء العصر)

مقال تفدّيه أوائل وائل * وتفديه أحقابا أعارب يعرب
هو الزهر الغض الذى فى كمامه * أو اللؤلؤ الرطب الذى لم يثقب

(آخر)

قول هو الماء لذ مطعمه * وكل قول سواه كالزبد

(وقال) حسان بن ثابت رضى الله عنه

اذا قال لم يترك مقالا لقائل * بملتقطات لاترى بينها فصلا
كفى وشفى ما فى النفوس ولم يدع * لذى اربة فى القول جدا ولا هزلا

(آخر)

كلام كوقع القطر فى المحل يشتفى * به من جوى فى باطن القلب لاصق

(الفصل الثانى من الباب الخامس)

(فيما يتحلى به ألباب الادباء من بلاغات الكتاب والخطباء)

ولنورد امام هذا الفصل نبذة يسيرة فى حدّ البلاغة وأقسامها والطريق الذى يوصل سلوكه الى معرفة نقصها أو تمامها (قال العتابى) واسمه كلثوم بن عمرو البلاغة اظهار ماغمض عن الحلق وتصوير الباطل فى صورة الحق (وقال) على بن عيسى الرمانى أبلغ الكلام ماحسن ايجازه وكثر اعجازه وتساوت صدوره وأعجازه (وقالوا) البلاغة ايصال المعنى الى القلب فى أحسن صورة من اللفظ (وقيل) لبعض البلغاء من البليغ قال الذى اذا قال أسرع واذا أسرع أبدع واذا أبدع حرك كل نفس بما أودع (وقالوا) لايستحق الكلام اسم البلاغة حتى لايكون لفظه الى سمعك أسبق من معناه الى قلبك (وقال) عبد الحميد بن يحيى كاتب مروان الحمار البلاغة مارضيته الخاصة وفهمته العامة

(والعرب سباق حلبة البيان يعترف لهم بذلك فصحاء كل زمان)

قال بعضهم نحن أمراء الكلام فينا وشجت عروقه وعلينا تدلت غصونه فنحن نجنى منها ماحلا وعذب ونترك ما املولح وخبث (وقال الجاحظ) ليس فى الارض كلام هو أمتع ولا أنفع ولا آنق فى الاسماع ولا أقود للطباع ولا أفتق للسان ولا أجود تقويما للبيان من كلام الاعراب الفصحاء العقلاء (وسئل) بعض البلغاء ايما أشرف العرب أو العجم فقال العرب أحلى واحلم واعلى وأعلم وأقوى وأقوم وأنكى وأنكر وأذكى وأذكر وأعطى وأعطف وأحصى وأحصف وأبلى وأبلغ واسمى وأسمع وأشرى للفخار وأشرف وأنفى للعار وآنف (وسال كسرى) الحرث بن كلدة لما وفد عليه ما الذى يحمد من اخلاق العرب ويحفظ من مذاهبهم فقال لهم أنفس سخية وقلوب جرية وعقول صحيحة وأنساب صريحة يمرق الكلام من أفواههم مروق السهم من الرمية أعذب من الماء وأرق من الهواء يطعمون الطعام ويضربون

الهمام عزهم لا يرام وجارهم لا يضام ولا يروع اذا نام

(فمن وشائع ألفاظهم البارعة وبدائع معانيهم الرائعة)

ما يحكى ان اعرابيا قال عند ضجره فى طلب الرزق والله لقد تقلبت بى الاسباب وقرعت جميع الابواب واضطربت غاية الاضطراب وسافرت حتى بلغت منقطع التراب ورضيت من الغنيمة بالاياب فما رأيت الحرمان الا فائضا والنجح الا غائضا * واعترضت اعرابية المنصور بطريق مكة بعد موت السفاح فقالت يا أمير المؤمنين قد احسن الله اليك فى الحالتين وأعظم عليك النعم فى المنزلتين سلبك خليفة الله وأفادك خلافة الله فاحتسب عند الله ما سلبك واشكر له ما منحك (ووقف اعرابى) على قوم يسألهم فقال يا أرباب الوجوه الصباح والعقول الصحاح والصدور الفساح والنفوس السماح والالسن الفصاح والمكارم الرباح هل فيكم من يسمع كلامى فيعذرنى من مقامى (ووقف اعرابى) بقوم فقال يا قوم أشكو اليكم زمانا كلح لى بوجهه وأناخ علىّ بكلكله بعد نعمة من البال وثروة من المال وغبطة من الحال اعتورتنى جديداه بنبال مصائبه عن قسى نوائبه فما تركالى ثاغية أجتدى ضرعها ولا راغية أرتجى نفعها فهل فيكم معين على صرفه أو معد على حيفه فردوا عليه ولم ينيلوه شيأ فولى عنهم وهو يقول

قد ضاع من يأمل من أمثالكم * جودا وليس الجود من أفعالكم
لا بارك الله لكم فى مالكم * ولا أزاح السوء عن عيالكم
فالموت خير من صلاح حالكم

(ومن كلامهم) فى الاوصاف وصف اعرابى امرأة فقال هى السقم الذى لا برء منه والبرء الذى لا سقم معه أسهل من الماء وأبعد من السماء (ووصف آخر امرأة فقال كاد الغزال يكونها لولا ما نقص منه وتم منها (وقال آخر) سبقنا الحى وفيهم أدوية السقام فقرأن بالحدق السلام وخرست الالسن عن الكلام (وقال آخر) خرجت حين انحدرت النجوم وسالت أرجلها فما زلت أصدع الليل حتى انصدع الفجر (وأرسل) اعرابى ولده فى حاجة فرجع خائبا فسأل عن سبب خيبته فقال أتيت سوق الظما فبكت السماء وضحك البرق وقهقه الرعد فخفت الهاطلة فرجعت (وصف أعرابى مصيبة

فقال

فقال انها مصيبة تركت سود الرؤس بيضا وبيض الوجوه سودا (وقيل لبعض الاعراب) هل عندكم فى البادية طبيب قال كلا ان حمر الوحش لا تحتاج الى بيطار (وقيل لاعرابى) كيف حالك فقال امزق دينى بالذنوب وأرقعه بالاستغفار (وقيل لاعرابى) مالك من فلان قال وجه صبيح وصدر فسيح وقلب نصيح ونسب صريح وخلق سجيح وسعى نجيح ووعد مريح

ملح من بدائع ألفاظ الكتاب الافاضل الهاذى حلال سحرها بحرام سحر بابل

ولنورد امام ذلك كلاما فى فضل الكتابة كافيا وللكتاب من أدواء الخمول شافيا (قلت) الكتاب ساسة الملك وعماده وأركان قراره واطواده باقلامهم تبسط الارزاق وتقبض الآجال وباحلامهم تصان المعاقل اذا عجز عن صونها الرجال (وقالوا) الكاتب مالك الملك يصرّفه بقلم الانشاء حيث شاء (وقالوا) لو أنّ فى الصناعات صناعة مربوبة لكانت الكتابة ربا لكل صناعة (وقالوا) الكتابة قطب الادب وفلك الحكمة ولسان ناطق بالفضل وميزان يدل على رجاحة العقل * وبالكتاب قامت السياسة والرياسة واليهم ألقى تدبير الاعنة والازمة وعليهم يعتمد فى حصر الاموال وانتظام شتات الاحوال (شاعر)

قوم اذا أخذوا الاقلام عن غضب * ثم استمدوا بها ماء المنيات
نالوا بها من أعاديهم وان بعدوا * مالا ينال بحد المشرفيات

(آخر)

قوم اذا خافوا عداوة إمرئ * سفكوا الدما بأسنة الاقلام
ولضربة من كاتب ببنانه * أمضى وأنفذ من رقيق حسام

(قال ابن المقفع) الملوك أحوج الى الكتاب من الكتاب للملوك (ومن فضل الكتابة) ان صاحب السيف يزاحم صاحب القلم فى قلمه ولا يزاحمه الكاتب فى سيفه

(فمن موجز بلاغتهم ومعجز صياغتهم)

ما كتب به للنبىّ صلى الله عليه وسلم من كتاب أما بعد فكأ نّنا فى الثقة بك منك وكأنك فى الرقة علينا منا لا نالم نرجك فى أمر الا نلناه ولا خفناك عليه الا أمناه (ومن بليغ مكاتبتهم) ما كتب به يزيد بن الوليد الى مروان بن محمد وقد بلغه تلكؤه فى بيعته أما بعد فانى أراك تقدّم رجلا وتؤخر أخرى فاذا

أتاك كتابى هذا فاعتمد على أيهما شئت والسلام (ومنها) ما كتب به عبد الحميد لرجل بالوصاية على انسان حتى موصل هذا الكتاب اليك لحقه على اذ رآك موضعا لامله ورآنى أهلا لحاجته وقد أنجزت حاجته فحقق أمله (ومنها) ما ذكر أن المأمون قال لعمرو بن مسعدة اكتب الى عاملنا فلان كتاب عناية بانسان فى سطر واحد فكتب هذا كتاب واثق بمن كتب اليه معتن بمن كتب له ولن يضيع بين الثقة والعناية حامله (ومن بدائعها) ما كتب به أبو بكر الخوارزمى جوابا عن هدية وصلت التحفة ولم يكن لها عيب الا أن باذلها مسرف فى البر وقابلها مقتصد فى الشكر والسرف مذموم الا فى المجد والاقتصاد محمود الا فى الشكر والحمد (وكتب) ابن العميد الى محمد ابن يحيى يستعطفه من رسالته وما أحسبنا اشتركنا الا فى الاسم فقط وشتان بين محمد ومحمد فلو كنا السماكين لكنت الرامح وكنت الاعزل ولو كنا النسرين لكنت الطائر وكنت الواقع ولو كنا السعدين لكنت السعود وكنت الذابح أخذه من قول الفرزدق

وقد تلتقى الاسماء فى الناس والكنى * كثيرا ولكن لا تلاقى الخلائق

(وكتب) أبو الفضل أحمد بن الحسين الهمدانى بديع الزمان يستعطف أيضا انى خدمت مولاى والخدمة رق بغير اشهاد وناصحته والمناصحة للمودة أوثق عماد ونادمته والمنادمة رضاع ثان وطاعمته والمطاعمة نسب دان وسافرت معه والسفر والاخوة رضيعا لبان وقمت بين يديه والقيام والصلاة شريكا عنان وأثنيت عليه والثناء من الله بمكان وأخلصت له والاخلاص مشكور بكل لسان (وكتب) أبو العيناء الى أبى الوليد يستجديه مسنا وأهلنا الضر وبضاعتنا الود والشكر فان لم تعطنا فلسنا ممن يلمزك فى الصدقات فان أعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون * وأبو العيناء كما قال فيه محمد بن مكرم وقد سئل عنه من زعم أن عبد الحميد أكتب من أبى العيناء اذا أحس بكرم أو شرع فى طمع فقد ظلم (وبعث) ملك الروم الى المعتصم كتابا يتوعده فيه ويتهدده فأمر الكتاب أن يكتبوا جوابه فكتبوا فلم يعجبه مما كتبوا شيأ فقال لبعضهم اكتب بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فقد قرأت كتابك وفهمت خطابك والجواب ما ترى لا ما تسمع وسيعلم الكافر

لمن

لمن عقبى الدار (ومن محاسن لطائفهم) ما حكى ان الرشيد قال ليحيى بن خالد انى أردت أن أجعل الخاتم الذى فى يد الفضل الى جعفر فاحتشمت منه فاكفنيه فكتب يحيى الى الفضل قد أمر أمير المؤمنين أعلى الله قدره وأنفذ أمره أن ينقل خاتمه من يمينك الى شمالك فأجاب الفضل قد سمعت ما قال أمير المؤمنين فى أخى وما انتقلت عنى نعمة صارت اليه ولا غربت عنى رتبة طلعت عليه فانظر الى هذه المآثر والمكارم التى هى للجباه غرر وللثغور مباسم (ومن ملحهم) ما كتبه أبو العبر وهو أحمد بن محمد بن عبد الله الهاشمى تقليدا لابى العجل يا أبا العجل وفقك الله وسددك والى كل خير أرشدك وليتك خراج ضياع الهواء ومساحة الفضاء وكيل ماء الانهار وعدورق الاشجار وطرار الاوبار وصدقات البوم وقسم الشوم بين الهند والروم واجريت لك من الارزاق ما يقوم باودك فى الانفاق بغض أهل حمص لاهل العراق وأمرتك أن تجعل عيالك بنيسان واصطبلك بهمدان ومطبخك بحران وبيت مالك بسجستان وديوانك بغانه ومجلسك بفرغانه وخلعت عليك خفى حنين وقميصا من شين وسراويل من دين وعمامة من مخنقة عين وحملتك على حمار مقطوع الذنب والاذنين مكسور اليدين والرجلين فدر فى عملك كل يوم مرتين واحمد الله على ما الهمنا فيك وقابلنا بالشكر على ما توليك

ولنذكر من كلام الخطباء ذوى البراعة واللسن ما كان ذا لفظ بديع ومعنى حسن بعد أن نورد فى شرف الخطابة والخطباء كلاما يمتزج بالقلوب امتزاج الماء بالصهباء

قال الله تعالى فى حق داود عليه السلام مبينا عن شرف ما أجزل له فى العطاء وأطاب وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب (ذكر) أن فصل الخطاب هو أما بعد فى الخطبة وأنه أول من قالها * وقالت العرب ان أول من قالها قس بن ساعدة الايادى * وأول من خطب لقمان بعد داود عليه السلام وبه يضرب المثل فى الحكمة والموعظة الحسنة (وفى الحديث) ان شعيبا خطيب الانبياء (وفى المثل) أخطب من قس هو قس بن ساعدة الايادى ولاياد وتميم شرف ليس لاحد من العرب لان النبى صلى الله عليه وسلم روى كلام قس وموعظته بعكاظ وهذا استناد تعجز عنه أمانى الرجال وتنقطع دونه الآمال

وبذلك كان خطيب العرب قاطبة (واما تميم) فان النبى صلى الله عليه وسلم سأل عمرو بن الايهم عن الزبرقان واسمه حصين بن بدر فأجابه بكلام مدحه فيه بما فيه فلم يرض الزبرقان باقتصاره على ما قال ورأى أنه غض منه وانها عثرة لا تقال فقال فى الحالة الراهنة كلاما ذمه فيه بما فيه فصدق فى الاول ولم يمن فى الثانى فعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم لسرعة فهمه وتحريه الصدق فى مدحه وذمه وقال فى وصف كلامه ما هو به أحرى عطفا على قوله للبيدان من الشعر لحكما وان من البيان لسحرا قال قيس بن عاصم يمدح قوما بالخطابة

خطباء حين يقوم قائلهم * بيض الوجوه مصاقع لسن

(وقال آخر يفتخر بقومه فى المعنى)

وانى من قوم كرام أعزة * لاقدامهم صيغت رؤس المنابر

(وقال) أبو العباس الاعمى واسمه السائب ابن فروخ مادحا لبنى أمية بالخطابة فى المعنى أيضا

خطباء على المنابر فرسا * ن عليها وقالة غير خرس
لا يعابون صامتين وان قا * لوا أصابوا ولم يقولوا بلبس

(والخطابة) جزالة اللفظ وشدة المعارضة (وقال الجاحظ) رأس الخطابة الطبع وعمودها الدربة وجناحاها رواية الكلام وحليها الاعراب وبهاؤها تخير اللفظ والمحبة مقرونة بالايجاز (وقال) ابن أبى دواد تلخيص المعانى رفق والاستعانة بالغريب عجز والتشادق بغض والنظر فى عيون الناس عى ومس اللحية هلك والخروج مما بنى عليه أول الكلام اسهاب

ولرسول الله صلى الله عليه وسلم الخطب التى حكمت فصاحتها بالعى لقس والفهاهة لسحبان ورجعت خاسئة عن مجاراتها فى ميدان البلاغة سوابق الاذهان غير أنا نورد منها فى هذا المكان قطرة من سحابها الصائب لنصيب الغرض المقصود اصابة الهدف السهم الصائب

(خطب) عليه الصلاة والسلام فقال أيها الناس ان لكم معالم فانتهوا الى معالمكم وان لكم نهاية فانتهوا الى نهايتكم الا وان المؤمن بين مخافتين بين أجل قد قضى لا يدرى ما الله صانع فيه وبين أجل قد بقى لا يدرى ما الله قاض

فيه

فيه فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته ومن الشبيبة قبل الهرم ومن الحياة قبل الموت فوالذى نفس محمد بيده مابعد الموت مستعتب ومابعد الدنيا دار الا الجنة أو النار فيالها كلمات لو صادفت سمعا واعيا وقلبا لجناب الله داعيا (وخطب) أبو بكر الصديق رضى الله عنه عند موت النبى صلى الله عليه وسلم وقد غشى المسلمين بمصيبتهم به ماغشيهم فقال أيها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حى لايموت ان الله اختار لنبيه ماعنده على ماعندكم وقبضه الى ثوابه وخلف فيكم كتاب الله وسنته فمن أخذ بهما عرف ومن فرق بينهما أنكر ثم تلى وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الآية ثم قال أشهد ان الكتاب كما أنزل وأن الحديث كما حدث وان الله حى لايموت وانا لله وانا اليه راجعون * وكان اذا فرغ من خطبته يقول اللهم اجعل خير زمانى آخره وخير عملى خواتمه وخير أيامى يوم لقائك (وكان عمر) يقول آخر خطبته اللهم لاتدعنى فى غمرة ولا تأخذنى على غرة ولاتجعلنى من الغافلين (وخطب) على رضى الله عنه فقال أما بعد فان الدنيا قد آذنت بوداع وان الآخرة قد أقبلت وأشرفت باطلاع وان المضمار اليوم وغدا السباق فاعملوا لله فى الرغبة كما تعملون له فى الرهبة وان أخوف ماأخاف عليكم اتباع الهوى وطول الامل (وخطب) معاوية رضى الله عنه فى يوم شديد الحر فقال بعد التحميد ان الله خلقكم فلم ينسكم ووعظكم فلم يهملكم فقال يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولاتموتن الا وأنتم مسلمون (وخطب) يزيد بن معاوية بعد موت أبيه فقال الحمد لله ماشاء صنع من شاء أعطى ومن شاء منع ومن شاء خفض ومن شاء رفع ان أمير المؤمنين معاوية كان حبلا من حبال الله تعالى مده ماشاء أن يمده ثم قطعه حين أراد قطعه وكان دون من قبله وخير من بعده ولا أزكيه عند ربه وقد صار اليه فان يعف عنه فبرحمته وان يعاقبه فبذنبه وقد وليت الامر بعده ولست اعتذر من جهل ولا آسى على طلب علم وعلى رسلكم اذا كره الله شيأ غيره واذا أراد أمرا يسره (وخطب) سليمان بن عبد الملك فقال ألا انما الدنيا دار غرور ومنزل باطل تضحك باكيا وتبكى ضاحكا وتخيف آمنا وتؤمن خائفا وتفقر مثريا وتثرى فقيرا اعلموا عباد الله أن هذا القرآن يجلو كيد الشيطان

كما يجلو ضوء الصبح اذا تنفس ظلام الليل اذا عسعس (وخطب) عمر بن عبد
العزيز فقال أيها الناس أصلحوا اسرائركم تصلح لكم علانيتكم وأصلحوا دنياكم
تصلح لكم آخرتكم وان امرأ ليس بينه وبين آدم أب حي لعريق في الموتى
وكان يقول في آخر خطبته اللهم انّ ذنوبي عظمت عن أن تحصى وهي صغيرة في
جنب عفوك فاعف عني * وخطب في زواج فقال الحمد لله ذي الكبرياء
وصلى الله على سيدنا محمد خاتم الانبياء أما بعد فان الرغبة منك دعتك الينا
والرهبة منا فيك أجابت وقد زوجناك على كتاب الله وسنة رسوله اما امساك
بمعروف أو تسريح باحسان (وخطب) السفاح لما قتل مروان بن محمد
وبويع فقال ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار الآية
ثم قال نكص بكم يا أهل الشام آل حرب وآل مروان ماذا يقول زعماؤكم
يقولون ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار اذا يقول الله وفاء
بما وعد لكل ضعف ولكن لا تعلمون اما انا فقد غفرت لكم الزلة وبسطت لكم
الاقالة وعدت بفضلي على نقصكم وبحلمي على جهلكم فليسكن روعكم
ولتطمئن بكم داركم ولتعظكم مصارع أولئكم فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا
(وخطب) المنصور فقال أحمد الله أحمده واستعينه وأتوكل عليه وأشهد
أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أيها الناس
اتقوا الله فقام اليه رجل وقال اذكرك من ذكرتنا به وأنت في ذكره يا أمير
المؤمنين فقال المنصور مرحبا مرحبا لقد ذكرت جليلا وخوفت عظيما
وأعوذ بالله أن أكون ممن اذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم والموعظة
منا بدت ومن عندنا خرجت وفي رواية قال سمعا وطاعة لمن سمع عن الله
وذكر به وأعوذ بالله أن أذكر به وأنساه لقد ضللت اذا وما أنا من المهتدين
ثم التفت الى الرجل وقال واما أنت يا قائلها فوالله ما الله أردت بهذا ولكن
ليقال قام فلان فقال فعوقب فصبر وأهون بها من قائل لو كانت وأنا
أنذركم أيها الناس اختها فان الموعظة الحسنة علينا نزلت وفينا نبتت
ثم قال رحم الله امرأ نظر في دنياه لآخرته فمشى القصد وقال القصد
وجانب الهجر ثم أخذ بقائم سيفه وقال ان بكم داء هذا شفاؤه وأنا زعيم

لكم بشفائه فليعتبر عبد قبل أن يعتبر به فما بعد الوعيد الا الايقاع وانما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله (وخطب) المامون فى يوم عيد فقال أيها الناس عظم قدر الدارين وتباين جزاء العالمين وطالت مدة الفريقين الله الله انه الجد لا اللعب والحق لا الكذب وما هو الا الموت والبعث والميزان والحساب والصراط والقصاص والثواب والعقاب فمن نجا يومئذ فقد فاز ومن هوى فقد خاب الخير كله فى الجنة والشر كله فى النار (فلله) هذه الكلمات ما أجلاها لصدا الذنوب وأحلاها وقعا فى القلوب ولم تزل خلفاء بنى العباس يخطبون على المنابر فى الجمع والاعياد وآخر من فعل ذلك منهم الراضى (خطب العمال) قال الشعبى ما سمعت أحدا يتكلم الا تمنيت أن سكت مخافة أن يخطئ الا زيادا فانه كان لا يزداد اكثارا الا ازداد احسانا خطب فقال أيها الناس لا يمنعنكم سوء ما تعلمون أن تنتفعوا منا بأحسن ما تسمعون فان الشاعر يقول

اعمل بقولى ولا تنظر الى عملى * ينفعك قولى ولا يضررك تقصيرى

كذا وقعت لى هذه الحكاية ثم وجدت بعد ذلك فى بعض التعاليق هذا البيت منسوبا للخليل بن أحمد ويجوز أن يكون الخليل أنشده متمثلا به والله أعلم (قال بعد انشاده البيت اسمعوا قولى هذا وعوه فانما على ما حملت وعليكم ما حملتم (وخطب) مصعب بن الزبير لما قدم العراق واليا عليه من قبل أخيه عبد الله فقال (بسم الله الرحمن الرحيم طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون) وأشار بيده نحو الشأم والحجاز والعراق (ان فرعون علا فى الارض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيى نساءهم انه كان من المفسدين) وأشار بيده نحو الشأم يريد عبد الملك بن مروان (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم فى الارض) وأشار نحو الحجاز يريد أخاه عبد الله (ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون) وأشار نحو العراق يريد أجناد عبد الملك (وكان الحجاج) من الفصحاء البلغاء (قال الشعبى) كنت ممن شاهده على المنبر ما رأيت أحدا أبين من الحجاج ان كان ليرقى المنبر فيذكر احسانه الى أهل العراق وصفحه عنهم

واساءتهم عليه حتى أقول فى نفسى انى لاحسبه صادقا وانى لاظنهم كاذبين (خطب) فقال أما بعد فان الله كتب على الدنيا الفناء وكتب على الآخرة البقاء ولا بقاء لما كتب عليه الفناء ولا فناء لما كتب عليه البقاء فلا يغرنكم شاهد الدنيا عن غائب الآخرة واقصروا طول الامل بقصر الاجل قال الشعبى كلام حكمة خرج عن قلب خرب (وخطب) سليمان بن على بالعراق لما قتلت الامويون فقال ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادى الصالحون ان فى هذا البلاغ القوم عابدين قضاء مبرم وقول فصل وماهو بالهزل الحمد لله الذى صدق عبده وأنجز وعده وبعدا للقوم الظالمين الذين اتخذوا الكعبة غرضا والفىء ارثا وجعلوا القرآن عضين لقد جاءهم ما كانوا به يستهزؤن فكأين من قرية أهلكتها وهى ظالمة فهى خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد ذلك بما قدمت أيديهم وأن الله ليس بظلام للعبيد أمهلوا والله حتى نبذوا الكتاب والسنة واعتدوا واستكبروا وخاب كل جبار عنيد ثم أخذتهم فكيف كان نكير فهل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا (وخطب) داود أخوه بالمدينة فقال أيها الناس حتام يهتف بكم صريخا أما آن لراقدكم أن يتنبه كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون أغركم الامهال حتى حسبتموه الاهمال هيهات منكم وكيف بكم والسوط والسيف مشيم ثم أنشد

حتى تبيد قبيلة وقبيلة * ويعض كل مثقف بالهام
ويقمن ربات الخدور حواسرا * يمسحن عرض نواصى الايتام

قال الجاحظ داود وسليمان من أفصح خطباء بنى هاشم كانا فى البيان فرسى رهان الا أن داود افتق لسانا وأروق بيانا وكان لايتقدم فى تحرير خطبة قط

(وواجب أن يكون بهذا الفصل لاحقا ذم من ظل بمستثقل التقعير ناطقا)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبغضكم الى الثرثارون المتفيهقون قال أبو العباس محمد بن يزيد المبرد الثرثارون الذين يتكلمون بالكلام تكلفا وتجاوزا وخروجا عن الحد من قولهم نهر ثرثار لكثرة مائه والمتفيهقون تأكيد وهو مأخوذ من قولهم فهق الغدير يفهق اذا امتلا (وقال) بشر بن

المعتمر اياك والتقعير فانه يسلمك الى التعقيد فتستهلك معانيك ويمنعك من اصابة مراميك (وقال) بعض البلغاء أحذركم والتعمق فى القول والتكلف وعليكم بمحاسن الالفاظ والمعانى المستخففة المستملحة فان المعنى المليح اذا كسى لفظا حسنا وأعاره البليغ مخرجا سهلا كان فى قلب السامع أحلى ولصدره أملى (وقال) بعض الحذاق اياك والنحو بين العامة فانه كاللحن بين الخاصة وما أحسن قول أبى عمرو بن العلاء فى نحو هذا المعنى

لعمرك ما اللحن من شيمتى * ولا أنا عن خطا ألحن
ولكننى قد قسمت الكلام * أخاطب كلا بما يحسن

(وقالوا) خير الكلام ما لم يكن عاميا سوقيا ولا عربيا وحشيا (وقال) أبو الاسود الدؤلى لولده يا بنى اذا كنت فى قوم فلا تكلمهم بكلام لم يبلغه سنك فيستثقلوك ولا بكلام هو دونك فيزدروك ويحتقروك

(فمن بوارد نوادر المتقعرين وشوارد بوادر المتفيهقين)

ما حكى عن أبى علقمة النحوى أنه هاج به دم فأتى بحجام فقال يا هذا اشدد قصب المحاجم وأرهف ظبة المشارط وأسرع الوضع وعجل النزع وليكن شرطك وخزا ومصك نهزا ولا تكرهن آتيا ولا تردن آبيا فقال له الحجام جعلت فداك ان هذه الصنعة لا أحسنها وهذه حرب لا يشب نارها ولا يشق غبارها الا عمرو بن معديكرب ثم تركه وانصرف ولم يحجمه (ومن أظرف ما ينسب اليه) ما يحكى عنه أنه هاج به يوما مرار فسقط على وجهه وأقبل قوم يعضون ابهامه وقوم يؤذنون فى أذنه ظنا منهم أنه مصروع فلما أفاق من غمرات غشيته رآهم محدقين به فقال مالى أراكم تكأكأتم علىّ تكأكؤكم على ذى جنة افرنقعوا عنى فقال بعضهم لبعض دعوه فان جنيته تتكلم بالهندية (اشترى) الفضل بن الحباب جارية فوجدها ضيقة المسلك فقال يا جارية هل من بساق أو بزاق أو بصاق لان العرب تبدل السين صادا وزايا فقالوا اصقر وسقر وزقر فقالت الجارية الحمد لله الذى لم يمتنى حتى رأيت حرى قد صار ابن الاعرابى يقرأ عليه اللغة (وأتى) رجل بعض الولاة فقال أعز الله الامير ان لى ابن أخ أشرا بطرا قد انضوى الى كل سكير وخمير عمد الى عود فنحته والى معى فقضبه فطن وطنطن حتى فطن به فأحب عقوبته حتى

ينتهي عن ذلك فتقدم الامير باحضاره فلما مثل بين يديه قال له يا ابن أخي
ألم أطعمك ألذ الطعام ألم أسقك أطيب الشراب قال بلى يا عم قال مالك
والتعدي أضجعوه وجثوا عنقه فالتفت اليه الشاب وقال والله يا عم لوقع
السياط على بدني أحب الي من وقع كلامك في أذني فضحك منه الامير
وأطلقه (أنشد) العجاج واعرابي حاضر عند الوليد بن عبد الملك

أمست الغانيات ترمي صدودا * وأراني للغانيات مصيدا

فقال الاعرابي للعباس بن الوليد تنح عنه لئلا تسقط عليك من فيه كلمة
فتشدخك * ومن أجل هذا النادر استثقل التقعير أهل الرشاقة في الالفاظ
والحلاوة وقادوا طباعهم الى اللطافة والطلاوة فقالوا متى كان اللفظ
كريما في نفسه متخيرا في جنسه وكان سليما من التقعير والتعقيد حبب
الى النفوس واتصل بالاذهان والتحم بالعقول وهشت له الاسماع
وارتاحت اليه القلوب وخف على ألسنة الرواة حمله وشاع في الا فاق ذكره
(ومدحوا) التارك للتقعير فقالوا فلان لم يرض بالتكليف مذهبا ولا اتخذ
التصنع مركبا (وقالوا) فلان له ألفاظ لا يشوبها كدر العي ولا يطمس
رونقها التكلف ولا يمحو طلاوتها التفيهق أعذب من الماء وأبعد من
السماء

(الفصل الثالث من الباب الخامس)

(في ان معرفة حرفة الادب مانعة من ترقي أعالي الرتب)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ازداد الرجل حذقا في صنعة الا كان ذلك
نقصا من رزقه (وقالوا) المتقدم في الحذق متأخر في الرزق (وقالوا) حرفة
الادب أعدى لصاحبها من الجرب (وقالوا) الرزق عند ذوي الادب أروغ
من ثعلب * ومن أمثال عوام بغداد جهل يعولني خير من علم أعوله (وقال)
الخليل بن أحمد اذا كثر الادب قل خيره واذا كثر خيره كثر ضيره (وقال)
أبو بكر الخوارزمي في هذا المعنى

ان سرك حرمان * به تصبح مقليا
فكن ذا أدب جزل * وكن مع ذاك نحويا

* ويقال حرفة الادب لا يسلم من حرمانها أديب (وقالوا) التأديب تعذيب

وأنشد الخليل بن أحمد

ماازددت من أدب حرفا أسرّ به * الا تزايدت حرفا تحته شوم
ان المقدّم فى حذق بصنعته * أنى توجه فيها فهو محروم

(وقال ابن رشيق)

أشقى بجدك أن تكون أديبا * أو أن يرى فيك الورى تهذيبا
ان كان مستويا فعلك أعوج * يوما وان أخطأت كنت مصيبا
كالفص ليس يبين معنى نقشه * حتى يكون بناؤه مقلوبا

(ابن طباطبا)

أليس عجيبا أننى مع تسببى * وشعرى ما أعطيت جدا ولا حدا
وانى اذا مازرت قوما مسلما * حجبت فظنوا أننى ابتغى رفدا
وقد طال افلاسى واحسب مثريا * فاصبحت لا يجدى على وأستجدى

(آخر)

قالوا أديب فأين المال قلت لهم * قوسى بلا وتر سهمى بلا فوق
من لا يكون له جد يساعده * تكون آدابه كالنفخ فى البوق

(ولما) خلع المقتدر بويع عبد الله بن المعتز بن المتوكل ولقب المرتضى بالله أدركته حرفة الادب فلم يقم فى الخلافة غير يومين ثم اضطرب حبله وهطل عليه طلّ الحرمان ووبله فهرب الى دار ابن الجصاص التاجر فاختفى عنده ثم أخرج منها الى القضاة والشهود العدول ميتا بعد أيام يسيرة وذلك فى يوم الخميس لليلتين خلتا من شهر ربيع الاول سنة ست وتسعين ومائتين فقال فيه ابن بسام من أبيات يرثيه بها

لله درك من ميت بمضيعة * ناهيك فى العلم والآداب والحسب
مافيه لولا ولا ليت فتنقصه * وانما أدركته حرفة الادب

(وقال) أبو عبيدة معمر بن المثنى قال لى أبى اذا كتبت كتابا فالحن فيه فانّ الصواب حرفة والخطأ نجح أخذه بعض الشعراء فنظمه فى قوله

ان كنت يوما كاتبا رقعة * تبغى بها نجح وصول الطلب
اياك أن تعرب ألفاظها * فتكتسى حرفة أهل الادب

(وقال) أبو عبيدة من أراد أن يأكل الخبز بأدبه فلتبك عليه البواكى (ولقد)

أجاد أبو اسحق الصابي فى قوله

قد كنت أعجب من مالى وكثرته * وكيف تغفل عنى حرفة الادب
حتى انثنت وهى كالغضبى تلاحظنى * شزرا فلم تبق لى شيأ من النشب
واستيقنت أنها كانت على غلط * واستدركته وأفضت بى الى الحرب
الضب والنون قد يرجى اجتماعهما * وليس يرجى اجتماع الفضل والذهب

(والسبب فى حرمان الادباء موهبة الحظ وخمول النجباء)

ما ذكره بعض المنصفين منهم فى قوله ان ذا الادب لا يزال متسخطا على دنياه ذاما لحاله لما يرى من ميل الزمان للئامه وجهاله فهو لا يمدحهم لعلمه بقصورهم عن ادراك منظومه ولا يثاب اما بجهل ممدوحه واما من افراط بخله الناتج عن لومه (وقيل) للحسن البصرى لم صارت الحرفة مقرونة بمن جعل العلم والادب شعارا والثروة بمن كساه الجهل والحمق عارا فقال ليس القول كما قلتم ولا الامر كما زعمتم ولكنكم طلبتم قليلا فى قليل فأعجزكم طلبتم المال وهو قليل عند أهل العلم والادب وهم قليل ولو نظرتم الى من تحارف من أهل الجهل لوجدتموهم أكثر اقتارا والمال عنهم أشد نفارا (وقال) أبو الحسن على المعروف بابن البغل متضجرا من الخمول

الدهر ضد ذوى الفضائل كلهم * حتى كأن عدوه من يفهم
لو كنت أجهل ما علمت لسرنى * جهلى كما قد ساءنى ما أعلم
كالصعو يرتع فى الرياض وانما * حبس الهزار لانه يترنم

(آخر)

يطرى لاهل الفضل دون الورى * مصائب الدنيا وآفاتها
كالطير لا يحبس من بينها * الا التى تطرب أصواتها

(الخدلجى)

قل عنى غناء عقلى ودينى * ودخولى فى العلم من كل باب
أدركتنى وذاك أعظم دائى * حسنات من حرفة الآداب

(آخر)

قد عقلنا والعقل شر وثاق * وصبرنا والصبر مر المذاق
ان من كان فاضلا كان مثلى * فاضلا بعد قسمة الارزاق

ورُبّما أعدت حرفة الادب أهل الوراقة
فأظلتهم منها سحائب الحرمان والفاقة

(قال) أحمد بن عبد الله بن حبيب المعروف بأبي هفان سألت ورّاقا عن حاله فقال عيشي أضيق من محبرة وجسمي أدق من مسطرة وجاهي أوهى من الزجاج وحظي أشد سوادا من العفص اذا خلط بالزاج وسوء حالي ألزم لي من الصمغ وطعامي أمرّ من الصبر وشرابي أكدر من الحبر والهم والالم يجريان في علقة قلبي مجرى المداد في شق القلم فقلت يا أخي لقد عبرت ببلاء عن بلاء فانشد

المال يستر كل عيب في الفتى * والمال يرفع كل وغد ساقط
فعليك بالاموال فاقصد جمعها * واضرب بكتب العلم وجه الحائط

(آخر)

انّ الوراقة والتفقـ * ـه والتشاغل بالعلوم
أصل المذلة والاضاقة والمهانة والهموم

(وأنشدت لابي النصر بن أبي الفتح كشاجم)

غبط الناس بالكتابة قوما * حرموا حظهم بحسن الكتابه
واذا أخطأ الكتابة حظ * سقطت تاؤه فصارت كآبه

(وقال) اسحق بن ابراهيم بن حمدويه المعروف بالحدوي

ثنتان من أدوات العلم قد ثنتا * عنان حظي عما رمت من نعم
وحبرت لي صحاف الحبر محبرة * تذود عني سوام المال والنعم
والعلم يعلم أني حين آخذه * لعصمتي نافر خلو من العصم

(سمع) بعض مجان الادباء رجلا يقول لا خير في علم لا يدخل مع صاحبه الحمام فقال نعم الا أنه متى لم يكن معه دانق يخرج به بقي رهنا (ابن صادة الاندلسي)

اما الوراقة فهي أنكد حرفة * أغصانها وثمارها الحرمان
شبهت صاحبها بابرة خائط * تكسو العراة وجسمها عريان

(وأنشد) أبو منصور عبد الملك بن اسمعيل الثعالبي في اليتيمة لابي حاتم الورّاق

ان الوارقة حرفة هزلت * محرومة عيشي بها زمن
ان عشت عشت وليس لي أكل * أو مت مت وليس لي كفن

(وقال الشريف) أبو يعلى بن الهبارية من قصيدته المخمسة التي أولها حيّ على خير العمل * يذم الوارقة

تبا لرب المحبره * ياويله ما أدبره
وعيشه ما أكدره * ورزقه ما اقتره
ان لم تصدّقني فسل

(آخر)

أدمى البكا عيني والمآقي * وظلت ذا همّ وذا احتراق
ما ان أرى في الارض والآفاق * أزرى ولا أشقى من الوراق
اذا بدا في القمص الاخلاق * يفرح بالحبر والاوراق
كفرحة الجندي بالارزاق

(آخر)

هربت من الوراقه مل‌ء شوطي * فردّني الزمان الى الوراقه
وترك المرء حرفته فرارا * لامر ليس يدريه حماقه

(والسبب في حرمان ذوي النباهة فقدان أهل الفضل والوجاهة)

(يروى) ان عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما ذكرت يوما قول لبيد
ذهب الذين يعاش في أكنافهم * وبقيت في خلف كجلد الاجرب
قالت لله أبوه ما كان أشعره لقد صدق قالوا وكيف يا أم المؤمنين قالت كان أحدهم اذا علم من أخيه خلة سدّها من حيث لا يعلم ثم ذهب أولئك وجاء قوم كان أحدهم اذا علم من أخيه خلة سدّها من حيث يعلم ثم جاء من بعدهم قوم اذا علم أحدهم من أخيه خلة أحب أن يسأله فاذا سأله أعطاه ثم جاء من بعدهم قوم اذا علم أحدهم من أخيه خلة أحب أن يسأله فاذا سأله منعه ثم بعد ذلك يفضحه فيقول جاء فلان يسألني فلم أعطه ولله درّ القائل

لا يغرّنك اللباس * ليس في الاثواب ناس
هم وان نالوا الثريا * بخلاء وخساس
كل من يدعى رئيسا * هو في الخسة راس

كم يد تصلح للقطـــع * فتفدى وتباس

(آخر)

عـلام تحركى والحظ ساكن * وما قصرت فى طلبى ولكن
أرى نذلا تقـدمه المساوى * عـلى حر تؤخره المحاسـن

جحظة

لى حاجـة لو أنها قضيت * لعشت فى خير وظل ظليل
حياة من مات وموت الذى * ليس الى احيائه من سبيل

(دخـل) بعض الظرفاء على يحيى بن خالد بن برمك وهو فى السجن يريد زيارته فقال له ماتشتهى فقال أن أرى انسانا فأخذ الرجل المرآة وأراه وجهه فيها فشكر له ذلك ثم أنشده

ما أكثر الناس بل ما أقلهم * الله يعلم أنى لم أقل فندا
انى لافتح عينى حين أفتحها * على كثير ولكن لم أرى أحدا

(وقيـل) لسعيد بن المسيب وكان فى عينيه ماء ألا تقـدح عينيك فقال حتى أنظر بهما الى من (ومثل ذلك) ما قاله أبو العيناء معتذرا عن عماه

قالوا العمى منظر قبيح * قلت بفقدى لكم يهون
والله ما فى الانام حر * تأسى على فقده العيون

(وسأل رجـل) من رجل حمارا عارية فأخرج له اكافا وقال له اجعله على من شئت (ومر رجـل) بصديق له فرآه واقفا على الطريق فقال له ماوقوفك ههنا فقال

بياض فى الأصل

(وقيل لابى العيناء) هل بقى من يلقى قال نعم فى البئر (ومر) ببعض السكك فجبسه انسان يريد العبث به فقال له أبو العيناء من أنت قال ابن آدم فأقبل يسلم عليه سلام مستوحش وقال عجب والله ماظننت الآن هذا النسل قد انقطع يشير الى ضياعه من أهل زمانه

(وقال الشاعر)

المادحون اليوم أهل زماننا * أولى من الهاجين بالحرمان
ذهب الذين يهزهم مدّاحهم * هـز الكماة عوالى المران
كانوا اذا مدحوا رأوا مافيهم * فالاريحية منهم بمكان

(وقال بشار بن برد) لقد عشت فى زمان وأدركت أقواما لو اختلقت الدنيا ماتجملت الابهم وأنا الآن فى زمان ما أرى فيه عاقلا حصيفا ولافاتكا ظريفا ولاناسكا عفيفا ولاجوادا شريفا ولاخادما نظيفا ولاجليسا خفيفا ولامن يساوى على الخبرة رغيفا وأنشد

فما الناس بالناس الذين عهدتهم * ولا الدار بالدار التى كنت أعرف

(ابن الرومى)

أيست من دهرى ومن أهله * فليس فيهم أحد يرتضى
ان رمت مدحا لم أجد أهله * أو رمت هجوا لم أجد عرضا

(وله)

قيل لى لم ذممت كل البرايا * وهجوت الانام هجوا قبيحا
قلت هب أننى كذبت عليهم * فأرونى من يستحق المديحا

(بعض العرب)

ذهب الذين اذا رأونى مقبلا * هشوا الىّ ورحبوا بالمقبل
وبقيت فى خلف كان حديثهم * ولغ الكلاب تهارشت فى المنزل

(ابن منير الطرابلسى)

قالوا هجرت الشعر قلت ضرورة * باب الدواعى والبواعث مغلق
فسد الزمان فلا كريم يرتجى * منه النوال ولا مليح يعشق

(ابن الهباريه)

خذ جملة البلوى ودع تفصيلها * مافى البرية كلها انسان
واذا البياذق فى الدسوت تفرزنت * فالرأى أن تتبيذق الفرزان

(الباب السادس فى العى وفيه ثلاثة فصول)

(الفصل الاول من هذا الباب)

(فيما ورد عن ذوى النباهة فى ذم العى والفهاهة)

قال الله تعالى أومن ينشأ فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين (وقال الله تعالى) حكاية عن فخر فرعون على موسى بالبيان فى قوله أم أنا خير من هذا الذى هو مهين ولا يكاد يبين ذكر أهل التفسير أن موسى عليه السلام لما سمع هذا القول من فرعون قال رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى واحلل عقدة

من

من لسانى يفقهوا قولى فاستجاب الله دعاءه وسمع نداءه فقال قد أوتيت سؤلك ياموسى وحل الله تلك العقدة وأطلق تلك الحبسة (حد العى) قالوا هو معنى قصير يحويه لفظ طويل (وقال) أكثم بن صيفى هو أن تتكلم فوق ماتقتضيه حاجتك (وقالوا) العى الناطق أعى من العى الساكت لان المفحم يأتى مالا يرضاه ويطلب فوق مافى قواه (وقالوا) العى بلاغة بعى (كما ذكر) أن ربيعه خطب فاطال وأعجبته نفسه والى جانبه أعرابى فالتفت اليه وقال يا أعرابى ماتعدون البلاغة فيكم قال قلة الكلام مع الاصابة قال فما تعدون العى قال ما كنت فيه منذ اليوم قال الشاعر

واذا خطبت على الرجال فلا تكن * هدر الكلام تقوله مختالا
واعلم بأن من السكوت سلامة * ومن التكلم مايكون خبالا

(وقال كسرى) عى الصمت خير من عى الكلام (وقال الجاحظ) يذم رجلا بالعى والجبن لم أر جبانا أجرأ منه ولا جريا أجبن منه نظم بعض الشعراء معناه فقال

حصر مسهب جرىء جبان * خير عى الرجال عى السكوت

(فما يشين حسان الصور العى فى البيان والخبر)

(قالوا) فضل الانسان على الحيوان بالبيان فاذا نطق ولم يفصح عاد بهيما (ويقال) مالعى مروأة ولا لمنقوص البيان بهاء ولو حك بيافوخه فى عنان السماء (وقالوا) العى داء دواؤه الخرس (وتكلم رجل) عند معاوية وكان ذا عى فقال عمرو بن العاص سكوت الالكن نعمة وقال معاوية وكلام الاحمق نقمة (وقالوا) البيان بصر والعى عمى والبيان من نتاج العلم والعى من نتاج الجهل (يحكى) أن رجلا قام الى محمد بن عبد الملك الزيات فقال له انى مظلوم فقال هذا كلام يحتاج الى شهود وبينة وأشياء غير ذلك فقال الرجل أصلحك الله الشهود هم البينة والبينة هم الشهود وأشياء غير ذلك حصر وعى وزيادة هى نقص فى القيام بحجتك فضحك منه وكشف ظلامته (وقيل لبزرجمهر) أى شئ أستر للعى قال عقل قالوا فان لم يكن له عقل قال قال فمال قالوا فان لم يكن له مال قال فاخوان يعبرون عنه قالوا فان لم يكن له اخوان قال يكون شيأ صامتا كالحجر ولا يلحقه ضرر وقال الشاعر

وما حسن الرجال لهم بزين * اذا لم يسعد الحسن البيان
كفى بالمرء عيبا أن تراه * له وجه وليس له لسان

(آخر)

والصمت أزين للفتى * مالم يكن عى يشينه
والقول ذو خطل اذا * مالم يكن لب يعينه

(وقال الجاحظ) لا يعاب الاخرس ولا يلام من استولى على بيانه العجز ويذم الحصر ويؤنب العى (وصف) أعرابى قوما بالعى فقال منهم من ينقطع كلامه قبل أن يصل الى لسانه ومنهم من لا يبلغ كلامه أذن جليسه ومنهم من يلج كلامه الاذان فيحملها عبأ ثقيلا الى الاذهان قال شاعر ينزه لسانه عن العى

وما بى من عى ولا أنطق الخنى * اذا جمع الاقوام فى الخطب محفل

(آخر)

وقلنا بلا عى وسسنا بطاقة * اذا النار يوم الحرب طال اشتعالها

(ومن علامات العى الواضحة وسمات اللكن الفاضحة)

(الاستعانة) وهو أن يرى المخاطب اذا كل لسانه يقول عند مقاطع كلامه للمخاطب استمع الى واسمع منى وألست تفهم وافهم عنى * ومنهم من يقول فى خلل كلامه أمّا قولى كذا فأعنى به كذا ولا يريد التفسير ولكن يعيد كلامه بصيغة أخرى تكون غير مراده الاول فبيانه أبدا يقصر عن ايضاح اشكاله وان أتى بأنواع الكلام وأشكاله (وذم) بعض البلغاء عييا فقال قلبه ميت الفطنة ولسانه بادى اللكنة ولفظه ظاهر الهجنة شديد التعاون بين التهافت اذعضته ولدغته المساجلة والمساورة تناءب للعطاس وتثاقل للنعاس وتشاغل بمسح اللحية ومس الجبهة وقرع السن وفتل الاصابع فعجزه ظاهر وعيه حاضر شاعر فى مثل ذلك

ملىّ ببهر والتفات وسعلة * ومسحة عثنون وفتل الاصابع

(ومن علامته) التنحنح من غير داء والتثاؤب من غير ريبة والاكباب فى الارض من غير علة

(وقال ابن المعتز)

ومن الكبائر مقول متتعتع * جم التنحنح متعب متهوّر

(ومن عيوب اللسان المزيلة للاحسان المزرية بقدر الانسان)

التمتمة والفأفأة والعقلة والحبسة واللفف والرتة والغمغمة والطمطمة واللكنة والغنة واللثغة (قال الاصمعى) التمتمة اذا تعتع فى التاء فهو تمتام (واذا) تردد فى الفاء فهو فأفاء قال الراجز

ليس بفأفاء ولا تمتام * ولا كثير الهجر فى الكلام

(والعقلة) التواء اللسان عند الكلام (والحبسة) تعذر النطق ولم يبلغ حد الفأفاء ولا التمتام * ويقال انها تعرض أول الكلام فاذا امر فيه انقطعت (واللفف) ادخال بعض الكلام فى بعض قال الراجز

كأنّ فى فيه لففا ان نطق * من طول تحبيس وهم وأرق

(والرتة) ايصال بعض الكلام ببعض دون افادة (والغمغمة) أن يسمع الصوت ولا يبين لك تقطيع الحروف ولا يفهم معناه (والطمطمة) أن يكون الكلام شبيها بكلام العجم وهى حميرية * وقالوا هى ابدال الطاء بالتاء لانهما من مخرج واحد فيقولون السلتان والشيتان بمعنى السلطان والشيطان وكانت فى لسان زياد بن سلمى الاعجم وكان خطيبا شاعرا كاتبا (واللكنة) هى ادخال بعض حروف العرب فى بعض حروف العجم وتشترك فيها اللغة التركية والنبطية وهى ابدال الهاء من الحاء وانقلاب العين همزة وكانت فى لسان عبيد الله بن زياد وصهيب الرومى رضى الله عنه صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم (وذكر) أنّ مولى لزياد قال أيها الامير احدوا لنا همار وهش يريد اهدوا لنا حمار وحش فلم يفهم زياد قوله فقال ماتقول ويلك فقال أحدوا لنا ايرا فقال زياد رجعنا الى الاول فهو خير (وحكى الجاحظ) ان وازدانقار الفارسى كان له كاتب جلف فى لسانه لكنة فأملى عليه يوما فى كتاب انا اعتبرنا الحاصل بالهاء فوجدناه ألف كر فكتبها الكاتب كما لفظ بها فلما أعاد عليه ما أملاه فطن لاجتماعهما على الجهل فقال أنت لاتهسن أن تكتب وأنا لا أهسن أن أملى فاكتب الجاصل ولا تعجم الجيم (والغنة) أن يشرب الصوت الخيشوم (والخنة) ضرب منها (والترخيم) حذف بعض الكلمة لتعذر النطق به (واللثغة) قال الجاحظ فى كتابه البيان الحروف التى يدخلها اللثغة أربعة وهى القاف والسين والراء واللام (فالتى) تعرض للقاف

فانّ صاحبها يجعل القاف طاء فاذا أراد أن يقول قلت وقال قال طلت وطال بمعنى قلت وقال ومنهم من يبدلها كافا فيقول كلت وكال بمعنى قلت وقال وكانت فى لسان أبى مسلم وعبيد الله بن زياد * وقال بعض الشعراء فى أم ولد له يصفها بذلك

أكثر ما أسمع منها فى السحر * تذكيرها الانثى وتأنيث الذكر
والسوأة السوءى فى ذكر القمر

لانها كانت اذا أرادت أن تقول القمر قالت الكمر والكمر جمع كمرة وهى حشفة الذكر (وأما) التى تعرض للسين فانهم يبدلونها ثاء فيقولون بثم الله اذا أرادوا بسم الله ويثره الله بمعنى يسره الله وهى مستحسنة من الجوارى والغلمان وأحسن ما سمع فيها قول بعضهم

وأهيف كالهلال شكوت وجدى * اليه بحسنه وأطلت بثى
وقلت له فدتك النفس صلنى * بخرحسن الثواب فقال بثى

(ومن قبيح الابدال) ابدال الثاء المثلثة بالتاء المثناة وكانت فى لسان شعبة وذلك فاش فى لغة أهل صعيد مصر وما أقبحهم اذا قالوا تلاتة آلاف وتلتمائة وتلاتة وتلاتين وتلت وفى الناس من يبدل الجيم ضادا وهم من أهل صعيد مصر ايضا فاذا اجتمع لاحدهم جيم وضاد فى كلمة مثل ضج وضجر قالوا جض وجضر بجعل الجيم ضادا والضاد جيما وفى الناس من يبدل الخاء المعجمة حاء مهملة فيقول فى خوخ حوح وفى خلخال حلحال وهى مستحسنة من الغلمان والجوارى (وأما) التى تعرض فى الراء فهى أربعة احرف فنهم من يجعلها غينا معجمة فاذا أرادوا أن يقولوا عمرو قال عمغ وهى غالبة على لسان غالب أهل دمشق والعجب انه اذا اجتمع لهم راء مع غين فى مثل رغيف نطقوا بالراء غينا وبالغين راء فيقولون غريف ومنهم من يجعلها عينا مهملة فاذا أراد أن يقول عمرو قال عمع ومنهم من يجعلها ياء فيقول عمى ومنهم من يجعلها زايا فيقول عمز وهى لغة حبيسة ومنهم من يقولها بالظاء أخت الطاء والاولى كانت فى لسان محمد بن شبيب الخارجى والثانية كانت فى لسان واصل بن عطاء المعتزلى وكان لاقتداره على الكلام يتجنب النطق بها حتى كأنها ليست من حروف المعجم (ومن عجيب ما يحكى عنه) انه ذكر بشار بن برد بكلام أسهب فيه

واطنب

وأطنب فلم يأت بكلمة فيها راء وهو اما لهذا الاعمى المكنى بأبي معاذ من يقتله والله لولا أن قتله خلق من اخلاق الغالبة لبعثت اليه من يبعج بطنه على مضجعه يريد بقوله الاعمى يعني الضرير وقال المكنى بأبي معاذ ولم يقل بشار ولا ابن برد وقال من اخلاق الغالبة ولم يقل المغيرة وقال من يبعج ولم يقل يبقر وقال على مضجعه ولم يقل على فراشه

(ولبعضهم فيمن يلثغ بالراء)

ويجعل البرّ قمحا في تصرفه * وجانب الراء حتى احتال للشعر
ولم يقل مطرا والقول يعجله * فقال بالغيث اشفاقا من المطر

ولبعضهم فيمن يلثغ بالراء أيضا

ولثغته لو أن واصل حاضر * ليسمعها ما أسقط الراء واصل

(وأما) التي تعرض في اللام فان من أهلها من يبدلها ياء فيقول أعتييت بمعنى اعتللت وبدل جمل جمي وهي أوضعهن لذي المروأة وقوم يجعلون اللام كافا وهي قبيحة ولا حاجة بنا الى تكملة بيان هذه الحروف (قال الجاحظ) وليس اللجلاج والتمتام والالثغ والفأفاء وذو الحبسة وذوي اللفف والرتة في سبيل من حصر في خطبته وعي في مناضلته وخصومته

وقد يكون البليغ عيا عند سؤال مطلوبه
كالعاشق متى رام شكوى حاله لمحبوبه

(سئل) محمد بن أبي دواد متى يكون البليغ عيا قال اذا سأل ما يتمناه وشكى حبه الى من يهواه ثم أنشد

بليغ اذا يشكو الى غيرها الهوى * وان هو لاقاها فغير بليغ

(آخر)

قالت عييت عن الشكوى فقلت لها * جهد الشكاية ان أعيا عن الكلم

(آخر)

وكم من حديث قد خبأناه للقا * فلما التقينا صرت أخرس أبكما

(آخر)

عي المحب لدى الحبيب بلاغة * ولربما قتل البليغ لسانه

(قال بعضهم) موطنان لا آنف من العي فيهما اذا شكوت الى محبوبي عشقي

واذا سألت حاجة لنفسى فان السائل قد يهاب المسؤل و يتبعه مع الهيبة ذل السؤال (وسأل العتابى) رجلا حاجة فاقلل فى كلامه فقال له مالك من طوق فى ذلك فقال كيف لا يقل كلامى ومعى حيرة الطلب وذل المسئلة وخوف الرد (وحكى) ان الفضل بن الربيع سار بعد نكبته الى أبي عباد واسمه ثابت ابن يحيى يسأله حاجة فارتج عليه فقال يا أبا العباس أبهذا البيان خدمت خليفتين فقال انا تعوّدنا أن نسئل ولا نسأل فاستعبر لكلامه ورق لحاله وقضى حاجته

(على بن الجهم)

ان دون السؤال والاعتذار * خطة صعبة على الاحرار
ارض للسائل الخضوع وللقا * ذف ذنبا مضاضة الاعذار

(واما ما يعترى العاشق المشوق من الافحام عند رؤية المعشوق)

فكما قال أبو بكر الصنوبرى

آية من علامة العشاق * اصفرار الوجوه عند التلاقى
وانقطاع يكون من غير عىّ * وولوع بالصمت والاطراق

(آخر)

فما هو الآن أراها فجاءة * فأبهت لا عرف لدىّ ولا نكر
وأنسى الذى قد كنت فيما أقوله * كما يتناسى لب شارب بها الخمر

(عمرو بن ربيعة)

ضل عنى لشدة الوجد عقلى * وجفان الذ كا وعىّ لسانى
ونسيت الذى نظمت من القو * ل لديها وغاب عنى بيانى

(آخر)

أفكر ما أقول اذا التقينا * وأحكم دائما حجج المقال
فأنساها اذا نحن التقينا * فأنطق حين أنطق بالمحال

(ولبعض الصوفية)

ينوى العتاب له من قبل رؤيته * فان رآه فدمع العين مسكوب
لا يستطيع كلاما حين ينظره * كلّ اللسان وفى الاحشاء تلهيب

(وقال) أبو المعالى شيد له الصبوة والشوق والارتياح والتوق والفراق

والتلهف

والتلهف والفوت والتأسف دواع تستأثر الصبر وتحصر عن وصفها للمحبوب ألسنة الحصر

(ومما يشين البليغ بين أترابه عطل بيانه من حلى اعرابه)

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه تعلموا النحو كما تعلمون السنن والفرائض (وكان) أيوب السختيانى يقول تعلموا النحو فانه جمال الوضيع وتركه هجنة للشريف (شاعر)

النحو يصلح من لسان الالكن * والمرء تكرمه اذا لم يلحن
فاذا أردت من العلوم أجلها * فأجلها منها مقيم الالسن
لحن الشريف يحطه عن قدره * وتراه يسقط من لحاظ الاعين
وترى الدنى اذا تكلم معربا * نال النباهة باللسان المعلن
ماورث الآباء فيما ورثوا * أبناءهم مثل العلوم فأتقن

(آخر)

لولم يكن فى النحو الا أنه * يذر الضئيل من الرجال مهيبا
يخشى التكلم حيث حل كأنما * أضحى بأفواه الانام رقيبا

(وقال) عمر تعلموا العربية فانها تقوى العقل وتزيد فى المروأة (وقال) عبد الملك ابن مروان اللحن فى المنطق أقبح من آثار الجدرى فى الوجه (وسمع) المأمون لحنا من بعض ولده فقال ماعلى أحدكم أن يتعلم العربية يصلح بها لسانه ويفوق أقرانه ويقيم أوده ويزين مشهده ويفل حجج خصمه بمسكتات حكمه أيسر أحدكم أن يكون كعبده أو أمته فلا يزال الدهر أسير كلمته (سمع) الاعمش انسانا يلحن فقال من هذا الذى يتكلم وقلبى منه يتألم (وقال) الحسن البصرى ربما دعوت فلحنت فأخاف أن لا يستجاب لى (وفى الحديث) ان الله لا يسمع دعاء ملحونا * والعلماء لا يرون الصلاة خلف اللحنة وكيف لا يكون كذلك وأدنى حركة مغيرة للمعنى مؤدية الى الكفر (قال) سعيد بن مسلم دخلت على الرشيد فملأ قلبى رعبه فلما لحن خف على أمره (يحكى) أنه لم يسمع من الحسن البصرى ولا من الشعبى ولا من أيوب بن القرية ولا من عبد الملك بن مروان لحن قط فى جد ولا هزل (وكان) سيبويه واسمه عمرو بن قنبر يختلف الى حماد بن زيد يقرأ عليه الحديث فكان يلحن فى قراءته فيرد عليه

حادفأبرمه يوما لحنه فقال له كم تلحن أمالك مروأة فخجل ووجم فلما قام من مجلسه انقطع الى الخليل بن أحمد فقرأ عليه النحو فمهر فيه وفاق وسار ذكره فى الآفاق

(وهذه نبذة مستحسنة من التعريف بنوادرهم المستظرفة فى التحريف)

قال يوسف بن خالد لعمرو بن عبيد ما تقول فى دجاجة ذبحت من قفائها قال أحسن قال من قفاءها قال أصلح قال من قفاؤها قال له عمرو ماعناك بهذا قل من قفاها واسترح وأرح وكان يوسف يقول هذا أحمر من هذا أى أشد حمرة (وكان) الوليد بن عبد الملك لحنة خطب الناس يوم عيد فقرأ فى خطبته ياليتها كانت القاضية وضم التاء فقال عمر بن عبد العزيز عليك وأراحنا منك * ودخل اليه أعرابى وعنده عمر بن عبد العزيز فقال له من انت ووصل الهمزة فظن الاعرابى أنه يقول مننت فقال المنة لله ولامير المؤمنين فقال عمر للاعرابى ان أمير المؤمنين يقول لك من أنت قال فلان بن فلان قال ماشانك وفتح النون قال جدرى فى وجهى وفحج بساقى قال عمر ويحك ان أمير المؤمنين يقول لك ماشانك وضم النون قال ظلمنى ختنى قال ومن ختنك وفتح النون قال وماسؤالك عن ذلك ياأمير المؤمنين حجام عندنا بالبادية قال عمر ان أمير المؤمنين يقول لك من ختنك وضم النون قال فلان وقيل للوليد ان العرب لاتحب أن يتولى عليها الا من يحسن كلامها فجمع أهل النحو ودخل بيتا ليتعلم فيه النحو فأقام فيه ستة أشهر ثم خرج منه أجهل من يوم دخل وكان بشر المريسى ممن شهر باللحن دعا القوم فقال قضى الله لكم الحوائج على خير الوجوه وأهناها فأنكروا عليه لحنه فقال قاسم التمار يصح هذا على قول الشاعر

ان سليمى والله يكلاها * ضنت بشى ما كان يرزاها

فكان احتجاج قاسم أظرف من لحن بشر (وكان) خالد بن عبد الله القسرى لحنة وفيه يقول ابن نوفل من أبيات

وألحن الناس كل الناس قاطبة * وكان يولع بالتشديق والخطب

(قرأ) سابق الاعمى ولاتنكحوا المشركين حتى يؤمنوا فقال بعض المجان ولاان آمنوا (ترافع) الى زياد رجل وأخوه فى ميراث فقال ان أبونا مات وان

أخيناوثب على مال أبانا فأكله فقال زياد الذى أضعت من نفسك أضرّ عليك مما أضعت من مالك * وأمّا القاضى فقال لا رحم الله أباك ولا جبر عظم أخيك قم فى لعنة الله وحرسقره (وقال رجل) للاعمش من أين أقبلت قال من السوق قال وما اشتريت قال عسل قال هلا زدت ألف فقال له الاعمش وهلا زدت فى ألفك ألفا (وعكسها) ماحكى ان رجلا قال لسعيد بن عبد الملك تأمر نابشيء أقال نعم بتقوى الله واسقاط الالف (ويحكى) ان خالد بن صفوان دخل الحمام يوما وفى الحمام رجل معه ابنه فأراد الرجل أن يعرّف خالدا ماعنده من البيان فقال لولده يابنى اغسل يداك قبل وجهك والتفت الى خالد وقال ياأباصفوان هذا كلام قدذهب أهله فقال خالد هذا كلام ماخلق الله له أهلا قط

الفصل الثانى من الباب السادس
فى ذكر من قصر باع لسانه عن ترجمة مافى جنانه

قيل لابن المقفع وكان مفحما عن نظم الشعر لم لاتقول الشعر قال الذى أرضاه لايجىء والذى يجىء لاأرضاه

وزهدنى فى الشعر أن قريحتى * بما تستجيد الناس ليس تجود

وقال ابن عبدون الكاتب

قلبى من العلم مملوء جوانبه * وذا اللسان كليل لايواتينى

(فممن أرتج عليه من خطباء المحافل وفرسان المنابر والجحافل)

(يزيد بن أبى سفيان) كان أبو بكر رضى الله عنه ولاه ربعا من أرباع الشأم فلما رقى المنبر ارتج عليه فقطع الخطبة وقال سيجعل الله بعد عسر يسرا وبعد عىّ بيانا وأنتم الى أمير فعال أحوج منكم الى أمير قوال ثم نزل وروى هذا الكلام لعثمان بن عفان وعليه أكثر المؤرخين (وصعد) عبد الله بن عامر منبر البصرة فى يوم عيد الاضحى فحصر فقال لاأجمع عليكم عيا وبخلا ادخلوا سوق الغنم فمن أخذ شاة فهى له وعلىّ ثمنها (ثم صعد مرة أخرى) فحصر فالتفت يمينا وشمالا فرأى عتاب بن ورقاء وكان شيخا أصلع فقال امّا بعد ياأصلع فوالله ماغلطنى غيرك فلعنها الله من صلعة علىّ به فلما مثل بين يديه أمر أن يضرب

عشرين سوطا ومنعه من دخول المسجد الجامع بعدها (وصعد) عدى بن
ارطاة المنبر فلما رأى جمع الناس أرتج عليه فقال الحمد لله الذى يطعم هؤلاء
ويسقيهم ثم نزل (وصعد) روح بن حاتم المنبر فلما رأى الناس قد أصغوا اليه
باسماعهم ورمقوه بأبصارهم قال نكسوا رؤسكم وغضوا أبصاركم فان المنبر
مركب صعب واذا الله يسر فتح قفل تعسر ثم نزل (وخطب) مصعب ابن
حيان أخو مقاتل بن حيان خطبة نكاح فحصر فقال لقنوا موتاكم قول
لا اله الا الله فقالت أم الجارية عجل الله موتك وأراح منك الهذا دعوناك
(وصعد) وازع اليشكرى المنبر يوم جمعة فلما رأى جمع الناس هابهم فحصر
فقال لولا أن امرأتى حملتنى على اتيان الجمعة ما جمعت وأنا أشهدكم انها طالق
ثلاثا ثم نزل (وخطب) ثابت مولى يزيد بن المهلب فارتج عليه فنزل وهو يقول

فالا أكن فيكم خطيبا فاننى * بسيفى اذا جد الوغى لخطيب

فبلغ ذلك المهلب فقال لو قال هذا على المنبر لكان من أخطب الناس
(وخطب) خالد بن عبد الله القسرى فارتج عليه فقال ان هذا الكلام يجئ
أحيانا ويعسر أحيانا وربما كوبر فأبى وعولج فنبا والتأنى لمجيئه خير
من التعاطى لابيه وتركه عند تنكره أفضل من طلبه عند تعذره وقد يختلط
من الجرىء جنانه وينقطع من الذرب لسانه وسأعود فأقول ثم نزل (وارتج)
على أبى العباس السفاح فنزل ثم صعد وقال أيها الناس ان اللسان بضعة
من الانسان يكل لكلاله ويرتجل لارتجاله ونحن أمراء الكلام بنا تفرعت
فروعه وعلينا تهدلت غصونه وانا لا نتكلم هدرا ولا نسكت حصرا بل نسكت
معتبرين وننطق مرشدين (وذكر المسعودى) ان المعتضد خرج يوم الفطر
وكان يوم الاثنين سنة تسع وسبعين ومائتين الى مصلى أحدثه بالقرب
من داره ليصلى بالناس فكبر فى الركعة الاولى ست تكبيرات وفى الثانية تكبيرة
واحدة فلما فرغ من الصلاة صعد المنبر فحصر ولم يسمع له خطبة وفى ذلك يقول
الشاعر يعتذر عنه فى هذا المقام

حصر الامام ولم يبين خطبة * للناس فى حل ولا احرام
ماذاك الامن حياء لم يكن * ما كان من عى ولا افحام

(وخطب) داود بن على فارتج عليه فقال اتقوا الله وافعلوا ما أمركم به

وانتهوا عما نهاكم عنه ثم نزل ولقد جمع فى هذه الكلمات بين الحكمة وفصل الخطاب وأحسن لهم فى النصيحة وأطاب (صعد) بعض الخطباء المنبر فحصر بعد الحمدلة فكرّرها مرارا فقال بعض من حضره على ما أبلانا منك فانه لا يحمد على المكروه غيره ثم ولى وهو ينشد

ختم الاله على لسان عذافر * ختما فليس على الكلام بقادر
فاذا أراد النطق خلت لسانه * لحما تحركه لصقر نافر

(قال) ابن ذولاق فى أخبار ولاة مصر لم يكن الناس يصلون بالجامع العتيق صلاة العيد حتى كانت سنة ست وثلثمائة أو ثمان صلى فيه العيد أحمد بن عبد الملك الفهمى المعروف بابن أبى سحر صلاة عيد الفطر ويقال انه خطب يومئذ فى دفتر فكان مما حفظ منه ان قال اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مشركون فقال فيه الشاعر

وقام فى العيد لنا خاطبا * يحرض الناس على الكفر

(وممن أرتج عليه من الائمة فى محرابه وكان تركه للصلاة خوف الخجل أحرى به)

رجل صلى بقوم فقرأ فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم وارتج عليه فجعل يكررها فقال له مزيد والله انك لا تحسن القرآن فما ذنب الشيطان (وصلى) سيفويه القاص بقوم فقرأ سورة الاخلاص فارتج عليه عند رأس آيتين منها فالتفت الى من خلفه وقال من أراد أن يسمع باقى السورة فليحضر مسجد بنى فلان ثم خرج وتركهم (وصلت) أعرابية مع قوم فقرأ الامام وأنكحوا الايامى منكم ثم ارتج عليه فجعل يردّدها مرارا فخرجت المرأة تعدو حتى لحقت باختها وقالت يا أختاه لم يزل الامام يأمرهم بنكاحنا حتى خشيت أن يقعوا علىّ (وخرج رجل) من بيته مغلسا فمر بمسجد يصلى فيه الصبح فدخل ليصلى فقرأ الامام الفاتحة وابتدأ سورة يوسف فلما انتهى الى قوله تعالى فلن أبرح الارض حتى يأذن لى أبى أو يحكم الله لى فردّدها مرارا فقال الرجل من خلفه فان لم يأذن لك أبوك الى الظهر يطول مقامى معك ويفوتنى قضاء حاجتى ثم مضى وتركه (وأرتج) على الحجاج فى صلاته فلم يجسر أحد أن يهديه لما ضل عنه فتلى قوله تعالى ردوها علىّ فردت عليه فلله دره ما أحسن ما أجال فكره حتى أدرك به الفهم العازب ولم تبطل صلاته

بكلامه بل كان من أشرف المواهب (وأحسن منها) ماحكى أن المهدى لما ولى
الخلافة صلى بالناس من الغداة فى داره فارتج عليه فهيب أن يلقن مانسى فلما
طال عليه انتظار من يرشده تلى قوله تعالى أليس منكم رجل رشيد فرد الراشد
الشارد على الناشد (اجتمع) الكسائى والبزيدى عند الرشيد فحضرت صلاة
المغرب فتقدم الكسائى فصلى فارتج عليه فى سورة قل ياأيها الكافرون فلما
سلم قال البزيدى قارئ الكوفة يرتج عليه فى سورة قل ياأيها الكافرون فحضرت
صلاة العشاء فتقدم البزيدى فارتج عليه فى سورة الفاتحة فلما سلم قال له

احفظ لسانك أن تقول فتبتلى * ان البلاء موكل بالمنطق

(حدث) أبو الحسن بن راهويه قال صلى يحيى بن المعلى الكاتب فقرأ قل هو الله
أحد فغلط فيها وارتج عليه وكان فى المجلس أبو نواس والعباس بن الاحنف
والخليع وصريع الغوانى فقال أبو نواس

أكثر يحيى غلطا * فى قل هو الله أحد

(فقال الاحنف)

قام طويلا ساكتا * حتى اذا أعيا سجد

(فقال الخليع)

يزحر فى محرابه * زحير حبلى لولد

(فقال الصريع)

كأنما لسانه * شد بحبل من مسد

واتصلت هذه الحكاية بأبى على بن رشيق فقال

ونسى الحمد فما * مرت له على خلد

هذا ما أورده ابن رشيق فى كتاب العمدة (ثم) انى عثرت عند مطالعتى لكتاب
بدائع البدائه على زيادة وجب ذكرها وهو ماحكى ان أبا العباس بن الحطيئة
لما سمع هذه قال

ورام شيأ غيرذا * يقرؤه فما وجد

(وممن أخذ العى بعنان قلمه وظهر كلف التكلف فى صفحات كلمه)

ماحكى أن بعضهم كتب الى بعض العمال على مدينة حلب يخبره أن سلنديين
من شوانى المسلمين غرقا (ماصناله) اعلم أيها الامير أعزه الله ان سلنديين

أى مركبين صنفقا أى غرقا فهلك من فيهما أى تلفوا فكتب اليه العادل كتابا على الحكاية يستخف به ورد كتابك أى وصل وفضضناه أى فتحناه وفهمنا ما فيه أى علمناه فأدب كاتبك أى اصفعه واصرفه أى اعزله واستبدل به أى غيره فانه مائق أى أحمق والسلام أى قد نقضى الكتاب (وكتب) بعض عمال طاهر بن الحسين اليه كتابا وفيه وقد وجهت الى الامير ثوب ديباج أحمر أحمر أحمر فكتب طاهر اليه قد قرأت كتابك فعلمت أنك أحمق أحمق أحمق فاقدم اقدم اقدم والسلام (ومما) عابه ابن الاثير من كلام المترسلين القدماء وادعى أنه قصور وعى فى صناعة الانشاء وهو أشبه شئ بالاقواء والايطاء قال فى فصل من كتابه المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر اذا وردت فى كلام المترسل سجعتان يدلان على معنى واحد كانت احداهما كافية فى الدلالة عليه والاخرى من حشو الكلام الذى لا يحتاج اليه (وقد) وجدت كثيرا من ذلك فى كلام المفلقين من أهل هذا الشأن كالصابى وابن العميد (فمن ذلك قول الصابى فى تحميده) الحمد لله الذى لا تدركه الأعين بألحاظها ولا تحده الالسن بألفاظها ولا تخلقه العصور بمرورها ولا تهرمه الدهور بكرورها ثم انتهى الى الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم فقال لم ير للكفر أثرا الا طمسه ومحاه ولا رسما الا ازاله وعفاه فلا فرق بين مرور العصور وكرور الدهور وكذلك لا فرق بين محو الاثر وتعفية الرسم (ومن كلامه أيضا من كتاب) وقد علمت ان الدولة العباسية لم تزل على سالف الايام وتعاقب الاعوام تعتل طورا وتصح أطوارا وتلتاث مرة وتستقل مرارا من حيث أصلها راسخ لا يتزعزع وبنيانها ثابت لا يتضعضع فمعلوم أن الاعتلال والالتياث بمعنى والطور والمرة بمعنى والرسوخ والثبوت بمعنى (وله من كتاب) وصلنى كتابه مفتتحا من الاعتزاء الى امارة المؤمنين والتقليد لامور المسلمين بما اعراقه الزكية مجوزة لاستمراره وأرومته العلية مسوغة لاستقراره (ومنه) فلا بد من اتفاق أشراف كل قطر وافاضله واعيان كل صقع وأماثله فهذا السجع كله متساوى الالفاظ والمعانى فان امارة المؤمنين وتقليد أمور المسلمين بمعنى وكذلك الاعراق والارومة بمعنى والتجويز والتسويغ بمعنى وكذلك الاعيان والاماثل والقطر والصقع (ومن كلام ابن العميد فى كتاب) وهو

لا يوجه همته الى أعظم مرغوب الاطماع ودان ولا تمتد عزيمته الى مطلوب الا كان واستكان وكل هذه الالفاظ مستوية المعانى (قلت) وفيما ذكرناه من هذا الفن كفاية ومقنع على أن الخاطر اذا انشرح انقاد واذا كل تمنع (ورأيت صوابا) الحاق هذه الحكاية بهذا الفصل وهى ماحكاه دعبل الخزاعى قال خرجت أنا ورفيقان لى من قرية تسمى طهياثا وهى من قرى بغداد للتنزه فيها فاقمنا بها يوما فلما أردنا الانصراف قلت لرفيقى ليقل كل منا فى صفة يومنا شيأ قالا فابتدئ أنت فقلت * نلنا لذيذ العيش فى طهياثا *

فقال أحدهما * لما حثثنا القدح احتثاثا *

وأرتج على الآخر فقال * وأم عمرو طالق ثلاثا *

فقلنا له ويحك ماذنب المرأة فقال والله مالها ذنب الا أنها قعدت على طريق القافية

الفصل الثالث من الباب السادس
فى أن اللسن المكثار لا يأمن افة الزلل والعثار

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجرير بن عبد الله اذا قلت فأوجز فاذا ابلغت حاجتك فلا تتكلف (وقال) بعض الحكماء الاكثار يزل اللسان ويزيل الاحسان (وقيل) لعدى بن حاتم أى شئ أوضع للانسان قال كثرة الكلام (وقال) جعفر بن يحيى اذا كثر الكلام اختل واذا اختل اعتل * وقال خير الكلام ماقل ودل ولم يطل فيمل (وقال معاوية) لعمرو بن العاص من أبلغ الناس قال من ترك الفضول واقتصر على الايجاز (وقال) خالد بن صفوان ليس البلاغة بخفة اللسان ولا كثرة الهذيان ولكنها اصابة المعنى والقصد الى الحجة (وقال) خير الكلام ما كان عن الحصر بعيدا وللاسماع مفيدا وهو أن يكون لاماثلا الى الحصر فتضعف الحجة ولا الى الهذر فتتلف المهجة قال الشاعر

للقول مستمع يزرى بصاحبه * منه الغلو وقد يزرى به الحصر
وخير حال الفتى فى القول أقصدها * بين الطريقين لاعى ولا هذر

(وقال) عى يذرى بك خير من هذر يأتى عليك (قال شاعر)

وصمتك من غير عى اللسا * ن أزين من هذر المنطق

(وقال) عمرو بن العاص الكلام كالدواء ان أقللت منه نفع وان أكثرت منه صرع * وقال لولده عبد الله قصر اذا قلت واقتصر اذا طلت واياك والاكثار فانه شين العاقل وحين الجاهل (وقالوا) العثار مع الاكثار (وقال بزرجمهر) من ملكه طول لسانه أهلكه فضل بيانه (ويقال) من طال لسانه بطل احسانه قال الفقيه منصور

لاتكثرن فخير الكلام * قليل الحروف كثير المعانى

احتجاج من أمسك عن الكلام من غير خرس
وخاف من الملام فحذر واحترس

(قال الاحنف بن قيس) اللسان قيمة الانسان فمن قومه زادت قيمته * وقال أكثم بن صيفي هلاك الانسان فى طول اللسان (وقال) سفيان الثورى لأن أرمى عدوى بسهمى خير له من ان أرميه بلسانى لان رمى اللسان لايخطئ ورمى السهم يصيب ويخطئ قال الشاعر

ورب كلام قد جرى من ممازح * فساق اليه سهم حتف معجل

(وقال ابن مسعود) لسانك سيف قاطع يد أبك وكلامك سهم نافذ يرجع عليك فاقتصد فى المقال واياك ومايوغر صدور الرجال (وقال اعرابى) الكلمة أسيرة فى وثاق الرجل فاذا تكلم عاد أسيرا فى وثاقها (اجتمع) أربعة من الملوك على أربع كلمات توارد وافيها موارد النصائح وأخرجوا درر معانيها من بحار القرائح قال كسرى أنا على مالم أقل اقدر منى على رد ماقلت وقال ملك الصين انا اذا تكلمت بالكلمة ملكتنى واذا لم أتكلم بها ملكتها وقال ملك الهند عجبت لمن يتكلم بالكلمة ان ذكرت عنه ضرت وان لم تذكر عنه لم تنفعه وقال قيصر لأن أندم على مالم أقل أحب الى من أن أندم على ماقلت فهذه كلمات صدرت عن صدو رصافية من كدر الغل وغشه ليتحذر بها العاقل من لدغ الكلام ونهشه (وقالوا) من أطلق لسانه بما يحب كان أكثر مقامه حيث لايحب (وقال) صلى الله عليه وسلم ما أعطى العبد شرا من طلاقة اللسان (وقال) لقمان لابنه يابنى ان من الكلام ماهو أشد من الحجر وأنفذ من الابر وأمر من الصبر وأحر من الجمر وان من القلوب مزارع فازرع فيها الكلمة الطيبة فان لم تنبت كلها نبت بعضها (وقال زياد) ان الرجل ليتكلم بالكلمة

يقطع بهار بقـة عنز فتبلغ امامه فيسفك دمـه (ويقال) حفظ اللسان راحة الانسان (وقال) صعصعة بن صوحان طول اللسان يقصر الاجل وخطأ القول يصيب المقتل (ويقال) من خزن لسانه حقن دمه ومن ملك كلامه أمن ندمه فاللسان سيف مرهف لا ينبو حدّه والكلام سهم مرسل لا يمكن ردّه (وقال بعض الحكماء) الجاهـل يستعجل باظهار المعانى قبل احكامها واخراجها وان لم يحن أوان تمامها فاذا سـددها تخطى غرض الصواب (وقال) الخبرارزى

اذا ما لسان المرء أكثر هذره * فذاك لسان بالبلاء موكل

اذا شئت أن تحيا عزيزا مسلما * فدبر وميز ما تقول وتفعل

(ومما اخترت من كلام الحكماء الاعلام فى مدح الصمت وذم الكلام)

قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ أنت سالم ما سكت واذا تكلمت فلك أو عليك (وقال) ابن مسعود ان كان الشؤم فى شئ ففى اللسان (وقال) أبو نواس

خـلّ جنبيك لرام * وامض عنه بسلام

مت بداء الصمت خير * لك من داء الكلام

ربما استفتحت بالنطـ * ـق مغاليق الحمام

انما السالم مـن ألـ * ـجم فاه بلجام

(وقالوا) صمت يعقب الندامة خير من نطق يسلب السلامة (وقالوا) الصمت زين الحلم وعوذة العلم يلزمك السلامة ويصحبك الكرامة ويكفيك مؤنة الاعتذار ويلبسك ثوب الوقار (وقال الشاعر)

الصمت زين والسكوت سلامة * فاذا نطقت فلا تكن مكثارا

ما ان ندمت على سكوتى مرّة * ولقد ندمت على الكلام مرارا

(وقالوا) لسانك كالسبع ان عقلته حرسك وان أرسلته افترسك (ويقال) اخزن لسانك كما تخزن مالك واعرفه كما تعرف ولدك وزنه كما تزن نفقتك وأنفق منه بقدر وكن منه على حذر فان انفاق ألف درهم فى غير وجهها أيسر من اطلاق كلمة فى غير حقها (وقال الشاعر)

احفظ لسانك واحتفظ من شرّه * ان اللسان هو العدو الكاشح

وزن الكلام اذا نطقت بمجلس * فيه يلوح لك الصواب اللائح
والصمت من سعد السعود بمطلع * تحيا به والنطق سعد الذابح
(وقال) بعض الحكماء عليك بالصمت وان أصبت فى القول وبرزت فى الفضل
فانه زينة العاقل وحلية الفاضل (شاعر)
احفظ لسانك أن تقول فتبتلى * ان البلاء موكل بالمنطق
(آخر)
وزن الكلام اذا نطقت فانما * يبدى الرجال من الستور المنطق
(وقالوا) رب كلمة جلبت مقدورا وخربت دورا وعمرت قبورا (شاعر)
اذا المرء لم يخزن عليه لسانه * فليس على شئ سواه بخازن
(آخر)
احفظ لسانك أيها الانسان * لا يلدغنك انه ثعبان
كم فى المقابر من قتيل لسانه * كانت تخاف لقاءه الاقران
(وقالوا) كلام الرجل بيان فضله وترجمان عقله فاقصره على الجميل
واقتصر منه على القليل واياك ومايسخط سلطانك ويوحش اخوانك فمن
أسخط سلطانه تعرض للمنية ومن أوحش اخوانه تبرأ من الحرية (شاعر)
يدل على جهل الفتى فضل نطقه * ونطق أخى العقل الرصين قليل
وان لسان المرء مالم يكن له * حصاة على عوراته لدليل
(وما أحسن عذر من غص بالملام على كثرة صمته وقلة الكلام)
حيث قال
قالوا نراك كثير الصمت قلت لهم * ماطول صمتى من عىّ ولا خرس
الصمت أحمد فى الاشياء عاقبة * وأزين الآن لى من منطق شكس
أأنشر البز فيمن ليس يعرفه * وأنثر الدر للعميان فى الغلس
(ومن الخرافات) الموضوعة على ألسنة الحيوانات فى مدح الصمت وذم
الكلام أنه اجتمع برغوث وبعوضة فقالت البعوضة للبرغوث انى لاعجب من
حالى وحالك انا أفصح منك لسانا وأرجح ميزانا واوضح بيانا وأكبر منك
شبابا وأكثر طيرانا ولى فى بحر العبودية سباحة وفى ساحته سياحة
ومع هذا كله فقد أحاط بى الفضوع وأحرمنى الجوع الهجوع وأنت
على علاتك فى جميع حالاتك تأكلى وتشبعى وفى نواعم الابدان ترتعى

قالت نعم أنت بين العالم مطنطنة وعلى رؤسهم مدندنة وطول لسانك سبب حرمانك وأما انا فالتلطف صناعتى والصمت بضاعتى وانما توصلت الى قوتى بسكوتى

وبماله فى هذا الموضع من النفوس حسن موقع
حفظ الاسرار أن تدال على الاحرار والانذال

قال الله تعالى حكاية عن قول يعقوب ليوسف عليهما السلام حين قص عليه رؤياه فعلم منها بدء أمره ومنتهاه يابنى لاتقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان (وكان) عليه الصلاة والسلام اذا أراد غزاة ورى بغيرها (ومن أمثالهم) صدرك أوسع لسرك (ويقال) اذا انتهى السر من الجنان الى عذبة اللسان فالاذاعة مستولية عليه وعيون الحوادث تنظر شزرا اليه (وقال) عمرو بن العاص الصدور خزائن الاسرار والشفاه أقفالها والالسن مفاتيحها فليحفظ كل امرئ مفتاح سره (وقالوا) اذا ضاق صدرك عن نجواك فكيف تستكتمه سواك (وقال) بعض الحكماء سرك من دمك فلا تجره فى غير أوداجك فانك متى تكلمت به أرقته وكما أنه لاخير فى آنية لاتمسك مافيها فكذلك لاخير فى لسان لايملك سره (وقال آخر) كن على سرك أحرص منك على حقن دمك (وقالوا) سرك أسيرك فان بذلته كنت أسيره (ابن نباتة السعدى)

صن السر عن كل مستخبر * وحاذر فما الحزم الا الحذر
أسيرك سرك ان صنته * وأنت أسيره ان ظهر

(آخر)

ولاتخبر بسرك بل أمته * وصير فى حشاك له حجابا
فما أودعت مثل القلب سرا * ولا أغلقت مثل الصدر بابا

(وقال) عمرو بن العاص ماوضعت سرى عند أحد وأفشاه فلمته لانى كنت أضيق صدرا منه حين استودعته اياه (وقال الشاعر)

اذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه * فصدر الذى يستودع السر أضيق
اذا المرء أفشى سره بلسانه * ولام عليه غيره فهو أحمق

(وقال معاوية) الحازم من كتم سره عن صديقه مخافة أن تنتقل صداقته

فيذيع

فيذيع سره (شاعر)

احذر عدوك مرة * واحذر صديقك ألف مرة
فلربما انقلب الصديق * فكان أعلم بالمضرة

(وكان يقال) الكاتم سره بين احدى فضيلتين الظفر بحاجته أو السلامة من شر اذاعته (ويقال) أصبر الناس من صبر على كتمان سره فلم يبده لصديقه (وقال آخر) كتمانك سرك يعقبك السلامة وافشاؤه يعقبك الندامة والصبر على كتمان السر أيسر من الندامة على افشائه (ابراهيم بن خفاجة)

لا تودعن ولا الجماد سريرة * فمن الجوامد ما يشير وينطق
واذا المحب أذاع سر حبيبه * وهو النضار فمن به يستوثق

(وقال الاحنف) أدنى اخلاق الشريف كتمان سره وأعلى اخلاقه كتمان ما أسر اليه قال الشاعر

ولست بمبد للرجال سريرتي * ولا أنا عن أسرارهم بسؤول
ولا أنا يوما للحديث سمعته * الى ههنا من ههنا بنقول

(اخر)

تبوح بسرك ضيقا به * وتحسب كل أخ يكتم
وكتمانك السر ممن تخاف * ومن لا تخافهم أحزم
اذا ذاع سرك من مخبر * فأنت اذا لمته ألوم

(وقال كعب بن زهير)

لا تفش سرك الا عند ذي ثقة * أولا فأفضل ما استودعت أسرارا
صدرا رحيبا وقلبا واسعا صمتا * لم تخش منه لما أودعت اظهارا

(وقيل) لابي مسلم الخراساني باي شئ أدركت ما أدركت قال ائتزرت بالحزم وارتديت بالكتمان وحالفت الصبر وساعدني القدر فادركت مرادي وحزت ما في نفسي ثم أنشد

أدركت بالحزم والكتمان ما عجزت * عنه ملوك بني مروان اذ حشدوا
ما زلت أسعى عليهم في ديارهم * والقوم في غفلة بالشام قد رقدوا
حتى ضربتهم بالسيف فانتبهوا * من نومة لم ينمها قبلهم أحد
ومن يدع غنما في أرض مضيعة * ونام عنها تولى رعيها الاسد

(وأما المزاح وماورد فيه عمن اباحه ومن يجافيه)

فيروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من مزح استخف به (وقال آخر) تجنب شؤم الهزل ونكد المزاح فانهما بابان اذا فتحا لم يغلقا الا بعد عسر وفحلان اذا القحا لم يلقحا غير شر (وقالوا) المزاح يضع قدر الشريف ويذهب هيبة الجليل (وقال) حكيم لولده يابنى اياك والمزاح فانه يذهب بهاء الوجه ويحط من المروأة (شاعر)

الارب قول قد جرى من ممازح * فساق اليه الموت فى طرف الحبل
وان مزاح المرء فى غير حينه * دليل على فرط الحماقة والجهل

(آخر)

اياك اياك المزاح فانه * يطمع فيك الطفل والرجل النذلا
ويذهب ماء الوجه بعد بهائه * ويورث بعد العز صاحبه ذلا

(ويقال) أوكد أسباب القطيعة المزاح وان كان لاغنى للنفس عنه فليكن بمقدار مايحتاج الطعام من الملح كما قال أبو العباس البستى

أفد طبعك المكدود بالهم راحة * براح وعلله بشئ من المزح
ولكن اذا أعطيته المزح فليكن * بمقدار ماتعطى الطعام من الملح

(وقال) سعيد بن العاص لولده اقتصد فى مزاحك فان الافراط فيه يذهب البهاء ويجرئ السفهاء (ويقال) المزح أوله فرح وآخره ترح (شاعر)

امزح بمقدار الطلاقة واجتنب * مزحا تضاف به الى سوء الادب
لاتغضبن أحدا اذا مازحته * ان المزاح على مقدمة الغضب

(أبو جعفر الطبرى)

لى صاحب ليس يخلو * لسانه من جراح
يجيد تمزيق عرضى * على سبيل المزاح

(الباب السابع فى الذكاء وفيه ثلاثة فصول)

(الفصل الاول من هذا الباب)

فى مدح الفطن والاذهان المعظمة من قدر المهان

قال ابن الانبارى فى كتابه الذى سماه بالزاهر قولهم فلان ذكى معناه كامل الفطنة ثاقبها من قول العرب ذكت النار تذكو اذا زاد وقودها

(ويقال) مسك ذكى اذا كان طيب الريح (قال جميل)

صادت فؤادى بعينيها ومبتسم * كأنه حين أبدته لنا برد
عذب كأن ذكى المسك خالطه * والزنجبيل وماء المزن والبرد

(فن) انشقت كمائم مبانيه عما أخفته من زهرات معانيه فعطفت اليه قلب شانيه بعدما أنف أن يدانيه سعد بن ضمرة قالوا كان كثيرا مايغير على بلاد النعمان بن المنذر وينقص أطرافها حتى عيل صبره وبداضره فبعث اليه النعمان ان لك ألف ناقة حمراء على أن تدخل فى طاعتى فوفد عليه وكان سعد ابن ضمرة نحيفا قصيرا دميما وكان ملتفا بعباءة فلما رآه النعمان ازدراه وقال لان تسمع بالمعيدى خير من ان تراه فقال سعد أبيت اللعن ان الرجال لاتكال بالقفزان ولابمسوك يستقى بها من الغدران وانما المرء بأصغريه قلبه ولسانه ان نطق نطق ببيان وان قاتل قاتل بجنان فقال له النعمان أنت ضمرة بن ضميرة (ونظر) عمر بن الخطاب الى الاحنف وعنده الوفد والاحنف ملتف بعباءة فترك عمر القوم واستنطقه فتكلم بكلامه البليغ المصيب وذهب فيه ذلك المذهب العجيب فلم يزل عنده فى الذروة العليا الى أن عقد له من الرياسة على تميم ما كان له ثابتا الى أن فارق الدنيا (قال) عبد الملك بن عمير قدم علينا الاحنف الكوفة أصلع الرأس متراكب الاسنان أشدق مائل الذقن ناتئ الجبهة جاحظ العينين خفيف العارضين أحنف ولكنه كان اذا تكلم جلى عن نفسه سائر العيوب (خرج) عثمان رضى الله عنه من داره فرأى عامر ابن عبد قيس على بابه وقد ألقى رأسه بين ركبتيه وكان عامر شيخا دميما أسمى قطا فانكره وأنكر مكانه فقال يا أعرابى أين ربك قال بالمرصاد فيقال ان عثمان لم يفحمه أحد غيره (ونظر معاوية) الى النجار بن أوس العدوى الخطيب النسابة فى عباءة فى ناحية من مجلسه فانكر مكانه وازدراه فتبين للنجار ذلك فى وجهه فقال يا أمير المؤمنين ان العباءة لاتكلمك انما يكلمك من فيها وكمال الرجل آدابه لاثيابه وأنشد

انى وان كنت أثوابى ملفقة * ليست بخز ولامن نسج كتان
فان فى المجد همانى وفى لغتى * فصاحة ولسانى غير لحان

(وأراد) بعض الاعراب مخاطبة انسان فازدراه الرجل لرثاثة ثوبه وخسة حاله وأبى أن يكلمه فقال مالكم يا عبيد الثياب وأشباه الكلاب حقرتمونى لاطمارى ولم تسألونى عن مكنون اخبارى ثم أنشد

المرء يعجبنى وما كلمته * ويقال لى هذا اللبيب اللهذم

فاذا قدحت زناده ووزنته * بالنقد زاف كما يزيف الدرهم

(ودخل) كثير بن عبد الرحمن وكان يلقب بزب الذباب لقصره على عبد الملك بن مروان فى أول خلافته فاقتحمته عينه ففهم عنه فقال كثير يا أمير المؤمنين كل عند نفسه واسع الفناء شامخ البناء عالى السناء ثم أنشد للعباس ابن مرداس

ترى الرجل النحيف فتزدريه * وفى أثوابه أسد مضور

ويعجبك الطرير فتبتليه * فيخلف ظنك الرجل الطرير

بغاث الطير أطولها رقابا * ولم تطل البزاة ولا الصقور

خشاش الطير أكثرها فراخا * وأم الباز مقلاة نزور

ضعاف الاسد أكثرها زئيرا * وأضروها اللواتى لا تزير

وقد عظم البعير بغير لب * فلم يستغن بالعظم البعير

يصرفه الصغير بكل أرض * ويحبسه على الخسف الجرير

ينوخ ثم يضرب بالهراوى * ولا عرف لديه ولا نكير

فما عظم الرجال لهم بزين * ولكن زينهم كرم وخير

فقال عبد الملك قاتله الله ما أطول لسانه وأمد عنانه وأجرأ جنانه فقال انى لاحسبه كما وصف نفسه وأمر له بصلة حسنة (وقال) أبو عبيد البكرى فى لآلئه ان كثيرا كان لا يبلغ طوله ضروع الابل لقصره وكان اذا دخل على عبد الملك يقول له حين يراه طأطئ رأسك لئلا يصيبه السقف تهكما به وفيه يقول الحزين الشاعر

قصير قميص فاحش عند بيته * يعض قراد باسته وهو قائم

(وكان الجاحظ) واسمه عثمان بن بحر دميم الصورة قبيح الوجه ناتئ العينين يحكى عنه أنه قال ما أخجلنى أحد قط الا امرأة أخذت بيدى وحملتنى لى نجار وقالت له مثل هذا ثم تركتنى وانصرفت فبقيت متعجبا من أخذها لى مثالا

فسألت الصانع فقال ان هذه المرأة سألتنى ان أصنع لها مثال شيطان تفزع به ولدها فقلت لها انى لم أر شيطانا قط حتى أعمل على مثاله وطلبت منها مثالا فقالت أنا آتيك به فجاءتنى بك * وقرع عليه الباب يوما فخرج غلامه فسئل عنه فقال هاهو ذا يكذب على ربه قيل له كيف ذلك قال نظر فى المرآة وجهه فقال الحمد لله الذى خلقنى فاحسن صورتى الا أنه كان اذا كتب وشى حلل الطروس باقلامه واذا تكلم لفظ الدر من منثور كلامه (وفيه) يقول أحمد بن سلامة الكتبى يهجوه ويذكر قبحه

لو يمسخ الخنزير مسخا ثانيا * ما كان الادون قبح الجاحظ
واذا المرآة جلت عليه وجهه * لم تخل مقلته بها من واعظ

(وعلى أثر قبح الصورة يقول بعض الشعراء فى جحظة)

من كان مشتاقا الى منكر * فجحظة أنكر من منكر
لو عذب الله به ناره * أطفأها بردا ولم تزفر

وأنشد أعرابى

خبرتها أنى محب لها * فأقبلت تضحك من منطقى
والتفتت نحو فتاة لها * كالرشا الوسنان فى قرطق
قالت لها قولى لهذا الفتى * انظر الى وجهك ثم اعشق

(لقى) أعرابى شيخ قبيح الصورة فتاة حسناء فعرض عليها نفسه فأعرضت عنه وقالت أمخادع غائل أم ركيك هازل قال بل لبيب عاقل محب مائل قالت فما أصنع بك قبيحا فقيرا شيخا كبيرا قال أستمنح لفقرى ملوكا فيزول وأصبغ شيبى حلوكا فيحول قال فقالت فقبحك الام يؤول فولى عنها وهو يقول

تزهى على بدلها وشبابها * وتقول لى ياشيخ أنت مخادع
قبح وافلاس وشيب شاسع * وطمعت فينا أخلفتك مطامع
فاجبتها الافلاس يذهبه الغنى * والشيب يذهبه الخضاب اليانع
قالت فقبحك ليس فيه حيلة * والقبح ليس له دواء نافع
ياصدقها ما كان أصدق حجتى * لو كان يدفع قبح وجهى دافع

رجعنا (قال بعضهم) كنت بفناء الكعبة اذ مر بنا رجل أصلع أروح أفحج

كان انفه بعرة أشد سوادا من است القدرة عليه ثوبان قطوبان فرأيت الناس يهرعون اليه من كل جانب يطلبون السبق فى السلام عليه فقلت من هذا قالوا هذا سيد فقهاء الحجاز عطاء بن ابى رباح * ووصفه آخر فقال كان أعور أفطس أشل أعرج ثم عمى بعد ذلك (قال) عثمان بن عطاء الخراسانى انطلقت مع أبى نريد هشام بن عبد الملك فلما قربنا اذا بشيخ على حمار أسود عليه قميص دنس وجبة دنسة وقلنسوة لاطية دنسة وركاباه من خشب فضحكت منه وقلت لابى من هذا الاعرابى قال اسكت هذا سيد فقهاء الحجاز عطاء بن أبى رباح فلما قرب منا نزل أبى عن بغلته ونزل هو عن حماره فاعتنقا وتساءلا ثم عادا فركبا وانطلقا حتى وقفا على باب هشام فما استقر بهما الجلوس حتى أذن لهما فلما خرج ابى قلت له حدثنى ما كان منكما قال لما قيل لهشام ان عطاء بن ابى رباح بالباب أذن له فوالله مادخلت الا بسببه فلما رآه هشام قال مرحبا مرحبا ههنا ههنا ولا زال يقول له ههنا ههنا حتى أجلسه معه على سريره ومس بركبته ركبته وعنده اشراف الناس يتحدثون فسكتوا فقال له ما حاجتك يا أبا محمد قال يا امير المؤمنين اهل الحرمين اهل الله وجيران رسوله تقسم عليهم ارزاقهم وعطياتهم قال يا غلام اكتب لاهل مكة والمدينة بعطاياهم وأرزاقهم لسنة ثم قال هل من حاجة غيرها يا أبا محمد قال نعم يا أمير المؤمنين أهل الحجاز وأهل نجد هم أصل العرب وقادة الاسلام تردّ فيهم فضول صدقاتهم قال نعم يا غلام اكتب بأن تردّ فيهم فضول صدقاتهم هل من حاجة غيرها يا أبا محمد قال نعم يا أمير المؤمنين أهل الثغور يردّون من ورائكم ويقاتلون عدوّكم تجرى لهم أرزاقا تدرّها عليهم فانهم ان هلكوا ضاعت الثغور قال نعم يا غلام اكتب بحمل أرزاقهم اليهم هل من حاجة غيرها يا أبا محمد قال نعم يا أمير المؤمنين أهل ذمتكم لا يجبى صغارهم ولا يتقنع كبارهم ولا يكلفون ما لا يطيقون فان ما تجبونه منهم معونة لكم على عدوكم قال نعم يا غلام اكتب لاهل الذمة بأن لا يكلفوا ما لا يطيقون هل من حاجة غيرها يا أبا محمد قال نعم اتق الله فى نفسك فانك خلقت وحدك وتموت وحدك وتحشر وحدك وتحاسب وحدك ولا والله ما معك ممن ترى أحد فأكب هشام ينكت فى الارض وهو يبكى فقام عطاء فلما كنا عند الباب اذا رجل

قد تبعه بكيس لا أدرى مافيه دنانير أم دراهم فقال ان امير المؤمنين امر لك بهذا فقال لا اسألكم عليه اجرا ان اجرى الا على رب العالمين فوالله ماشرب عنده قطرة ماء

وأكثر مايوجد الذكاء المفرط عند العميان

فانهم عوضوا عن البصر سرعة الحفظ وبطء النسيان

كان قتادة بن دعامة اكمه وكان يقول لقائده سعيد بن أبى عروبة تجنب بى الحلق التى فيها الخطا فانه ماوصل الى سمعى شئ فأداه الى قلبى فنسيه (وممن) ولد اكمه بشار بن برد وكان رأس طبقة فى الشعراء المولدين وهم أشجع السلمى ومسلم بن الوليد وابو العتاهية وابو نواس وغيرهم وقال الشعر وله من العمر احدى عشرة سنة (ومنهم) ابو العلاء احمد بن سليمان المعرى ومن عجيب حكاياته ان اباذكريا التبريزى كان يقرا عليه فأتاه رسول من عند اهله من تبريز فجاء حلقة أبا العلاء فسأل عنه فأخبر أنه غائب فى بعض شأنه فقال له أبو العلاء ماتريد به قال جئت برسالة من عند أهله فقال هاتها حتى نوصلها اليه قال انها مشافهة قال فاسمعناها حتى نوصلها اليه قال انها بالفارسية قال لاعليك ان تسمعناها ولا تسقط منها حرفا فأوردها عليه فلما جاء التبريزى أخبر ان رجلا جاء من تبريز ومعه رسالة من أهلك فقال ليتكم أخذتموها منه فانى مشوق لما يرد من أخبارهم فقيل له انه قال انها مشافهة فتأسف لذلك فلما رأى أبو العلاء تأسفه قال له لاعليك انى سمعتها منه وحفظتها ثم أملاها عليه فجعل التبريزى يضحك مرة ويبكى مرة فسأله أبو العلاء عن ضحكه وبكائه فقال تارة تخبرنى بمايسرنى فاضحك وتارة تخبرنى بما يحزننى فابكى وعمى أبو العلاء وله من العمر ثلاث سنين من جدرى أصابه وقال الشعر وله احدى عشرة سنة (ولبشار)

وعيرنى الاعداء والعيب فيهم * وليس بعار ان يقال ضرير
اذا أبصر المرء المروأة والتقى * فان عمى العينين ليس يضير
رأيت العمى أجرا وذخرا وعصمة * وانى الى تلك الثلاث فقير

(ولعبد الله بن عباس)

ان يأخذ الله من عينىّ نورهما * ففى فؤادى وقلبى منهما نور

قلبي ذكي وعقلي غير ذي دخل * وفي فمي صارم بالقول مشهور

ولبعضهم يتوجع

عزائي أيها العين السكوب * وصبرك انها نوب تنوب
وكنت كريمتي وجمال وجهي * وكانت لي بك الدنيا تطيب
واني قد ثكلتك في حياتي * وفارقني من الدنيا الحبيب
على الدنيا السلام فما لشيخ * ضرير العين في الدنيا نصيب

من اخترع من الاوائل حكمة بثاقب فكره فكانت سببا التنويه قدره وابقاء ذكره

(اردشير بن بابك) والمخترعات أربعة اثنتان في صدر الاسلام وهما النرد والشطرنج واثنتان اسلاميان وهما النحو والعروض (فاما النرد) فوضعها اردشير بن بابك وهو أول ملوك الفرس الاخيرة وأول من وضع النرد وضربها مثلا للقضاء والقدر وان الانسان ليس له تصرف في نفسه لا يملك لها نفعا ولا يدفع عنها ضررا ولا يقدر أن يجلب لها موتا ولا حياة ولا سعدا ولا شقاء بل هو مصرف على حكم القضاء والقدر معرض طورا للنفع وطورا للضرر وجعلها أيضا تمثيلا للحظ الذي يناله العاجز بما يجري لديه من الملك والحرمان الذي يبتلى به الحازم بما داربه عليه الفلك وضعها على مثال الدنيا وأهلها فرتب الرقعة اثني عشر بيتا بعدد شهور السنة والبروج وجعل القطع ثلاثين قطعة بعدد أيام كل شهر والدرج التي هي لكل برج ثلاثين درجة ومعناهما أن كل ثلاثين درجة على سبعة أيام ومعناها الكواكب السبعة السيارة ثم جعل لها تشبيها فوضع وشبهها بالنير وصور فيها أربعة وعشرين بيتا بعدد ساعات الليل والنهار في كل ناحية منها اثنا عشر بيتا وصير لها ثلاثين كلبا تشبيها بايام الشهر ودرج الفلك ثم عمل فصين شبههما بالليل والنهار وتوصل الى ايصال ذلك للعقول بأن جعل اللعب بالفصين اللذين أنزلهما منزلة الليل والنهار فجعل لكل فص ستة أوجه كجهات الانسان فوق وأسفل ووراء وأمام ويمين وشمال لانه عدد له نصف وثلث وسدس وجعل في كل جهة من الفصين سبع نقط تحت الستة واحدة وتحت الخمسة ثنتين وتحت الاربعة ثلاثة تشبيها بعدد الايام وعدد الكواكب السيارة وأنزلهما منزلة القضاء والقدر ثم جعلها محنة بين

رجلين

(في الاصل:)

رجلين أنزلهما منزلة الليل والنهار يشير الى أن الانسان لايعلم من أين يأتيه الخير والشر فكما ان الانسان لايعلم ممايرد ان عليه من خير أو شر أو نفع أو ضر فكذا لايعلم مايعطيانه الفصان أو يسلبانه هل يكون غالبا أو مغلوبا اذ ليس له من الامر شئ واشار فيها أيضا الى تقلب القدر بالانسان فتارة يكون شريفا ثم يكون مشروفا وبالعكس أو يكون فقيرا ثم يصير غنيا وبالعكس الى مالانهاية له من تقلب الاطوار فى تغاير الاوطار (ولقد) أحسن السرى الرفا فى وصفهما من أبيات

ومحكمان على النفوس وربما * لم يحكما فيهن حكما عادلا
اخوان قدوسما على متنيهما * سمة تحث على البليد غوائلا
يلقاهما المرزوق سعدا طالعا * ويراهما المحروم سعدا آفلا
فاذا هما اصطحبا على كف الفتى * ضراه أو نفعاه نفعا عاجلا

(وأما الشطرنج) فان الفرس لما افتخرت بوضع النرد وكان ملك الروم يومئذ بلهيث فوضع له رجل من الحكماء يسمى صصة الشطرنج وضربها مثلا على أن لاقدر وان الانسان قادر بسعيه واجتهاده يبلغ المراتب العلية والخطط السنية وان هو أهملها صارت به من الخمول الى الحضيض وأخرجته من روض العيش الاريض ومما جعله دليلا على ذلك أن البيدق ينال بحركته وسعيه منزلة الفرزان فى الرياسة وجعلها مصورة تماثيل على صورة الناطق والصامت وجعلها درجات ومراتب وجعل الشاه المدبر الرئيس والفرس والفيل مركوبان له والفرزان وزيره والبيادق رعاياه فكما ان الواحد من الرعية اذا أعطى الاجتهاد حقه فى تهذيب نفسه وتأديبها كان ذلك عونا له على أن ينال رتبة الفرزان فكذلك الفرزان اذا علت همته وتمكنت قدرته طمحت نفسه الى نيل رتبة الشاه وقتاله وكذلك ما يليهما من القطع (ويقال) فى سبب وضعها ان بعض ملوك الهند كان له ولد يسمى شاه أخرجه الى بعض الحروب فقتل فيها فهاب الناس الملك أن يعلموه بموته فوضع لهم بعض حكمائهم الشطرنج وبين لهم فيها ماخفى عنهم من مكايد الحروب وكيفية ظفر الغالب وخذلان المغلوب وبين فيها التدبير والحزم والاحتياط والمكيدة والاحتراس والتعبية والنجدة والقوة والجلد والشجاعة والباس

فمن عدم شيأ من ذلك علم موضع تقصيره ومن أين أتى بسوء تدبيره لان خطأها لا يستقال والعجز فيها متلف المهج والاموال واعلم ان فى ترك الحزم ذهاب الملك وضعف الرأى جالب للعطب والهلك والتقصير سبب الهزيمة والتلاف وعدم المعرفة بالتعبية داع الى الانكشاف وأمرهم أن يلعبوا بها بين يدى الملك فلما لعب بها قال الغالب للمغلوب شاه مات ففطن الملك للمراد وأمر أن يعزى بولده ثمرة الفؤاد (ويقال) ان صصة لما وضع الشطرنج وعرضها على الملك وأظهر له مكنون سرها قال له اقترح ما تشتهى قال أن تضع حبة بر فى البيت الاول ولا تزال تضعفها حتى تنتهى الى آخر البيوت فما بلغ تعطينى فاستخف الملك عقله واحتقر ما طلبه وقال كنت أظن برجاحة عقلك وتوقد فكرك أن تطلب شيأ نفيسا فقال أيها الملك انك لما صرفتنى الى التمنى لم يخطر ببالى غير ذلك ولا سبيل الى الرجوع عنه فانعم له الملك بما سأل وتقدم باحضار الحساب وامرهم بحساب ذلك فاعملوا فى بلوغ قصده مطايا الافكار حتى لاح لهم نجم صدقه فعرفوه بعد الانكار فلم يجدوا فى بلاد الدنيا من البر ما يفى للحكيم بمراده ولو كانت الرمال من أمداده (وذلك) انهم وضعوا حبة فى البيت الاول وفى الثانى حبتين وفى الثالث أربعة وفى الرابع ثمانية وفى الخامس ستة عشر وهكذا ولولا خشية التطويل لذكرنا تضعيف عددها ونهاية مددها ولم اهمل ذلك فانى وجدت بعض الحذاق حصرها بالاعداد الهندية ونظمها فى بيت من الشعر فذكرت ذلك استحسانا لوجازته (فالبيت)

ها و اهبط و صفر بعده زجز * وثنّ صفرا وقل ددّ ز و د حا

٦١٥ ٥٥١ ٩ ٠   ٧ ٠٠٧٣   ٧٤٤ ٤٦ ٤ ١٨

والعـــدد ٦١٥ ١ ٥ ٥ ٠٩ ٧ ٧٣ ٧٤٤٠٠ ٦ ٤٤ ٨ ١

(وقال السرى) من الابيات التى تقدّم ذكرها فى صفة النرد يصف الشطرنج وقد احسن فى قوله

وكتيبتا زنج وروم اذكيا * حربا يسل بها الذكا منا صلا
فى معرك قسم النزال بقاعه * بين الكماة المعلمين منازلا
لم يسفكا فيه دما وكأنما * رشح الدماء اعاليا واسافلا
تبدى لعينك كلما عاينتها * قرنين جالا مقدما ومخاتلا

فكان

فكأنّ ذا ضاح يسير مقوما * وكان ذا نشوان يخطر مائلا
فاعجب لهاحرباتثير اذا التقت * فضل الرجال ولا تثير قساطلا

(وقالوا) ان اصل شطرنج شش رنك ومعناه ستة ألوان لان شش عندهم ستة ورنك لون فكأنهم قالوا ستة ألوان فالشاه لون والفرزان لون والفيل لون والرخ لون والفرس لون والبيدق لون (وامّا) ما اخترع فى الاسلام فالنحو والعروض (فامّا النحو) فان على بن أبى طالب رضى الله عنه هو الذى ابتكره واخترعه (وقالوا) فى أصل وضعه له ان أبا الاسود الدؤلى كان ليلة على سطح بيته وعنده بنت له فرأت السماء ونجومها وحسن تلألؤ أنوارها مع وجود الظلمة فقالت يا أبت ما أحسن السماء بضم النون فقال أى بنية نجومها وظن أنها أرادت أى شئ أحسن منها فقالت يا أبت انما أردت التعجب من حسنها فقال قولى ما أحسن السماء فلما أصبح عدا على على رضى الله عنه وقال يا أمير المؤمنين حدث فى أولادنا مالم نعرفه وأخبره بالقصة فقال هذا بمخالطة العجم ثم أمره فاشترى صحفا وأملى عليه بعد ايام اقسام الكلام ثلاثة اسم وفعل وحرف جاء لمعنى وجملة من باب التعجب وقال انح نحو هذا فكان ذلك اول ما الف فى النحو ثم قال تتبعه وزد فيه ما وقع لك واعلم يا أبا الاسود أن الاشياء ثلاثة ظاهر ومضمر وشئ ليس بظاهر ولا مضمر قال فجمعت منها اشياء وعرضتها عليه فكان من ذلك حروف النصب فذكرت منها ان وانّ وليت ولعل وكانّ ولم اذكر لكن فقال لى لم تركتها فقلت لم احسبها منها قال بل هى منها فزدتها فيها ثم جاء بعد أبى الاسود ميمون الاقرن فزاد على ما الفه أبو الاسود ثم تلاه فى ذلك عنبسة بن معدان الذى يقال له عنبسة الفيل فزاد فيه ثم جاء عبد الله ابن أبى اسحق الحضرمى وأبو عمرو بن العلاء فزادا فى ذلك ثم الخليل بن أحمد وكان على بن حمزة الكسائى رسم فى ذلك رسوما أخذها عنه الكوفيون ثم أخذ ذلك سيبويه عن الخليل وكل من جاء بعده فمن بحر كتابه يغترفون وبتقدمه عليهم يعترفون (وأمّا العروض) فاول من اخترعه وابتدعه الخليل بن أحمد وأبوه أول من سمى أحمد فى الاسلام وهو اول من وضع العروض واستخرج غرائبه واستنبط عجائبه وجعله ميزانا للشعر يعرف به التام من الناقص وصاغ له من التفاعيل ثمانية أجزاء لا يخرج شعر موزون عنها اصبرها له كالمثاقيل وهى

فعولن فاعلن مفاعيلن مستفعلن فاعـلاتن مفاعلتن متفاعلن مفعولات
وهـذه المثاقيل مركبة من سبب ووتد (فالسبب) نوعان خفيف وثقيل
فالخفيف متحرك بعده ساكن نحو ما وهل والثقيل متحركان نحو لم وبم
اذا سألت (والوتد) نوعان مجموع ومفروق فالمجموع متحركان بعدهما ساكن
نحو دعا ورمى وسعى والمفروق متحركان بينهما ساكن نحو كيف وجعل
البيت الشعر مثال بيت الشعر لان البيت من الشعر لا يقوم الا بالاسباب وهى
الاطناب والاوتاد التى تضرب فى الارض وتربط فيها الاطناب فيقوم البيت
وانما مثل بذلك لان فى الشعر حروفا مضطربة يطرأ عليها الزحاف فسميت أسبابا
لاضطرابها تشبيها بأسباب البيت الشعر وفيه حروف ثابتة لا يطرأ عليها
الزحاف فسميت أوتاد الثباتها * والى ماقصده الخليل فى هذا التمثيل أشار
أبو العلاء المعرى فى قوله

والحسن يظهر فى شيئين رونقه * بيت من الشعر أو بيت من الشعر

وفسر الناس هـذا البيت بأن بيت الشعر يحتوى على المعانى كاحتواء بيت
الشعر على الصور * وسمى نصف البيت الاول صدرا والنصف الاخير عجزا
وآخر جزء فى الصدر عروضا وآخر جزء فى العجز ضربا * وحصر أقسامه
فى خمس دوائر يستخرج منها خمسة عشر بحرا وهى المختلف والمؤتلف
والمجتلب والمشتبه والمتفق (فالطويل) وهو أصل دائرة المختلف مبنى على
فعولن مفاعيلن ثمانية أجزاء وسمى طويلا لانه أكثر الشعر عدد حروف
وعدد حروفه سبعة وأربعون حرفا وربما كان مصرعا فجاء على ثمانية وأربعين
حرفا (والمديد) وهو مبنى على فاعلاتن فاعلن ثمانية أجزاء وانما سمى مديدا
لامتداد سببيه فصار سبب فى أول جزء ابتدائه وسبب فى آخره (والبسيط)
وهو مبنى على مستفعلن فاعلن ثمانية أجزاء وانما سمى بسيطا لانبساط
الاسباب فى أول أجزائه فى الدائرة وهن يفككن من دائرة المختلف (والوافر)
وهو أصل دائرة المؤتلف وهو مبنى على مفاعلتن مفاعلتن فعول ستة أجزاء
وسمى بذلك لانه استوفى عدد أجزائه فى الدائرة فهو موفور الحركات ناقص
الحروف (والكامل) وهو مبنى من متفاعلن متفاعلن ستة أجزاء وانما
سمى بذلك لكمال أجزائه وحركاته وحروفه ولم ينقص منه شئ كما نقص

من الوافر ومنها انه جاء على اثنين وأربعين حرفا منها ثلاثون متحركات فلما كثرت حركاته وزادت على سائر الاجناس سمى كاملا وهما يفكان من دائرة المؤتلف (والهزج) وهو أصل دائرة المجتلب وهو مبنى على مفاعيلن مفاعيلن ستة أجزاء وهو مشتق من تهزج الصوت وهو التردد لانه يتوالى فى آخر كل جزء سببان فتوا اليهما هو التهزج (والرجز) وهو مبنىّ على مستفعلن مستفعلن ستة أجزا سمى بذلك لانّ فى كل جزء منه سببين فهو سريع لاضطرابه والرجز هو أن تتحرك قوائم البعير مرة وتسكن أخرى (والرمل) وهو مبنى على فاعلاتن فاعلاتن ستة أجزاء وهو مشتق من السرعة فى السير وهنّ يفككن من دائرة المجتلب (والسريع) وهو أصل دائرة المشتبه وهو مبنى على مستفعلن فاعلاتن ستة أجزاء وسمى بذلك لسرعته على اللسان (والمنسرح) وهو مبنىّ على مستفعلن مفعولات ستة أجزا سمى بذلك لانسراحه فى سهولته (والخفيف) كالرمل فى السرعة وانما غوير بينهما فى التسمية وهو مبنى على فاعلاتن مستفع لن فاعلاتن ستة أجزاء (والمضارع) وهو مبنىّ على مفاعيلن فاع لاتن مفاعيلن ستة أجزاء وسمى بذلك لمضارعته الهزج وقيل المجتث وقيل المنسرح وقيل الخفيف ولكل قول من هذه الاقوال حجة مذكورة فى كتب العروض يضيق عنها الوقت ويفوت الغرض المقصود فى هذا الكتاب (والمقتضب) وهو مبنىّ على مفعولات مستفعلن ستة أجزاء سمى بذلك لانه اقتضب من المنسرح وقيل من السريع (والمجتث) وهو مبنىّ على مستفع لن فاعلاتن فاعلاتن ستة أجزاء وسمى بذلك لانه اجتث من الخفيف كما اقتضب المقتضب من المنسرح وهنّ يفككن من دائرة المشتبه (والمتقارب) وهو رب دائرة المتفق لا يشركه فيها غيره وهو مبنىّ على فعول ثمانية أجزاء وسمى بذلك لتقارب أوتاده من أسبابه لانه سبب ووتد ووتد وسبب فأسبابه كأوتاده وأوتاده كاسبابه (وزاد الاخفش) بحرا آخر وسماه الخبب وهو مبنىّ على فعلن فعلن ثمانية أجزاء وهو عند الخليل غير مستعمل ويسمى المتدارك والمخترع وركض الخيل وهو والمتقارب يفكان من دائرة المتفق (نادرة) حكى أنّ الخليل كان له ولد جلف فدخل عليه يوما فوجد أباه قد أدخل رأسه فى حب وهو يقطع بيت شعر فخرج صارخا

قوله على مستفعلن فاعلاتن الخ صوابه على مستفعلن مستفعلن مفعولات الخ كما هو ظاهر اه

٢

قوله على فعلن الخ الاولى على فاعلن لانه الاصل اه مصححه

يقول أدركوا أبي فقد جنّ فدخل اليه أصحابه وأعلموه بما قال ولده فانشد مخاطباله

لو كنت تعلم ما أقول عذرتنى * أو كنت أجهل ما تقول عذلتكا
لكن جهلت مقالتى فعذلتنى * وعلمت أنك جاهل فعذرتكا

ومن بديع فصاحة البلغاء وصنيع بلاغة الفصحاء
فى وصف ذى الذهن الوقاد والطبع السليم المنقاد

وصف بعض البلغاء ذكيا فقال فلان يعلم من مفتتح الامر خاتمته ومن بديهه عاقبته فلان له بصيرة حاضره وروية مستأمره كل علم فى سكناته وكل دهاء فى حركاته فلان له رأى كاهن وطنة منجم متى حصل فى عارض مشكل وأمر معضل دله فؤاده على الهداية وأمّنه من الجهالة والغواية فلان عنده مشكل الامر مشكول أخذه من قول حبيب

يرى الحادث المستعجم الخطب معجما * لديه ومشكولا اذا كان مشكلا

(ولعنان جارية الناطفى فى جعفر بن يحيى)

بديهته وفكرته سواء * اذا اشتبهت على الناس الامور
وصدر فيه للهمّ اتساع * اذا ضاقت من الهمّ الصدور

(وصف) رجل عضد الدولة فقال له وجه فيه ألف عين وفم فيه ألف لسان وصدر فيه ألف قلب (وصف) سهل بن هرون رجلا فقال ما رأيت أكثر فهما للجليل ولا أحسن تفهما الدقيق منه (وصف) الباخرزى أطروشا يفهم ما يكتب له على ظهر الكف فقال اذا خط له صاحب عرض ببنانه على ظهر كفه وقف على المراد ورضى نيابة البنان عن الانبوب المغموس فى المداد حتى كأنّ لكل شعرة من بدنه واعيا مصغيا باذنه وذلك لعمرى كالرقم على بسيط الماء بالخيال أو كالنقش على قائم الهواء بالهباء ومن عجيب أمره انه فى الصمم بحيث أقول فى غيره

وأصلخ فى منفذى سمعه * صمام من الصمم المطبق
فلو نفخ الصور فى عصره * لأفلت حيا ولم يصعق

(وصف) اليوسفى غلاما بالذكاء فقال كان يعرف المراد باللحظ كما يعرفه باللفظ ويعاين فى الناظر ما يجرى فى الخاطر أقرب الى داعيه من يد متعاطيه

حديد الذهن ثاقب الفهم يغنيك عند الملامة ولا يحوجك الى الاستزادة (قال أبو نواس) يصف نفسه فى محبة مخدومه بالذكاء

اذا جعل اللفظ الخفى كلامه * جعلت له عينى لتفهمه أذنا

(وقال) الشريف ابن طباطبا يمدح صاحباله بهذه الصفة

لى صاحب لا غاب عنى شخصه * أبدا وظلت ممتعا بوداده

فطن بما يوحى اليه كأنما * قد نيط هاجس فكرتى بفؤاده

وكل الناس الاذكياء عيال على زياد بن أبيه (حكى عنه) انه كان يوما جالسا فى مجلس عمر فأملى عمر على كاتبه كتابا بسرافكتب الكاتب خلافه فقال زياد يا أمير المؤمنين انه كتب غير ما أمليته فتناول عمر الكتاب فوجد الامر كما قال زياد فقال عمر لزياد من أين علمت هذا قال رأيت رجع فيك وحركة قلمه فلم أر بينهما اتفاقا

(الفصل الثانى من الباب السابع)

فى ذكر بداهة الاذكياء البديعة وأجوبتهم المفحمة السريعة

(قالوا) البديهة قدرة روحانية فى حلية بشرية كما أن الرؤية صورة بشرية فى حلية روحانية (ويقال) بالاحسان فى البديهة تفاضلت العقول (ويقال) ميسور الرأى عند البديهة خير من الاطناب بعد الفكرة (فمن أبدع) فى بديهته من الفضلاء من غير ماسؤال ولا ابتلاء (أبو نواس) وذلك أنه اجتمع ندماء الأمين فى مجلس أنس وخلاعة وهو فيهم فخرج عليهم الأمين فى زينته مخمورا والجوارى يحملنه على سرير فلما رآه أبو نواس قال ان آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون تحمله الملائكة فلله حسن انتزاع هذا الرجل ما أبدعه وأبرعه وفكره ما أصدعه وأسرعه لقد جاوز شأو الاختراع فى الانتزاع وتعدى الغاية وصرف العقول لاستحسان ما أشار اليه بهذه الآية لان أباه هرون الرشيد وعمه موسى الهادى وهو وارثهما (وصعد) سليمان بن عبد الملك يوم جمعة المنبر ويقال الوليد وعليه أكثر المؤرخين فسمع صوت ناقوس فقال ماهذا قالوا البيعة يا أمير المؤمنين فأمر بهدمها فهدمت فبلغ ذلك ملك الروم فكتب اليه ان هذه البيعة أقرها من

كان قبلك فان كانوا أصابوا فقد أخطأت وان تكن أصبت فقد أخطؤا فسأل سليمان من خواص دولته الجواب فأعياهم فقال الفرزدق عن اذن أمير المؤمنين قال قل قال يكتب اليه ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما فسر بذلك وأمر له بعشرة آلاف درهم (وخطب) قتيبة بن مسلم على منبر خراسان عند ما قدمها واليا فسقطت العصا من يده فتطير من ذلك فقام بعض الاعراب فمسحها وناوله اياها وقال أيها الامير ليس كما ظن العدو وساء الصديق ولكنه كما قال الشاعر

فألقت عصاها واستقربها النوى * كما قرعينا بالاياب المسافر

فسرى عنه ما كان وجده من الغم وأمر له بخمسة آلاف درهم (وخرج) طاهر بن الحسين لقتال على بن عيسى بن ماهان وفى كمه دراهم يفرقها على الضعفاء وسها انها فى كمه فأسبل كمه فتبددت فتغير لذلك وتطير منه فانشده شاعر كان معه

هذا تفرق جمعهم لاغيره * وذهابها منه ذهاب الهم

شئ يكون الهم نصف حروفه * لاخير فى امساكه فى الكم

(ودخل) أبو الشمقمق واسمه مروان بن محمد على خالد بن يزيد بن مزيد الشيبانى وقد قلده المأمون الموصل فلما دخل الموصل مر ببعض الدروب فاندق منه اللواء فى بعض أبوابها فتطير خالد من ذلك فقال أبو الشمقمق يسليه عن الطيرة

ما كان مندق اللواء لطيرة * تخشى ولا سوء يكون معجلا

لكن هذا الرمح أضعف متنه * صغر الولاية فاستقل الموصلا

فسرى عنه ما كان وجده وكتب صاحب البريد الى المأمون بذلك فزاده ديار ربيعة فاعطى خالد ابا الشمقمق عشرة آلاف درهم

(وممن سئل من الاذكياء فأجاب وأتت سرعة بديهته بالشئ العجاب)

ما يحكى أن المأمون دخل يوما ديوانه فمر بغلام جميل على أذنه قلم فأعجبه حسنه فقال من الشاب فقام وقال الناشئ فى دولتك والمؤمل لخدمتك والمتقلب فى نعمتك الحسن بن رجاء فاستحسن كلامه وأمر له بمائة ألف درهم (ودخل) محمد بن عبد الملك بن صالح على المأمون فسلم فقال من أنت قال

سليل نعمتك وابن دولتك وغصن من أغصان دوحتك فاعجبه وسأله عن حاجته فقضاها له (وقال أبو عبادة البحترى) دخلت يوما دار الفتح بن خاقان فوجدت الشعراء فى دهليز داره وبينهم صبى صغير السن قصير القامة فقلت ما أنت يا غلام فقال شاعر فتبسمت عجبا منه ثم قلت أجز

ليت ما بين من أحب وبينى * قال من البعد أم من القرب قلت من القرب فقال مثل ما بين حاجبى وعينى * فقلت فان أردناه من البعد فقال

مثل ما بين ملتقى الخافقين * فأخذت بيده وأوصلته الى الفتح وأخبرته بما دار بينى وبينه فعجب منه وأجازه (لام السفاح) خالد بن برمك على كثرة عطائه وصلاته فقال له خالد لم أر شكرى يحيط بنعم أمير المؤمنين فاستعنت بألسنة الناس عليها (ومثلها) ما حكى ان الواثق قال يوما لاحمد بن أبى دواد وقد ضجر من كثرة حوائجه يا أحمد قد أخليت بيوت الاموال من افراطك فى الطلب للائذين بك فقال يا أمير المؤمنين نتائج شكرها متصلة بك وذخائر أجرها مكتوبة لك ومالى من ذلك الا عشق اتصال الالسن بخلود المدح فيك فقال الواثق والله يا أبا عبد الله ما منعناك ما يزيد فى عشقك ويقوى من همتك وأمره ان يجرى على عادته فى عرض حوائجه (وكان) الفضل بن يحيى يرسل الى القاسم بن اسحق البصرى مع جوائزه رقاعا مختومة فيرد الجواب برقاع منشورة فنقم عليه وكره ذلك منه فكتب اليه القاسم رقاعك تشتمل على بر ورقاعى تشتمل على شكر فانت تكتم برك وانا انشر شكرى فكل منا فعل ما وجب عليه وندب اليه (وفد) حاجب بن زرارة على باب كسرى وكان قد منع تميم ريف العراق فقال لحاجبه قل للملك ان بالباب رجلا من العرب يريد الوفود عليك والمثول بين يديك فاعلم الحاجب كسرى بما قال فاذن له فلما وقف بين يديه قال له من أنت قال سيد العرب قال ألست القائل للحاجب انك رجل من العرب قال نعم قلت ذلك قبل وصولى اليك ومثولى بين يديك فاما وقد تشرفت بخدمتك وحظيت برؤيتك فقد صرت سيد العرب فقال كسرى زه وأمر أن يحشى فمه جواهر ورمى اليه وسادة تكرمة له فأخذها ووضعها على رأسه فتغامز عليه من كان حاضرا من المرازبة واستجهل فقال له كسرى ليس هذا مكانها انما هى للجلوس عليها فقال علمت أيها الملك ولكنى لما رأيت عليها صورتك أجللتها فوضعتها على

أشرفه أعضائى ليتشرف بها فقال كسرى زه وأمر أن يسوّر فسوّر (وروى
كثير) راكبا ومحمد بن على الباقر رضى الله عنه يمشى معه فقيل اتركب ومحمد
يمشى فقال هو أمرنى بذلك فطاعتى له فى الركوب أفضل من عصيانى له فى المشى
(ودخل) عدى بن أرطاة على شريح القاضى فقال انى رجل من أهل الشام
قال بعيد سحيق قال وانى قدمت بلدكم هذه قال خير مقدم قال وانى تزوجت
قال بالرفاء والبنين قال وان امرأتى ولدت غلاما قال يهنؤك الفارس قال
وقد كنت شرطت لها صداقا قال الشرط املك قال وقد أردت الخروج بها
الى بلدى قال الرجل أحق بأهله قال فاقض بيننا قال قد فعلت قال بشهادة
من قال بشهادة ابن أخت خالتك (ودخل) عروة بن الزبير بستانا لعبد الملك بن
مروان وقد فتحت ازهاره واينعت ثماره وبسقت اشجاره واطردت انهاره
وتغردت اطياره فقال له عبد الملك ما أحسن هذا البستان فقال أنت أحسن
منه لانه يؤتى أكله كل عام وأنت تؤتى أكلك كل حين (وقف المنذر) على
عجوز من العرب فقال ممن أنت قالت من طئ فقال مامنع طيأ أن يكون
فيهم مثل حاتم قالت الذى منع الملوك أن يكون فيهم مثلك فعجب من سرعة
جوابها وامر لها بصلة (وركب الرشيد) وجعفر بن يحيى يسايره فرأى الرشيد
فى طريقه احمالا مقبلة فسأل عنها فقيل له هدايا خراسان بعث بها على بن
عيسى بن ماهان وكان الرشيد ولاه اياها بعد الفضل بن يحيى فقال الرشيد
لجعفر أين كانت هذه ايام اخيك قال فى منازل اصحابها يا امير المؤمنين (نادرة)
ولى المنصور سليمان بن راشد الموصل وضم اليه ألفا من العجم وقال له قد
ضممت لك ألف شيطان تذل بهم الخلق فلما أتى الموصل عاثوا فى البلاد وقطعوا
السبل فانتهى خبرهم الى المنصور فكتب اليه أكفرت النعمة يا سليمان
فأجابه وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا فقبل المنصور عذره وصرفهم
عنه (وقال المتوكل) لابى العيناء ما اشد مامر عليك فى ذهاب بصرك قال فوت
رؤيتك يا أمير المؤمنين (وحكى) أن الحجاج طاف ليلة فظفر برجلين سكرانين
فقال من أنتما فقال احدهما

انا ابن الذى لا ينزل الدهر قدره * وان نزلت يوما فسوف تعود
ترى الناس أفواجا الى ضوء ناره * فمنهم قيام حولها وقعود

وسأل الآخر فقال

أنا ابن من ذات الرقاب له * مابين مخزومها وهاشمها
تأتيه بالرغم وهي صاغرة * يأخذ من مالها ومن دمها

فسأل الحجاج عن أبويهما فاذا أبو الاول باقلانى وأبو الآخر حجام فقال الحجاج أطلقوهما الادبهما لالنسبهما لئن أخطأ النسب فما أخطأ الادب (وقد) أخذ بعض الشعراء قول الثانى فقال يمدح حجاما فى معرض التهكم والاستهزاء

أبوك حز النجاد عاتقه * كم من كمى أدمى ومن بطل
يأخذ من ماله ومن دمه * لم يمس من ثائر على وجل

(وممن رشق من الفهماء بسهام المقال فز برها بمعارضة أحد من النصال)

عروة بن الزبير وذلك أنه دخل على عبد الملك بن مروان يوما فلما استقر به المجلس تجاذب الجلساء اذيال المذاكرة وتساقوا أكواب المحاورة فذكر أخاه عبد الله فقال كان أبو بكر يفعل كذا وكذا وكان أبو بكر يقول كذا فقال له انسان تكنيه عند أمير المومنين لاام لك فقال الى يقال لاام لك وأنا ابن عجائز الجنة يعنى ان صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم جدته وعائشة ام المؤمنين خالته واسماء ذات النطاقين امه (ودخل) شاب على المنصور فسأله عن والده فقال مرض والدى رحمه الله يوم كذا ومات رحمه الله يوم كذا وترك من المال رحمه الله كذا فانتهره الربيع وقال بين يدى أمير المؤمنين توالى بالدعاء لابيك فقال الشاب لاألومك ياربيع لانك لم تعرف حلاوة الآباء فضحك المنصور وخجل الربيع وذلك ان الربيع كان مولى للمنصور لايعرف له اب (قال ابو الفرج الاصفهانى) كان الربيع يدعى أنه ابن يونس بن أبى فروة وبنو فروة يدفعون ذلك ويزعمون انه لقيط وجد منبوذا وكفله يونس فلما كبر وهبه يونس للمنصور قبل الخلافة فلما ولى الخلافة جعله حاجبا ثم جعله وزيرا وقال ابن عبدوس الجهشيارى هو الربيع بن يونس بن محمد بن ابى فروة واسم أبى فروة كيسان مولى الحرث الحفار مولى عثمان بن عفان وكان يونس شاطرا بالمدينة فعلق أمة قوم بالمدينة ووقع عليها فجاءت بالربيع فاستعبد

ولم يكن ليونس مال فيبتاعه فابتاعه زياد بن عبد الله خال أبي عبد الله السفاح
فأهداه اليه ولم يزل يخدمه حتى مات فخدم أبا جعفر بعده فخص به واستولى
على أمره لحذاقته ونباهته (وحكى) ان قرشيا سأل خالد بن صفوان بن الاهتم
التميمي عن اسمه فانتسب له فقال القرشي ان اسمك لكذب ما أحد فى الدنيا
بخالد وان أباك لجر بعيد من الرشح وان جدك لاهتم والصحيح خير من الاهتم
فقال له خالد قد سألت فأجبتك فمن أنت قال من قريش قال من أى قريش
أنت قال من بنى عبد الدار قال خالد لم تصنع شيأ يا أخا عبد الدار فمثلك يشتم تميما
فى عزها وشرفها وقد هشمتك هاشم وامتك أمية وجمحت بك جمح وزخت
رأسك فهر وخزمت أنفك مخزوم ولوت بك لؤى وغلبتك غالب ونفتك مناف
وزهرت عليك زهرة وأقصتك قصى فجعلتك عبد دارها ومنتهى عارها تفتح
اذا دخلوا وتغلق اذا خرجوا فخر الرجل ميتا من شدة الغيظ فكانت امرأته
تنادى فى أزقة البصرة صارخة خالد قتل بعلى بلسانه وادعى أهله على خالد بديته
لانه مات بسبب كلامه (وافتخر) قوم باليمن عند هشام بن عبد الملك فقال لخالد
ابن صفوان أجبهم فقال ماعسى ان أقول لقوم هم بين ناسج برد ودابغ جلد
وسائس قرد ملكتهم امرأة ودل عليهم هدهد وغرقتهم فأرة (وقال) معاوية
لعقيل ما حال عمك أبي لهب قال فى النار يفترش عمتك حمالة الحطب (ودخل)
عقيل بعدما كف بصره على معاوية يوما فقال له ما بالكم تصابون فى أبصاركم
يا بنى هاشم يعرض به وبعبد الله بن عباس قال كما تصابون أنتم فى بصائركم يا بنى
أمية (وحكى) ان هندا بنة عتبة بن ربيعة وقفت بالموسم وقالت يا بنى هاشم أين
أبي أين اخى اين عمى اين الذين كانت وجوههم تضىء للسارى فى الليل العاكر
ونسق بمدحهم لسان الذاكر فقال لها عقيل بن أبي طالب اذا دخلت النار
فخذى على شمالك (ودخل) يزيد بن أبي مسلم على سليمان بن عبد الملك فلما رآه
دميما حقيرا قال له لعنة الله على رجل أجرك رسنه وولاك حبله فقال يا أمير
المؤمنين رأيتنى والامر عنى مدبر فلو رأيتنى والامر على مقبل لاستعظمت
منى ما استصغرت فقال له سليمان أترى الحجاج بلغ قعر جهنم بعد فقال يا امير
المؤمنين يجىء الحجاج يوم القيامة بين ابيك واخيك قابضا على يمين ابيك وشمال
أخيك فضعه حيث شئت (ودخل) بعض الشعراء على امير يريد مدحه فقال

له الامير ممن أنت قال من تميم قال الذين يقول فيهم الشاعر

تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا * ولو سلكت سبل المكارم ضلت

(أخذت امرأة) في زنا فطيف بها على جمل فقال لها بعض المجان كيف خلفت الحاج قالت بخير وكانت أمك في النفر الاول * وقال رجل للفرزدق كيف عهدك بالحر قال منذ ماتت عجوزك * وقال عبد الله بن طاهر لرجل ما بال شدقك معوجا قال عقوبة عاقبني الله بها لكثرة ثنائي عليك بالباطل (اجتمع) أبو حنيفة النعمان بن ثابت وشيطان الطاق ابراهيم بن هرون عند المهدي بعد موت جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنه وعن آبائه فقال أبو حنيفة لشيطان الطاق يعرض به مات امامك فقال له أبشر فان امامك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم فقال المهدي لله درك لقد أجدت وأمر له بعشرة آلاف درهم * ومازح المتوكل أبا العيناء فقال هل أبصرت طالبيا حسن الوجه فقال يا أمير المؤمنين وهل يسئل اعمى عن مثل هذا قال انما اسألك عما سلف اذ كنت بصيرا قال نعم رأيت منهم ببغداد منذ ثلاثين سنة فتى ما رأيت أجمل منه ولا الطف شمائل قال المتوكل نجده كان مؤاجرا ونجدك كنت قوادا عليه قال أبو العيناء وتفرغت لهذا يا أمير المؤمنين اتراني كنت ادع موالىّ وأقود على الغرباء قال اسكت يا مأبون قال مولى القوم منهم قال المتوكل أردت ان اشتفي منهم به فاشتفى لهم مني (وقال رجل لمغنية) اشتهي ان أقتلك قالت ولم قال لانك زانية قالت فكل زانية تقتل قال نعم قالت فابدأ بمن تعول * لقي خالد بن صفوان الفرزدق وكان كثيرا ما يداعبه وكان الفرزدق دميما فقال له ابا فراس ما أنت بالذي لما رأينه أكبرنه وقطعن ايديهن فقال الفرزدق ولا أنت أبا صفوان بالذي قالت الفتاة لابيها في حقه يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوي الامين (رأى أبو نواس) غلاما جميلا يمشي في بعض السكك فقال له ما تصنع الحور بين الدور فقال الصبي ما يصنع الشيطان بين الحيطان (وحبس) عمرو بن العاص عن جنده العطاء فقام اليه رجل حميري وقال أصلح الله الامير اذ لم تعطنا شيئا فاتخذ جندا من حجارة لا يأكلون ولا يشربون فقال له عمرو اخسأ يا كلب فقال الحميري ان كنت كما ذكرت فانت اذن أمير الكلاب

(وممن تهكم فى خطابه واعتمد الهزل فى جوابه)

ماحكى ان خالدبن الوليد لماقدم اليمامة نزل عسكره على قصر من قصور الحيرة يقال له قصر بنى بقيلة فسألهم أن يبعثوا اليه رجلا من عقلائهم وذوى انسابهم فبعثوا اليه عبد المسيح بن بقيلة فاقبل يدب فى مشيه فقال خالد بعثوا الينا شيخا لا يفقهم شيأ فلما وصل اليه قال أنعم صباحا فقال خالد ان الله اكرمنا بتحية خير من هذه ثم قال له أين اقصى أثرك قال ظهر أبى فقال من أين خرجت قال من بطن أمى قال علام أنت قال على الارض قال فيم أنت قال فى ثيابى فقال له تعقل قال نعم وأقيد قال ابن كم أنت قال ابن رجل وامرأة قال كم أتى عليك قال لو أتى على شئ لقتلنى قال كم سنك قال ست وثلاثون قال خالد مارأيت كاليوم أسألك عن شئ وتجيبنى عن غيره قال ما أجبتك الا عما سألت قال كم عمرك قال ثلثمائة وخمسون سنة فجعل لايسأله عن شئ الا اجابه (وقال الحجاج) لرجل من الخوارج أجمعت القرآن قال ما كان مفرقا فاجمعه قال افتحفظه قال ماخشيت فراره حتى أحفظه قال ماتقول فى أمير المؤمنين قال لعنه الله ولعنك معه قال انك مقتول فكيف تلقى الله قال ألقاه بعملى وتلقاه بدمى (وكان المنصور) قد ألزم الناس بلباس قلانس طوال وان يطيلوا حمائل سيوفهم وان يكتبوا اعليها فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم وذلك فى سنة خمس وخمسين ومائة وفى هذه السنة وفد الشافعى رضى الله عنه فدخل عليه (١) أبو دلامة واسمه زيد بن الجون فى هذا الزى فقال له كيف أنت يا أبا دلامة قال كيف حال من صار وجهه فى وسطه وسيفه فى استه ونبذ كتاب الله وراء ظهره فضحك منه وأمر بتغيير ذلك الزى (وماتت) حمادة بنت عيسى عمة المنصور فخرج فى جنازتها فرأى أبادلامة واقفا على شفير قبرها فقال ماأعددت لهذه الحفرة يا أبا دلامة قال عمة أمير المؤمنين يؤتى بها الساعة فتدفن فيها فغلب المنصور الضحك حتى ستر وجهه بطرف ردائه حياء من الناس (قال فتى لابيه) زوجنى قال أوتحسن أن تعمل قال نعم أقيم ايرى وأسد طعنى وألصق عانتى واشد ضمى فقالت امه لابيه تعلم أسخن الله عينك من ابنى فديته (عرض رجل) يقال له أبو البقر وكان ظريفا مطبوعا ماجنا على موسى بن عبد الملك فقال والله ما اعرف هذا فقال والله انك لاعرف به من

(١) اى على المنصور اه

الترك بالبوم والغزاة بالروم والعرب بالشيح والقيصوم ولكنك ضجرت ضجر المحب من الرقيب فقال أنت أبو البقر قال أنا أبو القوم الذين بين يديك فضحك منه وقضى حاجته (وتعرض) أبو العبر للمتوكل والمتوكل مشرف من قصره الجعفرى وقد جعل فى رجليه قلنسوتين وعلى رأسه خفا وجعل سراويله قميصا وقميصه سراويل فقال المتوكل على بهذه المثلة فلما مثل بين يديه قال له انت شارب قال لا بل عنفقة يا امير المؤمنين قال انى أضع رجلك فى الادهم وانفيك الى فارس قال ضع رجلى فى الاشهب وانفنى الى راجل قال اترانى فى قتلك مأثوم قال لا بل ماءبصل يا أمير المؤمنين فضحك منه ووصله

(ومن ليم على قبيح فعاله فسدده بمغالطات مقاله)

ماذكر ان رجلا كان له ارض الى جانب ارض لرجل آخر فكان الرجل يضم كل سنة قطعة منها الى أرضه فقال له يوما ما هذا النقصان فى ارضى والزيادة فى أرضك قال ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء قال فمن أين اتيت النقص قال يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم (وسئل) بعض الوعاظ لم تنصرف أشياء فلم يفهم ما قيل له فقال لسائله يا هذا اقتف آثار المهتدين ولا تسأل سؤال الملحدين أما سمعت قول من يحيى الموتى ويميت الاحياء يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن اشياء لقد ارتكبت بمغالطتك ذنبا عظيما فاستغفر الله ان الله كان غفورا رحيما (وقرأ قارئ) فى روضة تحبرون(١) فقال ماجن خشكار ام حوارى فقال ما اراد وافقنها ما تشتهى الانفس وتلذ الاعين (وقال) يحيى بن اكثم لشيخ من أهل البصرة بمن اقتديت فى تحليل المتعة قال بعمر بن الخطاب قال يحيى كيف هذا وعمر كان اشد الناس فيها الآن الخبر الصحيح أتى عنه انه صعد المنبر فقال الله ورسوله احل لكم متعتين وانى محرمهما عليكم واعاقب من فعلهما قال فنحن نقبل شهادته ولا نقبل تحريمه (وحكى) ان الفضل بن الربيع قال كنت اقرأ كتابا ورد على والى جانبى رجل مدنى ينظر فيه فقلت له ما تصنع ويحك قال بلغنى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من نظر فى كتاب اخيه المؤمن بغير اذنه فكأنما اطلع فى النار ولنا اشياخ تقدمونا فأردت اعرف اين مكانهم منها فشغلنى الضحك منه عن

(١) أى جعل على الحاء نقطة وعلى الراء نقطة اهـ

الانكار عليه (ولما) قتل الحجاج بن يوسف عبد الله بن الزبير ارتجت مكة بالبكاء فامر الحجاج الناس ان يجتمعوا الى المسجد ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال يا أهل مكة بلغنى بكاؤكم على ابن الزبير وكان من احبار هذه الامة حتى رغب فى الخلافة ونازع أهلها فيها فخلع طاعة الله واستكن بحرم الله ولو كان شيأ مانعا للعصاة لمنعت آدم عليه السلام حرمة الجنة لان الله خلقه بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته وأباحه جنته فلما أخطأ أخرجه من الجنة بخطيئته وآدم أكرم على الله من ابن الزبير والجنة أكبر حرمة من الكعبة (وجلس نحوى) الى جانب منبر واعظ فلحن الواعظ فقال له النحوى أخطأت باللحنة فقال الواعظ بديها أيها المعرب فى أقواله اللاحن فى أفعاله مالى أراك تائها متكبرا أكل ذلك لانك رفعت ونصبت وخفضت وجزمت هلا رفعت الى الله يديك فى جميع الحاجات ونصبت بين عينيك ذكر الممات وخفضت نفسك عن الشهوات وجزمتها عن اتباع المحرمات أوما علمت انه لا يقال يوم القيامة ألا كنت فصيحا معربا وانما يقال لك لم كنت عاصيا مذنبا فلو كان الامر كما زعمت لخواطب كما حكمت لكان هرون أحق بالرسالة من موسى اذ قال الله تعالى اخبارا عنه واخى هرون هو أفصح منى لسانا فجعل الرسالة فى موسى لفصاحة تبيانه لا لفصاحة لسانه فالفصاحة فصاحة الجنان لا فصاحة اللسان ثم أنشد

مجازف فى الفعال ذو زلل * حتى اذا جاء قوله وزنه
قال وقد أعجبته لفظته * تيها وعجبا أخطأت يا لحنه
فقلت أخطأ الذى يقوم غدا * ولا يرى فى كتابه حسنه

(ومن أظرف ما قيل)

يا عائبى الناس باعرابه * أى فاحذرونى اننى ملسن
ان كان فى أقواله معربا * فانه فى فعله يلحن

(نظر رجل) الى مخنث ينتف لحيته فعنفه فقال له أتحب أن يكون فى استك قال لا فقال شئ لا تحبه أن يكون فى استك كيف احب ان يكون فى وجهى (وقيل لمخنث) لم تنتف لحيتك فقال لسائله وانت أيضا لم لا تنتفها * وسمع بعضهم قارئا يقرأ الاكراد أشد كفرا ونفاقا فقال له ويحك انما هى الاعراب

فقال كلهم يقطعون الطريق عليهم لعنة الله وسخطه

(الفصل الثالث من الباب السابع)
فيمن سبق بذكائه وفطنته الى ورود حياض منيته

(ينبغي لنا) أن نذكر مقدمة تنتج عنها حقيقة ماترجمنا عليه وسافنا الغرض اليه وهى ان الانسان اذا كان ذا فكر ثاقب وقريحة وقادة ربما تشكل له فيها خيالات وهمية وأمور حدسية تؤيدها اصابات اتفاقية خارقات للعوائد الفعلية كالحدقة اذا ازداد شعاع باصرها عن حد الاعتدال ربما أدركت من المرئيات مالا يمكن العبارة عنه فكان كالنقص والاختلال وكذلك السمع أيضا من شدة حادة الحاسة ربما عرض له طنين لكثرة مايعى من السمعيات كما قلنا فى ادراك حدة البصر من المرئيات فتقرطس سهام تلك الخيالات الفكرية أعراض الاقدار ولا يعلم صاحبها أن الله أجراها بارادته شريكى عنان عبرة لاولى البصائر والابصار فمن لم يجعل الله له نورا قادته فرعنة طبعه الى القول والعناد وحسنت له أن يتصف بغير صفات العباد أو يقول ان السعادة اذا كانت مناطة بأفعال الانسان فى حركاته وسكناته مساعدة له فى سائر حالاته حتى انه اذا باشر متعسرا تيسر أو صعبا هان أو شديدا لان ربما سولت له خيالات شيطانية ان تلك الافعال انفعلت بقدرته لا بالقدرة الالهية فتخرج النفس بدعاويها عن صفاتها البشرية واطوارها الطينية كما فعل النمروذ وفرعون ومن تابعهما بتخيلاتهم الفاسدة من أصحاب المقالات وأرباب المحالات وكل منهم عبد صنم هواه فأضله وأغواه ورقاه بدعواه أصعب مرتقى فهوى به الى أسفل دركات الشقا *(فمنهم) ممن نازع الله رداءه فاشمت به مخالفيه وأعداءه المقنع الخراسانى واسمه عطاء وكان أعور قصيرا من أهل مرو وكان لايدع القناع عن وجهه لئلا يرى قبحه وكان يعرف بسرعة السحر والنيرنجيات والهندسة وكان أصل معتقده الحلول والتناسخ فادعى الربوبية فى قومه فتابعوه وقالوا بقوله واسقط عمن تبعه الصلاة والزكاة والصوم والحج (فمن) مفصل أباطيله أنه زعم ان الله تعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علوا كبيرا حل فى آدم ثم من آدم فى نوح ثم الى صورة بعد صورة من صور الانبياء والحكماء حتى وصل

الى صورة أبي مسلم الخراساني تحل فيها ثم منه اليه فعبده قومه وقاتلوا دونه واتخذ وجها من ذهب لئلا يرى قبح وجهه فلا يعبد ولهذا سمى المقنع * وكان ظهوره فى خلافة المهدى وحميد بن قحطبة والى خراسان يومئذ واشتدت شوكته ودامت فتنته أربع عشرة سنة وكانت بما وراء النهر بنواحى الصغد وايلاق وما دانا هامن بلاد الترك ولما تمادى أمره أنفذ اليه المهدى عسكرا فقاتله فكانت الحرب بينه وبين جموعه سجالا فلما أحس بالغلبة صنع له أخدودا من نار وألقى نفسه فيه وقيل أمر أن يغلى له سكر وقطران ثم ألقى نفسه فيه فذاب ولم يبق له أثر فازداد أصحابه بذلك ضلالا وقالوا قد رفع الى السماء وذلك فى سنة ستين ومائة من الهجرة * (وممن كان) يقول بالحلول وأجمع معاصريه على ضلالة ما يقول حسين الحلاج وهو الحسين بن منصور ويكنى أبا محمد وأبا عبد الله وأبا مسعود وأبا مغيث وكان ظهوره فى سنة احدى وثلثمائة فى خلافة المقتدر (فمما) أورده المؤرخون الثقاة من كلامه المنتقد عليه قوله أنا الحق وقوله ما فى الجبة الا الله وقوله أيضا

سبحان من أظهر ناسوته * سر سنا لاهوته الثاقب
ثم بدا محتجبا ظاهرا * فى صورة الآكل والشارب

(ومن كلامه لمن تابعه) من عذب نفسه فى الطاعة وصبر عن اللذة والشهوة وصفا حتى لا يبقى فيه شئ من البشرية حل فيه روح الاله كما حل فى عيسى عليه السلام ولا يريد اذ ذاك شيأ الا كان كما أراده ويكون جملة فعله فعل الله * وكان يظهر أنه سنى لمن كان من أهل السنة وشيعى لمن كان من أهل الشيعة ومعتزلى لمن كان يعتقد الاعتزال وكان مع ذلك شعبذيا يستعمل المخاريق حتى استهوى به من لا تحصيل عنده ثم ادعى الربوبية وقال بالحلول وعظم افتراؤه على الله وكان يدعى أنه المغرق لقوم نوح والمهلك لعاد وثمود وكان لا يحسن من القرآن شيأ ولا من الحديث ولا من الفقه ولا من الشعر شيأ وكان عنوان كتبه الى أصحابه من الهو هو رب الارباب الى عبده فلان وكانوا يكتبون اليه يا ذات الذات يا منتهى غاية الغايات نشهد انك مصور فيما شئت من الصور وانك لتتصور فى صورة الحسين بن منصور الحلاج

ونحن نستجير بك ونرجو رحمتك ياعلام الغيوب فاتصل خبره بعلي بن عيسى
الوزير فاحضره وأحضر له الفقهاء فسألوه فلم يجدوه يعرف شيأ وأسقط
في كلامه فأمر به فضرب وصلب حيا في الجانب الشرقي ثم في الجانب الغربي
ليراه الناس ثم حبس في دار الخلافة مدة ثم أطلق ثم ظهر في سنة تسع وثلاثين
بعد أن دخل الهند وماوراء النهر وبلاد تركستان وخراسان وسجستان
وكرمان وفارس وبلاد الجبل والعراق وكان كثير التلون له في كل بلد اسم وكنية
ولقب يلبس تارة المسوح وتارة الدراعة وتارة الثياب المصبغة وتارة
الفوطة والمرقعة وتارة العباءة وأشكل حاله على الناس فقائل ساحر وقائل
مشعبذ ومنهم من يثبت له الكرامات وذلك لما يظهر عنه من خوارق العادات
فلما ظهر في المرة الثانية اختدع جماعة من أصحاب المقتدر وكان وزيره يومئذ
أحمد بن العباس فعرض حاله على الفقهاء فافتى بقتله خمسة وثمانون بفتاوى
وافقت رأى المقتدر وممن أفتى بقتله القاضي أبو عمرو ومحمد بن يوسف المالكي
وأبو العباس أحمد بن شريح الشافعي وأبو بكر بن فورك وداود الظاهري
فأمر به فضرب مائة سوط وقطعت اطرافه وصلب حيا ثم ضرب عنقه من
الغد ولف في ردائه وأحرق بالنفط وذرى رماده في دجلة فلما فعل به ذلك جعل
أصحابه يعدون نفوسهم برجوعه بعد أربعين يوما وادّعى بعض أصحابه أنه
لم يقتل ولم يصلب وانما ألقى شبهه حالة القتل والصلب كعيسى عليه الصلاة
والسلام * وقد حمل الغزالي اطلاقاته التي تنبو عنها مسامع العقلاء وترفضها
مسامع العلماء حملا حسنا وتأولها تأويلا بديعا وقال هذا من فرط المحبة
والوجد ذكره في كتابه المسمى مشكاة الانوار والله تعالى عالم الاعلان من أمره
والاسرار وكان وقتله في يوم السبت (١) لثلاث بقين من ذي القعده (٢)
الحرام سنة تسع وثلثمائة (وظهر) في أيام الراضي بالله علي بن محمد الشلمغاني
المعروف بابن أبي القراقر وكان غاليا في التشيع يقول بالتناسخ والحلول وكان
ممن وافقه وخلع ربقة الاسلام ابن أبي عوانة الكاتب وابن الفرات وابنه
المحسن والحسن بن القاسم بن عبد الله بن سليمان بن وهب فوشى بهم
الى الراضي فاحضرهم وكان الحسن بالرقة فسألهم عما رموا به فانكروه
فأمر أن يحمل ما في بيت أبي القراقر من الاوراق فوجدوا خط الحسن

(١) في نسخة الثلاثاء
(٢) في نسخة الحجة

وابن أبى عوانة يخاطبانه بالالهية فامر الراضى ابن أبى عوانة أن يصفع ابن أبى القراقر فلما نهض لذلك أظهر رعشة فى يده ودنا الى راسه فقبلها وقال استغفرك يا الهى وخالقى ورازقى فقال الراضى لابن ابى القراقر أليس قد أنكرت مانسب اليك من ادعائك الالهية فقال والله ما أمرته بذلك فأمر الراضى بهما فصلبا حين أياما ثم قتلا وأحرقا وبعث الى الحسن من قتله بالرقة وذلك فى ذى القعدة سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة

ومنهم من ارتقى بادّعائه النبوّة مرتقى صعبا
فصير جسمه للطير مرعى وللهوام نهبا

أوّل من ارتكب هذا المحظور وامتطى فيه صهوة الغرور بعد ما نسخ نور صبح الرسالة ظلام ليل الضلالة مسيلمة وهو مسيلمة بن حبيب بن ثمامة بن اثال ابن حبيب بن حنيفة بن عجل وكان صاحب نيرنجيات وهو أول من أدخل البيضة فى القارورة * وسجاح وهى سجاح ابنة الحرث من بنى يربوع تنبأت وزعمت ان الوحى يأتيها وتابعها كثير من العرب ورؤساء الجزيرة (قال) ابن أبى الزلازل فى كتاب أنواع الاسجاع كان من حديث سجاح اليربوعية بنت سويد بن خلف بن اسامة بن العنبر بن يربوع انه لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلف أبو بكر رضى الله عنه تنبأت سجاح وخرجت من تغلب فتبعها منهم ناس كثير ومن النمر بن قاسط واياد وسارت بهم الى بلاد بنى تميم فقالت الامرة منكم والملك ملككم وقد بعثت نبية فقالوا الها مرينا بأمرك فقالت ان رب السحاب والتراب يأمركم ان توجهوا الركاب وتستعدّوا للذهاب حتى تغيروا على الرباب فليس دونهم حجاب فسارت بنو حنظلة الى بنى ضبة وهم من الرباب وسارت سجاح ومعها بنو تغلب والنمر واياد الى حفير تميم ولما بلغها حديث مسيلمة بن ثمامة قالت لهم عليكم باليمامة زفوا زفيف حمامة فانها دار ثمامة نلقى مسيلمة بن ثمامة فان كان نبيا ففى النبى علامة وان كان كذابا فلقومه الندامة فانها عبرة مدامة لا يلحقكم بعدها ملامة فخرجوا معها وتبعها عطارد بن حاجب وعمرو بن الاهتم والاقرع بن حابس وشبيب بن ربعى وغيرهم من سادات العرب حتى نزلوا اباالصمان فلما بلغ مسيلمة مسيرها اليه بمن جاء معها خافها وهابها واهدى لها ثم أرسل اليها يستأمنها على نفسه فامنته

وأذنت له في القدوم عليها فجاء اليها وافدا في أربعين من بني حنيفة وكانت راسخة في النصرانية فقال مسيلمة لاصحابه اضربوا لها قبة وجمروها لعلها تذكر الباه ففعلوا وأرصدوا حول القبة اناسا منهم للحراسة فلما دخلت عليه حدثته وحادثها وقالت ما أوحى اليك قال أوحى الى " ألم تر كيف فعل ربك بالحبلى أخرج منها نسمة تسعى من بين صفاق وحشى قالت ثم ماذا قال أوحى الى " ان الله خلق النساء أفواجا وجعل الرجال لهن أزواجا فنولج فيهن غراميلنا ايلاجا ثم نخرجها اذا نشئنا اخراجا فينتجن لنا سخالا انتاجا قالت أشهد انك نبي " قال هل لك أن أتزوجك فأذل " بقومي وقومك العرب قالت نعم فقال

الا قومي الى النيك * فقد هيي لك المضجع
فان شئت ففي البيت * وان شئت ففي المخدع
وان شئت سلقناك * وان شئت على أربع
وان شئت بثلثيه * وان شئت به أجمع

قالت به أجمع فهو للشمل أجمع صلى الله عليك قال كذلك أوحى الى " فأقامت عنده قليلا ثم انصرفت الى قومها فقالوا لها ما عندك قالت وجدته على حق فتبعته وتزوجته قالوا فهل اصدقك شيأ قالت لا قالوا ارجعي اليه فقبيح بمثلك أن ينكح بغير صداق فرجعت اليه فلما رآها قال لها مالك قالت اصدقني صداقا قال من مؤذنك قالت شبيب بن ربعي الرياحي قال علي " به فلما جاء قال قد وضعت عنكم صلاة الغداة وصلاة العتمة وجعلت ذلك صداقها فناد في أصحابك ان مسيلمة بن حبيب رسول الله قد وضع عنكم صلاتين مما أتاكم به محمد صلاة الفجر وصلاة العشاء الآخرة فكان عامة بني تميم لا يصلونهما (وكان مما شرع لهم) من أصاب ولدا من امرأة لا يعود يطؤها الا أن يموت الولد وحرم النساء على من ولد له ولد ذكر (وفيه وفي سجاح) يقول قيس بن عاصم المنقري

أضحت نبيتنا انثى يطاف بها * وأصبحت أنبياء الناس ذكرانا
فلعنة الله والاقوام كلهم * على سجاح ومن بالافك اغرانا
أعني مسيلمة الكذاب لاسقيت * اصداؤه ماء مزن حيثما كانا

ولما تبعته العرب وارتدت بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد

الى اليمامة فقاتل بنى حنيفة واستشهد خلق كثير من المهاجرين والانصار وانهزم مسيلمة ومن بقى معه فادركه وحشى بن حرب فقتله وأسلمت سجاح فيما بعد وحسن اسلامها ووحشى هذا هو الذى قتل حمزة بن عبد المطلب يوم أحد ووحشى يومئذ كافر وقال عند قتله لمسيلمة يامعشر العرب ان كنت قتلت بهذه الحربة أحب الخلق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد قتلت بها اليوم أبغض الخلق الى رسول الله فهذه بتلك * وكان خروجه لعنه الله آخر سنة عشر من سنى الهجرة قبل حجة الوداع وكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم سلام عليك امابعد فانى قد أشركت فى الامر معك وان لنا نصف الارض ولقريش نصفها ولكن قريشا قوم يعتدون أى يجحفون فلما قرئ كتابه على رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب اليه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب لعنه الله السلام على من اتبع الهدى امابعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وكان كتاب مسيلمة بخط عمرو بن الجارود وكتاب النبى صلى الله عليه وسلم بخط أبى بن كعب ذكر ذلك ابن عبدوس الجهشيارى ثم كان من أمره ما ذكرناه آنفا (وممن تنبأ وزعم) ان الوحى يأتيه الاسود العنسى واسمه عبهلة بن كعب وكان يلقب ذا الخمار بالخاء المعجمة لانه كان يخمر وجهه أبدا وقيل بالحاء المهملة لانه كان له حمار يقول له اسجد فيسجد وابرك فيبرك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عاد من حجة الوداع توعك فبلغ ذلك العنسى فادعى النبوة وكان يعرف شيأ من الشعبذة والنيرنجيات ويرى منها عجائب فتبعته مذحج وقصد نجران فاخرج منها عمرو بن حزم وملكها ثم قصد صنعاء وغلب على الطائف الى عدن الى البحرين واستفحل امره فلما بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب الى من باليمن من المسلمين ان اقتلوا الاسود العنسى اما مصادمة واما غيلة وكان باليمن قوم من الفرس يسمون الابناء اسلموا مع باذام وكان باذام عاملا للفرس على اليمن فلما اسلم ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان بيده واقره عليها فلما مات فرق النبى صلى الله عليه وسلم بلاد اليمن على جماعة من أصحابه وكان الاسود لما قتل شهر بن باذام وملك صنعاء استصفى زوجته فاتفق الابناء معها على قتله غيلة وواعدتهم على ليلة كانت عادته يشرب فيها ودلتهم على مكان

يتقبونه يصلون منه اليه فوجدوه قدسكر ونام فوثبوا عليه فسمع الحرس
ضوضاء فقالوا لزوجته ماهذا قالت نزل عليه الوحى فلما قتلوه خرجوا مظهرين
شعار الاسلام فوثب المسلمون من كل جانب وقتلوا خلقا ممن كان معه ورجع
العمال الى أعمالهم وكتب بذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوافى
الرسول المدينة فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم قدمات قال عبد الله بن
عمر أتانا الخبر من السماء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الليلة التى قتل فيها
فقال قتل العنسى فقيل من قتله قال رجل مبارك من أهل بيت مبارك قيل
من هو قال فيروز وفى صبيحة تلك الليلة قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكانت مدة العنسى من أولها الى آخرها ثلاثة أشهر * (وممن) * امتطى مطا
هذا الغرر فرمته الايام من تغيظها بالشرر المختار بن أبى عبيد الثقفى
وكان قد جمع ليطلب ثأر الحسين عليه الرحمة والرضوان وكان المختار لا يوقف
له على مذهب كان خارجيا ثم صار رافضيا فى ظاهره ثم تنبأ وزعم أن جبريل
يأتيه بالوحى فلما بويع عبد الله بن الزبير بالخلافة بعث أخاه مصعبا الى العراق
فقاتل المختار فقتله وقتل معه خلق كثير ممن تابعه وذلك فى سنة سبع وستين
(وتنبأ) أبو الحسين المتنبى فى بادية السماوة ونواحيها وتبعه من فيها من كلب
وغيرها فخرج اليه لؤلؤ أمير حمص من قبل الاخشيد فقاتله وأسره وشرد
من كان اجتمع عليه وحبسه مدة طويلة فاعتل وكاد ان يتلف فسئل
فيه فاستتابه وكتب عليه وثيقة أشهد عليه فيها ببطلان ما ادعاه ورجوعه
الى الاسلام وأن لا يعود الى مثله (وتنبأ) حائك بالكوفة وأحل الخمر فقال
رجل لابن عباس ذلك فقال لا يقبل منه حتى لا يبرئ الاكمه والابرص فاتى به
والى الكوفة فاستتابه فابى أن يتوب ويرجع فأتته امه تبكى فقال لها تنحى
ربط على قلبك كما ربط على قلب أم موسى وأتاه أبوه فسأله أن يرجع
فقال له تنح يا آزر فأمر الوالى بقتله فقتل وصلب (وظهر) فى أيام أبى مسلم
نهافرند المجوسى وكان قد غاب عن أهله سبع سنين فى الصين فاصاب من طرفها
قميصا تحويه قبضة الرجل فجاء محتفيا فظهر فى ناووس تجاور بلده وادعى انه
كان مرفوعا فى السماء وانه نبى فضل به خلق كثير وجاء بسبع صلوات
وحرم الميتة وتزويج الام والاخت وبنات الاخ وبنات العم وهذا مما يخالف

دين المجوسية وفرض عليهم السبع فى الاموال وحظر أن يتجاوز بالمهر أربعمائة درهم فاجتمع موابذة المجوس الى أبي مسلم وقالوا هذا افسد علينا دينا ودينكم فانفذ اليه أبو مسلم من أخذه وقتله وصلبه (وادعى) رجل النبوة فى زمن خالد ابن عبد الله القسرى وعارض القرآن فأتى به خالد فقال له ما تقول قال عارضت القرآن قال بماذا قال يقول الله تعالى انا أعطيناك الكوثر وتلا السورة الى آخرها وقلت انا أعطيناك الجماهر فصل لربك وهاجر ولا تطع كل ساحر فضربت رقبته وصلب فمر به خليفة الشاعر فضرب بيده على الخشبة وقال انا أعطيناك العود فصل لربك من قعود وأنا ضامن لك أن لا تعود

(ومنهم من ادعى انه الامام المنتظر فصير عبرة لمن أمعن فى العواقب النظر)

ظهر فى شوال سنة خمس وخمسين ومائتين فى قرى البصرة رجل ادعى انه على ابن محمد بن أحمد بن عيسى بن زيد بن على بن أبي طالب واستعمل الزنج الذين يعملون فى السباخ وأطمعهم فى مواليهم ووعدهم انه يملكهم مافى ايدى مواليهم فاجتمع له خلق كثير وجم غفير وعبر دجلة ونزل قرية تسمى الدينارية وزعم ان سحابة أظلته ونودى منها اقصد البصرة تملكها وانه يطلع على مافى ضمائر أصحابه ومايفعل كل واحد منهم فلما كان يوم عيد الاضحى من هذه السنة صلى بهم وخطب لهم وذكرهم ما كانوا فيه من الشقاء وسوء الحال وان الله أنقذهم من ذلك وانه يريد أن يرفع اقدارهم ويملكهم العبيد والاموال وشن بهم الغارات على اطراف بلاد العراق فاجلى أهل الضياع منها واستفحل أمره وقصد البصرة فملكها سنة تسع وخمسين وقتل من فيها من الرجال والنساء والصبيان وأحرق المسجد الجامع وبنى مدينتين على شاطئ دجلة وحصنهما بالاسوار والخنادق فانتبذت اليه العساكر من بغداد برا وبحرا فكانت الحرب بينه وبينهم سجالا الى ان كانت الدائرة عليه فى صفر سنة سبعين ومائتين ونسبه الذى ادعاه لم يكن صحيحا والصحيح أن اسمه على بن محمد بن عبد الرحيم ونسبه فى عبد قيس وكان ظهوره فى أيام المهدى وقتله فى أيام المعتمد على يد أخيه الموفق (وظهر) فى ايام خلافة المعتمد سنة ثمان وسبعين ومائتين بقرية من سواد الكوفة رجل أحمر العينين يسمى كرمية فاستثقلوا

هذه

هذه اللفظة خففوها وقالوا قرمط فكان يظهر الزهد والتقشف وكثرة الصلاح
فاجتمع اليه اهل القرية وعظموه فلما تمكن منهم اعلمهم انه الذى يشير اليه
النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله سيخرج لكم من اهل بيتى رجل اسمه كاسمى
يملأ الارض عدلا كما ملئت جورا فلما أطاعوه اعلمهم ان الصلاة المفروضة
عليهم خمسون صلاة فى اليوم والليلة فشكوا اليه كثرتها وانها تعطلهم
عن أشغالهم فسوّفهم أياما ثم أتاهم بكتاب يقول الفرج بن عثمان يقول فيه انه
المسيح وهو عيسى وهو الكلمة وهو المهدى وهو محمد بن الحنفية وهو جبريل
وذكر ان المسيح تصوّر له على صورة انسان وقال له انك الداعية وانك الحجة
وانك الناقة وانك الدابة وانك روح القدس وانك يحيى بن زكريا وعرفه
ان الصلاة أربع ركعات ركعتان قبل الفجر وركعتان قبل الغروب
وان الاذان فى كل صلاة أربع تكبيرات ويتشهد مرتين ثم يقول أشهد أن
آدم رسول الله أشهد ان لوطا رسول الله أشهد ان ابراهيم رسول الله أشهد ان
موسى رسول الله أشهد ان محمدا رسول الله أشهد أن أحمد بن محمد بن الحنفية
رسول الله (ومن شرائعه) ان الصوم يومان فى السنة يوم المهرجان ويوم
النوروز وان النبيذ والخمر غير حرام ولا غسل من جنابة ويؤكل كل ذى ناب
وذى مخلب وان القبلة الى بيت المقدس ويوم الجمعة يوم الاثنين ويشترك
فى المرأة جماعة من الرجال فأجابه زهاء من عشرة آلاف رجل واتخذ منهم
اثنى عشر نقيبا وقال لهم أنتم كحوارى عيسى ثم ان هذا الشقى المذكور
اختفى وأقام رجلا يعرف بأبى الفوارس واسمه خلف بن عثمان داعيا لمذهبه
فتعطل على المعتضد الخراج من سواد الكوفة ونفضوا أيديهم من طاعته
وشقوا العصا بهذه الفتنة فأرسل اليهم مسكا غلام أحمد بن محمد الطائى
فى عشرة آلاف فارس فظفر بهم وقتلهم وأخذ أبا الفوارس أسيرا
وحمله الى المعتضد فامر به فقلعت اضراسه وخلعت أعضاؤه ثم قطعت يداه
ورجلاه وضرب عنقه وصلب بالجانب الشرقى سنة تسع وثمانين ومائتين
(وفى شهر ربيع الآخر) من هذه السنة مات المعتضد وله من العمر سبع
وأربعون سنة وكانت مدة خلافته تسع سنين وتسعة أشهر وأياما
ثم قام فيهم آخر يسمى على بن عبد الله فعاث فى بلاد الشأم عيثا ذريعا وأخرب

مدناوقرى كثيرة وكان بينه وبين طفج بن حف الاخشيدى صاحب مصر والشأم حروب كثيرة اجلت عن قتل الاخشيد الفرغانى فخرجت اليه الجيوش من مصر فحاربوه فقتل فى بعض الحروب على دمشق سنة تسعين ومائتين وكان يسمى صاحب الجمل فقام بعده أخوه ويسمى أحمد وتلقب بذى الشامة لشامة كانت فى وجهه وأقام له داعيين سمى أحدهما المدثر وزعم انه المذكور فى القرآن وسمى الآخر المطوق فاشتدت فى العناد شوكته وسلطت على العباد فتكته وسار الى دمشق فصولح عليها بمال فرجع عنها فى سنة تسعين وكانت عادته اذا فتح بلدا عنوة قتل من فيها من الرجال والنساء والولدان والبهائم فضاق المسلمون به ذرعا فاستغاثوا بالمكتفى فجهز لهم جيشا عظيما وقدم عليهم الحسين بن حمدان والقاسم بن عبيد الله الكاتب وأمر الجيش بالسمع والطاعة له فواقعهم فى شهر المحرم سنة احدى وتسعين فانهزم وأسلم من كان معه فقتلوا وهرب معه المدثر والمطوق والجأتهم الهزيمة والخوف الى قرية من أعمال الفرات تسمى دالية فانكرهم أهلها واستفحصوا أحدهم عن أمرهم فجمجم فى كلامه فعوقب حتى أقر فاخذهم متولها وحملهم الى المكتفى وكان بالرقة فرحل بهم الى بغداد فدخلها ومن معه من الاسراء فى شهر ربيع الاول وأمر ببناء دكة فى المصلى العتيق ارتفاعها عشرة أذرع ثم أصعدوا عليها فقطعت أيديهم وأرجلهم من خلاف ثم ضربت رقابهم بين يديه ثم أمر بالقرمطى فضرب مائتى سوط وكويت خواصره ثم قتل وصلب على الجسر الاعظم (ثم ظهر فيهم) رجل يسمى زكرويه بن مهرويه فى سنة ثلاث وتسعين ونعت نفسه بالمهدى فقطع الطريق على الحاج ونهب القوافل وقتل أهلها وسبى حريمهم فبعث اليه من بغداد جيشا فحاربه بذى قار وهو موضع بين الكوفة والبصرة فانهزم واخذ أسيرا جريحا فى شهر ربيع الاول سنة أربع وتسعين فحمل الى بغداد فمات فى الطريق فى شهر ربيع الآخر (ثم ظهر فيهم رجل يسمى على بن شبيب ويعرف بالمبرقع فحورب وانهزم وأخذ أسيرا وأدخل بغداد على جمل وضرب عنقه (ثم ظهر فيهم) أبو سعيد الحسن ابن يوسف بن كودركان الجبامى بالبحرين فقتله خادمان له صقلبيان فى سنة عشرة وثلثمائة فقام بعده سليمان بن الحسن الجبارى فعاث فى البلاد وأفسد

وقصد

وقصد مكة شرفها الله تعالى فدخلها يوم التروية سنة سبع عشرة وثلثمائة
فى خلافة المقتدر فقتل من وجد من الحاج فى المسجد الحرام ورمى بالقتلى
فى بئر زمزم وعرى الكعبة وقلع بابها وأخذ الحجر الاسود فبقى الحجر عندهم
اثنتين وعشرين سنة الا أشهرا ثم ردوه مكسورا على يد سنان بن الحسن بن
سنان فى ذى القعدة سنة تسع وثلاثين وثلثمائة ونصب فى مكانه يوم النحر من
السنة المذكورة وكان محكم الرائقى بذل لهم فيه خمسين ألف دينار فابوا
وكان موت سليمان فى سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة (ثم) لما دخل المعز لدين الله
مصر بعد أخذ جوهر مولاه لها وذلك فى سنة اثنتين وستين وثلثمائة فى أيام
المطيع قصد القائم فيهم يومئذ رجل يعرف بابن غزوان فخرج اليه جعفر بن
فلاح فالتقاه بالرملة فقاتله وهزم عسكره وقتله فى سنة تسع وستين وثلثمائة
(ثم) قام فيهم رجل يسمى حسنا و يعرف بالاعصم فملك الشأم وأخرج منه
عمال المعز فانهزموا بين يديه فتبعهم الى مصر وملك الصعيد وأسفل الارض
ووصل الى مصر ونزل بعسكره عليها فخرج اليهم القائد جوهر فحاربهم
فاقتتلوا قتالا شديدا وقتل من العسكر خلق كثير وذلك يوم الجمعة غرة شهر
ربيع الاول سنة احدى وسبعين وثلثمائة ثم انصرفوا وتركوا الحرب يوم
السبت ورجعوا يوم الاحد وهم واثقون بالظفر فلما التقى الجمعان اعطى الله
النصر لعساكر القائد جوهر وانكشفت القرامطة بالانهزام وساروا الى
البحرين على نية العود اليها والى الشأم فوجدوا بنى حمدان قد ملؤا شعابه
واوديته ورفعوا به قواعد الدين والويته ولم يجمع الله للاعصم على شق
عصا الاسلام شملا ولم يمض له بعد فى الاسلام قولا ولا فعلا وتفرق أصحابه
فى البلاد أيدى سبا واسترجع منه الدهر ما نهب وسبى وكانت مدة دولتهم
ستا وثمانين سنة وهذا الذى ذكرناه يشترك فى القول به أصحاب الآراء
والمقالات الخابطون فى عشواء الجهالات كأصحاب النحل والملل المتمسكين
بآرائهم مع ما فيها من الفساد والخلل كالمعتزلة والحشوية وغلاة الرافضة
وسائر الفرق الاسلامية غير الفرقة الناجية التى هى لعواطف لطف الله
راجية وكل منهم قد أضله الله على علم فنعوذ بالله من الغواية بعد الهداية
ومن الحور بعد الكور ومن الانكار بعد الاستبصار انه سميع قريب

(الباب الثامن فى التغفل وفيه ثلاثة فصول)

الفصل الاول من هذا الباب
فى ذم البلادة والتغفل من ذوى التعالى والتنزل

ومعنى التغفل الغلط فى الوسيلة والطريق الى المطلوب مع صحة القصد فالمغفل مقصده صحيح ولكن سلوكه الطريق فاسد ورميته فى الوصول الى الغرض غير صحيحة كما قال بعض الحكماء اذا فقد العالم الذهن قل على الاضداد احتجاجه وكثر اليهم احتياجه وتعاورته أسنة الشكوك واشتبهت عليه مناهج السلوك (وقالوا) التغفل تحريف الشئ عن مواضعه مع تيقن ان ذلك صواب كما ذكر ان أحمد بن أبى خالد عرض القصص يوما على المأمون وهو بين يديه فمر بقصة مكتوب عليها فلان اليزيدى فصحفه وقال الثريدى فضحك المأمون وقال يا غلام ثريدة ضخمة لابى العباس فانه أصبح جائعا فخجل أحمد وقال ما أنا جائع يا أمير المؤمنين ولكن صاحب هذه الرقعة أحمق وضع على يائه ثلاث نقط كأنها فى القدر فقال المأمون دع عن هذا فان النقط شهود الزور والجوع اضطرك الى ذكر الثريد فلما أتى بالثريد احتشم أحمد من أكله فقال له المأمون بحقى عليك الاما أكلت فترك القصص ومال الى الصحفة وأكل قليلا ثم دعا بالماء فغسل يديه ورجع الى القصص فمر بقصة عليها مكتوب فلان الحمصى فقرأها الخبيصى فضحك المأمون وقال يا غلام جام خبيص فان غذاء أبى العباس كان ابتر فخجل وقال يا أمير المؤمنين صاحب هذه الرقعة احمق من الاول فتح الميم فصارت كأنها سنتان قال دع عنك هذا فلولا حمق هذا وصاحبه مت أنت جوعا فاتى بجام خبيص فابى أن يأكل من كثرة الاستحياء فقال له المأمون بحقى عليك الاما ملت نحوه وأكلت فانحرف اليه وأكل منه ثم غسل يده وانصرف الى القصص واحترز فى قراءتها وتثبت فى حروفها فما حرف حرفا حتى أتى على آخرها

وقد اخترت من مدام المتغفلين محاسن وراق
درراً ضمنتها اصداف هذه الاوراق

ذم أبو عبيدة معمر بن المثنى كيسان مستمليه وقد أملى عليه شيأ فعجز عن

ادوا كه فقال والله مافهم ولوفهم لوهم (وقال الجاحظ) كان كيسان مستملي أبي عبيدة يكتب غير مايسمع و يستفتي غير مايكتب ويقرأ غير مايستفتي أمليت عليه يوما

عجبت لمعشر عدلوا * بمعتمر أبا عمرو

فكتب أبا بشر واستفتى أبا زيد وقرأ أبا حفص (وسأله) أبو عبيدة عن رجل من شعراء العرب مااسمه فقال هو خداش أو خراش أو رياش أو خماش أو شئ آخر وأظنه قرشيا فقال له أبو عبيدة من أين علمت ان نسبه فى قريش قال رايت اكتناف الشينات عليه من كل جانب (وذكر الجاحظ عنه) أنه شهد على رجل عند بعض الولاة فقال سمعت بأذنى وأشار الى عينه ورأيت بعينى وأشار الى أذنه انه أمسك بتلابيب هذا الرجل وأشار الى كمه وما زال يضرب خاصرته وأشار الى فكه فضحك الوالى وقال أحسبك قرأت كتاب خلق الانسان على الاصمعى قال نعم مرتين (وذم) بعض البلغاء قوما فقال لا يفهم ولا يفهم وينقض مايبرم ولا يعلم ولا يتعلم ويستصغر من يتعلم (وسأل) أبو عون رجلا عن مسئلة فقال على الخبير بها سقطت سألت عنها أبي فقال سألت عنها جدك فقال لا أدرى (وقالوا) فلان يسمع غير مايقال و يحفظ غير مايسمع ويكتب غير مايحفظ و يقرأ غير مايكتب (وقالوا) فلان ذو بصيرة عمياء عند تأمل الثواقب وتجربة صماء عند تشابه النوائب * وقال شاعر يهجو رجلا

جهول غاص فى لحم وشحم * ولم ينسب الى عقل وفهم
اذا لبس البياض فعدل جص * وان لبس السواد فعدل فحم

(وممن تقاصر فهمه) عن ادراك الصواب البادى فتطاول بذمه لسان الحاضر والبادى أحمد بن الخصيب وزير المستنصر ووزر أيضا للمستعين عمل أبو العيناء كتابا فى ذمه حكى فيه ان جماعة من الفضلاء اجتمعوا فى مجلس وكل منهم يكره ابن الخصيب لما كان فيه من الفدامة والجهالة والتغفل فتجاذبوا أطراف الملح فى ذمه فقال على بن بسام كان جهله غامر العقله وسفهه قاهر الحلمه وقال المعرة الرابض لو كان دابة لتقاعس فى عنانه وحرن فى ميدانه وقال آخر كنت اذا وقع لفظه فى سمعى أحسست النقصان فى عقلى وقال بعض

كتابه كنت أرى قلم ابن الخصيب يكتب بالايصيب ولو نطق لنطق بنوك عجيب وقال ابراهيم بن المدبر كنت يوما عنده فقدم الطعام وفيه هليون فأكب عليه فقلت له أراك راغبا فى الهليون فقال انه يزيد فى الباه (وسئل) عنه أبو العيناء بعد هذا التصنيف فقال ان دنوت منه غرك وان بعدت عنه ضرك فحياته لاتنفع وموته لايضر (وقال آخر) لوغابت عنه العافية لنسيها (وكان) ابن الخصيب اذا ناظر شعب وحلب وربما رفس من ناظره اذا أفحم عن الجواب وخفى عنه الصواب واستولت عليه البلادة وعرى كلامه عن الافادة * وفيه يقول محمد بن الفضل

قل للخليفة يا ابن عم محمد * أشكل وزيرك انه ركال
قد أحجم المتظلمون مخافة * منه وقالوا ما نروم محال
ما دام مطلقة علينا رجله * أو دام للنزق الجهول مقال
قد نال من أعراضنا بلسانه * ولرجله بين الصدور مجال
امنعه من ركل الرجال فان ترد * مالا فعند وزيرك الاموال

(وحكى عنه) أنه رأى جرادا كثيرا يطير فقال لجلسائه لاتغتموا انى أحسبه كأنه ميت وفيه يقول بعض الشعراء يهجوه من أبيات

حمار فى الكتابة يدعيها * كدعوى آل حرب فى زياد
فخل عن الكتابة لست منها * ولو لطخت ثوبك بالمداد

(وقد) هجا أبو العيناء أسد بن جوهر ونحا فيه هذا المعنى فقال

تعس الزمان لقد أتى بعجاب * ومحا رسوم الظرف والآداب
وأتى بكتاب لو انبسطت يدى * فيهم رددتهم الى الكتاب
جيل من الانعام الا انهم * من بينها خلقوا بلا أذناب
لايعرفون اذا الجريدة جردت * ما بين عياب الى عتاب
أوما ترى أسد بن جوهر قد غدا * متشبها لاجله الكتاب
لكن يمزق ألف طومار اذا * ما احتيج منه الى جواب كتاب
فاذا أتاه سائل فى حاجة * رد الجواب له بغير جواب
وسمعت من غث الكلام ورثه * وقبيحه باللحن والاعراب
ثكلتك أمك هبك من بقر الفلا * ما كنت تغلط مرة بصواب

(ولآخر يهجو كاتب خراج)

لو قيل كم خمس وخمس لارتأى * يوما وليلته يعدّ ويحسب
يرمى بمقلته السماء مفكرا * ويظل يرسم فى التراب ويكتب
ويقول معضلة عظيم أمرها * ولئن فهمت فان فهمى أعجب
حتى اذا خدرت أنامل كفه * عدا وكادت عينه تتصوب
أوفى على نشز وقال ألا اسمعوا * قد كدت من طرب أجن وأسلب
خمس وخمس ستة أو سبعة * قولان قالهما الخليل وثعلب
فيه خلاف ظاهر ومذاهب * لكن مذهبنا أصح واصوب
وخواطر الحساب فيها كثرة * وأظن قولى فيهم لا يكذب

(وممن كان صوابه) عن غير اعتماد وخطؤه بعد ترو واجتهاد شجاع بن القاسم كاتب أوتامش التركى وكان أميا لا يقرأ ولا يكتب ولا يفهم ولا يفهم وانما اعلم علامات كان يكتبها فى التوقيعات (قال) الحسن بن المخلد كنت يوما عند المستعين ومعنا أوتامش اذ دخل شجاع بن القاسم وسراويله قد خرج من خفه حتى وقع على قدمه وهو يسحبه ويدوسه فقال له المستعين ويحك يا شجاع ما هذه الحالة فقال الساعة يا سيدى داسنى كلب نخرقت سراويله وثيابه فضحك المستعين وقال لاوتامش مثل هذا ينبغى أن يستعمل فى الكتاب (ومن ظريف ما يخبر عنه) أن أحمد بن عمار عمل شعرا مختلف القوافى ولا معنى له مما يليق بفهمه وعقله متعمدا ذلك ليضحك منه اخوانه ووقف اليه وقال أيها الوزير ليس الشعر صناعتى ولكنك أحسنت الىّ والى أهلى بما أوجب علىّ شكرك فعملت أبياتا أمدحك بها فتفضل بسماعها فقال له أغنانا شرفك عن التكسب بالشعر وانشاده فقال لا بد أن تتفضل وتأذن لى فاذن له فأنشد

شجاع لجاج كاتب لائب معا * كجلمود صخر حطه السيل من عل
خبيص لبيص مستمر مقوّم * كثير أثير ذو شمال مهذب
بليغ ابيغ كل ما شئت قلته * لديه وان أسكت عن الامر يسكت
فطين لطين أمره لك زاجر * خصيف لصيف كل ذلك يعلم
أديب لبيب فيه فهم وعفة * عليم بشعرى حين أنشد يشهد

كريم حليم قابض متباسط * اذا جئته يوما الى البذل يسمح

فسر بذلك وشكره على انشاده ووصله بعشرة آلاف درهم وأجرى له ألف درهم فى كل شهر * وكان محمود الوراق عنى هذا المذكور بقوله من أبيات

يا ناظرا يرنو بعيني راقد * ومشاهد للامر غير مشاهد

أو أبا تمام بقوله

ولو نشد الخليل له لعفت * بلادته على فطن الخليل

أو قول هذا القائل فيه فلان لا ينتبه ولو أدخل فى الكور ونفخ عليه الى أن ينفخ فى الصور (وحكى الجاحظ) فى كتاب البيان أن المأمون كان يستثقل سهل بن هرون فدخل عليه يوما والناس جلوس وقد أسبلوا براقع الغفلة على وجوه الفطن والفهم عنهم قد رحل والتبلد فيهم قد قطن فلما فرغ المأمون من كلامه أقبل سهل على الناس وقال مالكم تسمعون ولا تعون وتفهمون ولا تنهمون وتشاهدون ولا تتعجبون والله انه ليقول ويفعل فى اليوم القصير مثل ما يفعله بنو مروان فى الزمن الطويل عربكم كعجمهم وعجمكم كعبيدهم لكن كيف يعرف الدواء من لا يشعر بالداء فاستحسن المأمون منه ذلك وأنزله منزلته الاولى * وكلام سهل يحتمل مدح فصاحة المأمون وذم البلادة التى أنزلت جلساءه المنزل الدون واثباته فى حقهم بالذم أوجب علينا وألزم

الفصل الثانى من الباب الثامن

فيمن تأخرت منه المعرفة ونوادر أخبارهم المستظرفة

وواجب أن نبدأ بأخبار من أساء فى التفقد والعيادة ولم يحسن خطابه فى السؤال ولا الاعادة (قال عامر بن شراحيل الشعبى) عيادة النوكى أشد على المريض من مرضه فانهم حمى الروح وطليعة ملك الموت (دخل حصى على عروة بن الزبير يعوده لما قطعت رجله لالم أوجب عليه فعل ذلك من أكلة اصابتها فقال أقطعت رجلك قال نعم قال جيد قال أوجعك شديد قال نعم قال جيد ثم قال لا تغتم فانك لو رأيت ثوابها لتمنيت ان الله قد قطع رجليك ويديك وأعمى بصرك ودق صلبك فكان مصاب عروة بمائدة المزيد فى نكده أكثر من مصابه بما قطع من رجله ويده (وأين) هذا الجلف من عيسى بن طلحة بن عبيد الله فانه دخل على عروة هذا يعوده لما قطعت رجله

فقال

فقال والله ما كنا نعتدك للصراع ولا للتسباق ولكن نعدك للخير ونوالك المنساق ولئن أعدمنا الله أقلك لقد ابقى لنا أكثرك سمعك وبصرك ولسانك وعقلك ويديك واحدى رجليك فقال ياعيسى ماعزانى أحد بمثل ماعزيتنى به (ودخل آخر) على مريض يشكو من رأسه فقال لاهله لاضير اذا رأيتم المريض هكذا فاغسلوا أيديكم منه (وعاد آخر مريضا) فقال له مابك قال وجع الركبة قال ان جريرا ذكر بيتا ذهب عنى صدره وبقى عجزه وهو

وليس لداء الركبتين دواء * فقال المريض ليت عجزك ذهب كما ذهب صدره (وعاد) آخر مريضا فقال لاهله أجركم الله فقالوا انه لم يمت بعد قال يموت ان شاء الله (وعاد آخر مريضا) فلما خرج قال لاهله لاتفعلوا فى هذا كما فعلتم بالآخر مات وما أعلمتمونى به (وعاد آخر مريضا) فلما خرج قال لاهله أحسن الله عزاكم فقالوا انه لم يمت قال قد عرفت ولكنى شيخ كبير لاأستطيع النهوض فى كل وقت وأخاف أن يموت فأعجز عن المجىء لاعزيكم به (وعاد رجل الشعبى) فابرم ثم قال له ماتشتهى قال اشتهى ان لاأراك (وعاد آخر مريضا) فقال له ماتشتكى قال وجع الخاصرة قال والله كانت علة أبى فات منها فعليك بالوصية بأخى فدعا المريض ولده وقال يابنى أوصيك بهذا لاتدعه يدخل علىّ بعد هذه (وعاد) آخر مريضا فلما رآه أنشد متمثلا بما أملى قلبه الغبىّ على لسانه العيىّ

تموت الصالحون وأنت حى * تخطاك المنايا لاتموت

(وذكر المسعودى) ان عمرو بن العاص لما قدم من مصر على معاوية أنشده هذا البيت فاجابه عمرو

اترجو أن أموت وأنت حىّ * ولست بميت حتى تموت

(دخل) عبد الله بن أبى عتيق ومحمد بن عبد الرحمن بن أبى بكر على عائشة رضى الله عنها يعودانها فقال لها كيف حالك ياعمة جعلنى الله فداءك قالت فى الموت قال الآن لاجعلنى الله فداءك فانى كنت أظن ان فى الوقت فسحة

(وممن) عرف بالتغافل واشتهر وفاق فيه أهل زمانه ومهر أبو عبد الله الحسين بن عبد الله الجصاص الجوهرى كان رئيسا فى المترفهين ورئيسا للمتجانين وجد الجد فهو ذو جدة ويسار وعدم العقل فسيان اليمين واليسار وكان عند المقتدر من خواص أحبته وممن له الكلمة المطاعة فى دولته

ثم نقم عليه فصادره فأخذ منه ستة آلاف ألف دينار وغير ذلك من مواش واثاث وعقار ومن نفائس الاعلاق والذخائر مالا يوجد قليله عند عقلاء الاخائر * ومما يدل على كثرة ماله ان المعتضد لما عقد نكاحه على قطر الندى بنت أحمد بن طولون بعث الى ابن الجصاص ليتولى جهازها فلما فرغ منه دخل على ابن طولون ليودعه فلم يذكر له ماصرف وكان مبلغه أربعمائة ألف دينار فسأله ابن طولون عنه فدافعه فأبى ذلك وقال لابد منه فذكر له فقال له راجع طومارك لعلك نسيت شيأ فراجعه فاذا فيه تكك قيمتها عشرون ألف دينار لم يدخلها فى حسابه فاطلق له الجميع فانظر الى مال ينفق من عرضه أربعمائة ألف دينار وعشرون ألف دينار كم يكون أصله * فمن ملح أخباره وملح آثاره ماحكى ان انسانا سئل عن صفته فقال رايته شيخا طويلا طويل اللحية خفيف العارضين صغير الرأس تشهد صورته عليه بالنوك (وحكى) عنه انه دخل عليه على بن الفرات يحدثه وهو غافل عنه ساه تارة ينعس وتارة يبهت فقال له كم ذا السهو والنعاس فقال ياسيدى عندنا فى المحلة كلاب لاتدعنا ننام من كثرة صياحها وهراشها فقال له ابن الفرات لم لاتأمر عبيدك تضربها فانى أحسبها جراء فقال لاتقل ذلك ايها الوزير فان كل كلب منها مثلى ومثلك (نوع منها لغيره) تغذى أبو السربال عند سليمان بن عبد الملك وهو يومئذ ولى عهد أبيه فقدم امامه جديا وقال كل من كليته فانها تزيد فى الدماغ فقال لو كان كما يقول الامير لكان رأسه مثل رأس البغل (وقال) بعضهم دخلت على ابن الجصاص يوما والمصحف فى حجره وقد بل كاغده بدموعه وأذل نفسه بتضرعه وخشوعه فسألته ما الذى دهاك وازال بهاك فقال أكلت مع الجوارى المخيض فتعديت امر الله وخالفته وكنت لا اعرف ان الله نهى عنه وحذر منه قلت وما الذى اوصى الله به ونهى عنه وحذر منه قال أكل المخيض مع الجوارى قلت وكيف قال الله فى ذلك قال ألم تسمع قوله تعالى يسألونك عن المخيض قل هو اذى فاعتزلوا النساء فى المخيض ولا تقربوهن وقرأها بالخاء ثم قال ياأخى هل تعرف لى من توبة اغسل بها هذه الحوبة قلت التضرع فى الدعاء بالاقالة والابتهال الى الله بصدق المقالة فقام وكشف عن رأسه وحسر عن ذراعيه ورفع يديه وقال اللهم انك تجد من ترحمه

سواى

سواى ولا أجد من يعذبنى سوالـ فتركته وانصرفت متعجبا من هذه الحال موقنا ان الجد لا يكون بسعى المحتال (وسمع يوما) يقول فى سجوده سجدلك بياضى وسوادى خاضعا ضارعا عاصا البظر أمه ومن أنا هل أنا الا عبدك وابن عبدك الزانى ابن الزانية حتى لا يغفر له (ومما يشبه هذا القول لغيره) ما حكى ان شعيبا العلانى كان لا يصوم ولا يصلى ويقول من أنا حتى أصوم وأصلى انما يصلى المتكبرون الذين أريد منهم التواضع ويصوم الشباع حتى يعرفوا اقدر ما فيه الجياع وكأنه اقتدى فى قوله بما حكى ان الرستمى كان عنده قوم من التجار فحضرت الصلاة فنهض ليصلى فنهضوا معه فقال ما لكم ولهذا وما أنتم منه الصلاة ركوع وسجود وقيام وقعود وانما فرض الله هذا على المتجبرين والمتكبرين والملوك الاعاجم مثلى ومثل ذى الاوتاد ونمروذ وأنوشروان واستم من هؤلاء فما لكم ولها لكنه المغرور اقتدى به فى القول دون العمل وحمل أوزار الجهل وبئس والله ما حمل (وأهدى ابن الجصاص الى العباس بن الحسن الوزير نبقا وكتب معه

تفيلت بأن تبقى * فاهديت لك النبقا

فكتب له الوزير ما تفيلت ولكن تبقرت

(ذكر من اخطأ فى سؤال أو جواب وظن ان كلامه عين الصواب)

ذكر أن انسانا كان يكثر الجلوس فى حلقة الشافعى وكان ذا رواء وهيبة وكان الشافعى يجله ويكرمه فسأله يوما أى وقت يحرم على الصائم الاكل فقال الشافعى عند طلوع الفجر قال فان طلع الفجر بعد طلوع الشمس فقال الآن يمد الشافعى رجله ومدها ولم يحتشم منه (وقال الجاحظ) دخل رجل على الشعبى وبين يديه الفقهاء فقال بعد ما أطال جلوسه أيها الشيخ انى أجد فى قفاى حكة أفترى ان أحتجم فقال الشعبى الحمد لله الذى رفع منزلتنا فحولنا من الفقه الى الحجامة واكثر ما تقع هذه النوادر من القصاص (سئل بعضهم) عن أربعين ماشية نصفها ضان ونصفها معز كيف تخرج زكاتها فقال يخرج عنها رأس نصفها ضان ونصفها معز (وقيل لبعضهم) ان نصرانيا قال لا اله الا الله لا غير ما يجب له وعليه قال يؤخذ منه نصف الجزية ويؤمر باداء نصف ما على المسلمين من الفرائض والسنن وان مات دفن بين مقابر اليهود والنصارى كما قال الله

تعالى لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء فهو من المذبذبين (وأتى) بعض القصاص بنصراني يريد أن يسلم فقال قم عني أتريدون أن توقعوا بيني وبين عيسى بن مريم يوم القيامة (وسئل) بعض القصاص عن لوط عليه السلام فقال كان رجلا لوطيا نعوذ بالله من فعله فانكر عليه الناس ولامه بعض أصحابه بعد انصرافهم واعلمه ان لوطا نبي مرسل بعث الى قوم كان ذلك القبيح فعلهم وان لوطا نهاهم عنه فندم على ما قاله فلما كان في المجلس الآخر سئل عن فرعون فقال دعونا من حديث الانبياء واسألوا الله السلامة قوم لا رأيناهم ولا رأونا كيف نتكلم في اعراضهم (وسئل بعضهم) ما تقول في خلق القرآن فقال دعونا من القرآن هو مخلوق غير مخلوق (وسئل آخر) وكان ناصبيا عن معاوية فقال معاوية ليس بمخلوق لانه كاتب الوحي والوحي ليس بمخلوق وكاتب الوحي من الوحي (وحكى) سعيد بن خالد اليماني قال كان عندنا قاض يسمى أبا خالد قال في دعائه يوما يا ساتر عورة الكبش لما علم من فضله وصلاحه وهاتك عورة التيس لما علم من قذره وفجوره استر علينا وارحمنا واهتك ستر أعدائنا فقيل له وما فضيلة الكبش قال لانه كبش ابراهيم الذي فدى به ابنه ولا يذبح في العقيقة غيره قيل له فما ذنب التيس قال يشرب بوله وينزو على الشاة التي لم تستحق النزو ويؤذي الناس بنتن ريحه ويعلم الناس الزنا وهو عيب على أصحاب اللحى يقال جاء فلان في لحية التيس (وقرأ قارئ) في مجلس سيفويه ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين فقال لمن حضره ارفعوا أيديكم وقولوا اللهم اجعلنا منهم (وقال) الفضل بن اسحق الهاشمي سمعت قاصا وقد قرئ في مجلسه يتجرعه ولا يكاد يسيغه فقال اللهم اجعلنا ممن يتجرعه ويسيغه (وكان) سيفويه ممن يتلاوط فبينما هو يقص على الناس اذ أقبل جماعة صبيان حسان كأنهن الياقوت والمرجان فقال يا أصحابنا أقبل العدو وارفعوا أيديكم وقولوا اللهم ولنا أدبارهم وكبهم على وجوههم وأرنا سوآتهم ومكن رماحنا من ظهورهم انك على كل شيء قدير وسيفويه بضم الفاء وفتح الياء هكذا ضبطه الامير أبو نصر بن ماكولا في كتاب الاكمال

(وممن تأخرت معرفته من الحكام وتقدم جهله في القضايا والاحكام)

حكى أن عاملا للمنصور بن النعمان كتب اليه من البصرة اني أصبت سارقا فسرق

قضايا

نصابا من حرز فما أصنع فيه فكتب منصور اليه اقطع رجله ودعه يكد بيديه على عياله فأجابه العامل ان الناس ينكرون هذا القول الله تعالى فى القرآن والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم فكتب اليه انّ القران نزل من السماء ونحن فى الارض والشاهد يرى مالا يرى الغائب (وتقدم) رجل الى بعض القضاة بخصم فقال ان هذا باعنى ثوبا وجدت فيه عيبا وسألته ان يقيلنى فأبى فالتفت اليه القاضى وقال أقله عافاك الله فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قيلوا فان الشياطين لا تقيل (وقيل) لقاضى حمص كيف تحكم على اللوطى قال بنصف حكومة الزانى قيل له ولم قال لان الحمار لا يحمل الا نصف ما يحمل الجمل وهذا حكم مفهوم (وادّعت امرأة) على زوجها مهرا عند بعض القضاة فأنكر فأمر القاضى أن يجلدا حدّين قيل له ولم حكمت بهذا قال لانهما زنيا ان لم يكن بينهما مهر قيل فلا يجب على المرأة قال بلى ان النخلة اذا لم يحمل رأسها أحرق أصلها (وتقدم جماعة) الى قراقوش وكان عاملا لصلاح الدين على مصر ومعهم قتيل وثور ورجل مكتوف فقالوا أيها الامير ان هذا الثور صال على هذا الرجل فقتله وهذا مالكه وهو العاقلة ففكر ساعة ثم أمر بالثور أن يشنق ويطلق صاحبه قيل له ما هذا حكم الله فقال لو جرى هذا فى زمن فرعون ما فعل غير هذا فانه القاتل ولا يحل ان أقتل غير القاتل * وهذه الحكاية ذكرها القاضى الاسعد بن مماتى فى كتابه الذى وضعه وسماه الفاشوش فى احكام قراقوش ذكر فيه من هذه الاحكام شيأ كثيرا والعهدة عليه فى ذلك فيما حكى والله أعلم (وكان) نصر بن مقبل عاملا للرشيد على الرقة فأتى برجل من الظرفاء وجد ينكح شاة فقال أيها الامير انها والله ملك يمينى وقد قال الله تعالى أو ما ملكت ايمانكم فاطلقه وأمر ان تضرب الشاة الحدّ فان ماتت تصلب قالوا أيها الامير انها بهيمة قال وان كانت بهيمة فان الحدود لا تعطل وان عطلتها فبئس الوالى أنا فانتهى خبره الى الرشيد ولم يكن رآه قبل فدعا به فلما مثل بين يديه قال له ممن أنت قال مولى لكلاب فضحك منه ثم قال له كيف بصرك بالحكم قال يا أمير المؤمنين الناس والبهائم عندى فيه سواء ولو وجب الحد على بهيمة وكانت أمى أو أختى لحددتها ولم تأخذنى فى الله لومة لائم فعزله

الرشيد وأمر أن لا يستعان به فى عمل فلم يزل معطلا الى ان مات (وكان) الربيع ابن عبد الله العامرى والياعلى اليمامة فبلغه أن كلبا قتل كلبا لآخرين فأمر أن يقتل به فقال فيه بعض الشعراء

شهدت بان الله حق لقاؤه * وان الربيع العامرى رقيع
أقاد لنا كلبا بكلب ولم يدع * دماء كلاب المسلمين تضيع

(وكان) أبو الضحاك ميمون قد ولى القضاء ببعض الاهواز فأتى برجل قد سرق فجلده ثمانين وأتى برجل قذف فقطع يده فقال فيه محمد بن مساور

قد ذهب العلم وأشياعه * الا أبا الضحاك ميمونا
يقطع كف القاذف المفترى * ويجلد السارق ثمانينا

* (ومن التغفل الواقع من الشعراء فى مدائح السادات والكبراء) *

قال الخفاجى فى كتاب سر الفصاحة ينبغى للشاعر ذى التمييز فى فنه والتبريز ان لا يعبر عن المدح بالالفاظ المستعملة فى الذم ولا يعبر فى الذم بالالفاظ المستعملة فى المدح بل يستعمل فى جميع الاغراض الالفاظ اللائقة بها فى موضع الجد ألفاظه وفى موضع الهزل ألفاظه ألا ترى أن الانسان اذا مدح ذكر الرأس والهامة والكاهل واذا هجا ذكر الاخادع والقفا والقذال وان كانت معانى الجميع متقاربة فقبيح بالشاعر وغيره أن يقول للملك وحق قذالك مكان وحق رأسك لان الاستعمال مختلف فى الالفاظ وان كان فى المعنى غير مختلف (فمن السقطات المعدودة فى ذلك قول أبى نواس)

جاد بالاموال حتى * حسبوه الناس حمقا

وكقول أبي تمام

مازال يهذى بالمكارم دائبا * حتى ظننا أنه محموم

وكقوله

يا أبا جعفر جعلت فداكا * فاق كل الوجوه حسن قفاكا

الى غير ذلك من شعر المولدين والمحدثين والعصريين فالحمق ويهذى ومحموم من الالفاظ اللائقة بالهجاء * وقد سقط المتنبى فى افتتاحه قصيدة مدح بها كافورا الاخشيدى اذ قال

كفى بك داء أن ترى الموت شافيا * وحسب المنايا أن تكون أمانيا

(قلت) وقد أشبه ما عيب ما حكى أن زبيدة ابنة جعفر بن أبي جعفر المنصور أنشدها قاصد من الاعراب فقال

أزبيدة ابنة جعفر * طوبى لسائلك المثاب
تعطين من رجليك ما * تعطى الاكف من الرغاب

فوثب اليه خدمها وهموا بضربه فمنعتهم من ذلك وقالت أراد خيرا فأخطأ وهو أحب الينا ممن أراد شرا فأصاب سمع قولهم شمالك أندى من يمين غيرك فظن انه اذا قال هكذا كان أبلغ اعطوه ما أمل وعرفوه ما جهل وعاب الفضل ابن يحيى على أبي نواس قوله في قصيدة مدحه بها

سأشكو الى الفضل بن يحيى بن خالد * هوا كم لعل الفضل يجمع بيننا

فقال له الفضل ما زدت على أن جعلتني قوادا فقال انه جمع تفضل لا جمع تواصل * وقد تابعه أبو الطيب المتنبي في قوله من قصيدة يمدح بها سعيد بن كلاب

على الامير يرى ذلي فيشفع لي * الى التي صيرتني في الهوى مثلا

(وعيب) عليه أيضا قوله من قصيدة يمدح بها سيف الدولة بن حمدان

ليت انا اذا ارتحلت لك الخيل وانا اذا نزلت الخيام

فانه أنزل نفسه منزلة الآلة وعبر عن همته بالقلة بجعلها مركوبة ولم يكفه ذلك حتى ألبس الممدوح شعاره وأكسبه عاره بجعله راكبا تارة ومركوبا أخرى واتصف بصفات المدح التي هو بها أحرى فأساء الادب وأخطأ الطريق وعدم الرشد ويمن التوفيق (ودخل بعضهم) على رئيس الرؤسا أبي الغنائم فانشده قصيدة جاء منها

فسبحان الذي أعطاك ملكا * وعلمك الجلوس على السرير

(وتمامه) أتذكر اذ لباسك جلد شاة * واذ نعلاك من جلد البعير

فقال له رجل من الجلساء أتقول مثل هذا للرئيس لا أم لك فقال والله ما ظننت اني قلت عيبا غير اني مدحت الرئيس بما مدحت به فضحك منه ووصله وهذان البيتان ذكرهما الجاحظ في كتاب البيان والتبيين لاعشى همدان وأنشد قبلهما

فلست مسلما ما دمت حيا * على زيد بتسليم الامير
أميرا يأكل الفالوذ سرا * ويطعم ضيفه خبز الشعير

(وحدث) أحمد بن اسمعيل بن الخصيب قال دخلت على سليمان بن وهب بابيات أعزيه فيها عن أمه فأخذت في انشادها فقال انا أعزك الله في مصائب قد انثالت علي من كل جانب قلت وماهي أطال الله بقاءك قال ماتت أمي وغير رسمي ورثى ميتي بمثل هذا الشعر ورمى لي رقعة مكتوب فيها

لام سليمان علينا مصيبة * مجللة مثل الحسام البواتر
وكنت سراج البيت ياأم سالم * فاضحى سراج البيت بين المقابر

فاشتغلت بالضحك عن البكاء وبالتسلي عن العزاء وكان الشعر لابي أيوب واسمه صالح بن شهريار ابن أخت أبي الوزير (ومدح بعضهم أميرا فقال)

أنت الامام الاريحي * الواسع ابن الواسعة

فقيل له من أين عرفت هذا قال سمعت الناس يثنون عليك بذلك

(ومن شوارد هذا النوع وافراده ماينبي بغرض المتأمل ومراده)

ماحكي أن عبد الله بن رواحة رأته امرأته على بطن جارية له فخرجت وشحذت شفرة ثم دخلت اليه تريد قتله فوجدته قد خرج من عندها فقال لها مامهيم فقالت اما اني لو وجدتك حيث كنت لوجأت بها بطنك فقال لها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهانا أن يقرأ أحدنا القرآن جنبا قالت اقرأ فانشد

أتانا رسول الله يتلو كتابه * كما لاح مشهور من الصبح ساطع
أتى بالهدى بعد العمى فقلوبنا * به موقنات أن ما قال واقع
يبيت يجافي جنبه عن فراشه * اذا ما استقرت بالجنوب المضاجع

فلما سمعت مقاله قالت آمنت بالله وكذبت بصري فاخبر بذلك عبد الله ابن رواحة رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك حتى بدت نواجذه (وأسر عتاب بن ورقاء جماعة من الخوارج فوجد فيهم امرأة فقال وأنت ياعدوة الله ممن مرق من الدين وخرج على المسلمين أما سمعت قول الله تعالى

كتب القتل والقتال علينا * وعلى الغانيات جر الذيول

فقالت حسن معرفتك بكتاب الله دعانا الى الخروج عليك ياعدو الله * وصعد المنبر باصبهان فخطب وقال في اثناء خطبته وذلك كما قال الله في كتابه العزيز

ليس شئ على المنون بباقي * غير وجه المسبح الخلاق

فقال له رجل ليس هذا قول الله انما هو قول عدي بن زيد قال فنعم والله ما قال

عدى (ومثل ذلك) ما حكى أن على بن زياد الايادى قال فى بعض خطبه أقول لكم كما قال العبد الصالح ما أريكم الا ما أرى وما أهديكم الا سبيل الرشاد فقام اليه انسان وقال ما هذا قول عبد صالح انما هو قول فرعون فقال من قال هذا فقد أحسن (وأم رجل) من الظرفاء بقوم اياما وكانوا من التغفل بمكان فكانوا يطعمونه الخبز والكامخ لا يزيدونه عليهما شيأ فصلى بهم يوما الصبح فقرأ فى الركعة الاولى بعد الفاتحة يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولا تطعموا أئمتكم كامخا بل لحما فان لم تجدوا الحماء فشحما فان لم تجدوا شحما فبيضا ومن لم يفعل ذلك فقد ضل ضلالا بعيدا وخسر خسرانا مبينا وقرأ فى الركعة الثانية فان لم تجدوا بيضا فسمكا واطبخوه سكباجا فان لم تجدوا سمكا فلبنا ولا تمخضوه تمخيضا ومن يفعل ذلك فقد افترى اثما عظيما فلما فرغ من صلاته جاؤه واعتذروا اليه من التقصير فى حقه وأنهم لم يكن عندهم علم بان الله أنزل فى الوصية بالائمة شيأ وسألوه فى أى سورة هذه الآيات فقال لهم فى سورة المائدة (وكان) بعض الحمقى يتعشق جارية فهام بها دهرا لا يقدر على الوصول اليها فزارته يوما فنام وتركها فقالت له ويحك ما دعاك الى النوم وقد ظفرت بمن تهواه فقال يا سيدتى أتناوم لعلى أراك أيضا فى المنام كما قال الشاعر

وانى لاستغشى ومابى نعسة * لعل خيالا منك يلقى خياليا

وكتب آخر الى محبوبته ان رأيت أن تزورينا عصمنا الله واياك فافعلى فكتبت اليه يا أحمق متى عصمنا لا نجتمع أبدا (ووقع) بين سليمان بن مروان الاعمش وبين زوجته وحشة فسأل بعض أصحابه الاصلاح بينهما فدخل اليها وقال ان أبا محمد شيخنا وفقيهنا فلا يزهدنك فيه عموشة عينيه ونتن ابطيه وبخر شدقيه وجمود كفيه وحموشة ساقيه وذلك بمرأى من الاعمش ومسمع منه فقال له الاعمش كف لا أم لك فقد ذكرت لها من عيوبى مالم تكن تعرفه (وذكر) أن عبد الله بن فضلويه وكان عامل قزوين أنشد يوما

يوم القيامة يوم لا دواء له * الا الطلاء والا الطيب والطرب

فقال له من حضره أخطأت انما هو يوم الحجامة فقال أعذرونى فانى لا أعرف أيهما (باع) بعض المتخلفين بستانا واشترى بثمنه حمارا فقال له صاحب له بعت ما كان يعلفه السماء فيعوضك الشعير واشتريت ما تعلفه الشعير فيعوضك الماء

(ومن هذا الباب) تجلف أبي غبشان وكان سادنا للكعبة فانه باع الكعبة بزق خمر حتى ضرب به المثل في التجلف فقيل أخسر صفقة من أبي غبشان وتحالف سلم الخاسر فانه باع مصحفا واشترى بثمنه طنبورا فضرب به المثل فقيل أخسر من سلم

الفصل الثالث من الباب الثامن
في أن أنواع التغفل والبله ستور على الاولياء مسبله

قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن (وقال) صلى الله عليه وسلم رب أشعث أغبر ذي طمرين لو أقسم على الله لأبره (وقال) عيسى عليه السلام للحواريين كونوا بلها كالحمام حلما كالحيات (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلعت على الجنة فرأيت أكثر أهلها البله (قال العلماء) هم البله في طلب الدنيا الاكياس في طلب الآخرة

* (فنهم عليان الذي كان قالبه مع الخلق وقلبه مستغرقا في اسرار الحق) *

يحكى عنه أن رجلا قال له من العاقل وهو يهزأ به فقال من حاسب نفسه وراقب ربه (وقال) حفص بن عتاب قاضي الكوفة مررت بعليان وهو جالس في السوق فلما رآني قال من أراد أن يتعجل سرور الدنيا والنار في الآخرة فليتمن ما هذا فيه قال ابن عتاب والله لقد تمنيت لما سمعت كلامه أن أمي لم تلدني أو أني مت قبل أن ألي القضاء (وقال) لابي الوفاء وقد مر به رأيتك أسمنت دابتك وأهزلت دينك أما والله ان أمامك لعقبة كؤدا لا يجوزها الا المخفون (وعن) ابن أبي فديك قال رأيت عليان وقد دلى رجليه في قبر وهو يلعب بالتراب فقلت له ما تصنع ههنا قال أجالس أقواما لا يؤذونني ان حضرت ولا يغتابونني ان غبت فقلت قد غلا السعر فهلا تدعو الله فيكشف عنا الضر فقال والله لا أبالي ولو حبة بدينار ان الله أخذ علينا العهد أن نعبده كما أمر وأن عليه رزقنا كما وعد ثم صفق بيديه وقام قائلا

يا من تمتع بالدنيا وزينتها * ولا تنام عن اللذات عيناه
شغلت نفسك فيما ليس تدركه * تقول لله ماذا حين تلقاه

وتروى هذه الحكاية عن بهلول الآتي ذكره (وقال) الحسن بن سهل بن منصور

رأيت الصبيان يرمون عليان بالحجارة فأدماه حجر منهم فقال

حسبي الله توكلت عليه * من نواصي الخلق طرا في يديه
ليس للهارب في مهربه * أبدا من راحة الا اليه
رب رام لي باحجار الاذى * لم أجد بدا من العطف عليه

فقال له رجل تعطف عليهم وهم يرمونك بالحجارة فقال اسكت لعل الله يطلع على غمي ووجعي وشدتي فيفرح هؤلاء فيهب بعضا لبعض (ومن شعره)

أفلح الزاهدون والعابدونا * اذ لمولاهم أجاعوا البطونا
أقرحوا الاعين القريرة شوقا * فمضى ليلهم وهم ساجدونا
حيرتهم مخافة الله حتى * زعم الناس أن فيهم جنونا

(وممن كانت نفسه عن الشبهات مكفوفة بهلول المعدود من مجانين الكوفة)

قال عبد العزيز المتكلم رأيت بهلولا يوما باكرا فقلت يا بهلول كيف أصبحت قال بخير انتظر انتهاء من يوجب الاجر ويحط الوزر ويشد الازر ثم قال لي يا عبد العزيز أحسن مجاورة النعم بالشكر عند الرخاء والصبر عند البلاء (ولما) دخل الرشيد الكوفة خرج الناس لينظروا اليه فناداه بهلول يا هرون ثلاثا فقال الرشيد من يجترئ علينا في هذا الموضع فقيل له بهلول فرفع طرف السجف وقال انا ن فقال يا أمير المؤمنين روينا بالاسناد عن قدامة بن عبد الله العامري قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم رمى جمرة العقبة لا ضرب ولا طرد ولا قيل بين يديه اليك اليك وتواضعك في شرفك هذا خير من تجبرك وتكبرك قال فبكى الرشيد حتى بدت دموعه على الارض وقال أحسنت يا بهلول زدنا يرحمك الله قال روينا عنه صلى الله عليه وسلم انه قال أيما رجل آتاه الله مالا وسلطانا وجمالا فانفق من ماله وعف في جماله وعدل في سلطانه كتب في ديوان الله من الابرار قال الرشيد أحسنت يا بهلول وأمر له بجائزة فقال اردها على من أخذتها منه فلا حاجة لي بها قال يا بهلول ان كان عليك دين قضيته عنك قال يا أمير المؤمنين ان هؤلاء أهل الرأي بالكوفة أجمعوا على أن قضاء الدين بالدين لا يجوز قال فهل لك أن أجري عليك رزقا يقوم بك ويكفيك فرفع طرفه الى السماء وقال يا أمير المؤمنين أنا وأنت عيال الله ثم تركه ومضى وهذه الحكاية لذوي العقول كافية وللقلوب من أدواء الذنوب شافية

(ومن مشاهير هذه الطائفة سعدون الطالب للعلا والراغب عن الدون)

روى خالد بن عبد الله الطوسى قال لما حج هرون الرشيد فرش له من جوف العراق الى مكة لبود مرعزية فمشى عليها القضاء نذر وجب عليه فاستند يوما الى ميل من تعب ناله واذا بسعدون قد عارضه وهو يقول

هب الدنيا تواتيكا * أليس الموت يأتيكا
فما تصنع بالدنيا * وظل الميل يكفيكا
الا يا طالب الدنيا * دع الدنيا لشانيكا
كما أضحكك الدهر * كذاك الدهر يبكيكا

فبكى هرون وقال الويل لنا ان لم يعف الله عنا (وقال) عيسى بن على رأيت سعدونا والصبيان يرمونه بالحجارة فصرفتهم عنه فقال لى بعض الصبيان انه يزعم أنه يرى ربه فقلت له ما تسمع مقالة الصبيان فقال يا أخى مذ عرفت الله ما فقدته ثم قال

زعم الناس أننى مجنون * كيف أسلو ولى فؤاد مصون
علق القلب بالبكا فى الدياجى * وهو بالله مغرم محزون

(وعن) عطاء بن سعيد قال كتب سعدون الى والينا أما بعد يا هذا ان لم تستح من الخلق فاستح من الخالق واحذر سهاما من سهامه فان سهامه لا تخطئ ولا يغرنك حلمه عنك فانه ان عاقبك اهلكك وهتكك ثم كتب عنوانه ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا (وقال) اسمعيل بن عطاء مررت بسعدون فلم أسلم عليه فنظر الى وقال

ياذا الذى ترك السلام تعمدا * ليس السلام بضائر من سلما
ان السلام تحية مبرورة * ليست تحمل قائلها مغرما

(وروى سعدون يكتب بفحم على جدار)

ما حال من سكن الثرى ما حاله * أمسى وقد رثت هناك حباله
أمسى ولا روح الحياة تصيبه * أبدا ولا لطف الحبيب يناله
أمسى وقد درست محاسن وجهه * وتفرقت فى قبره أوصاله
واستبدلت منه المحاسن غبرة * وتقسمت من بعده أمواله
مازالت الايام تلعب بالفتى * والمال يذهب صفوه وحلاله

وكان

(وكان) اذا اشتد به الجوع رمق بطرفه الى السماء وقال

أتتركنى وقد آليت حلفا * بانك لاتضيع من خلقتا
وأنك ضامن للرزق حتى * تؤدى ماضمنت وماقسمتا
فانى واثق بك ياالهى * ولكن القلوب كما علمتا

*(ومن) *محاسن أخبارهم واحاسن آثارهم التى هى للقلوب الممحلة ربيع وللصدور الصدئة غيث مريع ماحكى أن سمنون قال لرجل يعظه اجعل قبرك خزانتك واحشها من كل عمل صالح فاذا وردت على ربك سرك ماترى *ومن كلامه اذا بسط الجليل بساط العفو دخلت ذنوب الاولين والآخرين تحت حواشيه واذا بدت ذرة من عين الجود ألحقت المسيئين بالمحسنين (ومن شعره)

لئن أمسيت فى ثوبى عديم * لقد بليا على حر كريم
فلا يحزنك ان أبصرت حالا * مغيرة عن الحال القديم

(وقيل) لشقران من الحكيم قال الذى لا يتعرض للعذاب الاليم قيل وما العذاب الاليم قال البعد عن الرب الكريم (وقال) بعضهم رأيت فليتا والصبيان حوله يؤذونه و يرمونه بالحجارة وهو يقول ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور (وقال) أبو همام اسرائيل بن محمد القاضى رأيت سابقا المعتوه وهو يكتب على حائط بالفحم هذه الابيات

نظرت الى الدنيا بعين مريضة * وفكرة معتوه وتاميل جاهل
فقلت هى الدنيا التى ليس مثلها * ونافست منها فى غرور وباطل
وضيعت أياما طوالا كثيرة * بلذات أيام قصار قلائل

(وقيل لمجنون) فيم يسعى هذا الخلق قال فى طلب مالا يكون من الدنيا قيل فما يطلبون قال الراحة وذلك مالا يجدون

(الباب التاسع فى السخاء وفيه ثلاثة فصول)

(الفصل الاول من هذا الباب)

فى أن التبرع بالنائل من أشرف الخلال والشمائل

(قال) رسول الله صلى الله عليه وسلم الجود من جود الله تعالى فجودوا يجد الله عليكم ألا ان السخاء شجرة فى الجنة أغصانها مدلاة فى الارض فمن تعلق

بغصن منها أدخله الجنة ألا وان السخا من الايمان والايمان فى الجنة رواه أبو بكر أحمد بن على بن ثابت الخطيب باسناد متصل فى كتاب البخلاء له (وقال) صلى الله عليه وسلم تجاوزوا عن ذنب السخى فان الله آخذ بيده اذا عثر ان السخى قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار والجاهل سخى أحب الى الله من عالم بخيل (وقال) صلى الله عليه وسلم الخلق كلهم عيال الله وأحب الخلق الى الله أنفعهم لعياله (وروى) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى باسرى من بنى العنبر فامر بقتلهم وأفرد منهم رجلا فقال على رضى الله عنه يارسول الله الرب واحد والدين واحد والذنب واحد فما بال هذا من بينهم فقال عليه الصلاة والسلام نزل على جبريل صلى الله عليه وسلم فقال اقتل هؤلاء واترك هذا فان الله شكر له سخاء فيه (وقال) صلى الله عليه وسلم أحب العباد الى الله من حبب اليه المعروف وانما سمى المعروف معروفا لان الكرام عرفته فألفته والسخاء سخاآن سخاء نفس الرجل بما فى يده يصون به عرضه عن ذم اللئام وتركه مافى أيدى الناس يغلق عنه باب الملام وهوان جمعهما فقد وهب أشرف أخلاق الكرام وتواطأ على مدحه الخاص والعام (ويقال) فى مدح مثل هذا فلان بماله متبرع وعن مال غيره متورع (ويقال) مراتب العطاء ثلاث سخاء وجود وايثار فالسخاء اعطاء الاقل وامساك الاكثر والجود اعطاء الاكثر وامساك الاقل والايثار اعطاء الكل من غير امساك لشئ وهذه أشرف الرتب وأعلاها وأحقها بالمدح وأولاها فان ايثار المرء غيره على نفسه أفضل من ايثار نفسه على غيره وكفى بهذه الخلة شرفا مدح الله تعالى أهلها فى قوله ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون (وقالوا) الجواد من لم يكن جوده لدفع الاعداء وطلب الجزاء كما قال عبد الله بن جعفر أمطر معروفك فان أصاب الكرام كانوا له أهلا وان أصاب اللئام كنت له أهلا

(فمما) وردعن ذوى الافضال فى الحث على العطاء والنوال ماذكر عن عبد الملك بن مروان أنه كان يقول لبنيه يابنى أمية ان المؤمن الكريم يتقى عرضه بماله فلا تبخلوا اذا شئتم فان خير المال ما أفاد حمدا أونفى ذما ولا يقولن أحدكم ابدأ بمن تعول فانما الناس عيال الله تكفل بارزاقهم فمن وسع

وسع

وسع عليه ومن ضيق ضيق عليه ثم تلا قوله تعالى وما انفقتم من شئ فهو يخلفه
وهو خير الرازقين فيالله للعجب ما أشدما بين قول هذا الخليفة فعله وخالف
سخاؤه بخله وكيف قسم خليقته بين الايجاب والسلب وخص لسانه بالمدح
وقلبه بالثلب (وقال) زهير بن جذيمة لولده عليكم باصطناع المعروف واكتسابه
وتلذذوا بطيب نسيمه ورضابه وارضوا مودات الرجال من اثمانه فرب رجل
قد صفر من ماله فعاش هو وعقبه فى الذكر الجميل (وقال) شاعر فى مثل هذا

اذا كنت ذا حظ من المال فاكتسب * به الاجر وارفع ذكر أهل المقابر

(الفقيه منصور يرثى)

سألت رسوم القبر عمن ثوى به * لاعلم مالاقى فقالت جوانبه
أتسأل عمن عاش بعد وفاته * بمعروفه اخوانه واقاربه

(وقال) أبو نصر الميكالى

الجود رأى موفق ومسدد * والبذل فعل مؤيد ومعان
والبر أكرم ما وعته حقيبة * والشكر أفضل ما حوته يدان
واذا الكريم مضى وولى عمره * كفل الثناء له بعمر ثان

(وقال) بعض الاعراب الدراهم مياسم تسم حمدا وذما فمن حبسها كان لها
ومن أنفقها كانت له * أخذ شاعر هذا المعنى فقال

اذا المرء لم يعتق من المال نفسه * تملكه المال الذى هو مالكه
ألا انما مالى الذى أنا منفق * وليس لى المال الذى أنا تاركه

(وأوصى) قيس بن معد يكرب بنيه فقال يا بنى عليكم بهذا المال فاطلبوه أجمل
الطلب ثم أخرجوه فى أجمل مذهب فصلوا به الارحام واصطنعوا به الكرام
واجعلوه جنة لاعراضكم ووسيلة تصلون بها الى أغراضكم يحسن فى النار
مقالتكم فان بذله تمام الشرف وثبات المروأة وانه ليسود غير السيد ويقوى غير
الايد حتى يكون فى الناس نبيلا وفى القلوب مهيبا جليلا (وقال الجاحظ) ليس
شئ الذ ولا أسر ولا أنعم من عز الامر والنهى ومن الظفر بالاعداء ومن تقليد
عقود المنن فى أعناق الرجال لان هذه الامور هى نصيب الروح وحظ الذهن
وقسمة النفس فان أحببت أن يزاد فى الاحسان اليك وان يثبت لديك ما أنعم
الله به عليك فاقض حاجة من قصدك وابسط له بالبشر وجهك وبالمعروف

يدك (وقال) الحجاج فى بعض خطبه لايمنّ أحدكم المعروف فان صاحبه يعوّض خيرا منه اما شكرا فى الدنيا وامّا ثوابا فى الآخرة (وكان يقال) المعروف كنز لاتأكله النار وثوب لايدنسه العار (وقال الاحنف بن قيس) ما ادخر الآباء للابناء ولا أبقت الاموات للاحياء أفضل من المعروف عند ذوى الاحساب والآداب (وكان يقال) انما مالك أو للعاجة أو للورثة فلا تكن أعجز الثلاثة (وقال) بشار بن برد من قصيدة مدح بها خالد بن برمك

أخالد ان المال يبقى لاهله * جمالا ولا يبقى الكنوز مع الحمد
فأطعم وكل من عارة مستردّة * ولا تبقها ان العوارى للردّ

(المتنبى)

وأحسن شئ فى الورى وجه محسن * وأيمن كف فيهم كف منعم
وأشرفهم من كان أشرف همة * وأعظم اقداما على كل معظم
لمن تطلب الدنيا اذا لم ترد بها * سرور محب أو اساءة مجرم

(بعضهم)

اذا المال لم ينفع صديقا ولم يصب * قريبا ولم يجبر به حال معدم
فعقباه أن تحتازه كف وارث * وللباخل الموروث عقبى التندم

(محمود الوراق)

تمتع بمالك قبل الممات * والا فلا مال ان أنت متا
شقيت به ثم خلفته * لغيرك سحقا وبعدا ومقتا
يجود عليك بزور البكاء * وجدت له بالذى قد جمعتا
وأوهبته كل ما فى يديك * وخلاك رهنا بما قد كسبتا

(وينتظم فى سلك هذه الابيات ما يروى من واعظ الحكايات)

(يحكى) ان هشام بن عبد الملك لما احتضر رأى أهله يبكون عليه فقال لهم جاد لكم هشام بالدنيا وجدتم له بالبكاء وترك لكم ما كسب وتركتم عليه ما اكتسب ياسوء حال هشام ان لم يغفر الله له (بعضهم)

لا تجبهن بالردّ وجه مؤمل * فلخير وقتك أن ترى مسؤلا
واعلم بانك عن قليل صائر * خبرا فكن خبرا يروق جميلا

(الشريف الرضى)

أحق من كانت النعماء سابغة * عليه من أسبغ النعماء على الامم
وأجدر الناس أن تعنو لرقاب له * من يسترق رقاب الناس بالنعم

(الحض على انتهاز فرصة الامكان فى اسداء المرجو من الاحسان لمن كان)

(قال) رسول الله صلى الله عليه وسلم من فتح عليه باب من الخير فلينتهزه فانه لا يدرى متى يغلق عنه (وقال) حكيم الدنيا غرارة ان بقيت لك لم تبق لها (وقال) عبد الله بن شداد لابنه يا بنى عليك باصطناع المعروف فان الدهر ذو صروف والايام ذات نوائب تقضى على الشاهد والغائب كم من ذى رغبة صار مرغوبا اليه وكم من طالب صار مطلوبا مما لديه (شاعر)

ليس فى كل ساعة وأوان * تتهيا صنائع الاحسان
فاذا أمكنت فبادر اليها * حذرا من تعذر الامكان
واغتنمها اذا قدرت عليها * حذرا من تغير الازمان
أحزم الناس من اذا أحسن الدهر * تلقى الاحسان بالاحسان

(ابن النقيب الكنانى)

الحمد اينع ما اجتناه المجتنى * والمجد أرفع ما ابتناه المبتنى
فاذا وليت وكان أمرك نافذا * فادخر صنيعا فى الولاية وابتنى
من قبل أن يسعى لها فتفوته * وتقول عند فواته ياليتنى

(ابن هندو)

اذا هبت رياحك فاغتنمها * فان لكل خافقة سكون
ولا تغفل عن الاحسان فيها * فما تدرى السكون متى يكون

(آخر)

لا تقطعن عادة الاحسان عن أحد * مادمت تقدر والايام تارات
واذكر فضيلة صنع الله اذ جعلت * اليك لا لك عند الناس حاجات

(ومن) أحسن ما قيل من الابيات فى انتهاز الفرصة بالمعروف واغاثة المكروب والملهوف قول سالم الانبارى

تمتع من الدنيا بساعتك التى * ظفرت بها مالم تعقك العوائق
فما يومك الماضى عليك بعائد * ولا يومك الآتى به أنت واثق

(احتجاج المتبجح بالمعروف على السائل المجهول والمعروف)

(قال) رسول الله صلى الله عليه وسلم من عظمت نعمة الله عنده عظمت مؤنة الناس اليه فان لم يحمل تلك فقد عرض تلك النعمة للزوال (وقيل) لعبد الله ابن جعفر وكان جوادا اقتصد فى العطاء فانّ من ذهب ماله ذل فقال ان الله عوّدنى بالافضال علىّ وعوّدته بالافضال على عباده فأخاف ان أقطع العادة فيقطع عنى المادّة ثم تلا قوله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم (وقيل) أحسن الناس عيشا من حسن عيش غيره فى عيشه (وقيل) لعبد الله ابن طاهر وكان جوادا أنفق وأمسك بعض الامساك فقال ان سمن الكيس ونبل الذكر لا يجتمعان أبدا * نظمه بعض الشعراء فقال

أرائت مؤمل حسن الثناء * ولم يرزق الله ذاك البخيلا
وكيف يسود أخو فطنة * يمن كثيرا ويعطى قليلا

(آخر)

ما اجتمع المال وحسن الثناء * مذ كانت الدنيا لانسان
وأىّ هذين تخيرته * ضنّا به فاله عن الثانى

(آخر)

صون الفتى عرضه عما يدنسه * وصونه ما حواه ليس يجتمع
المال يتلفه دهرا ويرجعه * اليه والعرض لا يمضى فيرجع

(أبو تمام من أبيات)

ولم يجتمع شرق وغرب لقاصد * ولا المجد فى كف امرئ والدراهم
ولم أر كالمعروف يرعى حقوقه * مغارم فى الاقوام وهى مغانم

(وقال) ابن عباس لا يزهدنك فى المعروف كفر من كفره فانه يشكرك عليه من لم تصطنعه اليه (شاعر)

انى اذا أمكنتنى ساعة سعة * زينت بالبذل أوصافى وأحوالى
اما شكور فتزيين لى اعانته * أو الكفور فعرضى صنت بالمال

(آخر)

يد المعروف غنم حيث كانت * تحملها شكورا وكفور
ففى شكر الشكور لها جزاء * وعند الله ما جحد الكفور

(آخر)

(آخر)

وأفضل ما ذخرت على الليالى * صنائع عند مصطنع شكور

(ومن) المفاخر التى لانزاع فيها ولا خلاف بسط الوجه وبذل القرى للاضياف * أول من شرع سنة قرى الاضياف سيدنا ابراهيم الخليل عليه السلام كان اذا لم يجد من يأكل معه يخرج الى الطرقات ليأتى بمن يأكل معه ثم تبعته العرب على سنته وأول من وضع الموائد على الطرق سيدنا عبد الله بن عباس وكانت نفقته فى كل يوم خمسمائة دينار (قال شاعر يمدح من هذه صفته)

ابلج بين حاجبيه نوره * اذا تغذى رفعت ستوره

(وفى مثله) يقول الشاعر فى خالد بن برمك

تأبى خلائق خالد وفعاله * أن لا يجيب لكل أمر غائب

واذا حضرنا الباب عند غذائه * أذن الغذاء لنا برغم الحاجب

(وقال بعضهم)

أبيت خميص البطن غرثان طاويا * وأوثر بالزاد الرفيق على نفسى

وأمنحه فرشى وأفترش الثرى * وأجعل قرّ الليل من دونه لبسى

حذار مخازاة الاحاديث فى غد * اذا ضمنى وحدى الى صدره رمسى

(آخر)

أضاحك ضيفى قبل انزال رحله * ويخصب عندى والزمان جديب

وما الخصب للاضياف أن تكثر القرى * ولكنما وجه الكريم خصيب

(آخر)

أوقد فان الليل ليل قرّ * والريح ياموقد ريح صر

عسى يرى نارك من يمرّ * ان جلبت ضيفا فانت حر

(آخر)

يسترسل الضيف انسا فى منازلنا * فليس يعلم خلق أينا الضيف

والسيف ان قسته يوما بناشبها * لم تدر من عزمنا من ذا هو السيف

(اخر)

قالت سليمى لحاك الله من رجل * ما تحفظ العهد والميثاق والذمما

وحرمة الضيف ما ان خنت عهدكم * وقد حلفت يمينا برة قسما
لو يعلم الضيف عندي قدر منزله * لتاه حتى يرى لا يرجع الكلما
أقول للاهل والقربى وقد حضروا * قفوا قليلا فان الضيف قد قدما

(آخر)

لحا الله من يعسى بطينا وجاره * لفرط الخوى محنى الضلوع خميص
لعمرك ما ضيفى على بهين * وانى على ما سره لحريص

(ابراهيم بن هرمة)

يبيتون فى المشتى خماصا وعندهم * من الزاد فضلات تعد لمن يقرى
اذا ضل عنهم ضيفهم رفعوا له * من النار فى الظلماء ألوية حمرا

(وتبعه ابن المعتز فقال)

وليل يود المصطلون بناره * ولو أنهم حتى الصباح وقودها
رفعت به نارى لمن يبتغى القرى * على شرف حتى أتاها وفودها

(آخر)

ومستنبح بعد الهدو برقدة * بشقراء مثل البحر باد وقودها
فقلت له أهلا وسهلا ومرحبا * بوارد نار منجد من يرومها
فان شئت اوينالك فى الحى مكرما * وان شئت بلغناك أرضا تر ومها

(آخر)

لا تبعدن قومى وان كانوا خوى * فلنعم ماوى الضيف والجيران
الضيف فيهم لا يحول رحله * والجار مضمون من الحدثان

(آخر)

الضيف اكرم ما استطعت محله * وتلقه بتودد وتهلل
واعلم بان الضيف يوما مخبر * بمبيت ليلته وان لم يسئل

(وصية كريم بالسودد عليم) قال بعض البلغاء سودد بلا جود كملك بلا جنود (وقالوا) جود الرجل يحببه الى اضداده وبخله يبغضه الى أولاده (وما أصدق من قال)

اذا لم يكن للمرء فضل ولم يكن * يدافع عن اخوانه لم يسود
وكيف يسود القوم من هو مثلهم * بلا مسة منه عليهم ولا يد

(وقال)

(وقال) بعض الحكماء ثواب الجود خلف ومكافأة ومحبة وثواب البخل حرمان واتلاف ومذمة (وقال) على بن أبي طالب رضى الله عنه ان للنعمة اجنحة فان أمسكت بالاحسان قرت والا فرت (وقال) محمد بن الحنفية رضى الله عنه ان أفضل المال ما أفاد شكرا وأورث ذكرا وأوجب أجرا ولو رأيتم المعروف لرأيتموه حسنا جميلا (وقال) المأمون لان اخطئ معطيا أحب الى من ان أصيب مانعا

العرف زينة ذى النهى وذخيرة * يلقى جوائزها بكل مكان
ماضاع معروف أتيت الى امرئ * فغدا وراح يذيعه بلسان

ذكر الاجواد المعروفين ببذل الاموال
والموصوفين باصلاح فساد الاحوال

أسخاهم وأجودهم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم * فى الحديث الصحيح انه ماسئل شيأ قط فقال لا فان يكن عنده اعطى وان لم يكن عنده استدان اعطى عيينة بن حصن مائة من الابل واعطى الاقرع بن حابس مثلها وأعطى اعرابيا غنما بين جبلين فانطلق الاعرابى وقال لقومه اسلموا فان محمدا صلى الله عليه وسلم يعطى عطاء من لا يخاف الفقر (وقال) أنس ابن ملك أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمال من البحرين لم يؤت قبله بمثله فوضع فى المسجد ثم خرج فصلى فلما فرغ من صلاته جلس ثم دعا بالمال فما رأى أحدا الا أعطاه منه فجاءه عمه العباس فقال يارسول الله انى فاديت نفسى وفاديت عقيلا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خذ فحثا فى ثوبه ثم ذهب ليقوم فلم يستطع فقال يارسول الله مر من يرفعه على قال لا قال فارفعه أنت قال لا فنثر منه ثم احتمله على كاهله وذهب فما زال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبعه بصره حتى خفى علينا تعجبا من حرصه وما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى فرق المال جميعه

*(وممن) * عمرت الوفود ارجاء ناديه وغمرت بالجود فواضله وأياديه أجواد العرب فى الجاهلية الذين ضرب بهم المثل فى الجود ثلاثة لا رابع لهم وهم كعب بن مامة الايادى وهرم بن سنان النمرى وحاتم الطائى وقد جمعهم بعض الشعراء فى بيت واحد فقال مادحا من أبيات

لو أدرك العصر من كعب ومن هرم * وحاتم جود كفيه لما ذكروا

(ومن أجواد العرب) عمرو بن عبد مناف فانه أول من هشم الثريد وجمع قومه عليه فسمي لذلك هاشما وفيه يقول الشاعر

عمرو العلا هشم الثريد لقومه * ورجال مكة مسنتون عجاف

* ويقال في المثل ما أحد كهاشم وان هشم ولا كحاتم وان حتم (وأجواد العرب في الاسلام) عبد الله بن عباس وأخوه عبيد الله * فمن المأثور عن عبد الله أن رجلا أراد مضارته فأتى وجوه قريش وهم جلوس في فناء الكعبة وقال يقول لكم عبد الله تغدوا عنده اليوم فأتوه وقت الغداء حتى ملؤا البيت فسألهم عن مجيئهم فاخبروه الخبر فأمر قوما بشراء فاكهة وأمر قوما بالخبز وقوما أن يطبخوا وقدمت الفاكهة اليهم فما فرغوا من أكلها حتى قدمت الموائد فاكلوا وانصرفوا ثم قال عبد الله لوكيله أيوجد مثل هذا كل يوم اذا أردناه قال نعم قال فليتغدوا عندنا كل يوم (وأما عبيد الله) فانه كان لفرط جوده يسمى معلم الجود وهو أول من وضع الموائد على الطرق وكانت نفقته في كل يوم خمسمائة دينار وكان اذا خرج من دوره طعام الى رحابه ومساجده لا يرد اليها منه شئ فان لم يجد من يأكله ترك مكانه فربما أكلته السباع وكان هو والناس في ماله سواء من سأله أعطاه ومن لم يسأله ابتدأه فلا يرى أنه يفتقر فيقتصر ولا يرى أنه يحتاج فيدخر (وكان يقال) من أراد الجمال والفقه والسخاء فليأت دار العباس فالجمال للفضل والفقه لعبد الله والسخاء لعبيد الله (ومن الاجواد) عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال الاعمش كنت عنده يوما فأتى باثنين وعشرين ألف درهم فلم يقم من مجلسه حتى فرقها وكان اذا أعجبه شئ من ماله تصدق به وكان كثيرا ما يتصدق بالسكر فقيل له في ذلك فقال اني أحبه وقد قال الله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون واعتق ألف عبد كان اذا رأى عبدا من عبيده ملازما للصلاة أعتقه فقيل له انهم يخدعونك فقال من خدعنا بالله انخدعنا له (ومن الاجواد) الحسن ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنه سمع رجلا يقول اللهم اعطني عشرة آلاف درهم فأخذ بيده وانطلق به الى منزله فاعطاه عشرة آلاف درهم وخرج لله من ماله مرتين وقاسم الله ماله ثلاث مرات حتى انه اعطى نعلا وأمسك نعلا

(ومن

(ومن أجود الصحابة العشرة رضى الله عنهم) عثمان بن عفان والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعيد بن العاص كانوا رضى الله تعالى عنهم اذا رأوا أموالهم كثرت وزادت نقصوها بابلاء البر واسداء المعروف خوفا من أن تحملهم نفوسهم على البطر والطغيان وان تلهيهم بكثرتها عن الاشتغال بعبادة الرحمن (فمن المأثور عن عثمان بن عفان) أنه اشترى بئر رومية بأربعين ألف درهم واوقفها على المسلمين وأنفق فى جيش العسرة عشرة آلاف دينار ذهبا فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقلبها بيده ظهر البطن ويقول غفر الله لك يا عثمان ماقدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت ولا تبالى ما عمل بعد اليوم * وأصاب الناس قحط فى خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه فلما اشتد بهم الامر جاؤا الى أبى بكر وقالوا يا خليفة رسول الله ان السماء لم تمطر والأرض لم تنبت وقد توقع الناس الهلاك فما نصنع فقال لهم انصرفوا واصبروا فانى أرجو الله أن لا تمسوا حتى يفرج الله عنكم فلما كان آخر النهار ورد الخبر بأن عيرا لعثمان بن عفان جاءت من الشأم وتصبح المدينة فلما جاءت خرج الناس يتلقونها فاذا هى ألف بعير موسوقة برا وزيتا وزبيبا فأناخت بباب عثمان فلما جعلها فى داره جاء التجار فقال لهم ماتريدون قالوا انك لتعلم ما نريد بعنا من هذا الذى وصل اليك فانك تعلم ضرورة الناس اليه قال حبا وكرامة كم تربحونى على شرائى قالوا الدرهم درهمين قال أعطيت زيادة على هذا قالوا أربعة قال أعطيت زيادة على هذا قالوا خمسة قال أعطيت أكثر من هذا قالوا يا أبا عمرو ومابقى فى المدينة تجار غيرنا وما سبقنا اليك أحد فمن ذا الذى أعطاك قال ان الله أعطانى بكل درهم عشرة أعندكم زيادة قالوا لا قال فانى أشهد الله أنى جعلت ماحملت هذه العير صدقة لله على المساكين وفقراء المسلمين * ومن المأثور عن الزبير بن العوام رضى الله عنه أنه كان له ألف عبد يؤدون اليه الخراج كل يوم فما يدخل بيته منه درهم واحد بل يتصدق بذلك كله (ومن المأثور عن عبد الرحمن بن عوف) انه باع أرضا من عثمان بن عفان بأربعين ألف دينار وقسم ذلك فى بنى زهرة وفقراء المسلمين وامهات المؤمنين وبعث الى عائشة رضى الله عنها من هذا المال بأربعين الف درهم فقالت سقى الله ابن عوف من سلسبيل الجنة * وحمل مرة فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على خمسمائة

فرس فى سبيل الله ثم حمل مرة أخرى على ألف وخمسمائة راحلة فى سبيل الله
وشاطر الله تعالى ماله ثلاث مرات وأمر أن يتصدق بعد موته بثلث ماله فعوفى
فتصدق به بنفسه وجلس ليلة فى بيته على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكتب جريدة بتفريق جميع ماله على فقراء المهاجرين والانصار حتى كتب
قميصه الذى على بدنه هذا الفلان وهذا الفلان ولم يترك شيأ من ماله الا كتبه فلما
صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح ناوله الجريدة فنزل جبريل عليه
السلام وقال يا محمد يقول الله لك اقرأ السلام منى على عبد الرحمن ويأمرك
أن ترد له جريدته وقل له ان الله قد قبل صدقتك وهو وكيل الله ووكيلك فيها
فليصنع فى ماله ماشاء ويتصرف فيه كما كان يتصرف فيه من قبل ولا حساب
عليه * ويروى أنه أعتق ثلاثين ألف عبد * ومن المأثور عن سعيد بن العاص
رضى الله عنه أن رجلا سأله فقال لغلامه أعطه خمسمائة فضى الغلام ثم رجع
اليه مستفهما أدينارا أو درهما فقال ما كنت أردت الادراهم أما اذ قد رجعت
فصيرها دنانير فجعل الرجل يبكى فقال له ما يبكيك قال أبكى على أن تأكل
الارض مثلك * ويروى عنه أنه عزل عن المدينة فانصرف ليلة من المسجد الى
منزله وحده فرأى رجلا يتبعه فقال له ألك حاجة قال لا ولكنى رأيتك وحدك
فوصلت جناحك فقال وصلك الله يا ابن أخى اطلب لى جلدا وادع لى مولاى
فلانا فأتاه به فكتب له صكا بعشرة آلاف درهم وأشهد عليه مولاه بها وقال اذا
جاءت غلتنا دفعنا اليك ذلك فمات سعيد فى تلك السنة فجاء الرجل بالصك الى
ولده عمرو فامضاه وأعطاه عشرة آلاف درهم * ولما احتضر سعيد قال لبنيه
لا يفقد أصحابى بعد موتى غير وجهى أجروا عليهم ما كنت أجرى واصنعوا
اليهم ما كنت أصنع بهم واكفوهم مؤنة الطلب فان الرجل اذا طلب
الحاجة اضطربت اركانه وارتعدت فرائصه مخافة أن يرد عنها والله لرجل
بات يتململ على فراشه رآكم موضعا لحاجته أعظم منة عليكم منكم بما تعطونه
* ويروى أيضا أنه لما احتضر قال لبنيه أيكم يتكفل لى بثلاث فقال ابنه
عمرو أنا قال اقض عنى دينى وهو ثمانون ألف دينار والله ما استدنتها الا لكريم
سددت خلته أو لئيم وقيت عرضى منه قال على دينك يا أبت قال قد بقيت
اثنتان قال وماهما قال بناتى لا تزوجهن الا الا كفاء ولو تقلقن من خبز الشعير

قال

قال أفعل قال وبقيت واحدة هي أشدهن علي قال ماهي قال ان فقد أصحابي وجهي فلا يفقد دون معروفي يا بني ثلاث ضقت بهن ذرعا رجل اغبر وجهه في التردد للتسليم علي ورجل ضاق في مجلسي فتزحزح لي ورجل نزل به مهم من الامور فبات متململا على فراشه يتقلب من أمره ظهر البطن فلما أصبح رآني موضعا لحاجته فلم أكافئه ولو خرجت من جميع ما أملك (ومن الاجواد) طلحة بن عبيد الله التيمي فرق في يوم واحد مائة ألف درهم * وقال قبيصة بن جابر صحبت طلحة بن عبيد الله فما رأيت أعطى لجزيل من غير مسئلة منه وهو احد مشاهير الطلحات الذين يضرب بهم المثل في الجود وكانوا ستة ويسمى هذا طلحة الفياض * وطلحة بن عمر بن عبد الله بن معمر التيمي أيضا وهو طلحة الجود * وطلحة بن عبد الله بن عوف أخي عبد الرحمن بن عوف الزهري ويسمى طلحة الندى * وطلحة بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو طلحة الخير * وطلحة بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ويسمى طلحة الدراهم * وطلحة ابن عبد الله بن خلف الخزاعي وهو طلحة الطلحات وسمي بذلك لانه كان أجودهم وقيل سمي بذلك لانه وهب في عام واحد ألف جارية فكانت كل جارية منهن اذا ولدت غلاما تسميه طلحة على اسم سيدها * وعن الحسن قال باع طلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعي أرضا بسبعمائة ألف درهم فبات ذلك المال عنده ليلة فبات أرقا مخافة ذلك المال حتى أصبح ففرقه (ومن أجواد الصحابة) معاوية بن أبي سفيان قال عبد الله بن عمر ما رأيت أحدا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود من معاوية وهو أول من أعطى ألف ألف في صلة وكان يعطيها للحسن والحسين وعبد الله بن جعفر رضي الله تعالى عنهم ولما مات معاوية وولي ابنه يزيد دخل وفد عبد الله بن جعفر على يزيد فقال له يا أمير المؤمنين ان والدك كان يصل رحمي في كل عام بألف ألف درهم فقال يزيد نعم وكرامة أعطوه ألف ألف وألف ألف وألف ألف فقال له عبد الله بأبي أنت وأمي يا أمير المؤمنين وما قلتها لاحد غيرك قال يزيد لا جرم اني أضعفها لك فلك عليها ألف ألف أخرى فخرج عبد الله بأربعة آلاف ألف درهم فقيل ليزيد أتقطع لرجل واحد أربعة آلاف ألف درهم فقال للمنكر ويحك انما أعطيتها لاهل المدينة وما هي في يده الا عارية ولم تزل عطيات الخلفاء ألوف الالوف وكان آخر من فعلها من الخلفاء المنصور

ومن الوزراء الحسن بن سهل (ومن غرر) حكايات معاوية فى العطاء أنه حج فلما انصرف من المدينة قال الحسين بن على لاخيه الحسن لاتلقه ولاتسلم عليه فقال ان على دينا ولابد من اتيانه فركب فى أثره حتى لحقه وسلم عليه وأخبره بدينه فبينماهما يتحادثان اذ مر بختى قد أعياه حمله وقوم يسوقونه ليلحقوا به الحمول فقال معاوية ماشأن هذا البعير فذكروا له أنه أعياه ماعليه من المال قال وكم عليه قالوا ثمانون ألف دينار فقال اصرفوها لابى محمد (ومن الاجواد) عبد الله بن جعفر الطيار وكان يسمى بحر الجود لجوده ويقال انه لم يكن فى عصره أجود منه (فمن المأثور عنه) انه وقف على بابه يوما وكان أرباب الحاجات ينتظرون خروجه فنهضوا اليه فما طلب أحد حاجة الاقضاها له وكان فيمن حضر نصيب الشاعر فلما نظر الى مايسمع عنه تقدم اليه وقبل يده وأنشد

ألفت نعم حتى كانك لم تكن * عرفت من الاشياء شيأ سوى نعم
وعاديت لاحتى كانك لم تكن * سمعت بلا فى سالف الدهر والامم

فقال له عبد الله ماحاجتك قال هذه رواحلى تميرنى عليها قال أنخ أنخ ثم أوسقها له برا وتمرا وأمر له بعشرة آلاف درهم وثياب فلما انصرف نصيب قال قائل لعبد الله ياابن الطيار أتعطى هذا العطاء كله لمثل هذا العبد الاسود فقال ان كان أسود فان شعره لابيض وان كان عبدا فان ثناءه لحر وهل أعطيناه الارواحل تمضى وطعاما يفنى وثيابا تبلى وكان يعتق فى غرة كل شهر مائة عبد (ومن حكاياته) أنه ابتاع حائط نخل من رجل أنصارى بمائة ألف درهم فرأى ابناله يبكى فقال له مايبكيك قال كنت أطلب أنا وأبى أن نموت قبل خروج هذا الحائط من أيدينا ولقد غرست بعض نخله بيدى فدعا أباه ورد عليه الصك وسوغه المال (ومن الاجواد) عرابة الاوسى يحكى عنه أنه اجتمع جماعة بفناء الكعبة فتذاكروا الاجواد فقال أحدهم أجود الناس عبد الله بن جعفر وقال آخر أجود الناس قيس بن سعد بن عبادة وقال آخر أجود الناس عرابة الاوسى فقال رجل من الجماعة ليمض كل واحد منكم لصاحبه يسأله حتى ننظر مايعطيه ونحكم على العيان فقام صاحب عبد الله فصادفه قد وضع رجله فى الركاب يريد سفرا فقال له ياابن بنت عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن سبيل

ومنقطع

ومنقطع به فأقام ثنى رجله وقال خذ الناقة بما عليها ولا تخل عن السيف فانه من سيوف على بن أبى طالب قوم على بألف دينار فجاء بالناقة بما عليها من مطارف خز وأربعة آلاف دينار وأعظمها السيف ومضى الآخر الى قيس ابن سعد فوجده نائما فقال له غلامه هو نائم فما حاجتك قال ابن سبيل ومنقطع به قال حاجتك أيسر من ان أوقظه هذا كيس فيه سبعمائة دينار والله ما فى دار قيس اليوم غيرها خذها وامض الى معاطن الابل بعلامة كذا الى من فيها فخذ راحلة وعبدا وامض الى شأنك قيل ان قيسا لما انتبه أعلمه غلامه بما صنع فاعتقه وقال له هلا أيقظتنى فكنت أزيده ومضى صاحب عرابة فلقيه قد خرج من منزله يريد الصلاة وهو متوكئ على عبدين وقد كف بصره فقال يا عرابة ابن سبيل ومنقطع به فتخلى عن الغلامين وصفق بيديه وقال أواه والله ما تركت الحقوق لعرابة مالا خذ العبدين فقال الرجل ما كنت بالذى أقص جناحيك قال ان لم تأخذهما فهما حران فان شئت تخذ وان شئت فاعتق ورفع يديه عنهما وتركهما وأقبل يلتمس الحائط بيده فاخذ الرجل الغلامين وجاء بهما الى أصحابه فاجمعوا على أن عرابة أجود الثلاثة لانه جهد من مقل وان الغير اعطى من سعد وفى عرابة يقول الشماخ

رأيت عرابة الاوسى يسمو * الى العلياء منقطع العرين

اذا ما راية رفعت لمجد * تلقاها عرابة باليمين

(ومن الاجواد) عبيد الله بن أبى بكرة واسمه نفيع كناه رسول الله صلى الله عليه وسلم به ولافراطه فى الجود كتب عبد الملك بن مروان الى الحجاج ان لا توليه عملا فانه أريحى (ومن حكاياته) أنه أوسع له رجل فى مجلس فلما قام قال للرجل الحقنى الى منزلى فلحقه فأمر له بعشرة آلاف درهم * وابتنى دارا بالبصرة أنفق عليها عشرة آلاف دينار فدخل عليه فيها بعض أصحابه واستحسنها فقال هى لك بما فيها من الفرش والاثاث والرقيق فقال الرجل يعمرها الله بك ويمتعك بها فقال والله لتقبلنها فقبلها * وولاه عبيد الله بن زياد سجستان وأمره بهدم ما فيها من بيوت الاشراف فهدمها وأخذ ما فيها من الاموال المعدة للنفقة على سدنته فكانت أربعة آلاف درهم فما أتى عليه الحول حتى استدان (ومن الاجواد) اسماء بن خارجة مما يحكى عنه أنه رجع يوما الى داره

فرأى فتى بالباب جالسا فقال ما أجلسك ههنا قال خير قال والله لتخبرنى قال جئت سائلا أهل هذه الدار ما آكل فخرج الىّ منها جارية اختطفت قلبى وسلبت عقلى فانا جالس لعلها تخرج ثانية فانظر اليها قال أفتعرفها اذا رأيتها قال نعم فدعا بمن فى الدار من الجوارى وجعل يعرضهن عليه واحدة بعد واحدة حتى مرت الجارية فقال هذه فقال قف مكانك حتى أخرج اليك ثم دخل الدار وخرج والجارية معه وقال للفتى انما أبطأت عليك لانها لم تكن لى وانما كانت لبعض بناتى ولم أزل بها حتى ابتعتها منها خذ بيدها فقد وهبتها لك وهذه الالف أصلح بها شأنك (ومن الاجواد) يزيد بن أبى صفرة وله حكايات شهدت بكرم نجاره ونكب عن لحاقه فيها كل كريم فلم يجاره (منها) أنه دخل عليه الكوثر بن زفر الكلابى حين ولاه سليمان بن عبد الملك العراق فقال له يعنى ابن زفر أنت أكبر قدرا من أن يستعان عليك الابك ولست تصنع من المعروف شيأ الا وهو أصغر منك وليس العجب منك أن تفعل ولكن العجب منك من أن لا تفعل قال سل حاجتك قال تحملت عشر ديات وقد هاضنى ذلك قال قد أمرت لك بها فقال الكوثر أما ما أسألك لوجهى فاقبله منك واما الذى بدأتنى به فلا حاجة لى به قال ولم وقد كفيتك ذل السؤال قال رأيت الذى رمته ببذل مسئلتى اياك وبذل وجهى لك أكبر من معروفك عندى فكرهت الفضل لك علىّ فقال يزيد فانا أسألك كما سألتنى أسألك بحقك لما أهلتنى له من انزال الحاجة بى الا قبلتها ففعل (وأول) من عمل البيمارستانات وأجرى الصدقات على الزمنى والمجذومين والعميان والمساكين واستخدم لهم الخدام الوليد بن عبد الملك * وهو أول من تكبر من الخلفاء وانف أن يدعى باسمه كما كان يدعى من قبله من الخلفاء ويكفيه منقبة بناؤه جامع دمشق الذى هو أحد عجائب مبانى الدنيا (ومن الاجواد) معن بن زائدة الشيبانى ويكفيه أن يقال فيه حدث عن البحر ولا حرج وعن معن ولا حرج وسنورد شيأ من اخباره فى الفصل الثانى من هذا الباب (ومن الاجواد) الذين توارثوا الكرم خلفا عن سلف بنو برمك وهم ستة خالد وولده يحيى وأولاده أربعة وهم الفضل وجعفر وموسى ومحمد (فاما خالد) فلم يزل يرتضع ثدى الخلافة صبيا الى أن بلغ من الكبر عتيا (من جوده) أنه لم يكن لاحد من أصحابه ولد الا من جارية قد

وهبها

وهبها له ولادا را لامين دور أنفق على بنائها ماله وكان القصاد يسمون قبل أيامه بالسؤال فكره هذه التسمية ورأى انها نقص فيهم وقال ان فيهم من له بيت وشرف وعلم وأدب فسماهم بالزوار وكانوا يقصدونه فى المواسم للهناء بها فيكتبون اسماءهم وتعرض عليه فيخص كل واحد منهم على حدته ويسأله عما يمت اليه حتى يعطيه بقدر ماتته ومنزلته * وتقدم اليه رجل فقال له بما ذا تمت فقال والله مالى من ماتة ولا حرمة ولا وسيلة ولكن رغبت اليك بحسن الظن فيك والتيه بكرمك وما بلغنى من جودك فقال ماههنا أحد اولى منك بالعطية فاجزل صلته * ثم سأل آخر فقال حرمتى بالامير أنه جمعنى واياه مسجد بجرجان يوم كذا فى شهر كذا فصلينا فيه فقال حرمة لا تدفع وأمر له بصلة وفيه يقول بشار بن برد

لعمرك قد أجدى على ابن برمك * وما كل من كان الغنى عنده يجدى
حلبت بشعرى راحتيه فدرتا * على كما درّ السحاب على الرعد
أخالد ان الحمد يبقى لاهله * جمالا ولا تبقى الكنوز مع الكد
فأطعم وكل من عارة مستردة * ولا تبقها ان العوارى للرد

(ثم) كان ابنه يحيى سالكا فى سننه آخذا فى الجود بفرائضه وسننه ففيه يقول سلم الخاسر

يا أيها الملك الذى * أضحى وهمته المعالى
أنت المنوه باسمه * عند الملمات الثقال
ثم الذى أمواله * عند المحامد خير مال
لله درك من فتى * مافيك من كرم الخلال
يحيى بن خالد الذى * يعطى الجزيل ولا يبالى
أعطاك قبل سؤاله * وكفاك مكروه السؤال
ملك خلا من ماله * ومن المروأة غير خال
واذا رماك بموعد * كان النوال مع المقال

(وأولاده) سادوا فشادوا ما أسس وجادوا فزادوا المن بما غرس فلهم طارف السخاء وتليده وكهل الثناء ووليده فالفضل فى جوده ونزاهته وجعفر فى بلاغته وفصاحته وموسى فى نجدته وشجاعته ومحمد فى مروأته وبعد همته

وفيهم يقول الشاعر

أولاد يحيى أربع * كالاربع الطبائع
فهم اذا اختبرتهم * طبائع الصنائع

لكن الفضل كان لتلقى العفاة أبسطهم وأمضاهم بالصلة عزيمة وأنشطهم وأمدهم بالانعام يدا لاسيما ان ترنم شاعر بمدحه أوشدا وفيه يقول الخياط المدنى

لمست بكفى كفه أبتغى الغنى * ولم أدر أن الجود من كفه يعدى
فلا انا مما قد أفاد ذوو الغنى * أفدت وأعدانى فاتلفت ماعندى

(وفيهم يقول سلم الخاسر)

سأرسل بيتا قد وسمت جبينه * يقطع أعناق البيوت الشوارد
أقام الندى والجود فى كل بلدة * أقام بها الفضل بن يحيى بن خالد

(وفيهم يقول مروان بن أبى حفصة وجمعهم على النسق)

لك الفضل يافضل بن يحيى بن خالد * وما كل من يدعى بفضل له الفضل
رأى الله فضلا منك فى الناس شائعا * فسماك فضلا فالتقى الاسم والفعل
وزادك فضلا أن أهلك فى الورى * كرام اذا أزرى بذى الشرف الكهل
ولم يبق فيك الجود للبخل موضعا * فأصبح يستعدى على جودك البخل
اذا كذبت اسماء قوم عليهم * فاسمك صديق له شاهد عدل

(وفيه يقول الحسن بن مطير رحمه الله تعالى)

راى الله للفضل بن يحيى فضيلة * ففضله والله بالناس اعلم
له يوم بؤس فيه للناس أبؤس * ويوم نعيم فيه للناس انعم
فيمطر يوم الجود من كفه الندى * ويمطر يوم البؤس من كفه الدم
ولو أن يوم الجود خلى يمينه * على الناس لم يصبح على الارض معدم
ولو أن يوم البؤس خلى شماله * على الناس لم يصبح على الارض مجرم

(وممن فاه ببديع مدحه اللسان من ذوى الانعام والاحسان)

وصف اعرابى رجلا فقال ذاك رجل اشترى عرضه من الاذى فهو وان أعطى الدنيا باسرها رأى بعد ذلك ان عليه حقوقا منها (ومدح) اعرابى قوما بالجود فقال هم الذين جعلوا أموالهم مناديل اعراضهم فالحمد فيهم زائد والجود لهم

شاهد يعطون أموالهم بطيب أنفس اذا طلبت اليهم ويباشرون المكروه باشراق الوجوه اذا بغى عليهم (ومدح) آخر رجلا فقال ما رأيت الرزق أبغض أحدا بغضه (وقالوا) فلان دواء الفقران سئل اعطى وان لم يسئل ابتدأ (وقالوا) فلان يبذل ما جل ويجبر ما اعتل ويكثر ما قل (ومن كلام الثعالبى) فلان يحيي القلوب بلقائه قبل أن يميت العدم بعطائه فلان يوجب الصلات وجوب الصلاة فلان لو أن البحر مدده والسحاب يده والجبال ذهبه لقصرت عما يهبه (وقالوا) فلان له نفس فيحاء لا تضيق بالبذل واذن صماء لا تصغى للعذل (وأما المنظوم فى هذا فكثير) فمن ذلك قول المهلب بن أبي صفرة

قوم اذا نزل الغريب بارضهم * ردوه رب صواهل وقيان
لا ينكتون الارض عند سؤالهم * لتطلب الحاجات بالعيدان
بل يبسطون وجوههم فترى لها * عند السؤال كأحسن الالوان

(آخر)

نزلت على آل المهلب شاتيا * بعيدا عن الاوطان فى زمن محل
فما زال بى اكرامهم وافتقادهم * والطافهم حتى حسبتهم أهلى

(آخر)

لو قيل للعباس عم محمد * قل لا وأنت مخلد ما قالها
ان المكارم لم تزل معقولة * حتى فككت براحتيك عقالها
واذا الكرام تسايروا فى بلدة * كانوا كواكبها وأنت هلالها
ما ان أعد من المكارم خصلة * الا وجدتك عمها وخالها

(الحطيئة)

تزور امرأ يعطى على الحمد ماله * ويعلم أن الشح غير مخلد
كسوب ومتلاف اذا ما القيته * تهلل واهتز اهتزاز المهند
متى تأته تعشو الى ضوء ناره * تجد خير نار عندها خير موقد

(أبو العتاهية)

وانا اذا ما تركنا السؤال * فلم نبغ نائله يبتدينا
وان نحن لم نبغ معروفه * فمعروفه أبدا مبتغينا

وقال مسلم بن الوليد مادحا من أبيات

قبل أنامله فلسن أناملا * لكنهن مفاتح الارزاق
واذكر صنائعه فلسن صنائعا * لكنهن قلائد الاعناق
يلقاك منه ثناؤه وعطاؤه * بذكاء رائحة وطيب مذاق
كالشمس فى كبد السماء محلها * وشعاعها قد شاع فى الآفاق

(مروان بن أبى حفصة)

له سحائب جود فى أناملها * امطارها الفضة البيضاء والذهب
يقول فى العسران ايسرت ثانية * أقصرت عن بعض ما أعطى وما أهب
حتى اذا عاد دن أيام اليسار له * رأيت أمواله فى الناس تنتهب

وما أحسن قول الكميت بن خالد بن عبد الله القسرى

ما أنت فى الجودان عدت فضائله * ولا ابن مامة الا البحر والوشل
أنسيتنا فى الندى أمثال أولنا * فانت للجود فيما بعدنا مثل

(آخر)

فضح الغمام نواله أو ما ترى * ضحك البروق على الغمام الهاطل

(وقال عامر بن الظرب العدوانى مادحا لقومه)

أولئك قوم شيد الله فخرهم * فما فوقه فخر وان عظم الفخر
اناس اذا ما الدهر أظلم وجهه * فأيديهم بيض وأوجههم زهر
يصونون احسابا ومجدا مؤثلا * ببذل أكف دونها المزن والبحر
سموا فى المعالى رتبة فوق رتبة * أحلتهم حيث النعائم والنسر
أضاءت لهم أحسابهم فتضاءلت * لنورهم الشمس المنيرة والبدر
فلو لامس الصخر الاصم أكفهم * لفاض ينابيع الندى ذلك الصخر
شكوت لهم آلاءهم وبلاءهم * وما ضاع معروف يكافئه شكر
ولو كان فى الارض البسيطة منهم * لمختبط عاف لما عرف الفقر

(آخر)

يبيتون فى المشتا خماصا وعندهم * من الزاد فضلات تعد لمن يقرى
اذا ضل عنهم ضيفهم رفعوا له * من النار فى الظلماء ألوية حمرا

(آخر)

سهل الحجاب اذ حللت ببابه * طلق اليدين مؤدب الخدام

واذا رأيت شقيقه وصديقه * لم تدر أيهما أخو الارحام

(وقال محمد بن هانى الاندلسى)

أعطى وأكثر واستقل هباته * فاستحيت الانواء وهى هوامل
فاسم الغمام لديه وهو كنهور * آل واسماء البحار جداول
لم تخل أرض من نداه ولا خلا * من شكر ما يولى لسان قائل

(آخر)

له راحة لو أن معشار جودها * على البر كان البر أندى من البحر
اذا ما أتاه السائلون توقدت * عليه مصابيح الطلاقة والبشر
له فى ذرى المعروف نعمى كأنها * مواقع ماء المزن فى البلد القفر

(آخر)

أصبح أهل الارض زواره * فما له نهب لزواره
كأنما أدر بين الورى * مجارى الارزاق من داره

(بكر بن النطاح)

أقول لمرتاد الندى عند مالك * تمسك بجدوى مالك وصلاته
فتى جعل الدنيا وقاء لعرضه * واسداءه المعروف عند عداته
ولو خذلت أمواله جود كفه * لقاسم من يرجوه شطر حياته
ولو لم يجز فى العمر قسم الطالب * وجاز له الاعطاء من حسناته
لجاد بها من غير كفر لربه * وأشركه فى صومه وصلاته

(آخر)

يا أيها الملك الذى لنواله * ظل تغرس دونه الآمال
أنعمت حتى ليس يقصد قاصد * وبذلت حتى قلت السؤال
وجمعت اشتات المكارم والعلا * فاهنأ وأنت الواهب المفضال

(على بن الجهم فى المتوكل)

يسر مرأى امام عدل * تغرق فى بحره البحار
مؤمل يرتجى ويخشى * كأنه جنة ونار
الملك فيه وفى بنيه * ما دار بالانجم المدار
لازال فى الملك ذا اغتباط * ما طرد الليل والنهار

يداه بالجود ضرتان * عليه كلتاهما تغار
لم تأت منه اليمين شيأ * الا أتت مثله اليسار

(المتنبى)

لولا المشقة ساد الناس كلهم * الجود يفقر والاقدام قتال
تملك الحمد حتى ما لمفتخر * فى الحمد حاء ولاميم ولادال

ومما ينبغى أن يكون لاحقا بما ذكرناه ومتمما للغرض الذى أردناه نوعان لهما فى هذا الموضع لمن تأملهما أحسن موقع

(النوع الاول فى ذم من أتبع الاحسان بالتعديد والامتنان)

قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى (وقال) عليه الصلاة والسلام اياكم والامتنان بالمعروف فانه يبطل الشكر ويمحق الاجر (وقالوا) المنة تهدم الصنيعة (ويقال) تعداد المنة من ضعف المنة ومنه قول عمر رضى الله عنه فى ذم منان شوى أخوك حتى اذا نضج رمد

(شاعر يذم منانا)

أفسدت بالمن ما أوليت من حسن * ليس الجواد اذا أسدى بمنان
المن يهدم ما شيدت من كرم * هل يرغب الحر فى هدم لبنيان

(وقالوا) لا خير فى المعروف اذا أحصى (وقالوا) ما يعد لا يعتد (ويقال) أحسن العطاء موقعا ما لم يشب بمن وينشد فى مثله

أحسن من كل حسن * فى كل وقت وزمن
صنيعة مشكورة * خالية من المنن

(وينسب للامام الشافعى رضى الله عنه)

لا تحملن لمن يمن من الانام عليك منه
واختر لنفسك حظها * واصبر فان الصبر جنه
منن الرجال على القلو * ب أشد من وقع الاسنه

(وقال) بعضهم لاعرابى ان فلانا يزعم أنه كسالك فقال ان المعروف اذا من به كفر واذا ضاق قلبه اتسع لسانه (وقال لقمان) من عدد نعمه محق كرمه (وقالوا) اذا طوقت امرأ جوهر احسانك فلا تجعل المنة به حظ لسانك فينحل معقود نظامه ويصير بدره الى السرار بعد تمامه (وقالوا) خير المعروف

مالم يتقدمه مطل ولم يتبعه من ولقد أحسن قائل هذين البيتين

اذا زرعت جميلا فاسقه غدقا * من المكارم كى ينمو لك الشجر
ولا تشبه بمن فالذى نقلوا * من عادة المن أن يؤذى به الثمر

(ويقال) عليك حق لمن أجريت عليه المعروف أن تستره ولا تظهره وتقدمه ولا تؤخره وتستقلله ولا تستكثره ولا تتبعه منا ولا تبطله باذى (وقال) موسى شهوان يمدح حمزة بن عبد الله بن الزبير بترك المن

حمزة المبتاع بالمال الثناء * ويرى فى بيعه أن قد غبن
واذا أعطى عطاء مفضلا * ذا اخاء لم يكدره بمن

(وقال) ابراهيم بن العباس الصولى مفتخرا بترك المن

أفرق بين معروفى ومنى * وأجمع بين مالى والحقوق

(وكان يقال) الايادى ثلاثة يد بيضاء ويد خضراء ويد سوداء فاليد البيضاء لابتداء بالمعروف والخضراء المكافأة عليه والسوداء المن به

(شاعر)

أراك تؤمل حسن الثناء * ولم يرزق الله ذاك البخيلا
وكيف يسود أخا فطنة * يمن كثيرا ويعطى قليلا

(ومن أظرف الحكايات) وألطف الفكاهات ما يحكى أن الاشعث بن قيس قال لرجل أسدى اليه معروفا فلم يشكره عليه ما شكرت معروفى عندك فقال الرجل ان معروفك كان من غير محتسب فوقع عند غير شاكر * وليم بعضهم على منه بمعروف اسداه فقال اذا كفرت النعمة وجبت المنة * وليم آخر فقال اذا جحد الاحسان وجب الامتنان

النوع الثانى

فى أن من تمام المعروف ترك المطل به واعانة المستجدى على حصول مطلبه

قال جعفر الصادق نظرت الى المعروف فوجدته لا يتم الا بثلاث تعجيله وستره وتصغيره فانك اذا عجلته هنأته واذا سترته تممته واذا صغرته عظمته مدح بعضهم من هذه خلته فقال

زاد معروفك عندى عظما * انه عندك مستور حقير
تتناساه كأن لم تأته * وهو عند الناس مشكور كثير

(آخر)

أمت ذكر معروف تريد حياته * فاحياؤه حقا اماتة ذكره
وصغره يعظم فى النفوس محله * فتصغيره فى الناس تعظيم قدره

(وقال) عمرو بن العاص ما استبطأنى صاحب حاجة قط لانى لا أعد شيأ قط حتى أعدله نجازا ولا امنع شيأ حتى أعده عذرا (ويقال) اياك والمطل بالمعروف فانه مفسدة للمروأة مهدمة للصنيعة ممحقة للشكر داعية للذم * شاعر

ياصانع المعروف لاتمطلن * يزداد ذو الحاجة فى حاجته
فشر معروفك ممطوله * وخيره ما كان فى ساعته
لكل خير يرتجى آفة * ومطلك المعروف من آفته

وسأل رجل رجلا فاعتذر اليه وعجل صرفه فقال أصبت فى الشكر من حيث أخطأت فى الرد لانك صرفتنى وفى الزاد بقية وفى النفس رمق وفى الوجه بقية ماء الحياة * شاعر

جود الكرام اذا ما كان عن عدة * وقد تأخر لم يسلم من الكدر
ان السحائب لاتجدى بوارقها * نفعا اذا هى لم تمطر على الاثر
وماطل الوعد مذموم وان سمحت * يداه من بعد طول المطل بالبدر

(آخر)

كم جزيل من النوال أتانى * بعد مطل وكان غير جزيل
أى فرق بين الكريم اذا استبطأت معروفه وبين البخيل

(آخر)

رأيت المطل ميدانا طويلا * يروض طباعه فيه البخيل
يراود عن جداه نفس سوء * يرى أن الندى حمل ثقيل

(اخر)

تعجيل جود المرء أكرومة * ينشر عنه أطيب الذكر
والحر لايمطل معروفه * ولايليق المطل بالحر

(وقالوا) المنع بالعذر الجميل خير من المطل الطويل (وقالوا) المطل مرض المعروف والانجاز برؤه والمنع تلفه (وقالوا) المسؤل حر حتى يعد ومسترق بالوعد حتى ينجز (وقالوا) من مروأة المطلوب اليه أن لايلجئ الى الالحاح

عليه (وقالوا) الاسراع بالرد خير من الابطاء بالوعد (أبو تمام)

وخير عداة المرء مختصراتها * كما أن خير الليالى قصارها
وان الليالى الصالحات كبارها * اذا وقعت تحت المطال صغارها
وما العرف بالتسويف الا كخلة * تسليت عنها حين شط مزارها

(آخر)

اذا قلت فى شئ نعم فاتمه * فان نعم دين على الحر واجب
والا فقل لا واسترح وأرح بها * لكيلا يقول الناس انك كاذب

(وقالوا) لولا أن انجاز الوعد فضيلة معدومة فى أكثر الناس لما وصف الله سبحانه وتعالى نبيه اسمعيل بصدق الوعد (شاعر)

ان الحوائج ربما أودى بها * متطلب يقضى له ممطولها
فاذا قصدت لطالب لك حاجة * فاعلم بأن تمامها تعجيلها

الفصل الثانى من الباب التاسع
فى منح الاماجد الاجواد وملح الوافدين والقصاد

(مما يجب أن يقدم فيما عمناه تلطف الراغب لينال ما تمناه)

(يقال) التلطف فى السؤال سبب لتحصيل النوال (وقالت) الحكماء لطف الاستماح سبب النجاح (وقال العتابى) اذا طلبت حاجة الى ذى سلطان فاجمل فى الطلب اليه واياك والالحاح عليه فان الحاحه تكلم عرضك وتريق ماء وجهك فلا تأخذ عوضا مما أخذ منك ولعل الالحاح يجمع عليك أخلاق الوقاح وحرمان النجاح ولقد أحسن الادب القائل

واذا طلبت الى كريم حاجة * فلقاؤه يكفيك والتسليم
فاذا رآك مسلما عرف الذى * حملته فكأنه ملزوم

(نقض بعضهم هذا بقوله)

حث الجواد على الندى وتقاضه * بالوعد واحمله على الانجاز
ودع الوثوق بطبعه فلربما * نشط الجواد بشوكة المهماز

(وقال بعضهم مقيما عذر من منع)

واذا طلبت الى كريم حاجة * فأبى فلا تقعد عليه بحاجب
فلربما ضن الجواد وما به * بخل ولكن سوء حظ الطالب

(فمن أحاسن بدائع ماتلطف به من استماح من الكلام الخادع لذوى السماح)

ماحكى أن زياد بن أبيه نظر الى اعرابى يأكل على مائدته أكلاذريعا وهو من أقبح الناس وجها فقال يا أعرابى كم عيالك قال سبع بنات انا أجمل منهن وهن آكل منى فضحك زياد وقال لله درك ما ألطف جوابك افرضوا لكل واحدة منهن مائة دينار وعجلوا لهن ذلك وقد روى الاصمعى هذه الحكاية وذكر أنها جرت لسعيد بن الحسن مع زياد وأنه لما وصله ووصل أولاده خرج وهو ينشد

اذا كنت مرتادا السماحة والندى * فبادر زيادا أوأخا لزياد
يجبك امرؤ يعطى على الحمد ماله * اذا ضن بالمعروف كل جواد
ومالى لا أثنى عليـــه وانما * طريفى من معروفه وتلادى

(وحكى) أن نصيبا قال لعبد الملك بن مروان يا أمير المؤمنين ان لى بنات نفضت عليهن من سوادى فضحك منه وأمر له بصلة (وقال) المأمون للعتابى سلنى فقال يدك بالنوال انطق من لسانى بالسؤال (وقصد) بعض الشعراء معن بن زائدة الشيبانى يستجديه فاذن عليه فلم يأذن له الحاجب وكان معن فى بستان له فعمد الشاعر الى قطعة خشب وكتب عليها

أياجود معن ناج معنا بحاجتى * فمالى الى معن سواك رسول

وأرسلها فى ساقية تصل اليه فلما وصلت اليه وقرأها اذن له ووصله بعشرة آلاف درهم (وأمر) المأمون محمد بن حازم أن يرتجل بيتين من الشعر فقال

أنت سماء ويدى أرضها * والارض قد تأمل غيث السماء
فازرع يدا عندى محمودة * تحصد بها منى حسن الثناء

فاستحسن ذلك منه وأعطاه عشرة آلاف درهم (سأل) اعرابى عبد الملك ابن مروان فقال له سل الله تعالى فقال قد سألته فاحالنى عليك فضحك منه وأعطاه (وقدم) على مخلد بن يزيد بن المهلب رجل كان قد ازدراه فأجازه فقال ألم تكن قد أتيتنا فاجزناك قال بلى قال فمارد لك قال قول الكميت فيك

سألناه الجزيل فما تلكى * واعطى فوق منيتنا وزادا
وأحسن ثم أحسن ثم عدنا * فأحسن ثم أحسن ثم عادا
مرارا لا أعود اليه الا * تبسم ضاحكا وثنى الوسادا

فاضعف له ما كان اعطاه وقد نسب ابن عبدوس هذه الابيات لزياد بن عمرو

العتكى فى عبد الرحمن بن زياد فى كتاب الوزراء له (ودخل) اعرابى على خالد ابن عبد الله القسرى فقال

أخالد انى لم ازرك لحاجة * سوى انى عاف وأنت جواد
أخالد بين الحمد والاجر حاجتى * فأيهما تأتى فأنت عماد

فقال له خالد سل حاجتك قال مائة ألف درهم قال خالد أسرفت فاحطط منها قال حططتك ألفا فقال خالد ما أعجب ما سألت وما حططت فقال لا يعجب الامير سألته على قدره وحططته على قدرى فضحك منه وأمر له بما طلب (وسأل رجل) أسد بن عبد الله فقال انى لا أسألك من حاجة ولكنى رأيتك تحب من أعطيت فاحببت أن تحبنى فاعطاه عشرة آلاف درهم (وقصد) تمام بن حبيب ابن أوس الطائى عبد الله بن طاهر بعد موت أبيه أبى تمام فاستنشده فانشده

حياك رب الناس حياكا * اذ بجمال الوجه رواكا
بغداد من نورك قد أشرقت * وأورق العود بجدواكا

فأطرق عبد الله ساعة ثم قال

حياك رب الناس حياكا * ان الذى أملت أخطاكا
أتيت شخصا قد خلا كيسه * ولو حوى شيأ لأعطاكا

فقال أيها الامير ان بيع الشعر بالشعر ربا فاجعل بينهما فضلا من المال فضحك منه وقال لئن فاتك شعر ابيك فما فاتك ظرفه وأمر له بصلة (وقف رجل) لعبد الله بن طاهر فى طريقه فناشده أن يقف له حتى ينشده ثلاثة أبيات فوقف وقال له قل فانشده

اذا قيل أى فتى تعلمون * أهش الى البائس والنائل
واضرب للهام يوم الوغى * واطعم فى الزمن الماحل
أشار اليك جميع الانام * اشارة غرقى الى الساحل

فأمر له بخمسين ألف درهم (وكتب) أحمد بن أبى طاهر الى اسمعيل بن بلبل رقعة يذكر فيها اختلال حاله وفى آخر الرقعة

يا سيدا لم يزل * غيثا لكل مؤمليه
ان كنت أملك درهما * فكفرت بالمنقوش فيه

فبعث اليه بثلاثة آلاف دينار (حكى) أن أعرابيا وفد على معن بن زائدة

فلما مثل بين يديه قال ممن الرجل قال رجل من العرب وهم أصلك وقومك فلا تشغلني بالسؤال عما هم فيه من سوء الحال قال فما حاجتك قال نأى بلدي وكثرة ولدي وضعف جلدي وقلة ذات يدي فأتيتك يا مغيث اللهيف وجابر الضعيف آملا لجودك راجيا لزودك قال فهل من قرابة تمت بها أو يد تتوسل بمثلها قال أنت أفضل من أن يبتدئ مثلي بدا الى مثلك أو يتوسل اليك بغير فضلك أو تتعمل الحيل عليك بذلك وقد قلت في ذلك شعرا قال هاته فانشد

أباجود معن ناج معنا بحاجتي * فمالي الى معن سوى الشفيع

قال اذا لا أشفعه فيك فقال الاعرابي ما أنت بالبخيل فاوجه الذم اليك ولا أوليت ما يحسن ثنائي عليك ثم انصرف وهو يقول

بأي الخصلتين عليك أثني * فاني عند منصرفي سؤل
أبالحسنى وليس لها ضياء * على فمن يصدق ما أقول
أم الاخرى تكون فتلك عار * على من دأبه الفعل الجميل

فرق له وأجزل صلته (وفد) على أبي دلف قاسم بن عيسى العجلي مستجديا فاقام ببابه مدة لا يصل اليه فكتب في رقعة هذه الابيات

ماذا أقول اذا أتيت معاشرا * صفرا يدي من عند أروع مفضل
ان قلت اعطاني كذبت وان أقل * ضن الجواد بماله لم يجمل
أم ما أقول اذا سئلت وقيل لي * ماذا أفدت من الامير المجزل
ولانت أعلم بالمكارم والعلا * من أن أقول فعلت ما لم تفعل
فاختر لنفسك ما أقول فانني * لابد أعلمهم وان لم أسأل

ودفعها فلما وقف عليها أبو دلف أمر له عن كل يوم اقامه ألف درهم وكتب خلف الرقعة

أعجلتنا فاتاك عاجل برنا * نزرا ولو أمهلتنا لم نقلل
فخذ القليل وكن كانك لم تسل * ونكون نحن كاننا لم نسأل

(ويحكى) ان أبا دلامة دخل على المنصور فانشده

باتت تعاتبني من بعد رقدتها * أم الدلامة لما هاجها الجزع
وقالت ابتع لنا نخلا ومزدرعا * كما لجيراننا نخل ومزدرع
خادع خليفتنا عنها بمسئلة * ان الخليفة للسؤال ينخدع

فأمر أن يقطع ألف جريب عامرة وألف جريب غامرة فقال أبو دلامة أما العامرة فقد عرفته فما الغامرة قال مالا يدركه الماء ولا يسقى الا بالكلفة والمؤنة فقال أبو دلامة أشهدك يا أمير المؤمنين ومن حضر أنى أقطعت عبد الملك بادية بنى أسد فضحك المنصور وقال يا عبد الملك اكتب عامرة فقال أبو دلامة للمنصور ائذن لى فى تقبيل يدك فلم يفعل فقال ما منعتنى شيأ هو أهون على عيالى من هذا (وكان) المنصور يدخل البصرة فى أيام بنى أمية متسترا فيجلس فى حلقة أزهر السمان المحدث فلما أفضت الخلافة اليه قدم عليه ازهر الكوفة فرحب به وقرب منزله وقال له ما الذى أقدمك علينا قال جئت طالبا فأمر له بعشرة آلاف درهم وقال له قد قضيت حاجتك فاخذها وانصرف ثم عاد اليه فى قابل فلما رآه قال له ما جاءبك قال جئت مسلما فاعطاه عشرة آلاف درهم وقال لا تأتنا طالبا ولا مسلما فاخذها وانصرف ثم رجع اليه بعد عام فقال له ما الذى أقدمك علينا قال عائدا فوصله بعشرة آلاف درهم وقال لا تأتنا طالبا ولا مسلما ولا عائدا فأخذها وانصرف ثم عاد بعد سنة فلما رآه قال له ما الذى أتى بك قال دعاء كنت سمعته من أمير المؤمنين جئت لاكتبه فضحك المنصور وقال انه غير مستجاب لانى دعوت الله به أن لا يرينى وجهك فلم يستجب لى وقد أمر نالك بعشرة آلاف درهم وتعال متى أردت فقد أعيتنا فيك الحيلة وكان المنصور مبخلا جدا وسنذكر شيأ من اخباره فى باب البخلاء ان شاء الله تعالى (وقصد) الحكم بن عبدك الشاعر اسماء بن خارجة فانشده

أغفيت قبل الصبح نوم مسهد * فى ساعة ما كنت قبل أنامها
فرأيت أنك رعتنى بوليدة * مغناجة حسن لدى قيامها
وببدرة حملت الى وبغلة * شهباء ناجية تصك لجامها
فسألت ربى أن يثيبك جنة * عوضا يصيبك بردها وسلامها

فقال له أصبت كل شئ رأيته عندنا الا البغلة فانها دهماء فقال أذكرتنى أيها الامير فانى ما رأيتها الا دهماء فضحك منه اسماء وأمر له بكل ما سأل (وحكى) أبو الفرج الاصفهانى أن هذه الحكاية جرت لابن عبدك مع بشر بن مروان أخى عبد الملك والله أعلم بالصحيح من ذلك (ودخلت) امرأة من هوازن على عبيد الله بن أبى بكرة فوقفت بين السماطين وجعلت تلحظه وجهها مرة وتستره

أخرى فلما أبصرها علم أن لها حاجة فقال لجلسائه ما عليكم أن تقوموا حتى تقول هذه المرأة حاجتها فتقدمت وقالت اصلح الله الامير انى اتيتك من أرض شاسعة ترفعني رافعة وتخفضني واضعه لملمات قد اكلن لحمى وبرين عظمى وتركنني اغص بالجريض فضاق بى من البلد العريض وقد جئت بلدا لا أعرف فيها أحدا لا قرابة تكنفني ولا عشيرة تعرفنى بعد أن سألت أحياء العرب من المرجو نائله المعطى سائله فارسلت اليك ودللت عليك وانا أصلحك الله امرأة قد هلك عنها الوالد وذهب عنها الطارف والتالد ومثلك يسد الخلة ويزيح العلة فاما أن تحسن صفدى وتقيم أودى واما أن تردنى الى بلدى فقال بل أجمع لك كل ما ذكرت ثم أمر لها بعشرة آلاف درهم وزاد وكسوة وراحلة (أصاب) الناس مجاعة على عهد هشام بن عبد الملك فدخل عليه درواس بن حبيب العجلى مع جماعة من قومه فقال يا أمير المؤمنين تتابعت علينا وعلى الناس سنون ثلاثة اما الاولى فأكلت اللحم واما الثانية فاذابت الشحم واما الثالثة فمصت العظم وفى ايديكم فضول أموال فان تكن لله فاعطفوا بها على عباده وان تكن لهم فعلام تحبسونها عنهم وتنفقونها اسرافا وبدارا والله لا يحب المسرفين وان تكن لكم فتصدقوا بها عليهم ان الله يجزى المتصدقين ولا يضيع أجر المحسنين فقال هشام لله أبوك ما تركت لنا واحدة من ثلاث وأمر بمائة ألف فقسمت فى الناس وأمر لدرواس بمائة ألف درهم فقال يا أمير المؤمنين لكل واحد من المسلمين مثلها قال لا ولا يقوم بذلك بيت المال قال فلا حاجة لى بما يبعث على ذمك فالزمه بها فلما عاد الى منزله قسم تسعين ألفا فى أحياء العرب وحبس عشرة آلاف له ولقومه فبلغ ذلك هشاما فقال لله دره ان الصنيعة عند مثله تبعث على مكارم الاخلاق * ومثلها ما يحكى أن عبد الملك بن مروان حبس عن الناس العطاء فدخل عليه اعرابى فقال يا أبا الوليد بلغنى أن عندك مالا فان كان لله فاقسمه على عباده وان يكن لك فتفضل به عليهم وان يكن لهم فادفع اليهم أموالهم وان يكن بينك و بينهم فقد اسأت شركتهم ثم ولى فقال عبد الملك اطلبوا الرجل فطلبوه فلم يقدر عليه فأمر للناس باعطياتهم

(وممن أبرع من القصاد فى المدح واجاد فاستحق به الصلة ممن سمح وجاد)

دخل النابغة على النعمان بن المنذر بن ماء السما بن امرئ القيس بن عمرو

ابن

ابن عدى اللخمى فحياه تحية الملوك ثم قال ايفاخرك ذو فائش وانت سائس العرب وغرة الحسب واللات لأمسك أيمن من يومه ولعبدك أكرم من قومه ولقفاك أحسن من وجهه وليسارك أجود من يمينه ولظنك أصدق من يقينه ولوعدك أبلج من رفده ولخالك أشرف من جده ولنفسك امنع من جنده وليومك أزهر من دهره ولفترك أبسط من شبره ثم أنشد

أخلاق مجدك جلت مالها خطر * فى البأس والجود بين الحلم والخفر

متوج بالمعالى فوق مفرقه * وفى الوغى ضيغم فى صورة القمر

اذا دجا الخطب جلاه بصارمه * كما يجلى زمان المحل بالمطر

فتهلل وجه النعمان سرورا ثم أمر أن يحشى فوه درًّا ويكسى أثواب الرضا وهى جباب أطواقها الذهب فى قضب الزمرذ ثم قال النعمان هكذا فلتمدح الملوك وذو فائش المذكور هو سلامة بن يزيد بن سلامة من ولد يحصب بن مالك وكان النابغة متصلا به قبل اتصاله بالنعمان وله فيه مدائح كثيرة مذكورة فى ديوانه وفائش مشتق من المفايشة وهى المفاخرة قاله الاصمعى فى اشتقاقه (ودخل) أبو العتاهية اسمعيل بن قاسم بن سويد العنبرى العتبى على عمرو ابن العلاء مولى عمرو بن حريث الذى يقول فيه بشار بن برد من أبيات

اذا أرقتك جسام الامور * فنبه لها عمرا ثم نم

فتى لايبيت على دمنة * ولايشرب الماء الابدم

فانشده أبياتا يقول منها

انى أمنت من الزمان وريبه * لما علقت من الامير حبالا

لويستطيع الناس من اجلاله * لحذواله حرّ الوجوه نعالا

ان المطايا تشتكيك لانها * قطعت اليك سباسبا ورمالا

فاذا أتين بنا أتين مخفة * واذا رجعن بنا رجعن ثقالا

فأمر عمرو من حضر مجلسه أن يخلعوا عليه فخلعوا عليه حتى لم يقدر على النهوض لما عليه من الثياب فلما خرج حسده من كان ببابه من الشعراء فبلغ عمرا الخبر فقال علىّ بهم فلما دخلوا عليه ومثلوا بين يديه قال لهم ما أحسد بعضكم لبعض يامعشر الشعراء ان أحدكم يريد مدحنا فينسب فى قصيدته بخمسين بيتا فما يبلغ مدحنا حتى تذهب حلاوة شعره وتعرى طلاوة رونقه

وأبو العتاهية بدأ بذكرنا وختم بمدحنا ثم أرسل الى أبي العتاهية ان أقم حتى أنظر في أمرك فأقام اياما فلم يرشيأ وكان عمرو ينتظر مالا يجيء اليه من بعض أعماله فابطأ عليه فكتب اليه أبو العتاهية هذه الابيات

يا ابن العلاء ويا ابن القرم مرداس * انى مدحتك فى صحبى وجلاسى
اثنى عليك ولى حال تكذبنى * فيما أقول فاستحيى من الناس
حتى اذا قيل ما أعطاك من صفد * طأطأت من سوء حال عندها راسى

فقال عمرو لحاجبه اكففه عني اياما ففعل فلما طال على أبي العتاهية الانتظار كتب اليه يستحثه

أصابت علينا جودك العين يا عمرو * فنحن لها نبغى التمائم والنشر
اصابتك عين من سخائك صلبة * ويا رب عين صلبة تفلق الحجر
سنرقيك بالاشعار حتى تملها * وان لم تفق منها رقيناك بالسور

فضحك عمرو وقال لصاحب بيت ماله كم عندك قال سبعون ألفا قال ادفعها له واعذرنى عنده ولا تدخله على فانى استحى منه (ولقد) أحسن ابن الرومى فى مدح من رأى انه قصر فى عطائه فاعتذر منه

يعطى عطاء المحسن الخضل الندى * عفوا ويعتذر اعتذار المذنب

(وما وقفت) فيما طالعت من كتب الادب على أحسن من قول القائل معتذرا من تقصيره فى معروف أسداه

لو انبسطت فيما تؤمله يدى * لجدت به عفوا ولو أنه الدنيا
ولكننى والله والذى * اليه الحجيج يقطعون الفلا سعيا
طويت هموما لو أصيب ببعضها * يد الدهر ما استطاعت لايسر هاطيا
خذ العفو واعذر صاحبا لو بنفسه * يبر وبالدنيا غلامك لاستحيا

(آخر)

خل اذا جئته يوما لتسأله * اعطاك ما ملكت كفاه واعتذرا
يخفى صنائعه والله يظهرها * ان الجميل اذا أخفيته ظهرا

(وحكى) جحظة البرمكى قال أنشد مقدس الخلوقى طاهر بن الحسين بن مصعب ابن زريق مولى طلحة الطلحات الخزاعى فمدحه فلم يثبه وتغافل عنه حتى ركب فى حراقته فعارضه وقال له بحق رأس أمير المؤمنين الا سمعت منى ثلاثة ابيات

فأمر بايقاف الحراقة وقال هات الابيات فانشده

عجبت لحراقة بن الحسين * كيف تسير ولا تغرق
وبحران من فوقها واحد * وآخر من تحتها مطبق
وأعجب من ذاك عيدانها * اذا مسها كيف لا تورق

فأمر له عن كل بيت بألف دينار (وكان) طاهر بن الحسين من الاجواد ذكر انه جلس في مجلسه يوما فنظر في قصص ورقاع فوقع عليها بصلات أحصيت فكانت ألف ألف درهم (ركب الرشيد) في بعض اسفاره ناقة فطلع عليه اعرابي فناشده

اغيثا تحمل الناقة * أم تحمل هرونا
أم الشمس أم البدر * أم الدنيا أم الدينا
الا كل الذي قلته * قد أصبح مأمونا

فأمر له بعشرة آلاف درهم (قام رجل) بين يدي خالد بن عبد الله القسري فقال أصلح الله الامير قد قلت فيك بيتين ولست أنشدهما حتى تعطيني قيمتهما قال وكم قيمتهما قال عشرون ألفا قال انشدهما فأنشد

قد كان آدم قبل حين وفاته * أوصاك حين تجود بالحوباء
ببنيه أن ترعاهم فرعيتهم * فكفيت آدم عيلة الأبناء

فأمر له بعشرين ألفا وان يجلد خمسين سوطا وان ينادى عليه هذا جزاء من لا يحسن قيمة الشعر (وقف اعرابي) لمعن بن زائدة في طريقه فأنشده

يا واحد العرب الذي * أضحى وليس له نظير
لو كان مثلك في الورى * ما كان في الدنيا فقير

فامر له بألفي درهم (ومن حكاياته) أن رجلا قال له اني جعلت فضلك سببي اليك وكرمك وسيلتي عندك قال سل قال ألف درهم قال معن قد أربحتني أربعة آلاف درهم واني حدثت نفسي ان أعطيك خمسة آلاف فقال أنت أكبر من أن تربح على مؤملك فأعطاه خمسة آلاف درهم (وأنشد اعرابي)

كتبت نعم ببابك حين تدعو * اليك الناس مسفرة النقاب
وقلت الاعليك بباب غيري * فانك لن ترى أبدا ببابي

فأعطاه ألف دينار (وحدث بعضهم) قال كنا مع يزيد بن مزيد فاذا بصائح

فى الليل يايزيد بن مزيد فقال على بهذا الصائح فلما جىء به قال له ما حملك على أن ناديت بهذا الاسم فقال نقبت دابتى ونفدت نفقتى وسمعت قول الشاعر فتمنيت به فقال له وما قال الشاعر فأنشد

اذا قيل من للمجد والجود والندى * فنادِ بصوت يايزيد بن مزيد

فلما سمع مقاله هش له وقال له أتعرف يزيد بن مزيد قال لا والله قال انا هو وأمر له بفرس أبلق كان معجبا به وبمائة (قام اعرابى) بين يدى داود بن المهلب وقال انى قد مدحتك فاسمع قال على رسلك ثم دخل بيته فتقلد سيفه وخرج ثم قال قل فان أحسنت حملناك وان أسأت قتلناك فأنشد

أمنت بداود وجود يمينه * من الحدث المخشى والبوس والفقر

وأصبحت لا أخشى بداود كبوة * من الدهر لما أن شددت به أزرى

له حكم داود وصورة يوسف * وملك سليمان وعدل أبى بكر

فتى تفرق الاموال من جود كفه * كما يفرق السلطان من ليلة القدر

فقال له قد حملناك فان شئت على قدرنا وان شئت على قدرك قال بل على قدرى فأعطاه خمسين فقال له جلساؤه هلا احتكمت على قدر الامير قال لم يكن فى ماله ما يفى بقدره فقال له داود انت فى هذا أشعر منك فى شعرك وأمر له بمثل ما أعطاه (وفد رجل) على بعض الامراء فسأله حاجة فقضاها ثم سأله أخرى فقضاها حتى قضى له سبع حاجات فلما خرج من عنده قيل له ما فعل بك قال ما أدرى ثم قال

لكن أخبركم عنه بنادرة * لم يأتها قبله عرب ولا عجم

قرا عليه كتابا منه كاتبه * الى أخ وجبت منه له ذمم

حتى اذا ما مضت لا فى رسالته * قال اسمع ثم لا يعضى بك الصمم

لا تكتبن بلا فيها الى أحد * شق الكتاب ومر فليكسر القلم

(وفد أعرابى) على مالك بن طوق وكان زرى الحال رث الهيئة فمنع من الدخول اليه فأقام بالرحبة اياما فخرج مالك ذات يوم يريد النزهة حول الرحبة فعارضه الاعرابى فمنعه الشرطة ازدراء به فلم ينثن عنه حتى اخذ بعنان فرسه ثم قال أيها الامير انا عائذ بك من شرطك فنهاهم عنه وأبعدهم منه ثم قال له هل من حاجة قال نعم أصلح الله الامير قال وما هى قال أن تصغى الى بسمعك وتنظر الى

بطرفك وتقبل على بوجهك قال نعم فانشده

يبابك دون الناس أنزلت حاجتى * وأقبلت اسعى نحوه وأطوف
ويمنعنى الحجاب والليل مسبل * وأنت بعيد والرجال صفوف
يطوفون حولى بالقلوس كأنهم * ذئاب جياع بينهن خروف
فاما وقد أبصرت وجهك مقبلا * وأصرف عنه انى لضعيف
ومالى من الدنيا سواك ومالمن * تركت ورائى مربع ومصيف
وقد علم الحيان قيس وخندف * ومن هو فيها نازل وحليف
تخطيت اعناق الملوك ورحلتى * اليك وقد أخنت على صروف
فجئتك ابغى الخير منك فهزنى * ببابك من ضرب العبيد صنوف
فلا تجعلن لى نحو بابك عودة * فقلبى من ضرب العبيد مخوف

فاستضحك مالك حتى كاد يسقط عن فرسه ثم قال لمن حوله من يعطيه درهما بدرهمين وثوبا بثوبين فنثرت الدراهم ووقعت الثياب عليه من كل جانب حتى تحير الاعرابى واختلط عقله لكثرة ما اعطى فقال هل بقيت لك حاجة يا أعرابى قال أما اليك فلا قال فالى من قال الى الله أن يبقيك للعرب فانها لاتزال بخير مابقيت لها (وحكى) أبو بكر الماردانى قال كنت أساير الامير أبا الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون وكان قد خرج الى الصيد بدمشق اذ تلقاه اعرابى فأخذ بعنان فرسه وقال

ان السنان وحد السيف لو نطقا * لأخبرا عنك فى الهيجاء بالعجب
أقبلت مالك تعطيه وتنهبه * يا آفة الفضة البيضاء والذهب

فقال يا غلام اعطه مامعك فأعطاه خمسمائة دينار فقال يا أمير المؤمنين زدنى فقال لمن معه من غلمانه اطرحوا اليه مامعكم من المناطق والسيوف فحصل له منهم ماعجز عن حمله (وقال) علقمة بن عبد الرزاق العليمى قصدت بدرا الجمالى بمصر فرأيت اشراف الناس وكبراءهم وشعراءهم قد طال مقامهم على بابه ولم يؤذن لاحد منهم فبينما هم جلوس اذ خرج يريد الصيد فأقمت حتى رجع من صيده فلما قارب دخول البلد خرجت اليه ووقفت على نشز عال من الارض وأومأت اليه برقعة فوقف فأنشدته

نحن التجار وهذه اعلاقنا * در وجود يمينك المبتاع

قلد وفتشها بسمعك انما * هي جوهر تختاره الاسماع
كسدت علينا بالشآم وكلما * كسد المتاع تعطل الصناع
فأتتك تحملها اليك تجارها * ومطيها الآمال والاطماع
حتى أناخوا نحو بابك والرجا * من دونك السمسار والبياع
فبذلت مالم يعطه في دهره * هرم ولا كعب ولا القعقاع
وطلبت هذا الخلق في طلب العلى * والناس بعدك كلهم اتباع

فلما فرغت من انشادها سار قليلا ثم وقف فاستعادها مني فلما دخل داره واستقر به الجلوس استدعاني فأعدتها فقال لمن كان عنده من خواصه وغلمانه واتباعه من أحبني فليخلع عليه فخلع علي مائة خلعة ووصلني بعشرة آلاف درهم (وحبس) الحجاج بن يوسف يزيد بن المهلب لباق عليه كان بخراسان وأقسم ليستأدينه كل يوم مائة ألف درهم فبينما هو قد جباها له ذات يوم اذ دخل عليه الاخطل فانشده

أيا خالدا ضاقت خراسان بعدكم * وقال ذووا الحاجات أين يزيد
وماقطرت بالشرق بعدك قطرة * ولا اخضر بالمرين بعدك عود
ومالسرير بعد بعدك بهجة * ومالجواد بعد جودك جود

فقال ياغلام اعطه المائة ألف درهم فانا اصبر على عذاب الحجاج ولا نخيب الاخطل فبلغت الحجاج فقال لله در يزيد لو كان تاركا للسخاء يوما لتركه اليوم وهو يتوقع الموت (ومن أخبار يزيد) أن الفرزدق دخل عليه وهو محبوس فلما رآه مقيدا قال له

أصبح في قيدك السماحة والـ * ـجود وحمل الديات والحسب
لابطران ترادفت نعم * وصابر في البلاء محتسب

فقال له يزيد ويحك ما أردت بمدحي وانا على هذه الحالة فقال الفرزدق وجدتك رخيصا فأحببت ان أسلفك بضاعتي فرمى اليه بخاتم كان في اصبعه قيمته ألف دينار وقال هو ربحك امسكه الى أن يأتيك رأس المال (ودخل) جعيفران واسمه جعفر بن علي كركرى على أبي دلف فأنشده

ياأكرم الامة موجودا * ويا أعز الناس مفقودا
لما سألت الناس عن سيد * أصبح بين الناس محمودا

قالوا

قالوا جميعا انه قاسم * أشبه آباء له صيدا
لو عبد الناس سوى ربهم * لكنت فى العالم معبودا

فقال له أحسنت يا غلام أعطه ألف درهم فقال أيها الامير وما أصنع بها مر الغلام يأخذها و يعطينى منها كل يوم عشرة دراهم الى أن تنفد فقال أبو دلف أعطوه الالف ومتى جاءكم أعطوه ما سأل فاكب جعيفران على يده يقبلها وقال

يموت هذا الذى أراه * وكل شئ له نفاد
لو أن خلقا له خلود * عمر ذا المفضل الجواد

(المختار من غرر نوعى الكلام فى استنجاز ما تأخر من صلات الكرام)

(يحكى) أن الاحنف بن قيس قدم على معاوية فأقام شهرا لا يسأله فيما جاء فقال يا أمير المؤمنين انك ترعينى مرعى وبيلا وتوردنى ظمأ طويلا أفيأس ورواح أم حبس ونجاح فقضى حاجته (ووقف) اعرابى على رجل يستجديه فقال انى امتطيت اليك الرجاء وسرت على الامل ووفدت بالشكر وتوسلت بحسن الظن فحقق الامل وأحسن المثوبة وأقم الاود وعجل السراح

(وقال بعض الشعراء يستنجز)

جعلت فداك قد وجب الزمام * وقد طال التلبث والمقام
وقد أزف الرحيل الى بلادى * فرأيك لا عدمتك والسلام

(المتنبى)

لقد نظرتك حتى حان مرتحلى * وذا الوداع فكن أهلا لما شئتا

(وكتب آخر يستجدى) بنا الى معروفك حاجة ولك على صلتنا قوة فانظر فى ذلك بما أنت له أهل ونحن له أهل (وطلب العتابى) من صديق له حاجة فقضى له نصفها ومطله بباقيها فكتب اليه

بسطت لسانى ثم أمسكت نصفه * فنصف لسانى بامتداحك مطلق
فان أنت لم تنجز عداتى تركتنى * وباقى لسان الشكر باليأس مطلق

(وقال أبو تمام حبيب بن أوس الطائى)

ان ابتدا المعروف مجد باسق * والمجد كل المجد فى استتمامه
هذا الهلال يروق ابصار الورى * حسنا وليس كحسنه لتمامه

(وكتب بعضهم يستنجز) حقيق على من أزهر بقول ان يثمر بفعل والسلام

(وفد) بشار بن برد على يحيى بن خالد فامتدحه فوعده خالد ومطله فتصدى له في طريقه وهو يريد الجامع وأخذ بعنان بغلته وأنشد

أظلت علينا منك يوما سحابة * أضاء لها برق وابطا رشاشها
فلا غيمها يجلى فييأس طامع * ولا غيثها يهمى فتروى عطاشها

فقال لن تنصرف السحابة حتى تبلك يا أبا معاذ وأمر له بعشرة آلاف درهم

(ولبشار أيضا يستنجز)

هززتك لا انى وجدتك ناسيا * لامرى ولكنى أردت التقاضيا
ولكن رأيت السيف من بعد سله * الى الهز محتاجا وان كان ماضيا

(ولبشار أيضا)

فيك للمجد شيمة قد كفتني * منك عند اللقاء بالمتقاضى
فاذا المجد كان عوني على المر * ء تقاضيته بترك التقاضى

(المفجع البصرى يستنجز)

أيها السيد عش فى غبطة * ماتغنى طائر الايك الغرد
لى وعد منك لاتنكره * فاقضه أنجز حر ماوعد
أنت أحييت بمبذول الندى * سنن الجود وقد كان همد
فاذا اصال زمان أوسطا * فعلى مثلك مثلى يعتمد

(أبو الحسن بن أبي البغل)

وعدت فأنجز ولا تبلنى * بكد التقاضى وذل السؤال
وصن وجه حر براه الزمان * بانيابه مثل برى الخلال
فان ضاق مالك عن رفده * فجاهك أوسع من كل مال

(ابن الرومى)

يامن تزينت الدنيا بطلعته * وأصبحت منه فى حلى وفى حلل
أوراد بحركم مثلى ومنصرفى * فى الواردين بلا علل ولا نهل
وأنت تعلم أن الصبر من صبر * فامزجه بالنجح ان النجح من عسل

(قصد) أحمد بن الجليل سليمان بن حبيب بن المهلب مستجديا فأخر عنه مدة فكتب اليه مستنجزا

وورد العفاة المعطشون فأصدروا * رياوطاب لهم لديك المكرع
واراك تمطر جانبا عن جانب * وفناء ارضى من سحائك بلقع
ألنقص منزلتى تؤخر حاجتى * أم ليس عندك لى لخير مطمع

(أبو تمام الطائى)

سحاب خطانى جوده وهو صيب * وبحر عدانى سيله وهو مفعم
وبدر اضاء الارض شرقا ومغربا * وموضع رجلى منه اسود مظلم

(آخر)

مالى ظمئت وبحر جودك زاخر * سهل مشارعه على الوراد
ما كان أجمل بالتجمل ملبسى * وأعف فى طلب القناعه زادى
لولا زمان ازمنت حالى له * نوب تراوح تارة وتغادى
وارى فراخا ضاق بى أوكارها * وكذا البغاث كثيرة الاولاد

(آخر)

أمرت بأن أقيم على انتظار * لرأيك انه الرأى الاصيل
وراقبت الرسول وقلت انى * سيأتينى بما جاء الرسول
فليس لغير أمرك لى مقام * ولا عن غير ذاتك لى رحيل
وقد أوقفت عزمى والمطايا * فقل شيأ لافعل ما تقول

(المعرى)

عليك مؤيد الدين اعتمادى * فلا تحتج الى كذب الاعادى
تمادى المطل والآمال درع * وطول الانتظار من الحداد
وقد أزف الرحيل وأنت كهفى * ومن جدواك راحلتى وزادى
زففت اليك أبكار المعانى * فزف الى أبكار الايادى

(آخر)

ياجابر العظم اذا العظم انكسر * وناعش الجد اذا الجد عثر
أنت ربيعى والربيع ينتظر * وخير أنواع الربيع ما بكر

(أبو تمام)

على بفضلك قاد نحوك حاجتى * فأنت مسيئلتى عقيب ثنانى
فامنن على بنجح ما أملته * ياسيدى ومعولى ورجانى

(آخر)

أجرني لاعدمتك من مطالك * ودعني من صدودك واعتلالك
لقد كثرت عداتك ثم طالت * فهل وعد يكون لها فذلك

(ابن الرومى)

كم ظهر ميت مقفر جاوزته * فخلات ربعامنك ليس بمقفر
جود لجود السيل الا أن ذا * كدر وان نداك غير مكدر
الفطر والاضحى قد انسلخا ولى * أمل ببابك صائم لم يفطر
عام ولم ينتج نداك وانما * تتوقع الحبلى لتسعة أشهر
حس لى بحر واحد اغرقك فى * بحر احيس به بسبعة أبحر

(ومن) أحسن ما استجدى به الاجواد وبلغ به غاية الامل والمراد ما كتب به كلثوم بن عمرو العتابى الى صديق له يستمنحه اما بعد اطال الله بقاءك وجعله يمتد بك الى رضوانه والجنة فانك كنت عندنا روضة من رياض الكرم تبتهج النفوس بها وتستريح القلوب اليها وكنا نعفيها من النجعة استتماما لزهرتها وشفقة على خضرتها وادخارا الثمرتها حتى أصابتنا سنة كأنها من سنى يوسف فكذبتنا غيومها وأخلفتنا بروقها فانتجعتك وانى بانتجاعى اياك لشديد المقة بك عظيم الشفقة عليك مع علمى بانك غاية أمل القصاد واعذب مناهل الوراد وأقول ما قال حماد عجرد

ظل اليسار على العباس ممدود * وحظه أبدا بالسعد معقود
ان الكريم ليخفى عنك عسرته * حتى تراه غنيا وهو مجهود
وللبخيل على أمواله علل * زرق العيون عليها أوجه سود
اذا تكرمت عن بذل القليل ولم * تقدر على سعة لم يظهر الجود
بث النوال فلا تمنعك قلته * فكل ما سد فقرا فهو محمود

قال فشاطره ماله حتى احدى نعليه ونصف قيمة خاتمه (وكتب آخر) الوعد أيسر مغارم الجود وأخف محمول على عاتق الكرم المرفود والمتقنع به قد أسلف المطل آماله واوسع لخطو الندى مجاله واروى ببارق المزن قبل المطر واكتفى بورق الغصن دون الثمر فأى عذر للسماح اذا حرمه طالبه وحمى عنه جانبه وقد وجد المسلك الى المطلوب سهلا والطالب لما يتعلق به الوعد أهلا شاعر

لا أقتضيك الى السماح لانه * لك عادة لكنما أنا مذكر
وكن السحاب اذا تمسك بالحيا * رغبوا اليه بالدعاء فيمطر

(أتى) على بن الجهم رجل فسلم عليه وقال له وعدتنى وعدا ان رأيت أن تنجحه فافعل فقال ما أذكر هذا الوعد فقال له الرجل صدقت فأنت لا تذكر لان من قصدك مثلى كثير وانا لا انسى لان من أسأله مثلك قليل فاعجبه كلامه وقضى حاجته فأنشد

فلقد قصدتك راجيا فى حاجتى * ما يرتجيه الطالب الملهوف
فسررتنى وبررتنى بنجاحها * وكذا يكون الجود والمعروف

(آخر)

بدأت بتسهيل وثنيت بالرضا * وثلثت بالحسنى وربعت بالكرم
وحققت لى ظنى وانجزت موعدى * وابعدت لا عنى وقربت لى نعم

(آخر)

يامن سهرت الليالى فى الدعاء له * حتى انتهى أمره السامى على الامم
انظر الى بعين لو نظرت بها * الى الليالى نجت من قبضة الظلم
حتى أقول لصرف الدهر كيف ترى * تقابل السادة الاحرار بالخدم

(آخر)

ان أنت لم تحدث الى يدا * حتى أقوم بشكر ما سلفا
لم أحظ منك بنائل أبدا * ورجعت بالحرمان منصرفا

وفيما ذكرناه من هذه الملح كفاية اذ المحاسن لا يفضى الباحث عنها الى غاية ولو استقصينا ذكر ما أمطرته اكف الاجواد من سحائب الجود لخرجنا عما نحوناه عن الغرض المقصود

(ومما) يحسن الحاقه بهذا الفصل اطلاق اللسان بشكر أهل الاحسان والفضل * قال الله تعالى ولا تنسوا الفضل بينكم قال بعض المفسرين انه شكر اصطناع المعروف وفى الحديث المشهور والنبا المأثور من ذكر معروفا فقد شكره ومن ستره فقد كفره (وقال) عليه الصلاة والسلام من كانت عنده نعمة فليكافئ عليها فان لم يقدر فليثن فان لم يفعل فقد كفر النعمة (وقال) لقمان لابنه يا بنى المعروف غل لا يفكه الا شكر او مكافأة (وقالوا) المعروف رق

والمكافأة عتق وقال الشاعر

كلما قلت أعتق الشكر رقى * صيرتني لك المكارم عبدا

فان عمر الزمان حتى أؤدى * شكر احسانك الذى لا يؤدى

(ويقال) الشكر وان قل ثمن كل نوال وان جل (ويقال) الشكر تتمة لتمام النعمة (وقال) أبو بكر الخوارزمى اذا قصرت يدك بالمكافأة فليطل لسانك بالشكر (وقالوا) موقع الشكر من النعمة موقع القرى من الضيف ان وجده لم يرم وان فقده لم يقم (وما أحسن قول من قال) الشكر غرس اذا أودع أذن الكريم أثمر بالزيادة وحفظ العادة والسعيد من اذا أظلته نعمة لم يلته بسكرها عن شكرها (وقالوا) لا بقاء للنعمة اذا كفرت ولا زوال لها اذا شكرت (ابن المعتز) شكرك نعمة سالفة يقيض لك نعمة مستأنفة (وقال) أبو بكر الخوارزمى قد أراحنى الشيخ بيده لكن اتعبنى بشكره وخفف ظهرى من ثقل المحن لا بل اثقله باعباء المنن واحيانى بتحقيق الرجاء لا بل أماتنى بفرط الحياء فاناله عتيق بل رقيق وأسير بل طليق (ومن كلامه) اللهم ارزقنى زمانا أوسع من زمانى ولسانا أفصح من لسانى وبنانا أجرى من بنانى حتى أقضى بالشكر حقوق اخوانى فلا بذل الا بجود ولا جود الا من موجود ولكن الدعاء غاية من ضاق امكانه ولم يساعده زمانه فكيف يكافىء من قلت بسطته وعجزت قدرته وقطعت عن مسافة همته جدته (ولما) بلغ الصاحب اسمعيل بن عباد موت أبى بكر الخوارزمى قال

سألت بريدا من خراسان مقبلا * امات خوارزميكم قال لى نعم

فقلت اكتبوا بالجص من فوق قبره * الا لعن الرحمن من يكفر النعم

والذى أوجب قول الصاحب لهذين البيتين أنه بلغه ان أبا بكر الخوارزمى قال فيه هذين البيتين

لا تمدحن ابن عباد وان هطلت * كفاه بالجود حتى جاوز الديما

فانها خطرات من وساوسه * يعطى ويمنع لا بخلا ولا كرما

فلما كفر بما أسدى اليه الصاحب بن عباد من المعروف ذكر هذين البيتين بعد موته

ذكر من تبجح بذكر المعروف الذى أسدى اليه

وأقر بعجز لسانه عن شكر المنعم والثناء عليه

(الثعالبي) شكري لا يقع في نعمه الظاهرة موقع النقطة من الدائرة لأشكرنك ملء القلب واللسان شكر حسان الى غسان لأشكرنك شكر الاسير لمن أطلقه والمملوك لمن اعتقه لأشكرنك شكر الرياض للديم وزهير لهرم (وقال آخر) لو استعرت الدهر لسانا والريح ترجمانا لاشيع احسانه حق الاشاعة لقصرت عنه يد الاستطاعة (قال) الامير أبو الفتيان محمد بن حيوس وأحسن كل الاحسان

سأشكر ما دام اللسان يطيعني * صنوفا أتت من جودك المتابع

توالت على من لا يدل بخدمة * عليك ولا يدلى اليك بشافع

(وقال) ابراهيم بن المهدى مخاطبا للحسن بن سهل وقد شفع له عند المأمون

رددت مالى ولم تضنن على به * وقبل ردك مالى قد حقنت دمى

لئن جحدتك ما أوليت من حسن * انى لفى اللوم احظى منك فى الكرم

(آخر)

مواهب لو أنى تكلفت نسخها * لأفلست فى اقلامها ومدادها

(آخر)

ولو ان لى فى كل منبت شعرة * لسانا يبث الشكر كنت مقصرا

(ابن عمرون)

طوقتنى منك الجميل قلائدا * وبررتنى حتى حسبتك والدا

والله لو حل السجود لمنعم * ما كنت الا لا كعالك ساجدا

(آخر)

لو كنت أعرف فوق الشكر منزلة * أعلى من الشكر عند الله فى الثمن

اذا منحتكها منى مهذبة * حذوا على حذو ما أوليت من حسن

(آخر)

لقد أفرطت فى برى * وقد قصرت فى الشكر

وشكرى عند احسانـك كالقطرة فى البحر

(آخر)

انطقتنى انسى أياديك التى * أهدت الى من الزمان امانا

لا والذى جعل المحبة محنة * وهوى النفوس مذلة وهوانا

(وحبس الرشيد) العتابى على ذنب اقترفه لم يحتمله منه ولا أغضى له عنه فتناساه فى الحبس مدة فشفع فيه خالد بن يزيد بن مزيد فأطلقه فكتب العتابى اليه يشكره

مازلت فى غمرات الموت مطرحا * قد زال عنى لطيف الفكر من حيلى
فلم تزل دائما تسعى بلطفك لى * حتى اختلست حياتى من يدى أجلى

(أبو نواس)

قد قلت للعباس معتذرا * من ضعف شكريه ومعترفا
أنت امرؤ أحللتنى نعما * أوهت قوى شكرى فقد ضعفا
لا تسدين الى عارفة * حتى أقوم بشكر ما سلفا

(آخر)

يا زينة الناس والدنيا وما جمعت * بالامر والنهى والقرطاس والقلم
بالله أقسم لو ملكت السنة * تثنى شكرك من فرقى الى قدمى
لما وفيت بما أوليت من منن * ولا نهضت بما أسديت من نعم

الفصل الثالث من الباب التاسع
فى ذم السرف والتبذير اذ فعلهما من سوء التدبير

(قال) الله تعالى ولا تبذر تبذيرا ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا (وقال) صلى الله عليه وسلم من السرف ان تأكل كل ماشئت (وقال) صلى الله عليه وسلم آفة الجود السرف * والسرف اسم لما جاوز الجود (وقالوا) السرف هو أن يكون الرجل لا يبالى فيما يشترى أو يبيع أو يغبن أو يغبن فيبيع بوكس ويشترى بفضل * وهذا كما قيل الحر يتغابن فى ابتياع الحمد ولا يتغابن فى الشراء والبيع (وقيل) لعبد الله بن جعفر انك تعطى الكثير اذا سئلت وتضيق فى القليل اذا عوملت فقال أجود بمالى وأضن بعقلى (وقالوا) السخاء خلق مستحسن مالم ينته الى سرف وتبذير فانه من بذل جميع ما يملكه لمن لا يستحقه لم يسم سخيا وانما يسمى مبذرا مضيعا (وقال معاوية) ما رأيت سرفا قط الا والى جانبه حق مضيع (وقالوا) يوشك من أنفق سرفا أن يموت أسفا (وقالوا) ما وقع تبذير فى كثير الا هدمه ودمره ولا دخل تدبير فى قليل الا كثره وأثمره (وقال) معاوية لولده يزيد انك ان أعطيت مالك فى حق الحق يوشك أن يجىء الحق وليس معك ما تعطى فيه * وقالوا تطول ولا

تطاول (وقال) أبو بكر رضى الله عنه انى لابغض أهل بيت ينفقون رزق الايام فى اليوم الواحد (وقالوا) السرف فى الانفاق يفسد من النفس بمقدار مايصلح من العيش (وقال) عبد الله بن الزبير فى محاورة جرت بينه وبين ابن عباس ان السرف من طينة السخاء ولكنه جاوز الحق ومابعد الحق الا الضلال (وكان) أبو الاسود الدؤلى يقول يابنى اذا بسط الله عليك فابسط واذا أمسك عنك فأمسك ولاتجاوده فانه أكرم منك وأجود * واسم أبى الاسود ظالم ابن عمرو ويعد فى التابعين والمحدثين والشعراء والنحويين والبخلاء والعرج والمفاليج والبخر (وقالوا) التدبير ينمى اليسير والتبذير يدمر الكثير (وليم) هشام بن عبد الملك على الامساك فى العطاء فقال انا لانعطى تبذيرا ولانمسك تقتيرا انما نحن خزائن الله فى بلاده وأمناؤه على عباده فاذا شاء أعطينا واذا كره أبينا ولو كان كل قائل يصدق وكل سائل يستحق ماجبهنا قائلا ولارددنا سائلا

(وربما) عوقب المبذر بالافلاس وصير بالفقر مثلة بين الناس (قال الاصمعى) قصد رجل من أهل الشام منزل ابراهيم بن هرمة فاذا بنت له صغيرة تلعب بالطين فقال لها مافعل أبوك قالت وفد الى بعض الاجواد فمالنا علم من عهد فقال لها قولى لامك تنحر لنا ناقة فانى وأصحابى أضيافها فقالت والله مانملكها قال فشاة قالت والله مانجدها قال فدجاجة قالت والله ماهى لنا فى منزل قال فاعطينا بيضة قالت من أين البيضة اذا لم تكن الدجاجة قال فباطل ماقال أبوك حيث يقول

كم ناقة قد وجأت منحرها * بمستهل الشؤبوب أوجمل
لاامتع العوذ بالفصال ولا * أبتاع الا قريبة الاجل
لاغنى فى الحياة مذلها * الى درك العلا ولا ابلى

قالت فذلك الفعل من أبى أصارنا أن ليس عندنا شئ نقريكها ومضى (وكان) عبد الله بن جعفر من الاجواد الذين يعمون بجودهم طوائف العباد وانتهى به الافلاس وضيق اليد الى ان سأله رجل فقال له ان حالى متغيرة بجفوة السلطان وحوادث الزمان ولكنى أعطيك ماأمكننى فأعطاه رداء كان عليه ثم دخل منزله وقال اللهم اسرتنى بالموت فما أتى بعد دعوته الا أيام حتى مرض

ومات رضى الله تعالى عنه (وفد) أبو الشمقمق على محمد بن مروان بنيسابور يريد محمد بن عبد السلام فلما دخلها صار الى منزله فأخبر أنه فى دار الخراج مطالب فقصده ودخل عليه وهو قائم فى الشمس وعلى عنقه صخرة عظيمة فتغير له فلما رآه محمد قال

ولقد قدمت على رجال طالما * قدم الرجال عليهم فتمولوا
أخنى الزمان عليهم فكأنهم * كانوا بأرض أقفرت فتحولوا

(فقال أبو الشمقمق)

الجود فلسهم وغير حالهم * فاليوم ان سئلوا النوال تبخلوا

(دخل) مالك بن دينار على أبى عون فى الحبس وكان قد ضربه بلال بن أبى بردة بالسياط واذا فى الحبس جماعة من عمال السلطان فى الحديد فلم يلبث أن حضر غداؤهم فجعل الخدم ينقلون ألوان الاطعمة فقيل له يا أبا يحيى هلم فقال لا أريد أن آكل مثل هذا ولا أن يوضع فى رجلى مثل هذا وأشار الى القيد (وكان) للاعمش صديق متصرف فى عمل السلطان فبقى عليه مال فحبس فيه فزاره الاعمش متغمما له فلما دخل عليه رأى بين يديه سلة فيها فالوذج وهو يتغذى منها فقال والله ما الزمت الوثاق الا باسرافك فى الانفاق فلو قنعت نفسك وعفت يدك لم يكن مضيق السجن مقعدك * ولهذا الافلاس أكثر الناس كلامهم فى التحذير من عواقب التبذير وما أحسن قول الفقيه منصور رحمه الله

ثوب وكسرة وخبز * وبيت كن وأمن
الذمن كل ملك * عقباه ضرب وسجن

* (ومما) * يعد من الاسراف فى البذل اصطناع المعروف الى اللئيم والنذل (قالوا) حد الجود أن يبذل الرجل ماله حيث يجب البذل ويحفظه حيث يمكن الحفظ ومن بذل مكان الامساك فهو مبذر ومن أمسك مكان البذل فهو بخيل (وقالوا) من الحزم أن تعلم أن مالك لا يسع الناس كلهم فتوخ به أهل الحق عليك وان كرامتك لا تسع المقلين فاخصص بها أهل الفضل والمروأة ومن تمسه الحاجة اليك والاعطاء بعد المنع أجمل من المنع بعد الانعام (وقال لقمان) المعروف كنز فانظر من تودعه (وقال) عبد الملك بن المقفع ان مالك لا يسع الناس فاخصص به ذوى الكرم من أهلك وخاصتك ودع الاجانب جانبا

(وقال)

(وقال) صالح بن عبد القدوس سامحه الله

لا تجد بالعطاء فى غير حق * ليس فى منع غير ذى الحق بخل
انما الجود أن تجود على من * هو للبذل منك والجود أهل

(آخر)

لا تصنع المعروف فى ساقط * ذاك صنيع ساقط ضائع
وضعه فى حر كريم يكن * عرفك مسكا عرفه ضائع

(وقالت الحكماء) أصل كل عداوة اصطناع المعروف الى اللئام (وقالوا) الاحسان الى اللئيم أضيع من الرسم على بساط الماء والخط على بسيط الهواء (وقالوا) زوال الدول باصطناع السفل (وقالوا) كن جوادا فى موضع الجود فان أحمد جود الحر الانفاق فى وجه البر (وقال بعضهم) لا حسرة أعظم من نعمة أسديت الى غير ذى حسب ولا مروأة (وقال آخر) لا تصنعوا الى ثلاثة معروفا اللئيم فانه بمنزلة الارض السبخة لا يظهر فيها البذر وذلك لا يظهر فيه المعروف والفاحش فانه يرى أن الذى صنعت معه انما هو مخافة فحشه والاحمق فانه لا يدرى قدر ما أسديت اليه ولا يشكرك عليه (قال الشاعر)

لعمرك ما المعروف فى غير أهله * وفى أهله الا كبعض الودائع
فمستودع ضاع الذى كان عنده * ومستودع ما عنده غير ضائع
وما الناس فى كفر الايادى وشكرها * الى أهلها الا كبعض المزارع
فمزرعة أجدت فأضعف زرعها * ومزرعة أكدت على كل زارع

(وقالوا) واضع المعروف فى غير أهله كالمسرج فى الشمس والزارع فى السبخ (قال الشاعر)

ومن يصنع المعروف مع غير أهله * يلاقى كما لاقى مجير ام عامر
أعد لها لما استجارت ببيته * أحاليب ألبان اللقاح الدوائر
وأمسكها حتى اذا ما تمكنت * فرته بأنياب لها واظافر
فقل لذوى المعروف هذا جزاء من * يجود بمعروف على غير شاكر

(آخر)

عليك بذى الاقدار فاكسب ثناءهم * فمالك فى غير الاكارم ضائع
وما مال من أعطى الكرام بناقص * ولكنه عند الكرام ودائع

(آخر)

اذا ما بدأت امرأ جاهلا * ببر فقصر عن حمله
ولم تلقه قابلا للجميل * ولا عرف العز من ذله
فسمه الهوان فان الهوان * دواء لذى الجهل من جهله

(وقالوا) العاقل يتخير لمعروفه كما يتخير الباذر ماز كا من الارض لبذره (وقالوا) رأس الرذائل اصطناع الاراذل وقال الشاعر

متى تسد معروفا الى غير أهله * رر يت ولم تظفر بحمد ولا أجر

(ما احتج به سراة الاشراف في تحسين التبذير والاسراف)

قد كنا قدمنا في أول فصل من هذا الباب جملة مما ورد عن الكرماء في الحض على انتهاز الفرصة بالانفاق ثقة بالخلف من الكريم الرزاق ما فيه كفاية فلم يقنعنا ذلك فذكرنا في هذا الموضع ما استدركناه ليتم لنا الغرض المقصود فيما ننحوناه من كل مستحسن بديع لسر البراعة بلسان اليراعة يذيع (من ذلك) قول الله تعالى وهو اصدق القائلين وما أنفقتم من شئ فهو يخلفه وهو خير الرازقين * وقول النبي صلى الله عليه وسلم ينادى مناد كل ليلة اللهم اجعل لكل منفق خلفا ولكل ممسك تلفا * وقوله صلى الله عليه وسلم أنفق بلال ولا تخش من ذى العرش اقلالا ولقد أجاد على ابن ذكوان في قوله

انفق ولا تخش اقلالا فقد قسمت * بين العباد مع الآجال ارزاق
لا ينفع البخل مع دنيا مولية * ولا يضر مع الاقبال انفاق

(وحكى) ان على بن موسى الرضا رضى الله عنه وعن آبائه الكرام فرق في يوم عرفة وكان بخراسان ماله كله فقال له الفضل بن سهل ما هذا المغرم قال بل هو المغنم لا تعدن ما ابتغيت به أجرا أو كرما مغرما * وكان النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخر شيأ لغد (وقال) بعض الحكماء أنفق في الحقوق ولا تكن خازنا لغيرك فان اغتممت على ما نقص من مالك فابك على ما نقص من عمرك فانه من لم يعمل في ماله وهو موجود عمل في ماله وهو مفقود (وقال بزرجمهر) اذا أقبلت عليك الدنيا فأنفق منها فانها لا تفنى واذا أدبرت عنك فأنفق منها فانها لا تبقى (طاهر بن الحسين ناظما لهذا المعنى)

لا تبخلن بدنيا وهي مقبلة * فليس ينقصها التبذير والسرف

فان تولت فاحرى أن تجود بها * فالحمد منها اذا ما أدبرت خلف

(ويقال) انفق وأسرف فان الشرف فى السرف (وقيل) للحسن بن سهل وكان معطاء لاخير فى السرف فقال لاسرف فى الخير وهذا من بديع الكلام وذلك انه عكس على المنكر كلامه فكان جوابا له وردا عليه من غير أن يزيد فيه ولا ينقص منه (وقال) الراضى بالله يخاطب لائمه لاسه على السرف

لاتكثرن عذلى على الاسراف * ربح المحامد متجر الاشراف

اجرى كآبائى الخلائف سابقا * واشيد ماقد اسست أسلافى

انى من القوم الذين اكفهم * معتادة الاتلاف والاخلاف

(آخر)

قامت تلوم على بذل النوال ولى * به ولوع فقلت اللوم فى الباقى

لاتجزعى ان ترى بى فاقة أبدا * فمن خزائن رب العرش انفاقى

(آخر)

الالاتلمنى على بذل مالى * فصونى لعرضى بمالى جمالى

وصونى لمالى بعرضى فساد * لعرضى ودينى وجاهى ومالى

(الصولى)

لا تلومنى فهمك ان أثرى وهمى مكارم الاخلاق

ليس يستطيع حفظ ماملكت كفاه من ذاق لذة الانفاق

(وقال المأمون) لمحمد بن عباد بلغنى أن فيك سرفا فقال ياأمير المؤمنين منع الجود سوء الظن بالمعبود فقال المأمون لايحسن السرف الا بأهل الشرف

(وقال البحترى يمدح معطاء أسبل الكرم عليه غطاء)

كرم دعتك به القبائل مسرفا * ما مسرف فى المكرمات بمسرف

(وقال آخر يحض على الاسراف فى الصنائع)

ذهاب المال فى حمد وأجر * ذهاب لايقال له ذهاب

(الباب العاشر فى البخل وفيه ثلاثة فصول)

الفصل الاول من هذا الباب

فى ذم الامساك والشح وما فيهما من الشين والقبح

فرقوا بين الشح والبخل (فقالوا) الشح أن تكون النفس كزة حريصة على

المنع كما قال الشاعر

يمارس نفسا بين جنبيه كزة * اذا هم بالمعروف قالت له مهلا

وهو اللؤم وأما البخل فهو المنع نفسه (فمما جاء فى البخل) قول الله تعالى ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة وقوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون قال بعض أهل المعانى انما خص هذه الاعضاء دون غيرها بالذكر لان السائل اذا سأل البخيل زوى عنه وجهه فان ألح عليه ازور عنه بشق جنبه الذى يليه فان الحف ولاه ظهره (وروى الخطيب) أبو بكر أحمد بن على بن ثابت باسناده عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لما خلق الله جنة عدن قال لها تزينى فتزينت ثم قال لها أظهرى انهارك فاظهرت عين السلسبيل وعين الكافور وعين التسنيم ونهر اللبن ونهر العسل ونهر الخمر ثم قال لها أظهرى حورك وحليك وحللك وسررك وحجالك ثم قال لها تكلمى فقالت طوبى لمن دخلنى فقال الله عزوجل أنت حرام على كل بخيل أورده فى كتاب البخلاء له (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم لقوم من الانصار من سيدكم قالوا الجد بن قيس على بخل فيه فقال عليه الصلاة والسلام وأى داء أدوأ من البخل (وقال) عليه الصلاة والسلام اياكم والشح فانه دعا من كان قبلكم فسفكوا دماءهم ودعاهم فاستحلوا محارمهم ودعاهم فقطعوا ارحامهم (وعنه) عليه الصلاة والسلام قال اقسم الله بعزته وعظمته وجلاله لايدخل الجنة شحيح ولا بخيل (وقال) على بن أبى طالب البخيل يتعجل الفقر لنفسه يعيش فى الدنيا عيش الفقراء ويحاسب فى الآخرة حساب الاغنياء (وقال حكيم) لو أن أهل البخل لم يدخل عليهم من ضير بخلهم ومذمة الناس لهم واطباق القلوب على بغضهم الاسوء الظن بربهم فى الخلف لكان عظيما فان الله تعالى يقول وما أنفقتم من شئ فهو يخلفه * وكفى بالبخيل معرة أن يمنع نفسه اكتساب الحسنات مع افتقاره اليها ويحرمها مباح الشهوات مع اقتداره عليها وربما ترك التداوى وان أجحفت به العلة وأهمل

دفع المكاره عن نفسه وقد نيطت به المذلة لكثرة الاشفاق على الانفاق فهو لا يلقى فى الدنيا شكورا ولا يلقى فى الآخرة أجرا مدخورا (وقالوا) البخل من سوء الظن وخمول الهمة وضعف الروية وسوء الاختيار والزهد فى الخيرات (وقال) الحسن بن على رضى الله عنهما البخل جامع المساوى والعيوب وقاطع المودات من القلوب (وقال) سقراط الاغنياء البخلاء بمنزلة البغال والحمير تحمل الذهب والفضة وتعتلف التبن والشعير (وحدّه) قالوا هو منع المسترفد مع القدرة على رفده (وكان) أبو حنيفة لا يرى قبول شهادة البخيل ويقول بخله يحمله على أن يأخذ فوق حقه مخافة أن يغبن فمن هذه حاله لا يكون مأمونا (وقال) بشر بن الحرث الحافى لا غيبة لبخيل والشرطى سخى أحب الى من عابد بخيل (وقالوا) صديق البخيل من أطعمه وسقاه وعدوه من تركه وقلاه (وقيل) النظر الى البخيل يقسى القلب (وقالوا) البخل يهدم مبانى الشرف ويسوق النفس الى التلف (وقالوا) اتق الشح فانه ادنس شعار وأوحش دثار (وقالوا) البخيل يملأ بطنه والجار جائع ويحفظ ماله والعرض ضائع (شاعر)

ومن الجهالة بالمكارم أن ترى * جارا يجوع وجاره شبعان

(ويقال) من جعل عرضه دون ماله استهدف للذم (وقال الراجز)

من يجمع المال فلم يجد به * ويجمع المال لعام جدبه * يهن على الناس هوان كلبه

(وقال اسحق بن ابراهيم الموصلى)

أرى الناس خلان الجواد ولا أرى * بخيلا له فى العالمين خليـل
وانى رأيت البخـل يزرى بأهـله * فأكرمت نفسى أن يقال بخيل

(وقالوا) البخيل لا يستحق اسم الحرية فانه يملكه ماله (وقالوا أيضا) البخيل لا مال له انما هو لماله (وقال) قيس بن معديكرب لبنيه يا بنى اياكم والبخل فانه من اكتسب مالا فلم يصن به عرضا بحث الناس عن أصله فان كان مدخولا هرتوه وان لم يكن مدخولا ألزموه ذنبا رموه به ومقتوه واكسبوه عرقا هجينا حتى يهجنوه والبخل داء ونعم الدواء السخاء (وقال) الحسن البصرى لم ار أشقى بماله من البخيل لانه فى الدنيا مهتم بجمعه وفى الآخرة محاسب على منعه غير آمن فى الدنيا من همه ولا ناج فى الآخرة من اثمه عيشه فى الدنيا عيش

الفقراء وحسابه فى الآخرة حساب الاغنياء أخذه من كلام أمير المؤمنين على رضى الله عنه (ودخل) رضى الله عنه على عبد الله بن الاهتم يعوده فى مرضه فرآه يصعد بصره ويصوبه الى صندوق فى زاوية من بيته ثم التفت اليه وقال يا أبا سعيد ما تقول فى مائة ألف فى هذا الصندوق لم أؤد منها زكاة ولم أصل منها رحما قال ثكلتك أمك ولمن كنت تجمعها قال لروعة الزمان وجفوة السلطان ومكاثرة العشيرة ثم مات فشهد الحسن جنازته فلما فرغ من دفنه ضرب بيده على القبر ثم قال انظروا الى هذا أتاه شيطانه فخوفه روعة زمانه وجفوة سلطانه بما استودعه الله اياه انظروا اليه كيف خرج منها مذموما مدحورا ثم التفت الى وارثه وقال أيها الوارث لا تخدعن كما خدع صويحبك بالامس أتاك هذا المال حلالا فلا يكونن عليك وبالا أتاك عفوا صفوا ممن كان جموعا منوعا من باطل جمعه ومن حق منعه قطع فيه لجج البحار ومفاوز القفار لم تكدح لك فيه يمين ولم يعرق لك فيه جبين ان يوم القيامة ذو حسرات وان من أعظم الحسرات غدا أن ترى مالك فى ميزان غيرك فيالها حسرة لا تقال وتوبة لا تنال

(ما اخترت من محاسن كلام الفصحاء وتأنقهم فى ذم اللئام الاشحاء)

كتب بعض الادباء الى صديق له يستشيره فى قصد بعض الرؤساء تأميلا لنائله وكان معروفا بالبخل (فأجابه) كتبت الى تسألنى عن فلان وذكرت أنك هممت بزيارته وحدثتك نفسك بالقدوم عليه فلا تفعل أمتع الله بك فان حسن الظن به لا يقع الا بخذلان من الله وان الطمع فيما عنده لا يخطر على القلب الا من سوء التوكل على الله والرجاء لما فى يديه لا ينبغى الا بعد اليأس من روح الله لانه رجل يرى التقتير الذى نهى الله عنه هو التبذير الذى يعاقب عليه وان الاقتصاد الذى أمر الله به هو الاسراف وان بنى اسرائيل لم يستبدلوا المن بالعدس والسلوى بالبصل الا لفضل حلومهم وقديم علم توارثوه عن آبائهم وان الضيافة مرفوضة والهبة مكروهة والصدقة منسوخة وان التوسع ضلالة * والجود فسق وجهالة والسخاء من همزات الشياطين كانه لم يسمع بالمعروف الا فى الجاهلية الاولى التى نسخ الله جميل أخبارها ونهى عن اتباع آثارها وكان الرجفة لم تأخذ أهل مدين الا لسخاء

نسب اليهم ولا أهلكت الريح العقيم عاد الا الافضال كان فيهم وهل يخشى العقاب الا على الانفاق ويرجو العفو لا بالامساك ويعد نفسه بالفقر ويأمرها بالبخل خيفة أن ينزل به قوارع الظالمين أو يصيبه ما أصاب الاولين فاقم رحمك الله بمكانك واصبر على خطب زمانك وامض على عسرتك فعسى أن يبدلك الله خيرا منه زكاة وأقرب رحما (وكان) محمد بن يحيى بن خالد مبخلا بالنسبة لابيه وأخويه جعفر والفضل فسئل الجازعن مائدته فقال فتر في فتر وصحافها منقورة من خشب الخشخاش وبين الرغيف والرغيف مضرب كرة وبين اللون واللون فترة نبي قيل فمن يحضره قال خير خلق الله وشرهم قيل من هم قال الملائكة والذباب قيل له أنت به خاص وثوبك مخرق فقال والله لو ملك بيتا من بغداد الى النوبة مملوأ ابرا ثم جاءه يعقوب النبي ومعه الانبياء شفعاء والملائكة ضمناء يسألونه اعارة ابرة يخيط بها قميص يوسف الذي قد من دبر ما فعل أخذه الشاعر ونظمه في قوله

لو أن قصرك يا ابن أغلب ممتل * ابرا يضيق بها رحاب المنزل
وأتاك يوسف يستعيرك ابرة * ليخيط قد قميصه لم تفعل

(آخر يهجو بخيلا)

لو أن دارك أمطرت عرصاتها * ابرا يضيق لها رحاب المنزل
وأتاك يوسف يوم قد قميصه * يرجونوالك في ابرة لم تفعل

(وقيل) لابي القاسم حين تغديت عند فلان قال لا ولكني مررت ببابه وهو يتغدى قيل له وقد عرفت ذلك قال رأيت غلمانه بأيديهم قسي البندق يرمون بها الطير في الهواء (وذم اعرابي قوما) فقال لهم بيوت ندخلها حبوا الى غير نمارق ولا وسائد فصح الالسن برد لسائل جعد الاكف عن النائل (وذم اعرابي قوما) فقال ما كانت النعمة فيهم الا طيفا فلما انتبهوا لها ذهبت عنهم فقال شاعر وكأنه ألم بهذا المعنى في قوله

خنازير ناموا عن المكرمات * فأيقظهم قدر لم ينم
فيا قبحهم في الذي خولوا * ويا حسنهم في زوال النعم

(نزل) أعرابي برجل فقال له بعض قومه لقد نزلت بواد غير ممطور ورجل بقدومك غير مسرور فاقم بندم أو ارتحل بعدم (وقال) المتوكل لابي العيناء

من البخل من رأيت قال موسى بن عبد الملك بن صالح قال ومارأيت من بخله قال رأيته يحرم القريب كما يحرم البعيد ويعتذر من الاحسان كما يعتذر من الاساءة (وقال بشار) من استضاف فلانا استغنى عن الكنيف وأمن من التخمة (وذم آخر بخيلا) فقال ضن بفلسه وجاد بنفسه (وذم اعرابي بخيلا) فقال جعد البنان شحيح الكف مقفل اليد لا يسقط من كفه الخردل وان استولى على أصابعه الجندل قال الشاعر

تحلى باسماء الشهور فكفه * جمادى وماضمت عليه المحرم

(وقالوا) فلان ماهو رطب فيعتصر ولا يابس فينكسر مانع للموجود سيء الظن بالمعبود فلان منعوت على الجمع والمنع لايعد العيش الا ماجمعه والحزم الا مامنعه فلان بن لبون لادر فيحلب ولا ظهر فيركب (وذم) أعرابي رجلا بالبخل فقال لقد صغر فلانا في عيني كبر الدنيا في عينه وكانما يرى السائل اذا رآه ملك الموت اذا أتاه (بشار بن برد)

اذا سلم المسكين طار فؤاده * مخافة سؤل واعتراه جنون

(ومن منظوم نفسات الصدور المحنقة) في ذم من سلبه السخاء رونقه قول منصور بن ربيعة يهجو بخلاء

قوم غدوا والطعام عندهم * وزن لجين ووزن ياقوت

ان كان قوتي اليهم وبهم * برئت منهم ومنك ياقوتي

(الاخطل)

مازال فينا رباط الخيل معلمة * وفي كليب رباط الخزي والعار

قوم اذا استنبح الاضياف كلبهم * قالوا لامهم بولي على النار

(ولقد أحسن ابو الشمقمق في قوله)

ماكنت أحسب أن الخبز فاكهة * حتى نزلت على أوفى بن منصور

الحابس الروث في أعفاج بغلته * خوفا على الحب من لقط العصافير

(آخر)

عد الارغفة شنف وقرط * واكليلان من خرز ودر

اذا كسر الرغيف بكى عليه * بكا الخنساء اذ فجعت بصخر

وجاء بكل نائحة عليه * كما بكت الرباب لفقد عمرو

ودون رغيفه دق الثنايا * وحرب مثل وقعة يوم بدر

(وقال ابو نواس يهجو سعيد بن سلم بن قتيبة)

رغيف سعيد عنده عدل نفسه * يقلبه طورا وطورا يداعبه
و يأخذه فى حضنه و يشمه * و يلثمه حينا وحينا يلاعبه
وان قام مسكين على باب داره * اذا ثكلته أمه وأقاربه
يصب عليه البول من كل جانب * ويخضب ساقاه وينتف شاربه

(ابن طباطبا)

أجاع بطنى حتى * شممت ريح المنيه
وجاءنى برغيف * قد أدرك الجاهليه
فقمت بالفأس حتى * أدق منه شظيه
تثلم الفأس وانصا * ع مثل سهم الرمية
فشج رأسى ثلاثا * ودق منى الثنيه

(آخر)

ربى وربك بعد الجوع أشبعنى * ورزق ربك آت غير مدفوع
ولو عليك اتكالى فى الطعام اذا * لكنت اول مدفون من الجوع

(آخر)

وقائلة ماذهى ناظريك * فقلت لامر به قد منيت
أكلت دجاجة بعض الملوك * فمازلت اصفع حتى عميت

(آخر)

نوالك دونه خرط القتاد * وخبزك كالثريا فى البعاد
ترى الاصلاح صومك لا لاجر * وكسرك للرغيف من الفساد
ولو أبصرت ضيفا فى المنام * لحرمت المنام الى التناد
ولم أهجوك أنك كفؤ شعر * ولكنى هجوتك للكساد

(آخر)

ودعوتنى فأكلت عندك قرصة * وشربت شربة من استتم خروفا
وسألتنى فى اثر ذلك حاجة * أودت بمالى تالدا وطريفا
فجعلت افكر فيك باقى ليلتى * ما كنت تسأل لو أكلت رغيفا

(آخر)

اتيت ابن يحيى وهو يأ كل فانثنى * الى قطو بااذ رآنى وهمهما
وقال لماذا جئت قلت مسلما * فقال لقد سلمت فارجع مثل ما

(وقال ابن الخياط الصقلى)

لا تكونن مبرما وعسوفا * سله دمه وخل عنك الرغيفا
أكرم الخبز بالصيانة حتى * جعل الكعك للبنات شنوفا

(آخر يخاطب بخيلا)

للنفس اذا أضربها الجوع * تسلا فيتها بشم الرغيف
من يكن عيشه كعيشك هذا * فلتكن داره بغير كنيف

(آخر)

رأيتك عند حضور الخوان * قليل النشاط كثير الصياح
تلاحظ عيناك كف الاكيل * وترمقه من جميع النواحى
فعال امرئ بخلت نفسه * بشئ يزل الى المستراح

(آخر يهجو بخيلا)

أصبح لا يعرف الجميل ولا * يفرق بين القبيح والحسن
ان الذى يرتجى نداه كمن * يحلب تيسا من عزة اللبن

(آخر)

يزداد شحا وبخلا كل من كثرت * أمواله ثم لا ترجى مواهبه
كالبحر كل مياه الارض قاطبة * تأوى اليه ويظما فيه راكبه

(ومما يكون متمما لما ذكرناه خلف الشحيح لسائله بما منعاه)

قالوا اخلف الوعد من خلق الوغد (والمثل المضروب) قولهم اخلف من عرقوب واخلف من شرب الكمون فان الكمون يمنى بالسقى ولا يسقى

(قال الشاعر)

سقيتمونى كؤوس المطل مترعة * حتى ثملت والسكران عربيد
لا تتركونى ككمون بمزرعة * ان خانه الغيث أحيته المواعيد

(وقال) بعض كرماء الاعراب لان أموت عطشا أحب الى من أن أخلف موعدا (وقال) بعض البلغاء يذم بخيلا فلان ملأ سمعى روحا وكفى ريحا

(وقال

(وقال آخر) فلان يفتح مواعيده بالاطماع ويختمها بالخيبة والامتناع
(وقال آخر) فلان سخي قولا وبخيل فعلا وسريع وعدا وبطيء رفدا
(وقال آخر) فلان أول وعده طمع وآخره يأس وما هو الا كالسراب يغر من رآه ويخلف من رجاه وقال الشاعر

لسانك أحلى من جنى النحل موعدا * وكفك بالمعروف أضيق من قفل

(آخر)

لسانك معسول وقلبك علقم * ودون الثريا من صديقك مالكا

(دعبل)

ياجوادا للسان من غير فعل * ليت في راحتيك جود اللسان

(وقالوا) من وعد وأخلف لزمته ثلاث مذمات ذم اللؤم وذم الخلف وذم الكذب وقال الشاعر

الا انما الانسان غمد لقلبه * ولا خير في غمد اذا لم يكن نصل
ولا خير في وعد اذا كان كاذبا * ولا خير في قول اذا لم يكن فعل
فان تجمع الآفات فالبخل شرها * وشر من البخل المواعيد والمطل

(وقال الثعالبي) أول من أخلف المواعيد وكذبها ولم يف بشئ منها اسمعيل بن صبيح كاتب الرشيد وما كانت الرؤسا قبل ذلك يعرفون المواعيد الكاذبة (وما أحلى) قول بعض الشعراء يخاطب من أخلف عدة وعده اياها من أبيات

ووعدتني عدة ظننتك صادقا * فجعلت من طمعي أروح وأذهب
فاذا حضرت أنا وأنت بمجلس * قالوا مسيلمة وهذا أشعب

(وقال) بعض البلغاء يذم مخلف وعده فلان وعده في الخلاف كشجر الخلاف يريك نضارة المنظر ثم لا يجنيك شيأ من الثمر نظمه ابن الرومي فقال

ليس من حل بالمحل الذي أنـ * ـت به من سماحة ووفاء
بذل الوعد للاخلاء طوعا * وأبى بعد ذاك بذل العطاء
فغدا كالخلاف يحسن للعين * ويأبى الاثمار كل الاباء

(آخر)

على الدنيا وما فيها السلام * اذا ملكت خزائنها اللئام

راضيت من الأمور بكل شئ * قضاه الله وانقطع الكلام

الفصل الثانى من الباب العاشر
فى ذكر نوادر المبخلين من الاراذل والمبجلين

يجب علينا أن نذكر أولا ما صدر عن الامجاد العقلاء فى التحذير من سؤال الاجواد والبخلاء ثقة بما ضمنه الله من رزقه الدار على سائر خلقه (قالوا) مكتوب فى التوراة ابن آدم لا تسأل الناس فان كنت فاعلا فاسأل معادن الخير ترجع مغبوطا محسودا (وفى كتاب كليلة ودمنه) ينبغى للعاقل أن يرى ان ادخال يده فى فم التنين وابتلاعه سمه أهون عليه من سؤال الناس (وقال) ابراهيم بن حفصة لابنه يا بنى صن شكرك عمن لا يستحقه واطلب المعروف ممن يحسن طلبك اليه واسترماء وجهك بقناع قناعتك وتسل عن الدنيا بتجافيها عن الكرام وأنشده

هى القناعة فالزمها تكن ملكا * لولم يكن لك الا راحة البدن
وانظر لمن ملك الدنيا بأجمعها * هل راح منها بغير القطن والكفن

(وقال) لقمان لابنه يا بنى لا تخلق وجهك بطلب الحوائج الى من هو دونك فانه ان ردك ساق اليك محنة وان قضى حاجتك اتخذها عليك منة واسأل الله فان الله يحب من يسأله ويبغض من لا يسأله (شاعر)

الله يغضب ان تركت سؤاله * وبنى آدم حين يسئل يغضب

(وقد) روى عن سفيان الثورى دعاء كلام لقمان كان يدعو به اذا احتاج يقول اللهم يا من يحب أن يسئل ويغضب على من لا يسأل وأحب عباده اليه من سأله فأكثر سؤاله وليس أحد كذلك غيرك يا كريم أعطنى كذا ويسأل حاجته (وقال) محمد بن الحنفية رضى الله عنه ما كرمت على عبد نفسه الا هانت عليه الدنيا (شاعر)

الحر حر عزيز النفس حيث ثوى * كالشمس فى أى برج ذات أنوار

(آخر)

ما اعتاض باذل وجهه بسؤاله * عوضا ولو نال الغنى بسؤال
واذا السؤال مع النوال وزنته * رجح السؤال وخف كل نوال

(آخر)

لا استعين باخوانى على الزمن * ولا أرى حسنا ماليس بالحسن
انى كليل اذا استعطفت ذائقة * بماحوت كفه قد كان أغفلنى
ذل السؤال وذل الشكر ما اجتمعا * الا أضر بماء الوجه والبدن
لا ابتدى بسؤالى أخا أبدا * لو شاء قبل سؤالى منه أكرمنى
له الثراء ولى عرض أوفره * عنه ويقنعنى قوت يبلغنى

(محمد بن حازم)

اضرع الى الله لا تضرع الى الناس * واقنع بيأس فان العز فى الياس
فالرزق عن قدر يجرى الى أجل * فى كف لا غافل عنى ولا ناسى
فكيف ابتاع فقرا حاضرا بغنى * وكيف أطلب حاجاتى من الناس

(ولقد) أحسن ابن شهيد كل الاحسان فى قوله يصف من صان وجهه عن السؤال بقناع قناعته وكف وصبر على مضض الاحتياج بقدر استطاعته فعف

ان الكريم اذا نالته مخمصة * أبدى الى الناس ريا وهو ظمآن
يطوى الضلوع على مثل اللظى حرقا * والوجه طلق بماء البشر ريان

(آخر)

وكم قد رأينا من فتى متجمل * يروح ويغدو ليس يملك درهما
يبيت يراعى النجم من سوء حاله * ويصبح يلقى ضاحكا متبسما

(ذكر من كان يدين بالبخل من الملوك واتصف بما لا يحسن بالفقير الصعلوك)

عبد الله بن الزبير ويكنى أبا حبيب وانما لم يعد من البخلاء لجلالة رتبته واصالة أبوته فمما يحكى عنه أنه نظر الى رجل من جنده قد دق فى صدور أصحاب الحجاج فى قتاله على مكة ثلاثة أرماح فقال له يا هذا اعتزل عن نصرتنا فان بيت المال لا يقوم بهذا (وفى هذه الحرب) يقول معاتبا جنده أكلتم تمرى وعصيتم أمرى سلاحكم رث وكلامكم غث عيال فى الجدب أعداء فى الخصب (وقال) لرجل كان يتعاطى التجارة ما أصناعتك قال أتجر فى الرقيق فقال ما أشد اقدامك على الغرر واضاعة المال قال بماذا قال بضاعتك الملعونة التى هى ضمان نفس ومؤنة ضرس (وأتاه) عبد الله بن فضالة مستجديا فأخذ يشكو اليه شدة فاقته وحفا ناقته ووعورة طريقه وبعد

مسافته فقال له اخصفها بهلب وارقعها بسبت وانجدها ببرد خفها فقال ابن فضاله انما جئتك مستجديا لامستوصفا فلا بقيت ناقة حملتني اليك قال ان وصاحبها قوله ان بمعنى نعم (قال) أبو عبيدة معمر بن المثنى لو تكلف الحرث بن كلدة طبيب العرب من وصف علاج ناقة هذا ما تكلفه هذا الخليفة لعسر عليه (و يقال) انه كان يأكل فى كل سبعة أيام أكلة واحدة ويقول انما بطنى شبر فى شبر وما عسى يكفينى (ومن بخلاء الخلفاء) عبد الملك بن مروان وكان يسمى رشح الحجر ولبن الطير أيضا لبخله وهشام ولده كان ينظر فى القليل من المال ويمنع السائل وان ألحف فى السؤال ويبيع ما يهدى اليه ويجعل السب صلة من يقرظه ويثنى عليه (من حكاياته) انه وفد عليه محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال له مالك عندى شئ ثم قال اياك أن يغرك أحد فيقول لك لم يعرفك أمير المؤمنين أنت فلان بن فلان فلا تقيمن فتنفق ما معك فليس لك عندى صلة فبادر وألحق باهلك (وكان) معاوية يبخل فى طعامه مع كثرة جوده بالمال قال لرجل واكله ارفق بيدك فقال له الرجل وأنت فاغضض من طرفك (و بلغه) أن الناس يبخلونه فقام على المنبر وقال ان الله تعالى يقول وان من شئ الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم فلاى شئ تلامنا نحن فقام اليه الاحنف بن قيس وقال نحن ما نلومك على ما فى خزائن الله ولكن نلومك على ما فى خزائنك اذا اغلقت بابك دونه (والمنصور) وكان يلقب أبا الدوانيق ولقب بذلك لانه لما بنى بغداد كان ينظر فى العمارة بنفسه فيحاسب الصناع والاجراء فيقول لهذا أنت نمت القائلة ولهذا أنت لم تبكر الى عملك ولهذا أنت انصرفت لم تكمل اليوم فيعطى كل واحد منهم بحسب ما عمل فى يومه فلا يكاد يعطى أجرة يوم كامل (ويحكى عنه) أنه قال لطباخيه لكم ثلاث وعليكم اثنان لكم الرؤس والاكارع والجلود وعليكم الحطب والتوابل (ومن حكاياته) الدالة على شدة بخله أن الربيع بن يونس حاجبه قال له يوما يا أمير المؤمنين ان الشعراء ببابك وهم كثيرون وقد طالت أيام اقامتهم ونفدت نفقاتهم فقال اخرج اليهم واقرأ عليهم السلام وقل لهم من مدحنا منكم فلا يصفنا بالاسد فانما هو كلب من الكلاب ولا بالحية فانما هى دويبة ميتة تأكل التراب ولا

بالحلى

بالحلى فانما هو بحر أصم ولا بالبحر فانه ذو غطامط فمن ليس فى شعره شئ من هذا فليدخل ومن كان فى شعره شئ من هذا فلينصرف فانصرفوا كلهم الا ابراهيم ابن هرمة فانه قال أدخلنى فأدخله فلما مثل بين يديه قال يا ربيع قد علمت أنه لا يجيبك أحد غيره هات يا ابراهيم فأنشده القصيدة التى أولها

سرى نومه عنى الصبا المتحامل * واذن بالبين الحبيب المزايل

حتى انتهى الى قوله

له لحظات فى حفا فى سريره * اذا كرها فيها عقاب ونائل

فأم الذى أمنت آمنة الردى * وأم الذى خوفت بالثكل ثاكل

فرفع له الستر واقبل عليه مصغيا اليه حتى فرغ من انشادها ثم أمر له بعشرة آلاف درهم وقال له يا ابراهيم لا تتلفها طمعا فى نيل مثلها فما فى كل وقت تصل الينا وتنال مثلها منا فقال ابراهيم ألقاك بها يا أمير المؤمنين يوم العرض وعليها خاتم الجهبذ (ودخل) المؤمل بن أميل على المهدى بالرى وهو اذ ذاك ولى عهد أبيه المنصور فامتدحه بأبيات يقول فيها

هو المهدى الا أن فيه * تشابه صورة القمر المنير

تشابه ذا وذا فهما اذا ما * أنارا يشكلان على البصير

فهذا فى الضياء سراج عدل * وهذا فى الظلام سراج نور

ولكن فضل الرحمن هذا * على ذا بالمنابر والسرير

ونقص الشهر يخمد ذا وهذا * منير عند نقصان الشهور

(ومنها)

فان سبق الكبير فأهل سبق * له فضل الكبير على الصغير

وان بلغ الصغير مدى كبير * فقد خلق الصغير من الكبير

فأعطاه عشرين ألف درهم فكتب بذلك صاحب البريد الى المنصور وهو بمدينة السلام بغداد فكتب اليه المهدى يلومه على هذا العطاء ويقول له انما كان ينبغى لك أن تعطى الشاعر اذا أقام ببابك سنة أربعة آلاف درهم وأمر كاتبه أن يوجه اليه بالشاعر فطلب فلم يوجد وذكر أنه توجه الى بغداد فكتب الكاتب الى المنصور بذلك فأمر بعض القواد بارصاد المؤمل على باب بغداد فجعل القائد يتصفح وجوه الناس القادمين عليها ويسألهم عن

أسمائهم وأسماء آبائهم حتى وقع على المؤمل فسأل عن اسمه فأخبره فقال أنت بغية أمير المؤمنين وطلبته قال المؤمل فكاد والله قلبي ينصدع خوفا وفزعا ثم أخذ بيدى فسار بى الى الربيع فأدخلنى على المنصور فقال يا أمير المؤمنين هذا المؤمل بن أميل قد ظفرت به فسلمت فرد السلام فسكن جأشى وزال استيحاشى عند ذلك واطمأن قلبى وزال روعى ثم قال لى أتيت غلاما غرا فخدعته فانخدع فقلت يا أمير المؤمنين أتيت ملكا جوادا كريما فمدحته فحمله كرم أعراقه ومكارم شيمه على صلتى وبرّى فأعجبه كلامى ثم قال انشدنى ما قلت فيه فأنشدته القصيدة فقال والله لقد أحسنت ولكنها لا تساوى عشرين ألفا يا ربيع خذ منه المال وأعطه منه أربعة آلاف درهم ففعل فلما ولى المهدى الخلافة قدم عليه المؤمل فأخبره بما دار بينه وبين المنصور فضحك وأمر له برد ما أخذ منه فرد عليه (وأشرف) يوما على الصياد فرأى صائدا اصطاد سمكة عظيمة فقال لبعض مواليه اخرج الى المتسبب فمره أن يوكل بالصياد من يدور معه من حيث لا يشعر فاذا باع السمكة قبض على مشتريها وصار به الينا ففعل المتسبب ما أمر به فلقى الصياد رجلا نصرانيا فابتاع منه السمكة بثلثى درهم فلما صارت السمكة فى يد النصرانى وذهب بها قبض عليه الاعوان وأتى به المتسبب وأدخله على المنصور فقال له من أنت قال رجل نصرانى قال بكم ابتعت هذه السمكة قال بثلثى درهم قال وكم عيالك قال ليس لى عيال قال وأنت يمكنك ان تشترى مثل هذه السمكة بمثل هذا الثمن كم عندك من المال قال ما عندى شئ فقال للمتسبب خذه اليك فان أقر بجميع ما عنده والا فنل به فأقر بعشرة آلاف درهم قال كلا انها أكثر فأقر بثلاثين ألف درهم وأحل دمه ان وقف له على أكثر منها قال له من أين جمعتها قال وأنا آمن يا أمير المؤمنين قال له وأنت آمن على نفسك ان صدقت قال كنت جارا لابى أيوب فولانى جهبذة بعض نواحى الاهواز فأصبت هذا المال فقال المنصور الله أكبر هذا مالنا اختنته وأمر المتسبب بحمل المال واطلاق الرجل (وقد حكى) ابن حمدون فى تذكرته أن المنصور حج فى بعض السنين فحدا به سالم الحادى فى طريقه يوما بقول الشاعر

أبلج بين حاجبيه نوره * اذا تغذى رفعت ستوره

يزينه حياؤه وخيره * ومسكه يشوبه كافوره

فطرب المنصور حتى ضرب برجله المحمل ثم قال ياربيع أعطه عشرة دراهم وفي رواية نصف درهم فقال سالم لا غيريا أمير المؤمنين والله لقد حدوت لهشام ابن عبد الملك فأمر لي بثلاثين ألف درهم فقال المنصور ما كان له أن يعطيك من بيت مال المسلمين ماذكرت ياربيع وكل به من يستخرج منه هذا المال قال الربيع فمازلت أسفر بينهما حتى شرط عليه أن يحدو به في خروجه وقفوله بغير مؤنة وكان سالم هذا المذكور تورد له الابل بعد ان تظمأ السبعة أيام والثمان والتسع والعشر فيحدو لها فيلهيها بحدوه عن ورود الماء (ومن ظريف ما يحكى) عنه أن عبد الله بن زياد بن الحرث كتب اليه رقعة بليغة يستمنحه فيها فكتب عليها ان الغنى والبلاغة اذا اجتمعا في بلد ابطراه وأمير المؤمنين مشفق عليك فاكتف بالبلاغة (وكان) لسوار القاضي بالبصرة من قبل المنصور كاتبان رزق أحدهما عشرون درهما ورزق الآخر أربعون درهما فكتب اليه سوار التسوية بينهما فنقص صاحب الاربعين عشرة وزادها صاحب العشرين وانما أراد سوار أن يلحق صاحب العشرين بصاحب الاربعين

من صان درهمه ولم يسمح به للعطاء
فكشف عنه اللؤم ما أسبله الكرم من الغطاء

مروان بن أبي حفصة وذلك أنه خرج يريد المهدي فقالت امرأة من أهله مالي عليك اذا رجعت بالجائزة قال ان أعطيت مائة ألف درهم أعطيتك درهما فأعطى ستين ألفا فأعطاها أربعة دوانيق (وسأل رجل) خالد بن صفوان فقال هب لي دينارا فقال خالد لقد صغرت عظيما اصغرك الله الدينار عشر العشرة والعشرة عشر المائة والمائة عشر الالف والالف ديتك (وكان) بعض البخلاء اذا صار الدرهم في يده خاطبه وناجاه وقبله وفداه وقال له بأبي أنت وأمي كم من أرض قطعت وكيس خرقت وكم من خامل رفعت وسري وضعت ان لك عندي أن لا تعرى ولا تضحى ثم يلقيه في الكيس ويقول اسكن على بركة الله في مكان لا تحول عنه ولا تخرج منه (وكان) مروان بن أبي حفصة اذا جاءته جائزة يقول للدراهم كم خامل رفعت وكم سري وضعت

طال ماتغربت فى البلاد وأتعبت فى طلب تحصيلك العباد فوالله لاطيلن ضجعتك ولاديمن صرعتك ثم يضعها فى الصندوق ويختم عليها (وكان) أبو العميس اذا وقع الدرهم فى يده نقره بأصبعه وقال مخاطباله كم من يد وقعت فيها ومن بلد جلت فى نواحيها بأبى أنت وأمى اسكن وقر عينا فقد قربك القرار واستقربك الدار واطمأنت بك المنزل ثم يضعه فى كيس ويختم عليه فيكون آخر العهد به (وكان) بعض البخلاء اذا وقع الدرهم فى كفه قال مخاطباله أنت عقلى ودينى وصلاتى وصيامى وجامع شملى وقرة عينى وقوتى وعمادى وعدتى ثم يقول ياحبيب قلبى وثمرة فؤادى قد صرت الى من يصونك و يعرف حقك و يعظم قدرك ويشفق عليك وكيف لايكون كذلك وبك تجلب المسار وتدفع المضار وتعظم الاقدار وتعمر الديار وتفتض الابكار ترفع الذكر وتعلى القدر ثم يطرحه فى الكيس و ينشد

بنفسى محجوب عن العين شخصه * وليس بخال من لسانى ولاقلبى
ومن ذكره حظى من الناس كلهم * وأول حظى منه فى البعد والقرب

(وممن صان درهمه ولم يسمح به فكان ذلك سببا الذمه وثلبه)

ما يحكى أن أعرابيا شرب عند بخيل غبوقا فلما سكر البخيل وانتشى خلع على الاعرابى قميصا فلما صحا انتزعه منه ثم شرب معه صبوحا فلما سكر وانتشى خلع عليه قميصا فلما صحا انتزعه منه فقال

كسانى قميصا مرتين اذا انتشى * وينزعه منى اذا كان صاحيا
فلى فرحة فى سكره وانتشائه * وفى الصحو ترحات تشيب النواصيا

(وأتى) بعض البخلاء بغلام ليشتريه فسيم فيه بأربعين دينارا فأعطى فيه عشرين فقيل له انه فراش ونداف فقال لوفرش السماء وندف الغيم بقوس قزح ما اشتريته بأربعين (وساوم أشعب) بقوس بندق فقال صاحبه بدينارين فقال والله لورميت به طائرا فوقع مشويا بين رغيفين ما اشتريته بهذا الثمن *وكان أشعب بخيلا وله حكايات تذكر فيما بعد ان شاء الله (وقال الاصمعى) قالت امرأة لزوجها اشتر لنا رطبا فقال لها وكيف يباع قالت كيلجة بدرهم فقال والله لوخرج الدجال وعاث فى الارض وأنت تمخضين بعيسى والناس ينتظرون الفرج على يديه فى قتال الدجال ثم لم تلديه حتى تأكلى الرطب

ما اشتريته لك كيلجة بدرهم (مدح شاعر) محمد بن عبدوس فقال له اما أن اعطيك شيأ من مالى فلا ولكن اذهب فاجن جناية حتى لا آخذك بها (وقال) مروان بن أبى حفصة ما فرحت بشئ فرحى بمائة ألف درهم وهبها لى أمير المؤمنين المهدى فزادت درهما فاشتريت به لحما (ودخل) أبو صاعد على الغنوى فانشده

رأيت فى النوم أنى مالك فرسا * ولى وصيف وفى كفى دنانير
فقال قوم لهم علم ومعرفة * رأيت خيرا وللاحلام تفسير
اقصص منامك فى بيت الامير تجد * تحقيق ذاك وللفأل التباشير

فلما سمع الامير انشاده قال أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين

(من كان بخله على الفقراء بطعامه معربا عن لؤمه وموجبا للملامه)

(الحطيئة) يحكى عنه أن بعض الاعراب مر به وهو يرعى غنماله وفى كفه عصا فناداه الاعرابى يا راعى الغنم فأومأ اليه الحطيئة بعصاه وقال انها عجراء من سلم فقال الاعرابى انى ضيف فقال وللضيفان أعددتها (ومر أعرابى) بأبى الاسود الدؤلى وهو واقف على باب داره فسلم فقال له أبو الاسود كلمة مقولة قال أتأذن لى فى دخول منزلك قال وراءك أوسع لك قال هل عندك شئ يؤكل قال نعم قال فأطعمنى قال عيالى أحق به منك قال ما رأيت ألأم منك قال است ترى نفسك قال الشاعر

اياك ترغب فى كلامه * وارفع يمينك من طعامه
فالموت أهون عنده * من مضغ ضيف والتقامه
سيان كسر رغيفه * أو كسر عظم من عظامه
واذا مررت ببابه * فاحفظ رغيفك من غلامه

(وقال رجل) لبعض البخلاء لم لا تدعونى الى طعامك قال لانك جيد المضغ سريع البلع اذا أكلت لقمة هيأت أخرى فقال يا أخى أتريد أنى اذا أكلت عندك أن أصلى ركعتين بين كل لقمتين (وقال آخر لبخيل) لم لا تدعونى قال لانك تعلق وتشدق وتحدق أى يحمل واحدة فى يده وأخرى فى شدقه وينظر الى أخرى بعينه (وعزم) بعض اخوان أشعب عليه ليأكل عنده فقال انى أخاف من ثقيل يأكل معنا فقال ليس معنا ثالث فمضى معه فبينما هما يأكلان

اذا بالباب يطرق فقال أشعب ما أرانا الا صرنا الى ما نكره قال انه صديقي وفيه عشر خصال ان كرهت واحدة منهن لم آذن له فقال أشعب هات أولها قال انه لا يأكل ولا يشرب قال التسع لك ودعه يدخل فقد أمنا ما كنا نخافه (وكان) مروان بن أبي حفصة لا يأكل الا الرؤس فقيل له في ذلك قال لان الغلام لا يقدر أن يخونني فيه ان أخذ أذنا أو أخذ عينا وقفت على ذلك وآكل منه ألوانا آكل عينه لونا ودماغه لونا وأذنيه لونا وأكفي مؤنة طبخه في البيت فقد اجتمع لي فيه مرافق شتى (وحكى) دعبل الخزاعي قال أتيت سهل بن هرون في حاجة فأطلت الجلوس عنده فأخر غداءه لقيامي فجلست على عمد حتى كضه الجوع فقال يا غلام غدنا فجاء بمائدة وعليها قصعة فيها مرق وديك ليس قبلها ولا بعدها غيرها فاطلع في القصعة ففقد رأس الديك فقال للغلام أين الرأس قال رميت به قال ولم رميت به قال ظننتك لا تأكله قال فهلا ظننت ان العيال يأكلونه ثم التفت الي وقال لولم أكره مما صنع الا الطيرة لكان حسبي فانهم يقولون الرأس للرئيس وفيه الحواس الاربع ومنه يصيح الديك وفيه عرفه الذي يتبرك به وعينه التي يضرب بها المثل في الصفاء ودماغه موصوف لوجع الكليتين ولم ار اعظم ما قط أهش تحت ضرس من دماغ ديك ويلك انظر أين رميته قال لا أدري قال لكني أنا ادري أين رميته رميته في بطنك الله حسيبك *وكان جعفر بن سليمان بخيلا على الطعام رفعت المائدة من بين يديه يوما وعليها دجاجة صحيحة قد أخذ منها بعض بنيه جناحا فلما أعيدت عليه بالغداة قال من هذا الذي تعاطى فعقر فقيل له ابنك الصغير فقطع أرزاق جميع بنيه من أجله فلما طال ذلك منه وأضر بهم الحال جاءه أكبرهم وقال يا أبانا أفتهلكنا بما فعل السفهاء منا فأعجبه ذلك وأمر برد أرزاقهم اليهم (وقال) بعض الاكياس دعاني كوفي الى منزله فقدم لي دجاجة فأكلت من المرقة وجهدت أن آكل من اللحم فما قدرت لصلابته وبت عنده فأعاده من الغد الى القدر وطرح عليه سكرا فعاد زيرباجا فقدمه وأكلت من المرق وجهدت ان آكل من اللحم فما قدرت لشدته فبت عنده الليلة الثانية فلما كان من الغد قال لغلامه اطرح عن اللحم من المرق ليصير قلية ففعل ثم قدمه الي فأكلت من المرق وجهدت أن آكل من اللحم فلم أقدر لقوته فأخذت قطعة من اللحم ووضعتها الى جهة

القبلة

القبلة وقت لا أصلى اليها فقال ماهذا الذى تصنع قلت أشهد أنه لحم ولى من أولياء الله تعالى فانه قد أدخل النار ثلاث دفعات فلم تفعل فيه شيأ فلما أردت الانصراف اذا ببعض جيرانه يدق الباب فقال له أعرنى ذلك اللحم لضيف وافانى من الغد لا طبخه له وأرده اليك ان شاء الله تعالى فناوله اياه (وسأل فقير من دار بخيل شيأ فأعطى لقمة صغيرة فقال يا أهل هذا المنزل كيف أشرب هذا الدواء (وقف سائل) على باب دار فيها يحيى بن زياد وحماد بن عجرد وبشار مجتمعين على طعام فقال يا اخوتى المسلمين فقال يحيى فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون فقال ارحمونى فقال حماد نحن الى رحمتك أحوج منك الى رحمتنا فقال واسمعوا كلامى فقال بشار * لقد اسمعت لو ناديت حيا * فقال السائل أما القول فما أوسع به شقاشق أقوا الكم وأما الفعل فما أخيبه قرن الله بالخيبة آمالكم (وقال العتبى) كان الاصمعى يجعل الخبز الحار أدما للخبز البارد ولو بذلت له الجنة بدرهم لاستنقص منه شيأ (وقال جحظة) دخلت على هرون ابن الخال وكان بخيلا بطعامه وكنت اذ ذاك ناقها من علة وقد نصبت مائدة بين يديه فدعانى اليها وقدمت الى صحفة فيها مضيرة معقودة بعصبان كأنها قضبان فضة فانهمكت فى الاكل فنظر الى شزرا ثم قال يا جحظة هذه والله معدن ألم المفاصل والفالج واللقوة والقولنج وأنت عليل وبدنك نحيل واللبن يستحيل فقلت والله العظيم الجليل لآتين منها على الكثير والقليل وحسبنا الله ونعم الوكيل ثم أقبلت على الاكل منها حتى اكتفيت فلما انصرفت عملت فيه

ولى صاحب لاقدس الله روحه * بعيد عن الخيرات غير قريب
أكلت عصيبا عنده فى مضيرة * فيالك من يوم عليه عصيب

(وله وأبدع)

لا تعذلونى ان هجرت طعامه * خوفا على نفسى من المأكول
فمتى أكلت قتلته من بخله * ومتى قتلت قتلت بالمقتول

(وحضر اعرابى) مائدة هشام بن عبد الملك فرفع الاعرابى لقمة فقال له هشام شعرة فى لقمتك يا اعرابى فقال الاعرابى فانك تلاحظنى ملاحظة من يرى الشعرة والله لا أكلت عندك أبدا (وقال) بعض البخلاء انى لا آكل الا نصف الليل قيل له ولم قال يبرد الماء وينقمع الذباب وآمن فجأة الداخل وصرخة

السائل (وطبخ) رجل قدرا وجلس مع زوجته يأكلان فقال ما أطيب هذا الطعام لولا الزحام قالت أى زحام ههنا انما هو أنا وأنت قال كنت أحب أن أكون أنا والقدر (وقال) بعض البخلاء لغلامه هات الطعام واغلق الباب قال يا مولاى ليس هذا حزما بل أغلق الباب أولا وأقدم الطعام ثانيا فقال له اذهب فأنت حر لوجه الله تعالى لعلمك بأسباب الحزم (وأين هذا) مما يحكى أن عدى بن حاتم الطائى عمل مأدبة فقال لولده وكان صغيرا أقم على الباب وأذن لمن تعرف وامنع من لا تعرف فقال والله لا يكن أول شئ وليته من أمر الدنيا منع أحد عن طعام فقال عدى والله يا ولدى أنت أكرم منى وأفطن افتحوا الباب فمن شاء فليدخل وبهاتين الحكايتين علم مصداق من أطلع الله شمس الحكمة من مشرق فيه بقوله العبد من طينة مولاه والولد سر أبيه

(شاعر يذم بخلاء وتروى للاخطل)

قوم اذا أكلوا أخفوا كلامهم * واستوثقوا من رتاج الباب والدار
لا يقبس الجار منهم فضل نارهم * ولا تكف يد عن حرمة الجار
قوم اذا استنبح الاضياف كلبهم * قالوا لامهم بولى على النار

(آخر)

تراهم خشية الاضياف يوما * يقيمون الصلاة بلا أذان

(ابن هلال العسكرى يذم بخيلا)

تنانيركم للنمل فيهامدارج * وفى قدركم للعنكبوت مناسج
وعندكم للضيف حين ينوبكم * سؤالات سوء للقرى وسفاتج
وأنتم على ما تزعمون أكارم * فايرى فى است الاكارم والج

(وقال) صعصعة بن صوحان أكلت عند معاوية لقمة فقام بها خطيبا قيل وكيف ذاك قال كنت آكل معه فهيأ لقمة ليأكلها فأغفلها فأخذتها وأكلتها فسمعته بعد ذلك يقول أيها الناس أجملوا فى الطلب فرب رافع لقمة الى فيه سبقه اليها غيره

(ومما يليق بهذا الفصل من التذييل ذكر من عرف بالطمع والتطفيل)

قالوا الطمع يدنس الثياب ويغير الاذهان (وقالوا) مصارع الالباب تحت ظلال الطمع (وقالوا) الحر عبد ما طمع والعبد حر ان قنع (وقالوا) أخرج

الطمع من فيك تحل القيد من رجليك (وصف) بعضهم طامعا فقال لو رأى شيأ في جحر أفعى لجاء اليه يسعى وادخل يده فيه ليأخذه ويحويه (وقالوا) لو قيل للطمع من أبوك لقال الشك في المقدور ولو قيل له ما حرفتك لقال اكتساب الذل ولو قيل له ما غايتك لقال الحرمان ولله درّ من قال

وما قطع الاعناق حتى أبانها * وقرّرها الا سيوف المطامع

(شاعر يذم الطمع)

وذى طمع يغدو بقية عمره * ويمسى ولم تجمع يداه له وفرا
يبيت سمير اللمنى مترّبا بها * ويضحى سليبا من مواهبها صفرا
وأكثر ما تلقى الامانى كواذبا * فان صدقت جازت بصاحبها القدرا

(فممن) اشتهر بالطمع وجمع فيه بين الطبع والطبع أشعب وبه يضرب المثل قيل له ما بلغ من طمعك قال ما رأيت عروسا تزف الا ظننت أنها لى ولا رأيت جنازة الا حسبت ان صاحبها أوصى لى بشئ ولا رأيت اثنين يتناجيان الا خيل لى أنهما يأمران لى بمعروف ولقد طاف الصبيان حولى يوما يتولعون بى فقلت لهم لا بعدهم عنى ان فى دار فلان لوزينجا يفرق فذهبوا يتعادون فلما ذهبوا عنى ظننت أنى صادق فتبعتهم (وقيل) له هل رأيت أطمع منك قال نعم نزلت بطريق الشأم مع رفيق لى تحت صومعة راهب فتنازعنا فى شئ فقلت اير الراهب فى است الكاذب واذا بالراهب قد نزل وايره فى يده وقد أنعظ وهو يقول فديتكما من الكاذب فيكما (وكان) يقول ما أحسست بجار لى يطبخ قدرا الا غسلت الغضارة ووضعت المائدة وانتظرته يحمل الىّ قدره (جلس) عبد الله بن أبى عتيق مع زوجته فتمنى أن يهدى له مسلوخ فيتخذ منه لون كذا ولون كذا فسمعته جارة له فظنت انه أمر بعمل ما سمعت فانتظرته الى الليل ثم جاءت وطرقت الباب وقالت شممت رائحة قدركم فجئت لتطعمونى منها فقال ابن أبى عتيق لامرأته أنت طالق ان أقمنا فى دار يتشمم أهلها ريح الامانى ورحل عنها

(بعض المتمنين)

خلوت بنفسى فمنيتها * أمانىّ خابت ولم تصدق
فهذا القتلاه وهذا اضربا * وهذا احملاه على الابلق

(التطفيل) من امثالهم قولهم أطفل من ذباب والزم من قراد وانم من ليل على نهار (ومن أدب الراجز)

أوغل فى التطفيل من ذباب * على طعام وعلى شراب
لوأبصر الرغفان فى السحاب * لطار فى الجو مع العقاب

(وقالوا) من جاء الى طعام لم يدع اليه استحق الطرد ولا يلام عليه (ليم) بعض المتطفلين على التطفيل فقال والله مابنيت المنازل الا لتدخل ولا قدمت الاطعمة الا لتؤكل وانى لاجمع فى التطفيل خلالا ادخل مجالسا وأقعد مستأنسا وانبسط وان كان رب المجلس عابسا ولا اتكلف مغرما ولا انفق درهما (وقال بنان) وهو كبيرهم التمكن على المائدة خير من أربعة ألوان زائدة * ومن دعائه اللهم ارزقنى صحة الجسم وكثرة الاكل ودوام الشهوة ونقاء المعدة (ودخل) بعض الطفيليين على قوم فقالوا من أنت قال أنا الذى لا أحوجكم الى رسول ولبعضهم فى المعنى

نحن قوم ان جفا النا * س وصلنا من جفانا
لا نبالى صاحب الدا * ر نسينا أم دعانا

(قصد) جماعة من الطفيليين باب بعض الكبراء وقت غدائه فمنعهم بوابه فكتب اليه بعضهم

قد أتيناك زائرين خفافا * وعلمنا بأن عندك فضله
ولدينا من الحديث هناة * معجبات نعدها لك جمله
ان تجدنا كما تريد والا * فاحتملنا فانما هى أكله

فأذن لهم فدخلوا (البديع الهمذانى على لسان طفيلى)

نحن قوم نحب هدى رسول الله هدنا وللصواب أصبنا
فادعنا كلما نشطت فانا * لو دعينا الى كراع أجبنا

(آخر)

ولما أن كتبت ولم تجبنى * ولم تنظر الى بعين أنس
رأيت الحزم ان أنضى ركابى * اليك وأن أكون رسول نفسى

(ولم أسمع باظرف من قول القائل)

ونديم رقيق حاشية الحيـ * ـلة صافى زجاجة الآداب

شغلته الرقاع منه اليه * داعيا نفسه الى الاصحاب

(آخر يصف طفيليا)

لو طبخت قدر بمطمورة * بالشام أو أقصى جميع الثغور
وأنت بالصين لوافيتها * ياعالم الغيب بما فى القدور

(الفصل الثالث من الباب العاشر)
فى مدح القصد فى الانفاق خوف التعيير بالاملاق

قال الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ناصحا بالاشفاق وآمراله بالقصد فى الانفاق مثبتا الكماله قواما مشكورا ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا فنهاه عن التقتير كما نهاه عن التبذير (وقال تعالى) مثنيا على المقتصدين بحسن تقديرهم اكراما والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم ماعال من اقتصد أى ما افتقر (وقال) عمر بن الخطاب رضى الله عنه ان الله يحب القصد والتقدير ويكره السرف والتبذير (وقال) معاوية رضى الله عنه حسن التقدير نصف الكسب وهو قوام المعيشة * وقال لولده كن مقدرا ولا تكن مقترا (وأوصى) حكيم ولده فقال يابنى عليك بالتقدير بين الطرفين لامنع ولا اسراف ولا بخل ولا اتلاف لاتكن رطبا فتعصر ولا يابسا فتكسر (وقالوا) حسن التقدير رأس التدبير (وقال ذو النون) حسن التقدير مع الكفاف أكفى من الكثير مع الاسراف (ويقال) لاتسمح لولدك ولا لامرأتك ولا لغلامك وخادمك بما فوق الكفاية فان طاعتهم لك بقدر حاجتهم اليك (ومن هذا وهو لائق بالملوك) ماحكى ان ابرويز قال لابنه لاتوسعن على جندك فيستغنوا عنك ولا تضيقن عليهم فيضجوا منك وأعطهم عطاء قصدا وامنعهم منعا جميلا ووسع لهم فى الرجاء ولا توسع عليهم فى العطاء * وفى وصيته لولده أى بنى قول لاتدفع البلاء وقول نعم تزيل النعم وسماع الغناء برسام حاد لان الانسان اذا سمع الغناء شرب واذا شرب طرب واذا طرب وهب واذا وهب عطب واذا عطب اعتل ثم يموت من غم ذلك والدرهم محموم ان حركته مات والدينار محبوس ان أطلقته طار وكذب من قال اليمين تذر الديار بلاقع وانما الاسراف يفعل ذلك والاصدقاء هم الاعداء لانك اذا احتجت اليهم

منعولئ وان احتاجوا اليك ومنعتهم سبولئ واذا لم يكن لك بد منهم فكن معهم كلاعب الشطرنج يحفظ ما معه ويحتال فى أخذ ما مع غيره (وسأل رجل) زياد ابن سمية فأعطاه درهما فقال صاحب العراقين أسأله فيعطيني درهما فقال من بيده خزائن السموات والارض ربما رزق أخص عباده عنده وأكرمهم لديه التمرة واللقمة وما يكبر عندى ان أصل رجلا بمائة ألف درهم ولا يصغر عندى أن أعطى سائلا رغيفا اذا كان رب العالمين يفعل ذلك (وقيل) ينبغى للعاقل أن يكسب ببعض ماله المحمدة ويصون ببعضه وجهه عن المسئلة (وقال الاصمعى) سمعت بعض الاعراب يقول من اقتصد فى الغنى والفقر فقد استعد لنوائب الدهر * ويقال اقتصد فى انفاق الدراهم فانها الجراح الفاقة مراهم (وقالوا) اسقاط الفضول فى النفقة ربح بضاعة لاتمل فان الاسراف ربما كان سببا فى التقتير (وقال الثعالبى) من كثرت فى دعوته نفقته أسلم ماله ونقصت مروأته (وقال افلاطون) رأس العقل الاقتصاد فى الانفاق من غير بخل (ومن الكلام البديع) للبديع الهمذانى قوله مثل الاحسان فى الانسان مثل الثمار فى الاشجار حقه اذا أتى بالحسنة أن يرفه الى سنه وما أحسن ماقيل فى المعنى

أنفق بمقدار ما استفدت ولا * تسرف وعش فيه عيش مقتصد
من كان فيما استفاد مقتصدا * لم يفتقر بعدها الى أحد

(آخر)

كن بما أوتيته مغتبطا * تستدم عيش القنوع المكتفى
ان فى نيل المنى وشك الردى * واجتناب القصد عين السرف
كسراج دهنه قوت له * فاذا غرقته فيه طفى

(ماقيل ان فى صلاح الاموال صلاح ما فسد من الاحوال)

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لايقل مع الاصلاح شئ كما لايكثر مع الافساد شئ (ويقال) من الفساد اضاعة الزاد (المتلمس)

لحفظ المال خير من فناه * وسير فى البلاد بغير زاد
قليل المال تصلحه فيبقى * ولا يبقى الكثير مع الفساد

(وقال) عمر بن الخطاب رضى الله عنه أصلحوا أموالكم التى رزقكم الله فان

اقلالا فى رفق خير من اكثار فى خرق (وقالوا) ان فى صلاح الاموال سلامة الدين وجمال الوجه وبقاء العز وصون العرض (وقالوا) أصلح مالك تجده لروعة الزمان وجفوة السلطان ونبوة الاخوان ودفع الاحزان (وكتب) عتبة بن أبى سفيان الى وكيله يعاهده صغير مالى يكبر ولا يحقر كبيره فيصغر فانه ليس يشغلنى كثير مالى عن اصلاح قليله ولا يمنعنى قليله عن كثير ما ينوبنى (وقال) أحيحة بن الحلاج أصلحوا أموالكم فانكم لا تزالون ذوى مروات ما استغنيتم عن عشيرتكم (وقال) شبيب بن شيبة لبنيه ان كنتم تحبون المروأة والفتوة فأصلحوا أموالكم (وقال) معاوية اصلاحك مافى يدك أسلم من طلبك مافى أيدى الناس (وقال) عبد الله بن عباس اطلبوا الغنى باصلاح مافى أيديكم فان الفقر مجمع العيوب وقال البستى

اشفق على الفضة والعين * تسلم من القلة والدين
فقوة العين بانسانها * وقوة الانسان بالعين

(احتجاج من خمدت يده عن النوال خوف التعيير بالفقر وذل السؤال)

قال أبو حنيفة لا خير فيمن لا يحفظ ماله ليصون به عرضه ويصل به رحمه ويستغنى به عن لئام الناس (وقال الاصمعى) لامت اعرابية اباها على اتلاف ماله فقالت يا أبت حبس المال يمنع العيال من بذل الوجه للسؤال أسرفت فى النوال وكثرة النحال امسك فقد اتلفت الطارف والتلاد وبقيت ترقب مافى أيدى العباد يا أبت من لم يحفظ ما ينفعه يوشك أن يقع بالفقر فيما يضره (وقال) عبد الله بن المعتز

أعاذل ليس البخل منى سجية * ولكن وجدت الفقر شر سبيل
لموت الفتى خير من البخل للفتى * وللبخل خير من سؤال بخيل

(وقال) سفيان الثورى لان أخلف عشرة آلاف درهم أحاسب عليها أحب الى من أن احتاج الى الناس (وكان) داود بن على يقول لان يترك الرجل ماله بعده لاعدائه خير من الحاجة فى حياته لاوليائه (وقال) يعقوب الكندى من جاد بماله فقد جاد بنفسه لانه جاد بالاقوام لها الابه وقال الشاعر

يارب جود جر فقر امرئ * فقام للناس مقام الذليل
فاشدد عرى مالك واستبقه * فالموت خير من سؤال البخيل

(آخر)

الموت خير للفتى * من أن يعيش بغير مال
والموت خير للكريم * من التضرع والسؤال

(وقال) أبو الاسود الدؤلى لو لم نبخل على السؤال بما بايدينا لكنا اسوأ حالا منهم (وقالوا) ختم المال حتم (واهم) مروان بن أبى حفصة على الامساك (فانشد)

يقيم الرجال الموسرون بأرضهم * وترمى النوى بالمقترين المراميا
وما فارقوا أوطانهم عن ملالة * ولكن حذارا من شمات الاعاديا

(ومن قولهم فى أن الفقر والاقلال مقرونان بالدحر والاذلال)

قال أمير المؤمنين على كرم الله وجهه الفقر داء لا دواء له من كتمه قتله ومن اذاعه فضحه (وقال أيضا) رضى الله عنه مارست كل شئ فغلبته ومارسنى الفقر فغلبنى ان سترته أهلكنى وان اذعته فضحنى (وقال) لولده محمد بن الحنفية يابنى انى أخاف الفقر فانه منقصة للدين مذهبة للعقل داعية للمقت (وقالوا) الفاقة هى الموت الاصغر لا بل هى الموت الاكبر (وذكر) ان السفاح لما ضرب أعناق بنى أمية قام اليه رجل فقال يا أمير المؤمنين هذا والله جهد البلاء فقال مه لا أم لك ماهذا وشرطة حجام الاسواء ولكن جهد البلاء فقر مدقع بعد غنى موسع (وقال ابن دأب) لقيت رجلا كنت أعرفه حسن الحال ومن أصحاب الاموال فى حالة ردية كأنما أصابته رزية فسلم على فقلت له ما الذى غير حالك وأذهب مالك فقال تنقل الزمان وكر الحدثان فآثرت الضرب فى البلدان والبعد عن الاوطان ومفارقة المعارف والاخوان وعملت بقول الشاعر

سأعمل نصب العيس حتى يكفنى * غنى المال يوما أو غنى الحدثان
فللموت خير من حياة يرى بها * على الحر ذى الاقلال وسم هوان
متى يتكلم يلغ حكم كلامه * وان يقل قالوا عديم بيان

وقوله هذا ينظر الى قولهم فيما ضربوه من الامثال مناقب الموسر مثالب المعسر وذلك أنه اذا كان جوادا قالوا مبذر وان كان لسنا قالوا مهدار وان كان ذكيا قالوا بليد وان كان شجاعا قالوا أهوج وان كان صموتا قالوا عيي وان كان وقورا قالوا متكبر ومن نزل به الفقر لم يجد بدا من ترك الحياء ومن ذهب حياؤه ذهبت مروأته ومن ذهبت مروأته مقت ومن مقت أوذى ومن أوذى

حزن ومن حزن ذهب عقله ومن اصيب بهذا كله كان كلامه كلا عليه لا له
شاعر

لما رأيت اخلائى وخالصتى * والكل منقبض عنى ومحتشم
أبدوا جفاء واعراضا فقلت لهم * اذنبت ذنبا فقالوا ذنبك العدم

(آخر)

يغطى عيوب المرء كثرة ماله * يصدق فيما قال وهو كذوب
ويزرى بعقل المرء قلة ماله * يحمقه الاقوام وهو لبيب

(آخر)

أنفقتك الشباب لا الآداب * وطوتنى عن الكلام الثياب
والصواب الذى أقول خطاه * والخطأ الذى تقول الصواب

(وقالوا) من حسن حاله استحسن قاله (وقالوا) الفقر يخرس الفطن عن حجته ويجعله غريبا فى بلدته (وقالوا) اذا افتقر الرجل اتهمه من كان يأتمنه واساء به الظن من كان يحسنه فاذا أذنب غيره نسب اليه ومن كان له صار عليه (وقال) ابراهيم بن محمد بن المدبر جهدت جهدى أن أنظر الى الفقير بالعين التى أنظر بها الغنى فلم يتهيأ لى ذلك وقال الشاعر

يغدو الفقير وكل شئ ضده * والارض تغلق دونه أبوابها
وتراه ممقوتا وليس بمذنب * ويرى العداوة لا يرى أسبابها
حتى الكلاب اذا رأت ذا بزة * أصغت اليه وحركت أذنابها
واذا رأت يوما فقيرا عاريا * نبحت عليه وكشرت أنيابها

(وقالوا) ما أطيب الافاقة من سم الفاقة (وقال) عبد الملك بن صالح الفقر جند الله الاكبر يذل به من طغى وتجبر (ويقال) رب حسب دفنه الفقر (شاعر)

الفقر يزرى بأقوام ذوى حسب * وقد يسود غير السيد المال

(وقال بعضهم) الفقير كميت فى بيت لا يملك غير الجلدة بردة ولا يلتقى لحياه الا برعدة (شاعر)

ما أحسن الدين والدنيا اذا اجتمعا * وأقبح الفقر والافلاس بالرجل

(آخر)

لبست صروف الدهر كهلا وناشيا * وجربت حاليه على العسر واليسر
فلم أر بعد الدين خيرا من الغنى * ولم أر بعد الكفر شرا من الفقر

(آخر)

رزقت لبا ولم أرزق مروأته * وما المروأة الا كثرة المال
اذا أردت مساماة تقعدنى * عما ينوه باسمى رقة الحال

(آخر)

كفى حزنا أن الغنى متعذر * على وأنى بالمكارم مغرم
وما قصرت بى فى المطالب همة * ولكننى أسعى اليها فأحرم

(آخر)

كفى حزنا انى أروح واغتدى * ومالى من مال أصون به عرضى
وأكثر ما ألقى صديقى بمرحبا * وذلك لا يكفى الصديق ولا يرضى

(آخر)

أرى نفسى تتوق الى أمور * يقصر دون مبلغهن مالى
فنفسى لا تطاوعنى لبخل * ولا مالى يبلغنى فعالى

(آخر)

اذا قل مال المرء قل صديقه * ولم يحل فى عين الصديق لقاؤه
وأصبح لا يدرى وان كان حازما * أقدامه خير له أم وراؤه
فان مات لم يفقد ولم يحزنوا له * وان عاش لم يفرح به أولياؤه

(قيس بن عاصم)

يسود هذا المال غير مسود * ويحرمه ليث فيصبح ثعلبا
وأول ما يجفو الفقير لفقره * بنوه ولم يرضوه فى فقره أبا
كأن فقير القوم فى الناس مذنب * وان لم يكن من قبل ذلك أذنبا

(آخر)

لعمرك ان الغنى يجعل الفتى * سريا وان الفقر بالمرء قد يزرى
ولا رفع النفس الدنيئة كالغنى * ولا وضع النفس النفيسة كالفقر

(آخر)

ألم تر أن المرء يزداد عزة * على أهله ان يعلموا انه مثرى

ويحط

وينحط منه القدران كان معدما * وأصبح لا يرجى لنفع ولا ضر

(آخر)

أرى ذا الغنى فى الناس يسعون حوله * وان قال قولا تابعوه وصدقوا
فذلك دأب الناس مادام ذاغنى * وان مال عنه المال يوما تفرقوا

(ومن المنظوم فى سلك الرشاقة ماقيل فى التشكى من ضرر الاقلال والفاقة)

(مجد العرب العامرى)

هجرت للعدم كل خل * وصرت للانقباض خدنا
فلا أهنى ولا أعزى * ولا أعزى ولا أهنا

(ابن الخياط الدمشقى)

لم يبق عندى مايباع بحبة * وكفاك شاهد منظرى عن مخبرى
الابقية ماء وجه صنتها * عن أن تباع وأين أين المشترى

(آخر)

قعدت عن الاخوان من غير ماقلى * وكان صوابا ما أتيت على عمد
وجهد الفتى أن يستر البيت حاله * اذا لم يجد حرا يعين على الجهد

(آخر)

الحمد لله ليس لى نشب * قد خف ظهرى وقل زوارى
من نظرت عينه الى فقد * أحاط علما بما قد حوت دارى

(اخر)

أنا فى حال تعالى الله ما أعظم حالى
ليس لى شئ اذا قيـ * ـل لمن ذا قلت ذالى
ولقد أفلست حتى * حل أكلى لعيالى
من رأى شيأ محالا * فأنا عين المحال
فبلاد الله أرضى * والسموات ظلالى
لو يكن فى الناس حر * لم أكن فى مثل حالى

(آخر)

جاء الشتاء وليس عندى درهم * وبدون ذلك قد يصاب المسلم
وتقطع الناس الجباب وغيرها * وكاننى بازاء مكة محرم

(آخر)

طشتى الارض ومنديلى الهوا * وعلى الخبز من الجوع احتلامى
هل سمعتم أورأيتم أحدا * أكل الخبز سواى فى المنام

(آخر)

خلق المال واليسار لقوم * وأرانى خصصت بالاملاق
انا فيما أرى بقية قوم * خلقوا بعد قسمة الارزاق

(آخر)

اذا جزت يوما بالسويق يسنى * لقلة نقدى ذلة وخضوع
فلا قائل للمشترى كيف تشترى * ولا سائل البياع كيف تبيع

(آخر)

الحمد لله ليس لى فرس * ولا على باب منزلى حرس
ولا غلام اذا هتفت به * بادر نحوى كأنه قبس
ابنى غلامى وزوجتى أمتى * ملكتها بالملاك والعرس
غنيت باليأس واعتصمت به * عن كل قرد بوجهه عبس
فما يرانى ببابه أبدا * طلق المحيا سمح ولا شرس

(وما أحسن قول أبى العيرا الهاشمى)

(ولقد أبان عن شرف وعلو همة فصار بما قال فى الناس أمة)

قنعت نفسى بما رزقت * وتمطت فى العلا همى
ولبست الصبر سابغة * هى من قرنى الى قدمى
فاذا ما الدهر عاتبنى * لم يجدنى كافر النعم
لا أقول الله يظلمنى * كيف أشكو غير متهم

(وواجب اتباع هذا الفصل بمدح المال اذ به يدول ماشسع من الآمال)

قالوا اليسار علاء والاقتار بلاء (وقالوا) الغنى سنى كبير والفقير دنى حقير (ويقال) قيمة كل امرئ ما معه (شاعر)

ولا يساوى درهما واحدا * من لم يكن فى كفه درهم

(وقالوا) المرء بدرهميه لا بأصغريه نظمه بعض الشعراء فقال

قد قال قوم بغير علم * ما المرء الا بأصغريه

وقلت

وقلت قول امرئ عليم * ما المرء الا بدرهميه

(وقال بعضهم) لولده ليكن معك من العين ما تقر به العين (وقالوا) المال معشوق الورى فمن عدمه نبذ بالعراء منفصم العرى (وقيل للحسن) ما بال الناس يكرمون صاحب المال قال لان عنده معشوقهم فالبه القلوب تمال (وقالوا) المال يستعبد الاحرار ويذل الاشرار (وقال آخر) بقدر ما تعطى من المال تعطى من الاجلال (سمع) قيس بن عبادة يقول فى دعائه اللهم ارزقنى حمدا ومجدا فانه لا حمد الا بفعال ولا مجد الا بمال اللهم انه لا يصلحنى القليل ولا أصلح عليه اشار فى هذا الى قول الشاعر

ولا مجد فى الدنيا لمن قل ماله * ولا مال فى الدنيا لمن قل مجده

(عوتب) ابن أبى ليلى فى تعظيم موسر فقال ان تعظيم ذوى المال سر جعله الله فى القلوب لا يستطاع رده (شاعر)

يعير الغنى ثوب المكارم للفتى * وان كان من ثوب المكارم عاريا

(ومر) موسر بالشعبى فتزحزح له فقيل له فى ذلك فقال رأيت ذا المال مهيبا

(شاعر)

انى وجدت الغنى زينا لصاحبه * فى أهله وفقير القوم محقور

ان المقلين لا تنسى ذنوبهم * وذنب ذى المال عند الناس مغفور

(وقال معاوية) ان الشرف والسودد لينتقلان مع الغنى كما ينتقل الظل

(شاعر)

الناس ما استغنيت كنت صديقهم * واذا افتقرت اليهم فهم العدى

ذو المال عندهم يسود بماله * ويزول سودده اذا فقد الغنى

(اخر)

كم من لئيم الجدود سوده الـ * ـمال أبوه وأمه الورق

وكم كريم الجدود ليس له * عيب سوى أن ثوبه خلق

(اخر)

اذا كنت ذا ثروة من غنى * فأنت المسوّد فى العالم

وحسبك من نسب صورة * تخبر انك من آدم

(وقال) عبد الرحمن بن عوف حبذا المال أصون به عرضى وأصل به رحمى

واتقرب به الى ربى وابرّ به صديقى وأكمد به عدوى وأفضل به على عشيرتى (وقال الثعالبى) من كان كيسه صفرا من البيض والصفر فليبشر بجفاء الدهر وانقطاع الظهر (وكان) محمد بن الجهم يقول من وهب ماله فى عمله فهو أحمق ومن وهبه بعد العزل فهو مجنون ومن وهبه من ارثه فهو جاهل ومن وهبه من ملكه فهو مخذول ومن وهبه من كسبه وما استفاده من كده بحيلة فهو المطبوع على قلبه المأخوذ بسمعه وبصره (وقال) من عهده بالافلاس تقادم محل المال من المنزل محل الشمس فى العالم (وقال) بعض عقلاء الفرس من زعم أنه لا يحب المال فهو عندى كاذب حتى يثبت صدقه فاذا ثبت صدقه فهو عندى أحمق (وقال) عمرو بن العاص لمعاوية ما أشد حبك للمال فقال كيف لا أحبه وقد استعبدت به مثلك واشتريت به مروأتك ودينك (وقال) الحسن بن المنذر وددت أن لى مثل أحد ذهبا لا انتفع بشئ منه قيل له فما ترجو بذلك قال أريده لكثرة من يخدمنى عليه ويجلنى لاجله (وقالوا) المال يجمع الشمل ويستر الاهل ويزيد فى العقل (وقالوا) من استغنى عن الناس عظموه ووقروه ومن احتاج اليهم ازدروه واحتقروه (وقيل) لبعض الحكماء ايما أفضل الادب أو المال قال الادب قيل له فما بال الادباء يأتون أبواب الاغنياء ولا تأتى الاغنياء أبواب الادباء قال ذلك لعلم الادباء بمقدار فضل المال وجهل الاغنياء بمقدار فضل الادب (شاعر)

أصون دراهمى وأذب عنها * لعمرى انها درعى وترسى
وأخبؤها الى أعدى الاعادى * من الوراث حتى ابناء جنسى
ولا سؤلى الى رجل لئيم * ليقرض درهما نقدا بخمس
فيعرض وجهه ويصدّ عنى * فتبقى مثل نفس الكلب نفسى
فما ذل الرجال بغير مال * ولو جاؤا بنسبة آل عبس

(ابن الرومى)

لا تلم المرء على بخله * ولمه ان زاد على بذله
حق على كل امرئ حازم * يحفظ ما يكرم من اجله

(ولقد أحسن القائل وأجاد)

من كان يملك درهمين تعلمت * شفتاه أنواع الكلام فقالا

وتقدم الاخوان فاستمعوا له * ورأيته بين الورى مختالا
لولا دراهمه التى فى كيسه * لرأيته أسوا البرية حالا
ان الغنى اذا تكلم بالخطا * قالوا صدقت ومانطقت محالا
واذا الفقير أصاب قالوا كلهم * أخطأت ياهذا وقلت ضلالا
ان الدراهم فى المواطن كلها * تكسو الرجال مهابة وجلالا
فهى اللسان لمن أراد فصاحة * وهى السنان لمن أراد قتالا

(والمعين على طلب البغية من المال طلب المعيشة فى الايام والليال)

(قال بعضهم)

لاترهبن الهول خوف منية * واقذف بنفسك فى طلاب الدرهم
ودع المخاوف والمتالف انها * نفس موقتة ورزق يقسم

(اخر)

نجب عرض البلاد فلست تدرى * غناك بأى آفاق البلاد
ولا تقعد على ظما وفقر * فذو الاقتار ممنوع الرقاد

(آخر)

سأضرب فى الآفاق التمس الغنى * وأرمى بنفسى فى بحور المطالب
فان أعط مسرورا فذاك وان أخب * فعلى بأنى لست أول خائب

(اخر)

اذا المرء لم يطلب معاشا لنفسه * شكا الفقر أولام الصديق فأكثرا
وصار على الاهلين كلا وأوشكت * صلات ذوى القربى بأن تتكسرا
فسر فى بلاد الله والتمس الغنى * تعش ذا يسار أو تموت فتعذرا
ولاترض من عيش بدون ولاتنم * وكيف ينام الليل من كان معسرا

(آخر)

لايمنعنك نفيس العيش تطلبه * نزوع نفس الى أهل وأوطان
تلقى بكل بلاد اذ حللت بها * أهلا بأهل واخوانا باخوان

(آخر)

وماطلب المعيشة بالتمنى * ولكن ألق دلوك فى الدلاء
تجىء بملئها يوما ويوما * تجىء بحمأة وقليل ماء

(آخر)

ومن كان مثلي ذا عيال مقترا * من المال يطرح نفسه كل مطرح
ليبلغ عذرا أو ينال غنيمة * ومبلغ نفس قصدها مثل منجح

(آخر)

العز تحت ظلال السيف معدنه * فاطلب بسيفك عزا آخر الابد
لا ترض بالدون من دنيا بليت بها * قد ذل من كان محتاجا الى أحد

(آخر)

خاطر بنفسك كي تصيب غنيمة * ان الجلوس مع العيال قبيح
فالمال فيه مجلة ومهابة * والفقر فيه مذلة وفضوح

(آخر)

أشد من فاقة الزمان * مقام حر على هوان
فاسترزق الله واستعنه * فانه خير مستعان
وان نبا منزل بحر * فمن مكان الى مكان

(وقال فتى من قيس لغلام له)

اقذف السرج على المهـ * ـر وقرطه اللجاما
ثم صب الدرع في رأ * سي وناولني الحساما
فـتى أطلب ان لم * أطلب الرزق غلاما
ساجوب الارض أبغيـ * ـه حلالا أو حراما
فلعل الظعن ينفي الـ * ـفقر أو يدني الحماما

(آخر)

ألا خلني امضي لشأني ولا أكن * على الاهل كلا ان ذاك شديد
أرى السير في البلدان يغني معاشرا * ولم أر من يجدي عليه قعود

(آخر)

وقبيح مقام ذي الهمة الحر بارض مرعاه فيها جديب
لا عدوا أنكي ولا النفس أغني * وهو راض بها أكول شروب
وتراه يجوب في طلب الما * ل سهوبا وخلفهن سهوب
خلبا قلبها اذا مل أرضا * جد منها الى سواها ركوب

ليس فى فوت مايحاوله الطا ✱ لب من رزقه عليه عيوب
انما العيب أن يرى ساقط الهمة والرزق طالب مطلوب

✱(الباب الحادى عشر)✱
فى الشجاعة وفيه ثلاثة فصول

✱(الفصل الاول من هذا الباب)✱
فى مدح الشجاعة والبسالة وما فيهما من الرفعة والجلالة

الشجاعة غريزة فى الانسان يمنحها واهب الاحسان (كما ورد) عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال الشجاعة غريزة يضعها الله فيمن شاء من عباده ان الله يحب الشجاعة ولو على قتل حية (وحدها) قالوا هى سعة الصدر والاقدام على الامور المتلفة (وقالوا) الشجاع من تكن شجاعته عند الفرار وفقد الانصار (وسئل) بعضهم عن الشجاعة فقال جبلة نفس أبية قيل له فما النجدة قال ثقة النفس عند استرسالها الى الموت حتى يحمد فعلها عند الخوف (وقال) بعض اهل التجارب الرجال ثلاثة فارس وشجاع وبطل فالفارس الذى يشد اذا شدوا والشجاع الداعى الى البراز والمجيب داعيه والبطل المحامى لظهور القوم اذا ولوا (وقال) يعقوب بن السكيت فى ألفاظه العرب تجعل الشجاعة أربع طبقات تقول رجل شجاع فاذا كان فوق ذلك قالوا بطل فاذا كان فوق ذلك بهمة فاذا كان فوق ذلك قالوا أليس

✱(من)✱ عرف من الاكابر فى قومه بالبأس والنجدة وكان لهم عند الهياج معقلا وشدة رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال) أنس بن مالك رضى الله عنه كان صلى الله عليه وسلم أجمل الناس وجها وأجود الناس كفا وأشجع الناس قلبا لقد فزع أهل المدينة ليلة فانطلق الناس ثائرين قبل الصوت فتلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا قد سبقهم الى الصوت وسبر الخبر على فرس لابى طلحة عرى والسيف فى عنقه وهو يقول لن تراعوا لن تراعوا (وقال) عمران بن الحصين مالقى رسول الله صلى الله عليه وسلم كتيبة قط الا كان أول من يضرب (ومن ذلك) ثباته يوم حنين فى مركزه لايتخلخل ولايتزيل ليس معه الا عمه العباس آخذا بلجام دابته وابن عمه أبو سفيان بن الحرث وكان المسلمون يومئذ اثنى عشر ألفا فاعجبتهم كثرتهم

حتى قال قائلهم لن نغلب اليوم من قلة وزل عنهم ان الله هو الناصر لا كثرة
الجنود ولا العساكر فانهزموا حتى بلغ أولهم مكة ثم تدارك الله الملة الاسلامية
بنصره فانزل ملائكة على خيول بلق وتراجع المسلمون فقاتلوا فلما رأى
رسول الله صلى الله عليه وسلم كثرة قتالهم قال هذا حين حمى الوطيس وهو أول
من قال هذه الكلمة ثم أخذ كفا من تراب فرمى به المشركين وقال شاهت
الوجوه فانهزموا قال ابن عباس فلكأنى أنظر الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم يركض خلفهم فناهيك بهذا الثبات شهادة صدق على تناهى شجاعته
وبسالته ورباط جاشه وما هو الا من آيات النبوة وعلامات الرسالة (ومما عرف)
فيه لابى بكر الصديق رضى الله عنه بقوة الجاش وثبات القلب وشجاعة
النفس والصبر فى المواطن الكريهة يوم مات رسول الله صلى الله عليه وسلم فان
عمر رضى الله عنه كذب بموته وقال ما مات وانما واعده ربه كما واعد موسى
وليرجعنه الله فليقطعن أيدى قوم وأرجلهم يسومون النبى الموت من قال
ان محمدا مات علوته بسيفى هذا واعتراه ذهول حتى صار لا يدرى أين يذهب
(وأما) عثمان رضى الله عنه فدهش فجعل لا يكلم أحدا فيؤخذ بيده فيقاد
(وأما) على رضى الله عنه فقعد فى البيت لم يبرح منه (وكان) أبو بكر رضى الله
عنه حينئذ غائبا فى ناحية من نواحى المدينة على ميل منها تسمى السنح فلما بلغه
الخبر جاء حتى دخل عليه وهو مسجى فكشف عن وجهه الكريم وأكب عليه
وقبل بين عينيه وقال طبت حيا وميتا وأعول بالبكاء ثم خرج وهو رابط
الجاش ثابت القلب مصيب فى القول والناس على خلاف ذلك من الذهول
واختلاط العقل وهم فى أمر مريج قد ضلت أفئدتهم فى تيه الحزن وزلت
أقدام صبرهم فى مزالق الشجن فصعد المنبر وقال بعد حمد الله والثناء عليه
فى كلام طويل من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله
حى لا يموت ثم تلا وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل
انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيأ وسيجزى الله
الشاكرين فثاب الى عمر عقله وقال والله لكأنى لم أسمع بها قط فى كتاب الله قبل
ما نزل بنا * وقالت عائشة رضى الله عنها فى خطبتها التى افتخرت فيها لما
قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم طلع نجم النفاق وارتدت العرب وصار

المسلمون كالغنم السارحة فى الليلة الماطرة لحمل أبى من الامر الفخم ما لو حملته الجبال لهاضها وما يدرى أيما أربط جاشا وأثبت قلبا فى هذا الامر الشديد والمصاب العتيد اهـ رضى الله تعالى عنه أم ابنتاه عائشة وأسماء رضى الله عنهما (فأما) عائشة فان رسول الله صلى الله عليه وسلم مات بين سحرها ونحرها وشاهدت ذلك الهول ثم احتملته فالقته على فراشه وسجته ببردته ولم تدع أحدا من نسائه وأهله يعينها عليه وعمرها اذ ذاك ثمانى عشرة سنة ثم بكت بادية بصوت لا يكاد يعدى صاحبه فلما سمع الناس بكاءها وشجنها تحققوا موته ولم تظهر رزية ولا عويلا ولم تشق جيبا ولم تخمش وجها ولم تدع ويلا وانما علم الناس موته ببكائها (وأما) اسماء فان ولدها عبد الله بن الزبير لما رأى الغلبة دخل عليها وشكا اليها ما آل اليه أمره فقالت اياك أن تنكل أو تفشل ومت كريما احتسبك عند الله فقال لها ما أخاف الموت وانما أخاف أن يمثل بى فقالت ان الشاة اذا ذبحت لا تبالى بسلخها (وكان) عمر رضى الله عنه من الاشداء من الاقوياء موصوفا بالشدة موسوما بالحدة والشجاعة والنجدة كان يضع يده اليمنى على أذن فرسه اليسرى ثم يجمع جراميزه ويثب على فرسه فكانما خلق على متنه (وكان) على رضى الله عنه شجاعا بطلا ذكر عنه انه قتل فى ليلة الهرير من حرب صفين خمسمائة وثلاثا وعشرين رجلا وكان اذا ضرب لا يثنى وقيل له انك مطلوب فلو اتخذت طرفا سابقا فقال انى لا أفر على من كر ولا كر على من فر فالبغلة تكفينى * وقيل له فى حرب صفين أتقاتل أهل الشأم بالغداة وتظهر لهم بالعشى بازار ورداء فقال أبالموت أخوف والله لا أبالى أسقطت على الموت أو سقط على (ومن الشجعان) الزبير بن العوام قالوا لم يكن فى عصر النبى صلى الله عليه وسلم فارس أشجع من الزبير ولا راجل أشجع من على (وفى الزبير) تقول زوجته عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل العدوى تخاطب عمرو بن جرموز لما قتله غدرا بوادى السباع

غدر ابن جرموز بفارس بهمة * يوم اللقاء وكان غير معرد
يا عمرو لو نبهته لوجدته * لا طائشا رعش الجنان ولا اليد

(ومن الشجعان) بنو قيلة وهم الانصار قال ابن عباس ما سلت السيوف ولا زحفت الزحوف ولا أقيمت الصفوف حتى أسلم أبناء قيلة يعنى الاوس

والخزرج وهم الانصار وصفهم مادح فقال كانوا يحبون الموت كما تحبون الحياة ويرغبون فى الآخرة كما ترغبون فى الدنيا * وقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم انكم لتكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع يريد أنهم يريدون بقتالهم وجه الله والدار الآخرة فلا تميل نفوسهم الى مايقسم من الفىء والغنيمة رغبة فيما هم بصدده من اعلاء كلمة الاسلام واخفاء ماظهر من شرك عبدة الاصنام فهم يكثرون اذا دعوا للقتال ويقلون عند قسم الانفال * قال كعب بن زهير يمدحهم

من سره كرم الحياة فلا يزل * فى عصبة من صالح الانصار
الباذلين نفوسهم لنبيهم * يوم الهياج وصفوة الجبار
يتطهرون كانه نسك لهم * بدماء من علقوا من الكفار

(ومن الشجعان) معاذ بن عفراء قطع كفه يوم بدر فبقى معلقا بجلدة بطنه فلم يزل يقاتل يومه أجمع وهو معلق حتى وجد ألمه فوضع رجله على يده وتمطى حتى قطع الجلدة * وحمل رجل على حكيم بن جبلة فى يوم من أيام حرة وقد قطع ساقه فأخذها فى يده وضرب بها من قطعها فصرعه ثم أتاه واتكأ عليه فقتله وقال مر تجزا ياساق لن تراعى * ان معى ذراعى * أحمى به كراعى * وحكى عنه أنه قيل له من قطع ساقك قال وسادتى (ولم يكن) فى الجاهلية ولا فى الاسلام أشجع من خالد بن الوليد رضى الله واشجاعته سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيف الله وذلك أنه لم ينهزم فى جاهلية ولا اسلام ومات على فراشه ويقال انه قال عند موته مافى جسدى موضع الاوفيه ضربة بسيف اوطعنة برمح أو جرح بسهم وها أنا أموت على فراشى كما يموت العير فلا نامت أعين الجبناء (ومن شجعان الصحابة) البراء بن مالك قيل عنه انه قتل مائة مبارز سوى من شورك فى قتله وكتب عمر بن الخطاب الى عماله أن لا يولوه جيشا للمسلمين فانه يهلكه (ومن شجعان الصحابة) طلحة بن عبيد الله وحارثة بن احذيفة والزبير بن العوام والمقداد بن الاسود يروى أن عمرو بن العاص بعث الى عمر بن الخطاب وهو يحاصر مصر يطلب منه ثلاثة آلاف فارس فبعث اليه حارثة والزبير والمقداد لاغير أقام كل واحد منهم مقام ألف فارس رضى الله تعالى عنهم أجمعين (وكان) مصعب بن عبد الرحمن بن عوف شجاعا ذكر عنه أنه

كان

كان يثب ثلاث وثبات كل وثبة ثنتا عشرة ذراعا حتى يصل الى قرنه فيقتله (ومن الفرسان) مالك بن الحويرث المعروف بالاشتر النخعى من أصحاب على رضى الله عنه قال أبو بكر بن أبى شيبة أعطت عائشة للذى بشرها بحياة عبد الله بن الزبير بن العوام اذ التقى بالاشتر يوم الجمل أربعة آلاف درهم ذكر ان رجلا سب الاشتر فقال له رجل من النخع اسكت فان حياته هدمت أهل الشأم وموته هدم أهل العراق (ومن الشجعان) مصعب بن الزبير سأل عبد الملك يوما جلساءه من أشجع الناس فعدوا جماعة فقال أشجع الناس من العرب من ولى العراق فأصاب ألف ألف وألف ألف وعدها مرارا وجمع بين عائشة بنت طلحة وسكينة بنت الحسن وأم كلثوم بنت عبد الله بن عامر وهند بنت ريان سيد كلب نخذله أهل العراق فاعطيناه الامان على ماشاء فقال ان مثلى لا ينصرف الا غالبا أو مقتولا وقاتل حتى قتل والله لا ولدت النساء مثله (وقال) أخوه عبد الله لما بلغه قتله ان يقتل فقد قتل أخوه وأبوه وعمه وانا لا نموت حتفا ولكن نموت بين أطراف الرماح وتحت ظلال الصفاح (وقال) الزبير بن بكار آل الزبير أعرق الناس فى القتل ولا يعرف فى العرب ولا فى العجم ستة مقتولون فى نسق الا من آل الزبير وهم عمارة بن حمزة بن مصعب بن الزبير ابن العوام بن خويلد فقتل عمارة وحمزة معا فى حرب الاباضية وقتل مصعب بدير الجاثليق وقتل محمد أخوه فى حرب الجمل وقتل عبد الله بمكة فى حرب الحجاج ولما قتل عبد الله أمر الحجاج بشق صدره فاذا فؤاده مثل فؤاد الجمل فكان اذا ضرب به الارض ينزو كما تنزو المثانة المقطوعة وقتل الزبير بوادى السباع فى حرب الجمل وقتل العوام فى الفجار قتله بشر بن عبد الله بن دهمان الثقفى وقتل خويلد فى حرب خزاعة (وقيل) لعبد الملك من أشجع الناس فقال العباس بن مرداس الذى يقول فيه الشاعر

أشد على الكتيبة لا أبالى * أحتفى كان فيها أم سواها

(وقيس بن الحطيم حيث يقول)

وانى فى حرب العوان موكل * باقدام نفس لا أريد بقاءها

(ومن فرسان الخوارج) قطرى بن الفجاءة ويكنى أبا نعامة وخرج زمن مصعب ابن الزبير لما كان مصعب واليا على العراق من قبل أخيه عبد الله بن الزبير سنة

ست وثلاثين وفى هذه السنة بويع عبد الله أخوه وعبد الملك بن مروان بالشأم فبقى قطرى عشرين سنة يقاتل ويسلم عليه بالخلافة * ذكر عنه انه مر فى بعض حروبه على فرس أعجف وبيده عمود خشب فدعا الى البراز فبرز له رجل فحسر له عن وجهه فلما رآه الرجل ولى عنه فقال له قطرى الى أين قال لا نستحى أن نفر عنك * وكذلك كان عبد الله بن حازم وشبيب الحرورى يصيح فى جنبات الجيش فلا يلوى أحد على أحد وفيه يقول بعض شعراء الخوارج فى الجاهلية

ان صاح يوما حسبت الصخر منحدرا * والريح عاصفة والبحر يلتطم

(ومن شجعان العرب وفرسانهم) الفند الزمانى كان يقاس بألف * ذكر أنه حمل على فارس مردوف بآخر فطعنهما فانتظما فى رمحه (وقال شاعر يمدح شجعان العرب)

فواحدهم كالالف بأساو نجدة * والفهم للعرب والعجم قاهر

* وليس نظم الفند فارسين فى طعنة بكبير فقد فعل مثل هذه الفعلة أبو دلف فى بعض حروبه * وفيه يقول بكر بن النطاح يذكر طعنته من أبيات

واذا بدا لك قاسم يوم الوغى * يختال خلت أمامه قنديلا
واذا تلوذ بالعمود ولونه * خلت العمود بكفه منديلا
واذا تناول صخرة ليرضها * عادت كثيبا فى يديه مهيلا
قالوا أينتظم فارسين بطعنة * يوم اللقاء ولا تراه كليلا
لا تعجبوا لو كان مد قناته * ميلا اذا نظم الفوارس ميلا

(ومما) يعد من شدة الشجعان الابطال رفض التوانى بالمناجزة ودفع المطال * قالوا العزم التأهب قبل الامر والحزم المضى فيه * وقالوا الحزم انتهاز الفرصة عند تمكن القدرة وترك التوانى فيما يخاف فيه الفوت (وقال) عبد الملك لعمر بن عبد العزيز ما العزيمة فى الامر قال اصداره اذا ورد بالحزم (شاعر)

ليست تكون عزيمة ما لم يكن * معها من الحزم المشيد رافع

(وقالوا) من لم يقدمه عزمه أخره عجزه (وقالوا) الحازم من اشتدت شكيمته وقعدت عزيمته (وقالوا) الحرب كالنار اذا تداركت أولها خمد ضرامها وان استحكم أمرها صعب مرامها (ويقال) قبل الاقدام تراش السهام (والعجز) عجزان عجز التقصير وقد أمكن والجد فى طلبه وقد فات * تمثل المنصور

عند قتله لابى مسلم الخراسانى

اذا كنت ذا رأى فكن ذا عزيمة * فان فساد الرأى أن يترددا
ولا تمهل الاعداء يوما بقدره * وبادرهم أن يملكوا مثلها غدا

(ولآخر)

ما العزم أن تشتهى شيأ وتتركه * حقيقة العزم منك الجد والطلب
كم سوفت خدع الآمال ذا أرب * حتى انقضى قبل أن ينقضى له الارب

(وقالوا) من تفكر فى العواقب لم يشجع فى النوائب (وجد) على سيف مكتوب أيها المقاتل احمل تغنم ولا تفكر فى العواقب تندم (شاعر)

خاطر بنفسك لا تقعد بمعجزة * حتى تباشرها منه بتغرير
لن يبلغ المرء بالاحجام همته

(الرياشى)

وعاجز الرأى مضياع لفرصته * حتى اذا فات أمر عاتب القدرا

(ويقال) مفتاح الدعة مفتاح البؤس (أبو دلف العجلى)

ليس المروأة أن تبيت منعما * وتظل معتكفا على الاقداح
ما للرجال وللتنعم انما * خلقوا ليوم كريهة وكفاح

(وقالوا) زوج العجز التوانى فأنتج بينهما الحرمان (قال المعافى فى مثل ذلك)

ان التوانى أنكح العجز بنته * وساق اليها حين أنكحها مهرا
فراشا وطيأ ثم قال له اتكى * رويدكما لا شك أن تلدا فقرا

(وقالت الحكماء) الحزم طبع الحياة والعجز طبع الموت والنفس لا تحب أن تموت فكذلك تحب أن تحيا وأخذ الشئ بالحزم لا بالعجز (المتنبى)

ولو أن الحياة تبقى لحى * لعددنا أضلنا الشجعانا
واذا لم يكن من الموت بد * فمن العجز أن تكون جبانا

(وقالوا) أشعر قلبك الجراءة فانها سبب الظفر واحرص على الموت توهب لك الحياة (وقال) اكثم بن صيفى من التوانى والعجز أنتجت الهلكة (وقالوا) التفكر فى عواقب الحرب من امارات العجز والتهور فيه من علامات الجزع

(أبو عبادة مادحا)

صارم الحزم ماضى العزم سارى الـ * ـفكر ثبت الجنان صلب العود

(آخر مادحا)

ويلحظ بالامر الصواب كأنما * يلاحظه من كل أمر عواقبه

(وقال حكيم) تجرع من عدوك الغصة الى أن تجد الفرصة فاذا وجدتها فانتهزها قبل أن يفوتك الدرك أو يعينه الفلك فانما الدنيا دول تقلبها الاقدار ويهدمها الليل والنهار (ولما) أحيط بمروان بن محمد الجعدي قال والهفاه على دولة ما نصرت وكف ما ظفرت ونعمة ما شكرت فقال له بعض كماته وكان من أشراف الروم فوقع عليه سبي من أغفل الصغير حتى يكبر والقليل حتى يكثر والخفي حتى يظهر أصابه هذا

(ومن الابيات في انتهاز الفرصة وتفريج الغصة قول بعضهم)

يا ابنة القوم ما تريدين مني * صارمي منطقي ووجهي مجني

ما يزور الكرى جفوني الا * جسوة الطائر الذي لا يثني

فعلوي اذا استقل بعزم * لم يعـــرج بليتني ولواني

(آخر)

حلفت لان ألقى الشدائد كلها * ومالى بأن ألقى الهوان يدان

تذكرت اني هالك وابن هالك * فهانت على الارض والثقلان

فدع كل شئ خالف العزم انه * سيكفيكه جد ان معتلجان

وما يدرك الحاجات مثل مثابر * ولا عاق عنها النجح مثل توان

(أبو نصر بن أحمد الميكالي)

قالوا تمهل في الذي ترتجي * بلوغه من نافع الامر

قلت التأني مظفر بالمنى * لكنه يجحف بالعمر

(آخر)

على كل حال فاجعل الحزم عدة * لما أنت باغيه وعونا على الدهر

فان نلت أمرا نلته عن عزيمة * وان قصرت عنك الحظوظ فعن عذر

اذا هم ألقى بين عينيه عزمه * ونكب عن ذكر العواقب جانبا

ولم يستشر في أمره غير نفسه * ولم يرض الا قائم السيف صاحبا

(آخر)

اذا فرصة أمكنت في العدى * فلا تبد فعلك الا بها

فان لم تلج بابها مسرعا * أتاك عدوك من بابها

(ومن)

(ومن) مادح من عرف فى قومه بالشجاعة ومد الى قطف الرؤس سيفه وباعه (قالوا) فلان أبلغ صولة من أسد العرين وأشد منعة من الحصن الحصين (وصف) أعرابى رجلا بالشجاعة فقال هو ابن الحرب أرضع بدرّها وربى فى حجرها (وسئل أعرابى عن قومه فقال) كانوا والله اذا اصطفوا تحت القتام صغرت بينهم السهام بشؤبوب الحمام واذا تصافحوا بالسيوف فغرت أفواهها الحتوف فرب يوم شموس أحسنت أدبه عزمتهم وحرب عبوس أضحكتها اسنتهم (ومدح) اعرابى قومه فقال قومى والله ليوث حرب وغيوث جدب ليس لاسيافهم أغماد غير الهام ولا رسل للمنايا غير السهام (وقالوا) فلان يبادر المهل مبادرة الاجل الامل اطراف الاسل أحلى عنده من لعق العسل (ابن شرف القيروانى) فلان قلبه يخرجه عن القلب وصرامته تقتاده الى مكان الطعن والضرب رماحه نجوم ظلام القتام وسهامه رجوم شياطين الانام لا ترد حاجته مواضيه ولا تمطله المغافر المنية عند تقاضيه (شاعر مادحا)

يلقى السيوف بوجهه و بنحره * ويقيم مهجته مقام المغفر
ما ان يريد اذا الرماح شجرنه * ذرعا سوى سربال طيب العنصر
ويقول للطرف اصطبر لشبا القنا * فعقرت ركن المجد ان لم تعقر

(أبو الفرج)

يسعى الى الموت والقنا قصد * وخيله بالرؤس تنتعل
كانه واثق بأن له * عمرا مقيما وماله أجل

(آخر)

كأن سيوفه صيغت عقودا * تجول على الترائب والنحور
وسمر رماحه جعلت هموما * فما يخطرن الافى ضمير

(البحترى مادحا)

يلقى السيوف بوجه منه ليس لها * ظهر وهادى جواد ماله كفل
يسعى به البرق الا أنه فرس * فى صورة الموت الا أنه رجل

(مسلم بن الوليد)

لو أن قوما يخلقون منية * من بأسهم كانوا بنى جبريلا
قوم اذا لقى الوطيس لديهم * جعلوا الجماجم للسيوف مقيلا

(ولآخر)

وحامى بلاد الله من كل مارق * له الطير ضيف والوحوش وفود
مليك له زهر النجوم أسنة * اذا أمّ أفقا والسحاب بنود

(آخر)

عقبان روع والسروج وكورها * وليوث حرب والقنا آجام
وبدور تم والترائك فى الوغى * هالاتها والسائرون غمام
جادوا بممنوح التلاد وجودوا * ضربا بجديه الطلى والهام
وتجاوبت أسيافهم وجيادهم * فالارض تمطر والسماء تغام

(البحترى)

معشر أمسكت حلومهم الار * ض وكادت لولاهم أن تميدا
فاذا الجدب جاء جاد واغيوثا * واذا النقع ثار ثاروا أسودا
وكأن الاله قال لهم فى الـ * ـحرب كونوا حجارة أو حديدا

(آخر)

ان ترد خبر حالهم عن يقين * فالقهم يوم نائل أو نزال
تلق بيض الوجوه سود مثار النـ * ـقع خضر الاكناف حمر النصال

(آخر)

قوم شراب سيوفهم ورماحهم * فى كل معترك دم الاشراف
رجعت اليهم خيلهم بمعاشر * كل لكل جسيم أمر كافى
يتحننون الى لقاء عدوهم * كتحنن الآلاف للايلاف
ويباشرون ظبا السيوف بأسهم * أمضى واقطع من مضى الاسياف
جبلت على سفك الدماء نفوسهم * وأكفهم جبلت على الاتلاف
فاذاهم صدموا العدو بصارم * خضبوا الاسنة من دم الاطراف
فنفوسهم تفنى نفوس عداتهم * وعطاؤهم يغنى سؤال العافى

(الفصل الثانى من الباب الحادى عشر)

فى ذكر ما وقع فى الحروب من شدائد الازمات والكروب

(قال) بعض الحكماء جسم الحرب الشجاعة وقلبها التدبير ولسانها المكيدة وجناحاها الطاعة وقائدها الرفق وسائقها النصر (وقال) عمر بن الخطاب

لعمرو

لعمرو بن معديكرب رضى الله عنهما صف لنا الحرب فقال مرة المذاق صعبة لا تطاق اذا شمرت عن ساق من صبر لها عرف ومن نكل عنها تلف ثم أنشد

الحرب أول ما تكون فتية * تسعى بزينتها لكل جهول
حتى اذا حميت وشد ضرامها * عادت عجوزا غير ذات حليل
شمطاء جذت رأسها وتنكرت * مكروهة للشم والتقبيل

(وقيل) لبعضهم صف لنا الحرب فقال أولها شكوى وأوسطها نجوى وآخرها بلوى * تذاكروا الحروب عند معاوية فقال بدر لعلى واحد لطلحة والخندق للزبير وحنين للعباس بن مرداس * وأنا ذاكر من الحروب الواقعة فى صدر الاسلام بعد موت النبى عليه الصلاة والسلام أربعة وهى الجمل وصفين ويوم الحرة ويوم كربلا اذ هذه الحروب أشد الوقائع طعانا وضرابا واعظمها فى الدين فجيعة ومصابا لما قتل فيهما من كبار آل بيت النبى صلى الله عليه وسلم وصحابته وعظماء أهل بيته وقرابته * (الجمل) * مبتدؤها أن طلحة والزبير خرجا مغاضبين لعلى رضى الله عنه بعد أن بايعاه لما هجس فى نفوسهما من أن عليا رضى الله عنه هو الذى ألب على قتل عثمان رضى الله عنه حتى قتل وان قتله كان عن رضا منه فقصدا مكة على عائشة رضى الله عنها وكانت قد خرجت من المدينة قبل قتل عثمان فاجتمعا بوما عند عائشة رضى الله عنها فى رجال من بنى أمية فتذاكروا قتل عثمان ورغبوا عائشة فى طلب الثار فاعتذرت اليهم بقلة ذات يدها فقال يعلى بن منية ومنية اسم أمه وكان عاملا لعثمان على اليمن عندى أربعمائة ألف درهم مساعدة لكم وخمسمائة فارس أجهزها وقال عبد الله بن عامر بن كريز وكان عاملا لعثمان على البصرة عندى ألف ألف درهم ومائة من الابل وأشار عليهم بالبصرة ثم نادى مناد بالتحريض على طلب دم عثمان فاجتمع لهم ألف منهم ستمائة على النوق وسواهم على الخيل والبغال ووهب يعلى بن منية الجمل وكان يدعى عسكرا وعمل عليه هودجا من حديد ثم انهم دخلوا طالبين البصرة وكان على رضى الله عنه قد بلغه خبرهم وهو فى المدينة فخرج منها فى تسعمائة فيهم سبعون بدريا ووصلت عائشة البصرة بمن معها وكانوا زهاء ثلاثة آلاف

فمنعهم عثمان بن حنيف عامل علي من دخولها فاخذوها منه بعد حرب وقعت بينهم قتل فيها كل من خرج يطلب قتل عثمان أو أعان عليه الا رجل واحد يسمى حرقوص بن وهب فان بني سعد منعته وأخذوا عثمان بن حنيف فنتفوا لحيته وراسه وحاجبيه واشفار عينيه فجاء عليا رضي الله عنه وقال يا أمير المؤمنين بعثتني بلحية وجئتك أمردا وكان عثمان بن حنيف من كبار الصحابة وبايع أهل البصرة طلحة والزبير ووصل علي الى الكوفة فاستنجدهم فانجدوه باثني عشر ألف رجل وسار حتى وصل الى جانب البصرة فنزل وأقام تلك الليلة ثم ناشدهم الله في الدماء فأبوا الا القتال فخرج علي رضي الله عنه وهو راكب بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم والتقى الجمعان فكان أول من قتل طلحة وانهزم الزبير فلحقه ثلاثة نفر منهم عمرو بن جرموز السعدي بوادي السباع عدوا فقتله وهو ساجد وقيل نائم غيلة ووادي السباع برقة واسط بين البصرة والكوفة وفيه يقول جرير بن عطية بن الخطفي عائبا على بني مجاشع قتل الزبير

اني تذكرني الزبير حمامة * تدعو ببطن الواديين هديلا
قالت قريش ما أذل مجاشعا * جارا وأكرم ذا القتيل قتيلا
لو كنت حرا يا ابن قين مجاشع * شيعت ضيفك فرسخا أو ميلا
أفبعد قتلكم خليل محمد * ترجو القيون مع الرسول سبيلا
أفتى الندى وفتى النزال غدرتم * وفتى الرماح اذا تهب بليلا
لو كنت حين غدرت بين بيوتنا * لسمعت من صوت الرماح صليلا
وحمالك كل مغاور يوم الوغى * ولكان شلو عدوك المأكولا

وقتل محمد بن الزبير وجرح عبد الله أخوه سبعا وثلاثين جراحة وأطاف بنو ضبة والازد بالجمل واقبلوا يرتجزون

نحن بني ضبة أصحاب الجمل * ننزل بالموت اذا الموت نزل
والموت أحلى عندنا من العسل * نبغي ابن عفان باطراف الأسل

فقطع على خطام الجمل سبعون يدا من بني ضبة فلما التحمت الحرب واستعرت نارها نادى علي رضي الله عنه اعقروا الجمل فانه ان عقر تفرقوا فعقره عمرو ابن دلجة وأخذته السيوف من كل جانب حتى وقع وقتل حوله خلق كثير ومال الهودج وسمع صارخ يقول راقبوا الله في حرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم

فقال

فقال على لابنه الحسن هلكت قال قد نهيتك عن مسيرك قال لم أكن أرى أن الامر يصير الى هذا وجاء أعين بن ضبيعة حتى اطلع فى الهودج فقال ما أرى الا خيرا قالت هتك الله سترك وأبدى عورتك فقتل بعد ذلك بالبصرة وصلب وقطعت يداه ورجلاه ورمى به عريانا فى خربة من خراب الازد (وقيل) ان عليا لما وقف عليها ضرب الهودج بقضيب وقال ياحميراء أرسول الله صلى الله عليه وسلم أمرك بهذا ألم يأمرك أن تقرى فى بيتك والله ما أنصفك الذين أخرجوك اذ صانوا حلائلهم وابرزوك فيقال انها قالت له قد ملكت فأسجح ثم أمرها بالمسير وأذن لاصحابها أن يسافر معها من أراد السفر فسافر بعض وبقى بعض (وقال البلاذرى) فى تاريخه ان عليا رضى الله عنه أعطاها حين أشخصها الى مكة عشرة آلاف درهم ورجعت الى مكة يوم السبت غرة رجب سنة ست وثلاثين وشيعها على أميالا وقصدت مكة فأقامت بها الى الحج ثم خرجت الى المدينة * وكانت الوقعة فى الموضع المعروف بالحربية لعشر خلون من جمادى الآخرة وقيل فى يوم الجمعة النصف من جمادى الاولى * وعدة من قتل يوم الجمل ثمانية آلاف رجل من أصحاب عائشة وألف من أصحاب على رضى الله عنهم أجمعين وفى وقعة الجمل يقول عثمان بن حنيف

شهدت الحروب فشيبننى * ولم أر يوما كيوم الجمل
أشد على مؤمن فتنة * وأقتل منه لحر بطل
فليت الظعينة فى بيتها * وليتك عسكر لم ترتحل

يعنى الجمل الذى كانت عليه عائشة وحكى أبو طالب المكى فى القوت أن عليا رضى الله عنه قال لابنه محمد بن الحنفية وقد قدمه امامه يوم الجمل أقدم اقدم ومحمد يتأخر وهو يكرهه بقائم الرمح فالتفت اليه محمد وقال هذه والله الفتنة المظلمة العمياء فوكزه على رضى الله عنه بالرمح وقال له تقدم لا أم لك أتكون فتنة أبوك قائدها وسائقها * (صفين) * ولما فرغ على رضى الله عنه من حرب الجمل وانصرف الى الكوفة بعث جرير بن عبد الله البجلى الى معاوية يخيره بين حرب معضلة أو يسلم بجزية فان اختار الحرب فانبذ اليه على سواء ان الله لا يحب الخائنين وان اختار السلم فخذ بيعته وارجع فلما بلغ جرير الرسالة الى معاوية أرسل الى عمرو بن العاص فلما حضره أعلمه بما أتى فيه جرير فقال له أما على

فوالله لاتسوى العرب بينك وبينه فى شئ وان له فى الحرب لحظا ماهو لاحد فى قريش قال صدقت ولكنا نقاتله على ما بأيدينا ونلزمه قتل عثمان ثم قال له مد يدك وبايعنى فقال والله لا اعطيك شيأ من دينى حتى آخذ من دنياك ويقال بل أنشده

معاوى لاأعطيك دينى ولم أنل * لديك بدنيا فانظرن كيف تصنع

فان تعطنى مصر افأربح بصفقة * أخذت بها شيخا يضر وينفع

فاعطاه مصر طعمة وكتب له بذلك شروطا وأشهد عليه شهودا فبايعه عمرو بن العاص وتعاهدوا على الوفاء وكتب معاوية الى على بأن لاطاعة له عليه فلما ورد جرير على على بما كتب اليه معاوية أمر الناس بالخروج الى صفين لقتال معاوية فاجتمع له من الخيل تسعون ألفا فيهم سبعون بدريا وممن بايع تحت الشجرة سبعمائة ومن المهاجرين والانصار اربعمائة وذلك لخمس خلون من شوال سنة ست وثلاثين وبلغ معاوية خروج على فجمع من الجنود خمسة وثمانين ألفا وقيل مائة وعشرين ألفا وسبق عليا الى صفين فنزل على موضع سهل أفيح معشب قريب من الفرات ونزل على على مواضع بعيدة من الماء والعشب فبات وجيشه عطاش قد حيل بينهم وبين الماء فأشار عمرو على معاوية أن يمكن عليا من ورود الماء فقال لا والله أو يموتوا عطشا كما مات عثمان فاشتكى أصحاب على العطش فأمرهم بالمسير وقدم عليهم الاشتر والاشعث بن قيس فساروا وعلى من وراء الجيش حتى هجموا على عسكر معاوية فأزالوهم عن الشريعة وغرق منهم خلق كثير وارتحل معاوية الى ناحية من البر بعيدة من الماء وأرسل الى على يستأذنه فى استقاء الماء من طريقه فأذن له وأجابه الى ذلك ثم بعث على الى معاوية يدعوه الى اجتماع الكلمة وحقن الدماء وطالت المراسلة بينهما فاتفقا على الموادعة الى آخر المحرم من سنة سبع وثلاثين فلما كان آخر المحرم كتب على الى أهل الشأم يحذرهم الوقوع فى الهلكة فأبوا الا الحرب والقتال حتى يهلك من هلك عن بينة ويحيا من حى عن بينة فعبى على جيشه يوم الاربعاء مستهل صفر وقدم عليهم الاشتر وتصاف أهل الشأم والعراق ووقع القتال بينهم فكان هذا دأبهم فى كل يوم الى السابع من صفر وفيه قتل عمار بن

باسر من أصحاب علىّ قتله أبو العادية العاملى وله من العمر ثلاث وتسعون سنة (وكان) فى حرب صفين خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين مع على كافا سلاحه فلما قتل عمار خرج يطلب المبارزة وهو يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعمار يا عمار تقتلك الفئة الباغية ثم كانت بينهم حرب أخرى قتل فيها ذو الكلاع وعبيد الله بن عمار ثم كانت بعد ذلك ليلة الهرير قتل فيها خلق كثير وكانت ليلة جمعة فلما رأى معاوية ان قد فشا القتل فى أصحابه قال لعمرو بن العاص هلمّ مخبأ تك فقد هلكنا وذكره ولاية مصر فأمر أن ترفع المصاحف وان يقال ما فيها حكم بيننا وبينكم يا أهل العراق فرفعوها وكانت زهاء خمسمائة مصحف ونادوا من لثغور الشام بعد أهل الشام ومن لثغور العراق بعد أهل العراق من لجهاد الروم والترك فعند ذلك اختلف أصحاب علىّ فمنهم من أراد القتال ومنهم من أراد الكف فقال علىّ رضى الله عنه بالامس كنت أميرا وأصبحت اليوم مأمورا ثم ارسل الاشعث بن قيس الى معاوية يسأله لاى شئ رفعت المصاحف قال لنرجع نحن وأنتم الى ما أمر الله به فى كتابه تبعثون رجلا منكم ترضونه ونبعث رجلا منا نرضاه ليعملا فينا بكتاب الله ونتبع ما اتفقا عليه فقال الاشعث هذا هو الحق وانصرف الى علىّ وأخبره بما قال معاوية فقال الناس رضينا فاختار أهل الشام عمرو بن العاص واختار أهل العراق أبا موسى الاشعرى واسمه عبد الله بن قيس واختار على عبد الله بن عباس فقالوا والله لا نريد الا رجلا هو من معاوية ومنك على السواء قال فاصنعوا ما أردتم فجمعوا بين عمرو بن العاص وأبى موسى وأخذوا عليهما العهد والميثاق أن لا يخونا وأخذ الحكمان من على ومعاوية والحسنين المواثيق أنهما آمنان على أنفسهما وأن يكون منهم المبايعة على ما يرضيانه ثم خرجا واجتمعا فى دومة الجندل فى شهر شعبان سنة ثمان وثلاثين فقال عمرو لابى موسى ان هذه الفتنة لا تزال قائمة ما دام واحد من هذين الاثنين متوليا امرة المسلمين فقال أبو موسى فما ترى قال أرى أن يصعد كل واحد منا المنبر ويخلع صاحبه وندعها شورى بين المسلمين يولون أمرهم من أرادوا فأجابه الى ذلك وتقدم أبو موسى وصعد المنبر وقال أيها الناس انا نظرنا فى أمر هذه الامة فلم نر أصلح لامرها ولا ألمّ لشعثها من أمر اجتمع رأيى ورأى عمرو عليه وهو

أن يخلع كل واحد منا صاحبه ويجعل أمر المسلمين اليهم يولون عليهم من أحبوا وانى خلعت عليا فاستقبلوا أمركم وولوا من شئتم ونزل ثم صعد عمرو فحمد الله وأثنى عليه ثم قال قد قال أبو موسى ما سمعتم من خلع صاحبه وانى خلعته كما خلعه وأثبت معاوية كما أثبت حمايل سيفى هذا فى عنقى فانه ولى عثمان والطالب بدمه وأحق والله بمقامه ثم نزل فاختلف عند ذلك كلمة الجيشين فلما رأى على اختلافهما رحل قاصدا الكوفة ولحق معاوية بدمشق وانصرف عمرو بأهل الشأم بعد ذلك الى معاوية فسلموا عليه بالخلافة وبايعوه فكان على رضى الله عنه بالعراق ومعاوية بالشأم الى سنة أربعين * وفى هذه السنة قتل على رضى الله عنه فى رمضان وهو ابن اثنتين وستين سنة وكانت مدة خلافته خمس سنين الا اشهرا واحدا ومدة ولاية معاوية أربعين سنة منها أميرا على الشأم لعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان عشرون سنة وخليفة عشرون سنة وتوفى سنة ستين (ولما) انفصل أهل الشأم وأهل العراق من هذه الحروب رجع ابن عباس وشريح بن هانئ الى على رضى الله عنه * وكان على رضى الله عنه اذا صلى الغداة لعن معاوية وعمرا وأصحابه فبلغ ذلك معاوية فكان اذا قنت لعن عليا وابن عباس وحسنا وحسينا والاشتر ولم يزل الامر على ذلك برهة من ملك بنى أمية الى أن ولى عمر بن عبد العزيز الخلافة فمنع من ذلك وجعل مكان اللعن فى الخطبة ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤف رحيم (وقتل) بصفين من أهل العراق والشأم فى مدة مائة يوم وعشرة أيام مائة ألف وعشرة آلاف وقيل سبعون ألفا من أهل الشأم خمسة وأربعون ومن أهل العراق خمسة وعشرون ألفا والله أعلم (وكانت) الوقائع تسعين وقعة وعدة من حضر فى صفين من أهل الشأم مائة وعشرون ألفا ومن أهل العراق مائة ألف وعشرة آلاف فيكون جملة الفريقين مائتى ألف وثلاثين ألفا

(يوم كربلاء)

لما بويع يزيد بالخلافة وذلك فى رجب سنة ستين خرج الحسين كارها للبيعة من المدينة الى مكة فبلغ أهل الكوفة امتناعه فكتبوا اليه يحرضونه على المسير اليهم ويعرفونه بأنهم شيعته وشيعة أهل بيته وأنهم يقاتلون عدوه حتى يقتلوا

أنفسهم دونه فقدم الكتاب على الحسين لعشر خلون من رمضان سنة ستين
فبعث اليهم مسلم بن عقيل بن أبى طالب للمبايعة له فبايعوه فكتب بذلك عامل
الكوفة من قبل يزيد وهو عبد الله بن مسلم الى يزيد يعلمه بذلك فلما بلغ يزيد
ذلك عقد لعبيد الله بن زياد بولاية الكوفة وأمره بقتل مسلم بن عقيل فسار
حتى دخل الكوفة على حين غفلة من أهلها وهو ملتثم يظنونه الحسين فجعل
لا يمر على ملا من الناس الا قالوا مرحبا بابن بنت رسول الله صلى الله عليه
وسلم قدمت خير مقدم فلما سمع مقالتهم حسر لهم عن وجهه فلما رأوه داخلهم
كآبة وحزن وخاف مسلم على نفسه فاستجار بهانئ بن عروة فارسل اليه عبيد
الله يطلبه منه فقال لا أسلم اليك من استجار بي ظنا منه أن قومه سيمنعونه منه
فتوعده وتهدده فقال والله لو كان تحت قدمى هاتين ما رفعتهما عنه فاصنع
ما بدا لك فضرب به على وجهه فأدماه وهشم أنفه وأمر به فحبس فلما بلغ مسلم
ابن عقيل ذلك أمر أن ينادى فى أصحابه وكان قد بايعه ثمانية عشر ألفا فاجتمع
حول داره منهم أربعة آلاف فجاء الصارخ بذلك الى عبيد الله فخرج من
المسجد الى القصر فزعا مسرعا واغلق أبوابه وأحاط مسلم بن عقيل به فيمن معه
من كل ناحية ولم يكن مع عبيد الله فى القصر الا ثلاثون رجلا من الشرط
وعشرون من أشراف الناس فبينما هم كذلك اذ أقبل كثير بن شهاب فيمن
أطاعه من مذحج فنادى أيها الناس الحقوا بأهاليكم ولا تعرضوا أنفسكم
للقتل فان هذه جيوش أمير المؤمنين يزيد مقبلة وقد أقسم الامير عبيد الله
لئن لم ترجعوا عن حربه ليأخذن البرئ بالسقيم والغائب بالحاضر حتى لا يبقى
منكم باقية فتفرق الناس وجعل الرجل يخوف أخاه بجند الشام والمرأة
تخوف ولدها فأمسى مسلم بن عقيل ومعه ثلاثون ألفا فخرج متوجها نحو
أبواب كندة فما بلغ الابواب ومعه عشرة ثم خرج من الابواب وما معه انسان
فمضى على وجهه لا يدرى أين يذهب فالتجأ الى دار امرأة تسمى طوعة فمنعته
الجلوس على بابها ولم تكن تعرفه فقال لها افعلى معى معروفا لعلى أكافئك
عليه بعد قالت وماذاك قال أنا مسلم بن عقيل كذبنى هؤلاء القوم وغرونى
فرقت له وحنت عليه وأخذت بيده وأدخلته دارها وكانت للاشعث بن قيس
فلما كان الغد صعد عبيد الله بن زياد المنبر فحمد الله على انتصاره ثم قال برئت

الذمة ممن وجد نا مسلم بن عقيل فى داره ومن جاء به فله ديته فقام محمد بن الاشعث وقال ان بلال بن أسيد أخبرنى ان عقيل بن مسلم عند أمه فقال قم وأتنى به فقام ابن الاشعث فى ستة عشر رجلا حتى أتوا الدار فلما سمع مسلم وقع حوافر الخيل نهض اليهم بسيفه فاقتحموا عليه الدار فضربهم حتى أخرجهم وخرج خلفهم مصلتا سيفه ومانعا عن نفسه فقال له ابن الاشعث يافتى لاتقتل نفسك ولك الامان وهو يدافع عن نفسه ويقول

أقسم لاأقتل الا حرّا * وان رأيت الموت شيأ نكرا

كل امرئ يوما ملاق شرّا * أخاف ان أكذب أو أغرّا

فقال ابن الاشعث لاتكذب ولاتغر أنا زعيمك بالوفاء والذمام فلما ألقى سلاحه تواثبوا عليه وأخذوه وحمل الى عبيد الله فقال له يافاسق انّ نفسك منتك ماحيل بينك وبينه قتلنى الله ان لم أقتلك قتلة لم يقتلها أحد قبلك فى الاسلام ثم أمر كثير بن حمران الاحرى أن يصعد به الى سطح القصر وأن يرمى به ففعل فلما فعل به كذلك لم يمت فأمر بضرب عنقه فضربت ثم ضرب رقبة هانئ بعده وصلبت جثة مسلم وحمل رأسه الى دمشق (وكان) قتل مسلم بالكوفة يوم الثلاثاء لثمان مضين من ذى الحجة سنة ستين وفى ذلك اليوم خرج الحسين من مكة قاصدا نحو الكوفة بعدما وصله كتاب مسلم يخبره فيه أن أهل الكوفة معك فأقبل حين تقرأ كتابى فانى قد بايعتهم لك فبينما هو سائر بأصحابه نحو الكوفة اذ مرّ به رجل من أهلها فسئل عما وراءه فذكر أنه لم يخرج منها حتى قتل مسلم وهانئ ورآهما يجرّان بأرجلهما فى السوق فهم بالرجوع فقال له بعض أصحابه والله ما أنت كمسلم ولو قدمت الكوفة لكان الناس أسرع اليك من السيل فى المكان المنحدر فساروا واذا طلائع خيل قد أقبلت نحوه فنزل الحسين وأمر بالاخبية فضربت وجاء القوم وهم ألف فارس مع الحرّ بن يزيد اليربوعى وكان نازلا على القادسية ينتظر قدوم الحسين فلما اجتمعا قال له الحرّ ما الذى أقدمك العراق قال له والله ما خرجت حتى أتتنى كتبكم مع رسلكم فقال له الحرّ والله ماندرى ماهذه الكتب وقد أمرنا اناذا لقيناك لانفارقك حتى نقدمك الكوفة فقال ثكلتك أمك الموت دون ماقلت فقال الحرّ لو غيرك قالها من العرب ماتركت ذكر أمه واذ قد أبيت فخذ طريقا لاتدخلك الكوفة

ولا

ولا تردّك الى المدينة فأبى وساروا والحر بن يزيد معه حتى أتوا على قرية فسأل
الحسين عنها فقالوا العقر فقال نعوذ بالله منه أى من العقر وهى كربلاء فنزل فيها
وذلك يوم الخميس الثانى من المحرّم سنة احدى وستين فلما كان من الغد قدم
عليهم عمرو بن سعد بن أبى وقاص من الكوفة فى أربعة آلاف فارس فلما
اجتمعوا كتب عمر والى عبيد الله يسعى فى صلاح الحال معه وعوده انا قد
اجتمعنا بالحسين فى كربلاء ونحن ننتظر أمرك فيه فكتب اليه حل بين الحسين
وبين الماء كما فعل بالزكى النقى عثمان بن عفان فنعوه وأصحابه الماء ثم أنفذ
اليهم الشمر بن ذى الجوشن وأمرّه ان يسمع لعمرو بن سعد ان هو قاتل وان أبى
فتقدّم أنت على العسكر فأقبل شمر على عمرو بن سعد و بلغه ما قال عبيد الله
فامتعض لذلك وقال لا ولا كرامة ولكن أنا أتولى ذلك ثم نادى يا خيل الله
اركبى وذلك عشية الخميس لتسع خلون من المحرّم ثم تقدّموا نحو الحسين فأرسل
اليهم أخاه العباس يسألهم التأخير لصبيحة غد فأجابوه الى ذلك فلما صلى الغداة
يوم الجمعة وقيل يوم السبت وهو يوم عاشوراء خرج عمرو فيمن معه من الناس
وخرج الحسين وأصحابه وكانوا اثنين وثلاثين فارسا وأربعين راجلا ثم وقف
فيهم على راحلته ونادى أيها الناس أجمعوا أمركم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة
ثم اقضوا الىّ ولا تنظرون انّ وليى الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين
فسمعه نساؤه فبكين ثم قال انسبونى وانظروا من أنا هل على وجه الارض ابن
بنت نبىّ غيرى فسمعته أخته فاطمة فقالت اليوم ماتت فاطمة أمى وعلىّ أبى
والحسن أخى يا خليفة الماضى وثمال اليتامى فقال مجيبا لها ولو ترك القطا ليلا
لناما فجاءه الحر بن يزيد اليربوعى فقال له ما جاء بك قال جئتك تائبا مما كان منى
مواسيا لك بنفسى افترى ذلك لى توبة قال نعم يتوب الله عليك ويغفر لك ثم أقبل
الحر بوجهه على أصحاب ابن زياد وقال لهم اتقوا الله فى ابن بنت رسول الله
نبيكم حلتم بينه وبين الماء الذى يلغ فيه الكلب ويرده الكافر وها أصحابه قد
صرعهم العطش فبئسما خلفتم محمدا فى أهل بيته فحمل عليه رجال منهم ونشب
الحرب بينهم فجعل الحر ينشد يحمل على القوم ويقول

والله لا تقتل حتى أقتلا * ولن أصيب اليوم الا مقتلا
أضربهم بالسيف ضربا فيصلا * لا ناكلا عنهم ولا مهللا

ولم يزل يقاتل حتى قتل ثم حمل أصحاب عمرو بن سعد على أصحاب الحسين حملة رجل واحد فقتلوهم كلهم وكان أول من قتل من آل بنى طالب على بن الحسين الاكبر وبقى الحسين وحده وكان الناس قد توقوا قتله فكان بعضهم يحيل على بعض وصاح شمر لعنه الله بأصحابه أن اقتلوه ثكلتكم أمهاتكم فحمل عليه من كل جانب فضربه زرعة بن شريك بالسيف فقطع يساره وطعنه سنان ابن أنس النخعى بالرمح فصرعه ونزل اليه فاحتز رأسه من قفاه وأخذها ووجد فيه رضى الله تعالى عنه ثلاث وثلاثون جرحا وثلاثون طعنة والكل فيما أقبل من وجهه وقيل مائة وعشرون جراحة ما بين طعنة برمح وشقة بسهم ورمية بحجر وضربة بسيف وكانت عليه جبة خزدكناء فصارت كأنها جلد قنفذ من السهام ثم سلبه اسحق بن جنوة قميصه فبرص وسلبه يحيى بن كعب سراويله فعمى ونادى عمرو بن سعد من ينتدب للحسين فيطوءه بفرسه فانتدب له اسحق ابن جنوة وتسعة من أصحابه فوطؤا ظهره وصدره حتى رضوه رحمة الله تعالى عليه ولعن قاتله والمعين له وأتى سنان بن أنس برأس الحسين الى عبيد الله ابن زياد فلما دخل عليه قال

أوقر ركابى فضة وذهبا * انا قتلت السيد المحجبا
أكرم خلق الله أما وأبا * وخيرهم اذ ينسبون النسبا

فظفر به المختار بن أبى عبيد فقتله وأحرقه ثم بعث بالرأس مع محفيد بن ثعلبة العائذى الى يزيد بن معاوية فلما دخل عليه قال له جئتك برأس ألأم الناس ماولدت محذرة الام وأوضع ثم جعل يضرب ثناياه بقضيب خيزران كان فى يده وينشد

أبى قومنا أن ينصفونا فأنصفت * قواضب فى ايماننا تقطر الدما
تفلق هاما من رجال أعزة * علينا وهم كانوا أعق وأظلما

أما والله لوددت انى أتيت بك مسلما ولو وليتك ماقتلتك ثم قدم اليه على بن الحسين والحسن بن الحسن فقال لعلى أنت أبوك قطع رحمى ونازعنى سلطانى فجزاه الله جزاء القطيعة للرحم فقال على ما أصاب من مصيبة فى الارض ولا فى أنفسكم الا فى كتاب من قبل أن نبرأها فقال يزيد وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير ويروى أنه لما قتل الحسين رضى الله عنه

قدم على يزيد المذحجي فقال له ماوراءك قال ابشر يا أمير المؤمنين بفتح الله ونصره ورد علينا الحسين بن على في ثمانية عشر رجلا من أهل بيته وستين رجلا من شيعته فسرنا اليهم فسألناهم ان يستسلموا و ينزلوا على حكم الامير عبيد الله أو القتال فاختاروا القتال على الاستسلام فعدونا عليهم مع شروق الشمس فاحتطنا بهم من كل ناحية حتى أخذتهم السيوف مأخذها من هؤلاء القوم وجعلوا يلجؤن الى غير وزر ويلوذون منا بالآكام والحفر لنادى الحمام من العقر فوالله يا أمير المؤمنين ما كان الاقدر جزر جزور أو نومة قائل حتى أتينا على آخرهم فهاتيك اجسادهم مجردة وثيابهم مزملة وخدودهم معفرة تصهرهم الشمس وتسفى عليهم الريح وفوقهم العقبان والرخم بقفر سبسب لامكفنين ولا موسدين فدمعت عينا يزيد وقال كنت أرضى منكم ومن طاعتكم بدون قتل الحسين لعن الله ابن سمية أما والله لو أنى بصاحبه لعفوت عنه فرحم الله الحسين فلم يصله بشئ (ويقال) انه لما حمل رأس الحسين الى يزيد ابن معاوية ووضع بين يديه خرجت كف يد من الحائط فكتبت فى جبهته

أترجو أمة قتلت حسينا * شفاعة جده يوم الحساب

وقتل رضى الله عنه وله من العمر خمس وقيل ست وقيل سبع وخمسون سنة وقتل معه ثمانية عشر رجلا من أهل بيته وستون رجلا من شيعته (ولما) وصل خبر مقتله الى المدينة وكان واليا عليها يومئذ عمرو بن سعيد بن العاص المعروف بالاشدق قام مناديا فنادى بقتله فصاح نساء بنى هاشم وخرجت ابنة عقيل بن أبي طالب حاسرة وهي تقول

ماذا تقولون ان قال النبي لكم * ماذا فعلتم وأنتم خيرة الامم
بعترتي و بأهلي بعد مفتقدي * منهم أسارى ومنهم مضرج بدم
ما كان هذا جزائي اذ نصحت لكم * أن تخلفوني بسوء فى ذوى رحمي

وفي يوم قتله من العام القابل قتل عبيد الله بن أبي زياد قتله المختار بن أبى عبيدة وقتل المختار مصعب بن الزبير وقتل مصعبا عبد الملك بن مروان فيالله العجب كيف وانى يهدر دماء بنى البتول وسيف النصر على الباغى بيد الزمان مسلول

(يوم الحرة)

وسببه أن جماعة من أشراف المدينة منهم عبد الله بن حنظلة و بنوه

ثمانية والمنذر بن الزبير قدموا من عند يزيد بن معاوية وكان قد أكرمهم وحملهم وكساهم فاظهروا شتمه وأكثروا سبه وعيبه للناس وقالوا قدمنا من عند رجل شريب فسيق يلعب بالكلاب ويسامر القرود والقيان وانا نشهدكم أن قد خلعناه وتبرأنا منه فكتب عثمان بن حيان والى المدينة من قبل يزيد اليه يعلمه بما أجمعوا عليه فكتب يزيد الى أهل المدينة أما بعد فان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم واذا أراد الله بقوم سوأ فلا مردّ له وما لهم من دونه من وال وانى والله لقد لبستكم فأبليتكم ورقعتكم حتى خرقتكم وانى وضعتكم على رأسى ثم على صدرى ثم على بطنى وايم الله لئن وضعتكم تحت قدمى لاطأنكم وطأة أقل بها عددكم وأقل بها عددكم وأترككم أحاديث تنسخ أخباركم مع أخبار عاد وثمود فان شئتم فلا أفلح من ندم وكتب فى آخر الكتاب متمثلا بقول الشاعر

لقد بدلوا الحلم الذى من سجيتى * فبدلت قومى غلظة بليان

فلما وصل اليهم الكتاب وقرئ عليهم أبوا الا خلعه وازدادوا عليه تغيظا وفيه كراهة ثم بايعوا عبد الله بن حنظلة ووثبوا على عثمان بن حيان وأخرجوه من المدينة وأخرجوا من كان فيها من بنى أمية ومواليهم وكانوا نحوا من ألف فنزلوا دار مروان بن الحكم فخرجوا اليهم وحصروهم فيها فكتب مروان الى يزيد يعلمه بما جرى فوصل اليه الكتاب ليلا وعنده الضحاك بن قيس فقرأه عليه ثم قال له ما الرأى قال يا أمير المؤمنين قومك وعشيرتك وبلد رسول الله صلى الله عليه وسلم وحرمه وأرى ان تعفو عنهم وتتغمد ذنوبهم فقال اخرج عنى ثم دعا مسلم بن عقبة المرى قال فما لبث ان دخل رجل أعور ثائر الرأس كانما يقلع رجله من وحل اذا مشى فرمى اليه بالكتاب فلما قرأه احمر وجهه وأزبد شدقه فقال له يزيد ما الرأى قال أرى أن تبعث اليهم جيشا رجاله غليظة اكتافهم طويلة رماحهم فيطؤنهم حتى يكونوا نكالا لمن خلفهم فقال له يزيد كنت لها لولا أنك ضعيف فقال يا أمير المؤمنين ان كنت تريدنى لمصارعتهم فانى ضعيف وان كنت تريدنى للرأى فانى قوى فأمره يزيد بالتجهز فما أصبح الا وعلى باب يزيد عشرون ألفا وفيهم مسلم بن عقبة فاستدعاه يزيد وقال له سر فان حدث بك أمر فاستخلف الحصين بن نمير وادع أهل المدينة ثلاثا فان أجابوك

والا فقاتلهم فان أطاعوا أمرنا فانصرف عنهم الى ابن الزبير فان قاتلتهم
وظفرت بهم فابحها ثلاثا واستوص بعلى بن الحسين خيرا ثم ودعه وانصرف
بمن معه من الجيش فلما سمع أهل المدينة بقدوم الجيش غوروا المياه التى بينهم
وبين أهل الشأم فأرسل الله السماء فلم يستق أصحاب مسلم بدلو حتى قدموا
المدينة وكان أهل المدينة قد أطلقوا بنى أمية فخرجوا قاصدين الشأم فلقوا
مسلما بالجيش فرحب بهم وسألهم عن أهل المدينة فأخبروه بحالهم وشاورهم
أين يكون نزوله من نواحى المدينة فأشار عليه عبد الملك بن مروان أن ينزل
بالجيش من قبل الحرة فانها مشرفة على المدينة وان أهلها ينظرون من تألق
بيضكم وأسنة رماحكم وسيوفكم ما لا يراه أصحابك منهم فنزلها فلما رآهم أهل
المدينة خرجوا فى جموع كثيرة وهيئة لم ير مثلها فلما رآهم أهل الشأم أكبروهم
وكرهوا قتالهم فكتب مسلم اليهم يحذرهم سطواته وينذرهم فتكاته فأبوا قبول
ما دعاهم اليه من الانقياد لطاعته فلما كان اليوم الرابع وهو يوم الجمعة لثلاث
بقين من ذى القعدة سنة ثلاث وستين نادى مناديه يا أهل المدينة قد مضى
الاجل فما تصنعون أتسالمون أم تحاربون فقالوا بل نحارب ثم خرجوا وطلبوا
البراز فأمر مسلم أن يعبى الجيش وضرب لهم فسطاطا ووقع القتال وجعل
مسلم يعد قومه ويمنيهم وعبد الله بن حنظلة الغسيل يحرض قومه ويقدم
أولاده واحدا بعد واحد حتى قتلوا ثم حمل عليه فقتل وقتل يومئذ ثمانية من
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أهل الشأم لبنى أمية ألهؤلاء
جئتم بنا حتى نقتلهم ثم اشتد القتال وكثر القتل حتى انهزم أهل المدينة
فدخلوها وتحصنوا بها فيئس منهم مسلم فدله رجل من بنى حارثة على طريق
سالكة الى المدينة فسلكه بمن معه حتى دخلها فلما رأى أهلها الجيش قد صار
معهم تفرقوا فقتلوا فى كل جهة وذلك لثلاث من ذى الحجة سنة ثلاث وستين
ثم انتهبوها ثلاثا وأقاموا بها حتى رأوا هلال المحرم ثم أخذ مسلم البيعة على
أهل المدينة انهم عبيد قيان ليزيد بن معاوية ان شاء أعتق وان شاء قتل
ثم ركب مسلم الفاسق لعنه الله وخرج الى الحرة يطوف فى القتلى ومعه مروان
ابن الحكم فمر على عبد الله بن حنظلة وهو ماد اصبعه نحو السماء فقال
والله لئن نصبتها ميتا طالما نصبتها حيا داعيا الى الله ومر على ابراهيم بن نعيم

فوجد فرجه مستورا بيده فقال والله لئن حفظته عند الوفاة لقديما حفظته في حال الحياة ومر على محمد بن عمرو بن حزم وهو واضع جبهته على الارض فقال أما والله لئن كنت على جبهتك بعد الموت لطالما فرشتها لله ساجدا في طول الحياة فقال والله ماهؤلاء الا من أهل الجنة ثم ان مسلما حز رؤس القوم وأرسلها الى يزيد فقال انه أنشد لما ألقيت بين يديه بيت ابن الزبعرى

ليت أشياخي ببدر شهدوا * جزع الخزرج من وقع الاسل

(قال الواقدى) قتل يوم الحرة سبعمائة من حملة القرآن وقيل قتل سبعمائة من قريش والانصار وقتل ممن لا يعرف عشرة آلاف ثم سار مسلم لعنه الله يريد مكة لقتال عبد الله بن الزبير فلما كان بقديد مات فدفن بالمشلل وقيل بثنية هرشى * وكان موته لسبع بقين من المحرم سنة أربع وستين وفي هذه السنة مات يزيد في الرابع عشر من ربيع الاول وله من العمر ثمان وثلاثون سنة * وكانت مدة خلافته ثلاث سنين وتسعة أشهر * ولما مات مسلم جاءت أم ولد يزيد بن عبد الله بن زمعة فنبشته وأحرقته وقيل بل أخرجته وصلبته وفيما ذكرنا من هذه الحروب اقناع يعز به المخبر اذا سئم من المطاولة المستخبر

(وأحسن ما لحق بهذا الفصل وتلاه وصف عظم الجيش ومصارع قتلاه)

أبلغ ما وصف به عظم الجيش قول مالك بن الريب من أبيات

بجيش لهام يشغل الطير جمعه * عن الارض حتى ما يجدن منازلا

(السلامى)

والجو ستر بالنسور مطير * والارض فرش بالخيول مخيل

يهفو العقاب على العقاب فيلتقى * بين الفوارس أجدل ومجدل

ولا مزيد في الحسن على ما قاله أبو تمام حبيب بن أوس الطائى من أبيات يمدح بها المعتصم (١) جاء منها قوله

لما رأيت الدين يخفق قلبه * والكفر فيه تغطرس وعرام (٢)

أوريت زند عزائم تحت الدجى * أسرجن فكرك والبلاد ظلام

فنهضت تسحب ذيل جيش ساقه * حسن اليقين وقاده الاقدام

ملأ الملا عصبا فكاد بأن يرى * لا خلف فيه ولا له قدام

بسواهم لحق الاياطل شزب * تعليقها الاسراج والالجام

(١) في الديوان المأمون اه

(٢) قوله تغطرس في الديوان تغطرف ومعناهما الكبر واسقط بعد قوله فنهضت الخ (متسعر لزج يرى سلافه (ولهم بمخرق الفضاء زحام)

ومقابلين

ومقابلين اذا انتموا لم يخزهم * فى نصرك الاخوال والاعمام
تخذوا الحديد من الحديد معاقلا * سكانها الارواح والاجسام (١)
مسترسلين الى الحتوف كانما * بين الحتوف و بينهم ارحام
آسادموت مخدرات مالها * الا الصوارم والقنا آجام
حتى نقضت الروم عنك بوقعة * شنعاء ليس لنقضها ابرام
فى معرك أما الحمام فمفطر * فى هبوتيه والكماة صيام
والضرب يقعد قرن كل كتيبة * شرس الضريبة والحتوف قيام
ففصمت عروة جمعهم فيه وقد * جعلت تفصم عن عراها الهام

(ابن عبد ربه صاحب العقد)

وجيش كظهر اليم تنفحه الصبا * يعب عبابا من قنا وقنابل
فينزل أولاه وليس بنازل * ويرحل اخراه وليس براحل
ومعترك ضنك تعاطت كماته * كؤس دماء من كلى ومفاصل
يديروا بها راحا من الروح بينهم * ببيض رقاق أو بسمر ذوابل
وتسمعهم أم المنية وسطها * غناء صليل البيض تحت المناصل

(أبو الفرج الببغا)

فاذا الجياد الى الجياد عوابسا * شعثا ولولا بأسه لم تنفد
فى جحفل كالسيل أو كالليل أو * كالقطر طافح قطر بحر مزبد
متوقد الجنبات تعتنق القنا * فيه اعتناق تواصل وتودد
متجبر بضيا الصوارم مبرق * تحت العجاج وبالصواهل مرعد
ردّ الظلام على الضحى واسترجع الاصباح من ليل الغبار الازبد
وكأنما نقشت حوا فرخيله * للناظرين أهلة فى الجلمد
وكأن طرف الشمس مطروف وقد * جعل الغبار لها مكان الاثمد

(وله)

فى خميس كأنما السمر والابـ * ـطال فيه غيله حمته أسود
سلب الشمس ضوأها بشموس * طالعات افلاكهن جديد
عارض كلما تجلت بروق الـ * ـبيض حنت على الصهيل رعود

(وله)

(١) اسقط بعد قوله ومقابلين الخ (سفع الدؤب وجوههم فكأنهم * وأبوهم سام أبوهم حام) اه

جيش يفوت الطرف حتى لا يرى * ما غاب من اطرافه محدودا
ويجيش حتى لا يظن عديده * أحد لكثرة جمعه معدودا
فكأنما جعل الاله روابى الا علام اعلاماله وبنودا
يقضى على الاعداء خيفة بأسه * قبل اللقاء تهددا ووعيدا
وترى وتسمع لمعه وخفوقه * فتخال فيه بوارقا ورعودا

(آخر)

خميس اذا أخفى سنا الشمس نطقه * أضاء وابداه الحديد المسرد
تواجهه هوج الرياح فينثنى * وتحمله الارض الوقور فيرعد

(أبو الطيب المتنبى)

خميس بشرق الارض والغرب زحفه * وفى أذن الجوزاء منه زمازم
تجمع فيه كل لسن وأمة * فما يفهم الحداث الا التراجم

(وله)

وذو لجب لا ذو الجناح أمامه * بناج ولا الوحش المثار بسالم
(١) تمر عليه الريح وهى ضعيفة * تطالعه من بين ريش القشاعم
ويخفى عليك البرق والرعد فوقه * من اللمع فى هاماته والجماجم

(ابن المعتز)

وعم السماء النقع حتى كأنه * دخان واطراف الرماح شرار

(ابن الساعاتى)

والنقع ليل والاسنة أنجم * والسمر غاب والكماة أسود

(وصف النزال والقتلى)

وصف أعرابى وقعة فقال اصطفوا كجناح الطائر وشدوا شد الاسد الخادر فما ثنوا أعنتهم ولا صرفوا أسنتهم حتى انصرف اعداؤهم (أبو نصر الميكالى) دارت رحى الحرب بين اعمار تباح ودماء تستباح وأجسام تطاح وأرواح تسفى بها الرياح فالسيوف للهامات دامغة والرماح فى الاكباد والغه (بعض البلغاء) طلبنا فلانا فى الوغى فوجدناه وجسده بالصفاح منمق محبر وبالرماح معجم ومحرر

(ابن عبد ربه من أبيات)

فكم على النهر أوصال مفرقة * تقسمتها المنايا فهى اشطار

(١) قوله الريح فى الديوان الشمس وأسقط بعده (اذا ضوؤها لاقى من الطير فرجة * تدور فوق البيض مثل الدراهم)

قد فلقت بصفيح الهند هامتهم * فهن بين حوامى الخيل أعشار
وكم بساحتهم من شلو مطرح * كأنه فوق ظهر الارض اجار
كأنما رأسه أفلاق حنظلة * وساعداه على الزندين جمار

(أبو بكر الخوارزمى)

كتبنا فى وجوههم سطورا * غرائب حبرهن دم همول
فترجمها الاعادى للاعادى * ويقرؤها على الحى القتيل
فمالك غير جمجمة كتاب * ومالك غير صاحبها رسول

(ابن الرومى)

كتبت لنا أيدى النزال صحائفا * عجما من الاعراب والافصاح
اطراسها جثث الكماة وحبرها * مما أسلناه دم الارواح
فالشكل فوق سطورها بصوارم * والنقط تحت حروفها برماح

(ابن نباته)

خلقنا باطراف القنا لظهورهم * عيونا لها وقع السيوف حواجب

(قطع الرؤس أحسن ما نظم فيها قول الشريف البياضى من أبيات)

خطبنا بالقنا مهج الاعادى * فزفت والرؤس لها نثار

(وقول جرير وان كان قبله)

كأن رؤس القوم فوق رماحنا * غداة الوغى تيجان كسرى وقيصرا

(وقول الآخر)

وكأنما سمر الرماح معاطف * والهام فوق صدورهن نهود

(الفصل الثالث من الباب الحادى عشر)

(فى ذم التصدى للهلكة ممن لا يستطيع بها ملكة)

قال الله تعالى ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة وقال تعالى خذوا حذركم (وقد روى) أن عمر رضى الله عنه حين كره طواعين الشأم أراد الرجوع الى المدينة فقال له أبو عبيدة بن الجراح يا أمير المؤمنين أتفر من قدر الله قال نعم الى قدر الله فقال له أيمنع الحذر القدر قال لست مما هنالك فى شئ ان الله لا يأمر بما لا ينفع ولا ينهى عما لا يضر فانه يقول ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة وقال خذوا حذركم (وقالوا) الشجاعة تغرير والتغرير مفتاح الهلكة (وقال) يزيد

ابن المهلب الاقدام على الهلكة تغرير والاحجام عن الفرصة جبن وأنشدت لطاهر بن الحسين

ركوبك الامر مالم تبد فرصته * جهل ورأيك فى الاقحام تغرير
فاعمل صوابا وخذ بالحزم مأثرة * فلن يذم لاهل الحزم تدبير

(ويقال) أهوت الى يزيد بن المهلب حية فلم يتوقها فقال له أبوه ضيعت الحزم من حيث حفظت الشجاعة (الشريف الرضى)

العزم فى غير وقت العزم معجزة * والازدياد بغير العقل نقصان

(ويقال) من قاتل بغير نجدة وخاصم بغير حجة وصارع بغير قوة فقد أعظم الخطر وأكبر الغرر * وقال بعض الحكماء من أعرض عن الحذر والاحتراس وبنى أمره على غير أساس زال عنه العز واستولى عليه العجز فصار من يومه فى نحس ومن غده فى لبس (وفى كتاب للهند) الحازم يحذر عدوه على كل حال يحذر مواثبته ان قرب وغارته ان بعد وكمينه ان تبع ومكره ان انفرد واستطراده اذا ولى (وقال ابو بكر الصديق) يحذر خالد بن الوليد رضى الله عنهما اذا دخلت أرض العدو فكن بعيدا من الحملة فانى لا آمن عليك الجولة واستظهر بالزاد وسر بالادلال ولا تقاتل مجروحا فان بعضه ليس منه واحترس من البثات فان فى القرب غمرة واقلل الكلام فان مالك الا ماوعى عنك واقبل من الناس علانيتهم وكلهم الى الله فى سريرتهم واستودعك الله الذى لا تضيع ودائعه وقال الشاعر

ومن يأمن الاعداء لابد أنه * سيلقى بهم فى موقف الموت مصرعا

(وقالوا) الاقدام على الهلكة تضييع كما أن الاحجام عن الفرصة عجز (وقيل) لعنترة العبسى أأنت أشجع العرب وأشدها قال لا قيل فبم شاع هذا فى الناس قال كنت أقدم اذا كان الاقدام عزما وأحجم اذا كان الاحجام حزما ولا أدخل موضعا لا أرى لى فيه مخرجا (وسئل) بعض الشجعان هل شئ أضر من التوانى قال الاجتهاد فى غير وقته * وقال جعفر بن ميسرة من مكن أسباب الهلكة من نفسه طائعا لم يكد يتخلص منها وان كان جاهدا (وقال) بعض الحكماء لصديق له اعلم ان الفطنة اظهار الغفلة مع شدة الحذر فبات مبات الآمن وتحفظ منه تحفظ الخائف ولا تظهر له المخافة فيرى ان قد حذرت فيهون

عليه مايستهوله منك (ويقال) اذا أخذ المرء بالحذر والاحتراس فى موضع الشدة وعمل على الجراءة والاقدام عند انتهاز الفرصة فقد أخذ بالحزم فى شدته وعمل بالحزم عند فرصته (وقال) بعض الفلاسفة كن حذرا كأنك غر فطنا كأنك غافل وذاكرا كأنك ناس * وقال بعضهم

من أخذ الحذر من المحذور * قل تجنيه على الدهور
فليحزم الحازم فى الامور * فان كبا فالعذر للمعذور

(آخر)

على كل حال فاجعل الحزم عدة * تقدمها عند النوائب فى الدهر
فان نلت حظا نلته بعزيمة * وان قصرت عنك الحظوظ فعن عذر

* (ومما يكون عمدة عند لقاء الابطال التفكر فى اعمال الاحتيال وان طال) *

قالت الحكماء الحازم يحتال للامر الذى يخافه لعله أن لا يقع فيه فليس من القوة التورط فى الهوة ومن لم يتأمل العواقب بعين عقله لم يقع سيف حيلته الاعلى مقاتله * وأنشد لتأبط شرا

اذا المرء لم يحتل وقد جد جده * اضاع وقاسى الصعب وهو مقصر
ولكن أخو الحزم الذى ليس نازلا * به الامر الا وهو للقصد مبصر

(ويقال) اذا اتسع لك المنهج فاحذر أن يضيق عليك المخرج * وقال الشاعر

واذا هممت ورود أمر فالتمس * من قبل مورده طريق المخرج

(آخر)

اياك والامر الذى ان توسعت * موارده ضاقت عليك المصادر
فما حسن أن يعذر المرء نفسه * وليس له من سائر الناس عاذر

(ويقال) تفكر قبل أن تعزم وتدبر قبل أن تهجم فانه من لم ينظر فى العواقب فقد تعرض لحادثات النوائب * ووجد على حجر بعدن أبين مكتوب أيها المحارب احذر تغنم وتفكر فى العواقب تسلم (ويقال) الناس حازمان وعاجز فاحزم الحازمين من عرف الامر قبل وقوعه فاحترس منه والحازم بعده من اذا نزل الامر تلقاه بالرأى والحيلة حتى يخرج منه والعاجز من تردد بين وبين لا يأتمر رشدا ولا يطيع مرشدا حتى تفوته النجاة (ويقال) ترك التقدم أحسن من التندم * وأوصى عبد الملك بن صالح أميرا قدمه على سرية أرسلها

الى قتال عدوّه فقال كن كالتاجر الكيس ان وجد ربحا تجر والا حفظ
رأس ماله ولا تطلب الغنيمة حتى تحمد السلامة وكن فى احتيالك على
عدوك أشد حذرا من احتيال عدوك عليك (وقالوا) ما تنفق فيه الاموال
والحيل خير مما تنفق فيه الارواح والنفوس * وأوصت أم الدبال العبسية
ولدها القتال وكان من أشد العرب فقالت يابنى لا تنشب فى حرب وان وثقت
بشدتك حتى تعرف وجه المهرب فان النفس أقوى ما تكون اذا وجدت
سبيل النجاة مدبرة لها واختلس من تجاربه خلسة الذئب وطر منه طيران
الغراب فان الحذر زمام الشجاعة والتهور عدو الشدة (وقال) أبو السرايا
وكان أحد الفتاك يابنى كن بحيلتك أوثق منك بشدتك وبحذرك أوثق منك
بشجاعتك فان الحرب ورطة المتهور وغنيمة المتفكر (ويقال) لا تصلح
الحزامة الا لمن كان له سبع خصال من طبائع البهائم قلب الاسد وغارة الذئب
وصبر النسر وحذر الغراب وحراسة الكركى وهداية الحمام وحماية الزنبور

(ومما يجب مع التفكر على المحارب مشاورة النصحاء من أولى التجارب)

قد كنا قدمنا فى صدر الكتاب ما يجب على العاقل من مشورة نصحائه فى سائر
انحائه وانا ذاكر فى هذا الباب ما يجب على الحازم من مشورة أوداّئه فى كيفية
لقاء اعدائه فانهم قالوا ينبغى لكل ذى لب أن لا يبرم أمرا ولا يمضى عزما
الا بمشورة ذى الرأى الناصح ومطالعة ذى العقل الراجح (وقالوا) الحازم
اذا اشتبهت عليه مصادر الامور جمع من أهل التجارب وجوه الرأى حتى
يخلص له منها الصواب كالعاقل اذا ضلت له لؤلؤة فانه اذا جمع ما حول
مسقطها والتمسها يوشك أن يجدها (وقالوا) من حق العاقل أن يضيف
الى رايه آراء العلماء ويجمع الى عقله عقول الحكماء (وقال) بشار بن برد
المشاور بين احدى الحسنيين اما صواب فيفوز بثمرته أو خطا يشارك
فى مكروهه (وقالوا) الرأى السديد خير من الاسد الشديد * وكان يقال
المشورة سلم النجاح وطليعة الفلاح (وقالوا) الرأى فى الحرب أنفع من الطعن
والضرب * وقال بعض الاعراب ما غبنت قط حتى غبن قومى قيل له وكيف قال
لا أفعل شيأ حتى أشاورهم (وقالوا) حقيق أن يوكل الى نفسه من أعجب برأيه
(ولقد) أحسن أبو الطيب أحمد بن الحسين المتنبى فى التحريض على مشاورة

لاخوان عند مساواة الاقران بقوله

الرأى قبل شجاعة الشجعان * هو أوّل وهى المحل الثانى
فاذا هما اجتمعا لنفس حرة * بلغت من العلياء كل مكان
فلربما طعن الفتى أقرانه * بالرأى قبل تطاعن الاقران

(ولبعضهم)

الرأى كالسيف ينبو ان ضربت به * فى غمده واذا جردته قطعا

(آخر)

أشاور أهل الرأى فيما ينوبنى * وان كان لى رأى أحد صليب
ولا أدّعى بالغيب علما لسائل * ولا أحسد المسؤل حين يجيب

(آخر)

اذا بدا لك وجه الرأى فارم به * نحو احترام تحاماه المقادير
ولا تقل غرر أخشى عواقبه * يوما فكل نجاة القوم تغرير

(وذكر الحصرى) فى كتابه زهر الآداب وثمر الالباب أنّ قوما من العرب أتوا شيخا لهم قد أربى على الثمانين واهدف التسعين فقالوا ان عدونا استاق سرحنا فأشر علينا بما ندرك به الثار وننفى به العار فقال ان ضعف قوتى فسخ همتى ونقض ابرام عزيمتى ولكن شاوروا الشجعان من ذوى العزم والجبناء من أولى الحزم فان الجبان لا يألو برأيه ماوقى مهجكم والشجاع لا يألو ما يشيد ذكركم ثم خلصوا من الرأيين نتيجة تبعد عنكم معرة الجبان وتهوّر الشجعان فاذا نجم الرأى على هذا كان أنفذ على عدوّكم من السهم الصائب والحسام القاضب فلله هذه الكلمات لو يجدها الجبان جنة لوقته او هاديا أرته مواطن العواقب ووفقته

(وملاك التحميل فى بلوغ الامانى رفض العجلة واستعمال التوانى)

قال الله تعالى ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه وقل رب زدنى علما (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم من أعطى حظه من الرفق أعطى حظه من الدنيا والآخرة ومن حرم حظه من الرفق فقد حرم حظه من الدنيا والآخرة (وقال) عليه الصلاة والسلام لعائشة رضى الله عنها عليك بالرفق فانّ الرفق لا يخالط شيأ الازانه ولا يفارق شيأ الاشانه (وقال) عمر رضى الله

عنه التؤدة فى كل شئ الا ما كان من عمل الآخرة (وقال الشاعر)

الرفق يمن والأناة سعادة * ليس النجاح لمن يطيش ويخرق

(آخر)

وفى الأناة اذا ما جدّ صاحبها * حزم ويعقبها التفريط والخرق

(وفى التوراة) الرفق رأس الحكمة (وقالوا) فعل اللبيب ثمرته السلامة (وجد) على سيف مكتوب التأنى فيما لا يخاف فيه الفوت أفضل من العجلة الى ادراك الامل (وقال) بعض الحكماء تأنّ تحزم واذا استوضحت فاعزم (وقالوا) يد الرفق تجنى ثمر السلامة ويد العجلة تغرس شجر الندامة

(أبو الفتح البستى)

تأنّ فى الشئ اذا رمته * لتعرف الرشد من الغىّ

لا تتبعن كل دخان ترى * فالنار قد توقد للكىّ

وقس على الشئ باشكاله * يدلك الشئ على الشىّ

(وقال) بشر بن مروان لاهله اذا التبست عليك الخطوب وغاب عنك المورود وأشكل عليك المصدر فيه فالاناة الاناة وليكن أمرك حزما واذا استبان لك فعزما (وقال محمد بن هانئ الاندلسى)

وكل أناة فى المواطن سودد * ولا كاناة من قدير محكم

وما الرأى الا بعد طول تثبت * ولا الحزم الا بعد طول تلوّم

(القطامى)

قد يدرك المتأنى نجح حاجته * وقد يكون مع المستعجل الزلل

(آخر)

وربما فات قوما جلّ أمرهم * من التأنى وكان الحزم لو عجلوا

(وقالوا) الاناة حصن السلامة والعجلة مفتاح الندامة (وقالوا) اذا لم يدرك الظفر بالاناة فبماذا يدرك (وقال) المهلب بن أبى صفرة واسم أبى صفرة ظالم ابن سراق أناة فى عواقبها درك خير من عجلة فى عواقبها فوت (ومن أمثالهم) اتئد تصب أو تكد * وقولهم من تأنى أدرك ما تمنى * وقولهم الرفق مفتاح النجاح (وقال) بعض الحكماء اياك والعجلة فانها تكنى أم الندامة لان صاحبها يقول قبل أن يعلم ويجيب قبل أن يفهم ويعزم قبل أن يفكر ويقطع قبل أن

يقدر

يقدر ويحمد قبل أن يجرب ويذم قبل أن يخبر ولن تصحب هذه الصفة أحدا الاصحب الندامة وجانب السلامة

(وهذه نبذة يسيرة فى الصبر)

فمما ينسب لعلى رضى الله عنه

انى رأيت وفى الايام تجربة * للصبر عاقبة محمودة الاثر
وقل من جد فى أمر يحاوله * واستصحب الصبر الافاز بالظفر

(آخر)

ما أحسن الصبر فى مواطنه * والصبر فى كل موطن حسن
حسبك من حسنه عواقبه * عواقب الصبر ما الهاتمن

(آخر)

الصبر مفتاح ما يرجى * وكل صعب به يكون
فاصبروان طالت الليالى * فربما أمكن الحزون
وربما نيل باصطبار * ما قيل هيهات لا يكون

(ويقال) الصبر مفتاح النصر (ويقال) النصر فى مطاوى الصبر (ويقال) من تصبر تبصر (وقال الصابى) حظ الطالبين من الدرك بحسب ما استصحبوه من الصبر (وأنشدت لبعض الشعراء)

اذا كنت فى أمر ولم ترحيلة * فصبرك ان النجح يدرك بالصبر
كذاك عيون الماء تكدر مرة * وتصفو مرارا هكذا عادة الدهر

(ابن منقذ)

لا تستكن للهم وانت حمامه * بعزيمة فى الخطب لا تتضعضع
فاذا أتى ما ليس يدفع فالقه * بالصبر فهو دواء ما لا يدفع

(ومن أحسن ما قيل فيه)

أما والذى لا خلد الا لوجهه * ومن ليس فى العز المنيع له كفو
لئن كان بدء الصبر مرا مذاقه * لقد يجتنى من غبه الثمر الحلو

(آخر)

اصبر على مضض الادلاج فى السحر * وفى الرواح الى الحاجات والبكر
لا تضجرن ولا يعجزك مطلبها * فالنجح يتلف بين الصبر والضجر

(الباب الثانى عشر فى الجبن وفيه ثلاثة فصول)

(الفصل الاول من هذا الباب)

(فى أن خلق الجبن والفرار مما يشين بنى الاحرار)

الجبن غريزة كالشجاعة يضعها الله فيمن شاء من خلقه (قال المتنبى)

يرى الجبناء أن الجبن حزم * وتلك خديعة الطبع اللئيم

وحده بعض المتكلمين فى حدود الاشياء فقال هو الضن بالحياة والحرص على النجاة * وقالت الحكماء فى الفراسة من كانت فزعته فى رأسه فذلك الذى يفر من أبويه (وقالوا) الجبان يعين على نفسه يفر من أمه وأبيه وصاحبته وأخيه وفصيلته التى تؤويه (وقال الشاعر)

يفر الجبان من أبيه وأمه * ويحمى شجاع القوم من لا يناسبه

(فيما اخترت من كلام ذوى الاقدام فيما عيب به الفرار والاحجام)

قالت عائشة رضى الله عنها ان الله خلق قلوبهم كقلوب الطير كلما خفقت الريح خفقت معها فأف للجبناء (وقال) خالد بن الوليد عند موته لقيت كذا وكذا زحفا وما فى جسدى موضع الا وفيه ضربة بسيف أو طعنة برمح او رمية بسهم وها أنا ذا أموت حتف أنفى كما يموت البعير فلا نامت أعين الجبناء (شاعر)

ان موت الفراش عار وذل * وهو تحت السيوف فضل شريف

(السموأل)

وما مات منا سيد حتف أنفه * ولا طل منا حيث كان قتيل

تسيل على حد الظباة نفوسنا * وليست على غير الظباة تسيل

(آخر يفتخر)

محرمة اكفال خيلى على القنا * ومكلومة أعناقها ونحورها

حرام على ارماحنا طعن مدبر * وتندق منا فى الصدور صدورها

(ويقال) أسرع الناس الى الفتنة أقلهم حياء من الفرار (وقال) دارا بن دارا يحرض جيشه على القتال قتيل صابر خير من ناج فار يا بنى الاحرار صرتم الى الذل والصغار ماهذا الجبن والفرار فلا صبر ولا اعتذار تطردكم الاشرار كطرد الليل النهار اثبتوا فان الاجل بمقدار (وقال) هانئ الشيبانى لقومه يوم ذى قار يا بنى بكر هالك مغدور خير من ناج فرور المنية ولا الدنية يا بنى بكر استقبال الموت خير من استدباره الطعن فى ثغور النحور أكرم منه

في الاعجاز والظهور يابني بكر قاتلوا فما الناس من المنايا بد الجبان مبغض حتى لامه والشجاع محبب حتى لعدوه (ويقال) الجبن خير أخلاق النساء وشر اخلاق الرجال (وقال) يعلى بن منية لقومه حين فروا من علي يوم صفين الى أين قالوا قد ذهب الناس فقال أف لكم فرارا واعتذارا (ولما) قوتل ابو الطيب المتنبي ورأى الغلبة عليه فر فقال له غلامه أترضى أن يحدث بهذا الفرار عنك وأنت القائل

والخيل والليل والبيداء تعرفني * والطعن والضرب والقرطاس والقلم

فكر راجعا فقاتل حتى قتل واستقبح أن يعير بالفرار وذلك في شهر رمضان سنة أربع وخمسين وثلثمائة وكان مولده بالكوفة سنة ثلاث وثلثمائة (وقال المنصور) لبعض الخوارج عليه وقد ظفر به وأحضر اليه أسيرا أخبرني عن أصحابي أيهم كان أشد اقداما في مبارزتك فقال لا أعرف وجوههم مقبلين وانما أعرف أقفيتهم مدبرين فقل لهم يدبرون لاعرفك أيهم كان أشد فرارا نظم هذا القول علي بن العباس بن جريج المعروف بابن الرومي في قوله يهجو سليمان بن عبد الله بن طاهر وقد هزم

قرن سليمان قد اضر به * شوق الى وجهه سيتلفه
أعرض عن قرنه وصدفا * أصبح شئ عليه يعطفه
كم يعد القرن باللقاء وكم * يكذب في وعده ويخلفه
لا يعرف القرن وجهه ويرى * قفاه من فرسخ فيعرفه

وله من أبيات

كان بغداد لدن أبصرت * طاعته نائحة تلتدم
مستقبل منه ومستدبر * وجه بخيل وقفا منهزم

(وقال) عبد الله بن الزبير لعدي بن حاتم يعرض به متى فقئت عينك قال يوم طعنت في استك وأنت مول يعني يوم الجمل وقيل بل قال له يوم قتل أبوك وهربت خالتك يعني عائشة وأنا للحق ناصر وأنت له خاذل

(وقال شاعر يذكر فارا)

شرده الخوف فازرى به * كذاك من يكره حر الجلاد
منخرق الخفين يشكو الوحى * تنكبه أطراف مرو حداد

قد كان فى الموت له راحة * والموت حقا فى رقاب العباد

(نتف من احتجاج الفرسان عند ملاقاة الاقران)
(فى ان دروع الحذر تخرقها سهام القدر)

قال الله تعالى قل ان الموت الذى تفرون منه فانه ملاقيكم (وقال) على رضى الله عنه اذا حلت المقادير حلت التقادير (وقال) هانئ بن مسعود الشيبانى ان الحذر لاينجى من القدر وان الصبر من أسباب الظفر * والمثل المضروب ان الجبان حتفه من فوقه (وقالوا) السلامة فى الاقدام والحمام فى الاحجام وأنشد فى الحماسة لقطرى بن الفجاءة

لاتركنن أبدا الى الاحجام * يوم الوغى متخوفا لحمام
فلقد ارانى للرماح دريئة * من عن يمينى تارة وأمامى
حتى خضبت بما تحدر من دمى * اكناف سرجى أو عنان لجامى
ثم انصرفت وقد أصبت ولم أصب * خدع القريحة مارح الاقدام

(وقال) أبو بكر الصديق لخالد بن الوليد رضى الله عنهما حين أخرجه لقتال أهل الردة احرص على الموت توهب لك الحياة (وقالوا) اذا انقضت المدة لم تنفع العدة (وقال) على رضى الله عنه ان الموت طالب حثيث لايعجزه المقيم ولايفوته الهارب ان لم تقتلوا تموتوا الاوان أشرف الموت القتل (وقال) عبد الله بن رواحة رضى الله عنه

يانفس ان لم تقتلى تموتى * ان تسلمى اليوم فلن تفوتى * أو تبتلى فطالما عوفيتى

(وقيل لبعضهم) لو احترست فقال كفى بالاجل حارسا (وقالوا) الشجاع موقى والجبان ملقى وذلك ان المقتول مدبرا أكثر من المقتول مقبلا

(وأنشد لبعض الشجعان)

تأخرت استبقى الحياة فلم أجد * لنفسى حياة مثل أن اتقدما

(آخر)

أقول لها وقد ذهبت شعاعا * لدى الابطال انك لن تراعى
فانك لو سألت بقاء يوم * على الاجل الذى لك لن تطاعى
فصبرا فى مجال الحرب صبرا * فمانيل الخلود بمستطاع

(وهرب رجل) من الطاعون الى النجف وكان بالكوفة فكتب اليه شريح

القاضى اما بعد فان الفرار لن يبعد اجلا ولن يكثر رزقا وان المقام لن يقرب أجلا ولن يقلل رزقا وانك والمكان الذى أنت فيه لايعييان من لايعجزه هرب ولا يفوته طلب وان المكان الذى خلفته لايعجل أحدا الى حمامه ولا يظلمه شيأ من أيامه وان النجف من ذى قدرة لقريب * وهذا الطاعون هو الجارف وكان فى شوال سنة تسع وستين هلك فيه فى مدة ثلاثة أيام مائتا ألف وعشرة آلاف * ومات فيه لانس بن مالك ثلاثة وثمانون ولدا ولعبد الرحمن بن أبى بكر الصديق أربعون ولدا * وأنشد بعض الشعراء يذكر فارا أصيب

أبعدت فى يومك الفرار فما * جاوزت حتى انتهى بك القدر
لو كان ينجى من الردى حذر * نجاك مما أصابك الحذر

(آخر)

فاذا خشيت من الامور مقدرا * وفررت منه فنحوه تتوجه

(ولما) وقع الطاعون بالكوفة فر عبد الرحمن بن أبى ليلى على حمار له يطلب النجاة فسمع منشدا يقول

لن يسبق الله على حمار * ولا على ذى منعة طيار
أو يأتى الحتف على مقدار * قد يصبح الله امام السارى

فكر راجعا الى الكوفة (ومن) كلام الحكماء اذا كان القدر حقا فالحرص باطل واذا كان الموت بكل أحد نازل فالطمأنينة الى الدنيا حمق (وكان) معاوية بن أبى سفيان كثيرا ما ينشد فى حروبه

كان الجبان يرى انه * يدافع عنه الفرار الاجل
فقد تدرك الحادثات الجبان * ويسلم منها الشجاع البطل

(ويقال) من حدث نفسه بالبقاء ولم يوطنها على المصائب فهو عاجز الرأى (وأنشدت لابى على بن رشيق القيروانى)

الاسر خير من الفرار * والقتل خير من الاسار
وشر ما خفته حياة * أدت الى ذلة وعار

(ذم من لزمه الضعف والجزع واستولى عليه الخوف والفزع)

قيل لبشار بن برد فلان يزعم انه لا يبالى التى واحدا أو الفا فقال صدق لانه يفر من الواحد كما يفر من الالف (وقالوا) فلان اذا ذكرت السيوف لمس راسه هل

ذهب واذا ذكرت الرماح جس صدره هل ثقب كأنه سلم كتاب الجبن صبيا ولقن كتاب الفشل أعجميا (وقالوا) فلان تقلصت من الفزع شفتاه واصفرت من الهلع وجنتاه (وقالوا) فلان اذا نظرت اليه شزرا أغمى عليه شهرا (ومن أمثالهم) أجبن من صافر وهو طائرة تعلق برجليه فى الشجر خشية ان ينام فيسقط وقيل غير ذلك وأشرد من ظليم وهو ذكر النعام * وينشد لعبد القيس ابن خفاف يهجو جبانا

وهم تركوك أسلح من حبارى * رأت صقرا وأشرد من ظليم

(ومما) هو كناية عن الجبن قولهم فلان مشفق على الحياة راغب فى طولها (وذم بعضهم جبانا) فقال لو سميت له الحرب لعاف لفظها قبل معناها واسمها قبل مسماها (وذم آخر جبانا فقال

اذا صوت العصفور طار فؤاده * وليث حديد الناب عند الثرائد

(وذم آخر جبانا) فقال فلان يزحف يوم الزحف الى خلف ويروعه الواحد وهو فى آلف (وذم آخر جبانا) فقال

لو كنت فى ألف ألف كلهم بطل * مثل المجفف داود بن حمدان
وتحتك الريح تجرى حيث تأمرها * وفى يمينك سيف غير خوان
لكنت أول فرار الى عدن * اذا تجرد سيف فى خراسان

(ذكر من لاقى فى الحروب الحرب فطوى بساط الارض مجدا فى الهرب)

(أبو الطيب المتنبى يذكر مهزومين)

وضاقت الارض حتى أن هاربهم * اذا رأى غير شئ ظنه رجلا

(وقالوا) فلان يفر من صرير باب وطنين ذباب فلان ولى منهزما قد سد الله فى وجهه كل طريق فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق (وقال) الحجاج يصف هزيمة كالابل الشوارد الى أوطانها النوازع الى أعطانها لا يلوى الشيخ على بنيه ولا يسأل المرء عن أخيه (وقالوا) فلان أزهد فى الحرب من بنى العنبر وأدهش من مستطعم الماء على المنبر فاما بنو العنبر فهم الذين يقول قائلهم من أبيات الحماسة

لكن قومى وان كانوا ذوى عدد * ليسوا من الشر فى شئ وان هانا
يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة * ومن إساءة أهل السوء احسانا

وكان ربك لم يخلق بخشيته * سواهم من جميع الناس انسانا

وأما مستطعم الماء فهو عبد الله بن خالد القسرى وسنذكر أمره فى الفصل الآتى ان شاء الله * وأظرف شئ هجى به جبان قول الطرماح بن بكر فى بنى تميم من أبيات

ولو أن برغوثا على ظهر قملة * رأته تميم يوم حرب لولت

ولو جمعت يوما تميم جموعها * على ذرة معقولة لاستقلت

ولآخر يهجو قوما جبناء

أسود اذا ما كان يوم وليمة * ولكنهم عند اللقاء ثعالب

(والمليح) المتناهى فى الملاحة والابداع والاخذ بمجامع القلوب من غير دفاع ولا نزاع قول جرير فى بنى حنيفة

أبناء نخل وحيطان ومزرعة * سيوفهم خشب فيها مساحيها

قطع الثمار وسقى النخل عادتهم * قدما وما جاوزت هذى مساعيها

لو قيل أين هوادى القوم ما علموا * قالوا الاعجاز هاهذى هواديها

أو قيل ان حمام الموت آخذكم * أو تلجموا فرسا قامت بواكيها

(أبو تمام)

ولما رأى توفيل راياتك التى * اذا ما استقامت لا يقاومها القلب

تولى ولم يأل القنا فى اتباعه * كأن الردى فى قصده هائم صب

غدا خائفا يستنجد الكتب مذعنا * عليك فلا رسل ثنتك ولا كتب

وما الاسد الضرغام يوما بتارك * فريسته ان أن أو بصبص الكلب

تمر ونار الكرب تلفح قلبه * وما الروع الا أن يخامره الكرب

مضى مدبرا شطر الدبور ونفسه * على نفسه من سوء ظن بها ألب

جفا الشرق حتى ظن من كان جاهلا * بدين النصارى ان قبلته الغرب

(الفصل الثانى من الباب الثانى عشر)

فى ذكر من جبن عند اللقاء خوف الموت ورجاء البقاء

قال الله تعالى ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم هذه الآية نزلت فيمن فر من المسلمين يوم أحد قال ابن اسحق خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أحد ومعه ألف

فانخزل منهم عبد الله بن أبي ابن سلول وكان رأس المنافقين ومعه ثلث الناس ورجع الى المدينة وبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه سبعمائة رجل وخرجت قريش في ثلاثة آلاف ومعهم مائتا فارس فلما التقى الجمعان وترامى الفريقان وحميت الحرب واشتبه الطعن بالضرب أبلى المسلمون في الكافرين بلاء عظيما ونودي يومئذ لا سيف الا ذو الفقار ولا فتى الا على وقتل حمزة بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم قتله وحشى غلام جبير ابن مطعم وهو يظن أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتل مصعب بن عمير وكان حامل راية رسول الله صلى الله عليه وسلم قتله قيلة بن قمئة فرجع وهو ينادي قتلت محمدا وصرخ صارخ الا ان محمدا قتل والصارخ هو ابليس لعنه الله أزب العقبة فانجفل المسلمون وكثر الفشل فيهم وتفرق جمعهم عند الارجاف بقتل من كان يحميهم وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم فأصاب العدو منهم نكاية حتى خلص الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقذفه المشركون بالحجارة فأصيبت رباعيته وشج جبينه وكلمت شفته ودخلت حلقتان من حلق المغفر في وجنته فانتزعهما أبو عبيدة بن الجراح بفيه فسقطت ثناياه فسال الدم على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسحه بيده وقال كيف يفلح قوم خضبوا بالدم وجه نبيهم وكان الذى أصابه عتبة بن أبي وقاص وانهزم المسلمون حتى انتهوا الى المنقى دون الاعوص وهم ظانون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل فمر كعب بن مالك برسول الله صلى الله عليه وسلم فرآه وعيناه تزهران من تحت المغفر فعرفه فرفع عقيرته يقول أيها الناس أبشروا هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجعوا فلما عرفوه تداعوا اليه وجعل بعضهم يبشر بعضا ثم نهض المسلمون وقد انشعب صدعهم ونعت بالسلامة بعد الكسر جمعهم ونهض معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الشعب فأدركهم أبي بن خلف فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الحربة وطعنه بها في عنقه فرجع الى قومه وهو يقول قتلني محمد فمات بسرف وهم قافلون به الى مكة وذب عن النبي صلى الله عليه وسلم طلحة بن عبيد الله ووقاه بيده فشلت اصبعه وجرح أربعا وعشرين جراحة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوجب الحق طلحة * وكان يوم أحد يوم السبت النصف من شوال سنة ثلاث من الهجرة

وفيها

وفيها ولد الحسين بن علي * واستشهد فيه من المسلمين خمسة وستون رجلا أو بعة من المهاجرين ومابقي فمن الانصار وقتل من المشركين اثنان وعشرون رجلا * وذو الفقار كان لسليمان بن داود عليهما السلام أهدته له بلقيس مع ستة أسياف ثم كان لمنبه بن الحجاج فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قتل يوم بدر (وفر) كسرى من ملاقاة بهرام جور فاتبعه الجيش وكان قد أعد معه فصوصا من زجاج مختلفة الالوان والاصباغ ودنانير من صفر مغشاة بالذهب فلما خاف أن يدرك نثر تلك الدنانير والفصوص على الارض فاشتغل الناس بجمعها فنجا بنفسه (ومن الجبناء حسان بن ثابت الانصاري) ذكر ابن قتيبة في كتاب المعارف أنه لم يشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهدا قط قالت صفية بنت المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم كان معنا حسان في حصن فارع يوم الخندق مع النساء والصبيان فمر بنا في الحصن رجل يهودي فجعل يطيف بالحصن فقلت يا حسان أنا والله لا آمن أن يدل علينا هذا اليهودي أصحابه ورسول الله صلى الله عليه وسلم قد شغل عنا فانزل اليه واقتله قال يغفر الله لك ما أنا بصاحب شجاعة قالت فلما قال لي ذلك ولم أر عنده شيأ اعتجرت ثم أخذت عمودا ونزلت اليه فضربته بالعمود حتى قتلته ثم رجعت الى الحصن وقلت يا حسان انزل اليه واسلبه فانه لم يمنعني من سلبه الا أنه رجل فقال مالي بسلبه من حاجة * وكان حسان اقتدى في فعله بهذا الشاعر في قوله

باتت تشجعني هند وما علمت * أن الشجاعة مقرون بها العطب
لا والذي منع الابصار رؤيته * مايشتهي الموت عندي من له أرب
للحرب قوم أضل الله سعيهم * اذا دعتهم الى نيرانها وثبوا
ولست منهم ولا أبغي فعالهم * لا القتل يعجبني منهم ولا السلب

* وعاش حسان مائة وعشرين سنة ستين في الجاهلية وستين في الاسلام
* ولأحمد بن أبي فنن في هذا المعنى مما نحاه من الاستطراد بالممدوح

مالي ومالك قد كلفتني شططا * حمل السلاح وقول الدارعين قف
أمن رجال المنايا خلتني رجلا * أمسي وأصبح مشتاقا الى التلف
أرى المنايا على غيري فأفرقها * فكيف أمشي اليها بارز الكتف

أخلت أن سواد الليل غيرني * وان قلبي في جنبي أبي دلف

أخذ قوله فكيف أمشي اليها بارز الكتف من قول بعض الاعراب وقد قيل له اخرج الى الغزو فقال والله أنا أكره الموت على فراشي فكيف أمشي اليه ركضا (ولما) دخل هذا الشاعر على المعتز قال له أنت الشاعر الآدم فقال يا أمير المؤمنين لا يضره سواده مع بيض أياديكم عنده (والفرار السلمي) واسمه حنان ابن الحكم بن مالك فر من بني عوف فعرف في الجاهلية بالفرار وهو القائل في فراره

وكتيبة لبستها بكتيبة * حتى اذا التبست نفضت لها يدي

فتركتهم نفض الرماح ظهورهم * من بين منعفر وآخر مسندي

ما كان ينفعني مقال نسائهم * وقتلت بين رجالهم لا تبعد

(وفر) عامر بن الطفيل يوم الرقم وهو يوم كان لبني ذبيان واحلافهم على بني عامر (وفر) عامر بن زرارة بن عدى الدارمي يوم اليسار وكان على بني تميم (فر) عمرو بن معديكرب بن عباس بن مرداس وأسرت أخته ريحانة (وفر) عتبة بن أبي سفيان (وفر) عمرو بن العاص من علي يوم صفين فاتبعه علي فلما خاف عمرو أن يدركه كشف عن سوأته فرجع عنه (وفر) عبد الله بن مطيع بن الاسود يوم الحرة من جيش مسلم بن عقبة المرى العامرى وهو القائل في قتاله لأهل الشأم مع عبد الله بن الزبير

أنا الذي فررت يوم الحره * والحر لا يفر الامره

فاليوم أجزي فرة بكره * لا بأس بالكرة بعد الفره

(وفر) أسلم بن زرعة يوم الاهواز من أبي بلال مرداس بن أدية الخارجي وكان أسلم في ألفي رجل وكان أبو بلال في أربعين فكان أول أمير انهزم في الاسلام وكان اذا ركب بالبصرة صاح به الصبيان في الطريق أبو بلال خلفك (وفر) عبد الله بن عمير الليثي من قتال النجدية في البحرين وكان وجهه حمزة بن عبد الله ابن الزبير فكان عمير رأس المحتسبة في الفتنة وفيه يقول الفرزدق

تمنيت عبد الله أصحاب نجدة * فلما لقيت القوم وليت سابقا

تمنيتهم حتى اذا ما لقيتهم * تركت لهم قبل الضراب السرادقا

فأعطيت ما تعطى الحليلة بعلها * وكنت حبارى اذ تلاقى البواشقا

فلم يزل مستحييا من الركوب حتى فر أمية بن عبد الله بن أسد بن خالد بن أسيد من الخوارج يوم مرداهجر فوجد به اسوة وظهر (وفر) عبد العزيز بن عبد الله بن خالد من الازارقة وكان معه أمراتان له احداهما غريبة من بنى ليث بن كنانة والاخرى أم حفص بنت المنذر بن الجارود فجعلت الكنانية تنادى اين فرسان الطعائن فطعنها رجل من الخوارج فقتلها وسبيت أم حفص وأقيمت جارية فيمن يزيد فبلغت مائة ألف درهم فوثب عمرو بن حديد بن عبد القيس فقتلها انفة لها وذلك أنها كانت من أجمل النساء فأتى بها قطرى فقال له ماحملك على مافعلت قال رأيت كافرة حفت على المسلمين فتنتها فخلى سبيله ثم ان قاتلها بعد ذلك أتى أخاها الحكم فقال له جزاك الله خيرا ما غسل عنا العار غيرك وأمر له بعشرة آلاف درهم

(وفى عبد العزيز يقول كعب الاشقرى)

عبد العزيز فضحت جيشك كلهم * وتركتهم صرعى بكل سبيل
من بين منجدل يجود بنفسه * وملحب بين الرجال قتيل
هلا صبرت مع الشهيد مقاتلا * اذ رحت منهاهاربا بأصيل
سائل بعرسك هل تقاد سبية * تشكو اليك بعبرة وعويل

(وفر) أخوه خالد بن عبد الله يوم الجفر بالبصرة وذلك ان المروانيين اغتنموا اغفلة مصعب بن الزبير عنهم بالكوفة وكانوا بالبصرة فثار بهم خالد يدعو الى عبد الملك بن مروان فلما بلغ مصعبا الخبر أقبل من الكوفة الى البصرة ففر خالد منه الى الشأم

(وفيه وفى اخوته يقول الفرزدق)

وكل بنى السوداء قد فر فرة * فلم يبق الا فرة فى است خالد
فضحتم أمير المؤمنين وأنتم * تمدون سودا ناغلاظ السواعد

(ومن الجبناء الحجاج بن يوسف الثقفى) دخل شبيب بن زيد الخارجى الكوفة سحرا ومعه غزالة زوجته وستون فارسا والحجاج بها فى قصره مختفيا منه فحلفت غزالة على شبيب ليدخلن المسجد الجامع وليصلين فى مقام الحجاج ففعل ثم خرج منها وفى ذلك يقول عمران بن حطان الخارجى

(يخاطب الحجاج)

أسد علىّ وفى الحروب نعامة * فتخاء تجفل من صفير الصافر
هلا برزت الى غزالة فى الوغى * بل كان قلبك فى جناحى طائر
صدعت غزالة قلبه بفوارس * تركت مناظره كأمس الدابر

(وممن) كان يحضر الحروب ولا يقاتل الحجاج وأبو مسلم * ذكر الجاحظ عمن حدثه أن الحجاج كان اذا التقى الجمعان ذهب عنه التدبير فلا يدرى ما يأتى وما يذر وكان أبو كعب مولاه هو الذى يدبر الجيش حتى تضع الحرب أوزارها * وأما أبو مسلم فكان ينصب له عند ملاقاته لعدوه عرش فيجلس عليه ويستدد من آرائه سهاما اهدافها الصدور والظهور ويجرد من أوامره أسيافا اغمادها الجفون والنحور وزياد وابنه عبد الله وأحمد بن طولون (ومن أظرف ما يحكى) أن البحترى شرب مع أبى هفان عند بعض الرؤساء فلما خرج اركب البحترى بغلته وأردف أبا هفان خلفه فلما كان ببعض الطريق قال أبو هفان أبا عبادة من الذى يقول

يلبس للحرب أثوابها * وقال أنا الشاعر البحترى
فلما رأى الخيل قد أقبلت * اذا هو فى سرجه قد خرى

فدفعه البحترى من خلفه وقال يا ماص بظر أمه تتنادر وأنت فهد والشعر لابى هفان ارتجالا قاله على سبيل المداعبة ومن هذا أخذ المتنبى قوله

واذا ما خلا الجبان بأرض * طلب الطعن وحده والنزالا

(ومن نوادر أخبار الجبناء فى مواطن الحروب والبلاء)

(حكى) أن عمرو بن معديكرب مر بحىّ من أحياء العرب واذا هو بفرس مشدود ورمح مركوز واذا صاحبهما فى وهدة من الارض يقضى حاجته فقال له عمرو خذ حذرك فانى قاتلك لا محالة فالتفت اليه وقال له من أنت قال أبو ثور عمرو بن معديكرب قال أنا أبو الحرث ولكن ما أنصفتنى أنت على ظهر فرسك وأنا فى وهدة فأعطنى عهدك أن لا تقتلنى حتى أركب فرسى وآخذ حذرى فأعطاه عهدا على ذلك فخرج من الوهدة التى كان فيها وجلس محتبيا بحمائل سيفه فقال له عمرو ما هذا الجلوس قال ما أنا براكب فرسى ولا مقاتلك فان كنت نكثت العهد فأنت أعلم ما يلقى الناكث فتركه ومضى وقال هذا أجبن من رأيت (وقال) روح بن حاتم لابى دلامة اخرج معى فقاتل وهذه عشرة

آلاف درهم فقال

انى أعوذ بروح أن يقربنى * الى الحمام فيشتمنى بنو أسد
ان البراز الى الاقران نعرفه * مما يفرق بين الروح والجسد
قد خالفتك المنايا اذ صمدت لها * وأصبحت لجميع الناس بالرصد
اذا المهلب حب الموت أورثكم * وما ورثت لحب الموت عن أحد
لو أن لى مهجة أخرى لجدت بها * لكنها خلقت فردا فلم أجد

(وخرج) مروان بن محمد لمحاربة الضحاك الحرورى فلما التقى الجمعان خرج من أصحاب الضحاك فارس فدعا الى البراز فقال مروان من يخرج اليه وله عشرة آلاف درهم فقال أبو دلامة أنا وخرج طمعا فى الجائزة فرأى رجلا عظيم الهامة وعليه فرو قد أصابته السماء فابتل ولحقته الشمس فيبس حتى صار كالقد لا يعمل فيه السيف فلما رآه الفارس جرى اليه وهو يرتجز

وخارج أخرجه حب الطمع * فر من الموت وفى الموت وقع
من كان يهوى أهله فلا رجع

فخافه أبو دلامة فلوى جواده هاربا واتخذ من خوفه فى الارض نفقا كما اتخذ الحوت لنجاته فى البحر سربا فقال مروان من هذا الفاضح لا أنجاه الله فقال أبو دلامة فر ولا أنجاه الله خير من قتل ورحمه الله واسم أبى دلامة زند بالنون وقيل زبد بالباء الموحدة واسم أمه الجون (وقال) عمرو بن هبيرة لاعرابى جزع من الحرب قاتل وخذ الرزق قال قدم لى رزقى قال حتى تقاتل قال الاعرابى أرى منيتى معجلة ومنيتى مؤجلة (وقيل لمدنى) ألا تغزو الاعداء قال أنا لا أعرفهم وهم لا يعرفونى فكيف صرنا أعداء (وقيل) وقع فى بعض العسكر هيج فوثب خراسانى الى فرسه ليلجمها و يدخل عليها فصير اللجام فى الذنب وقال يخاطب الفرس هب جبهتك عرضت ناصيتك كيف طالت (وفر) أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد من أبى فديك فسار من البحرين الى البصرة فى ثلاثة أيام فذكر عنده فى بعض الايام الخيل فقال سرت من المهرجان الى البصرة فى ثلاثة أيام فقال له ماجن من جلسائه ولو ركبت النيروز سرت اليها فى يوم واحد (واجتاز) كسرى فى بعض حروبه بشيخ وقد عرى فرسه ونزع سلاحه وهو مستظل بشجرة فقال يا مقتولا بيدى أنا فى كرب الحرب وأنت على

هذه الحالة فقال الشيخ أيد الله الملك انما بلغت هذا السن باستعمال هذا التوقى
(وقال المهلب) لحبيب بن عوف وكان من جنده فى قتال الخوارج كرّ على
القوم وخذ مائتين صحافاً وما الى رأسه وقال أخاف أن يذهب رأس المال
وانشد

يقول لى الامير بغير نصح * تقدم حين جد بنا المراس
فمالى ان أطعتك من حياة * ومالى غير هذا الرأس راس

(ولبعض الشعراء)

ولو أن لى رأسين أدخر واحدا * وألقى الاعادى بعد ذا بواحد
لاقدمت فى الهيجاء اقدام باسل * ولم أك هيابا لدفع الشدائد
ولكن لى رأسا اذا ما فقدته * وفارقنى يوما فليس بعائد

(ومما ينسب لابى دلامة)

ألا لا تلمنى ان فررت وانى * أخاف على فخارتى أن تحطما
وأيتم أولادا وأرمل نسوة * فكيف على هذا ترون التقدما
ولو كان لى نفسان كنت مقاتلا * باحداهما حتى تموت فأسلما

(وحكى) ابن حبيب فى كتابه المحبر أن حبيبا دخل على المهلب بن أبى صفرة
فأنشده

فقدتك يا مهلب من أمير * أما تندى يمينك للفقير

فقال المهلب هو جنتى فوالله انى لأبذل لكم مالى وأقيكم الحروب بنفسى
فقال حبيب انا نكره التحامك بنا المنايا فقال المهلب أوليس قد قال الاول

اذا المرء لم يغش الكريهة أوشكت * حبال المنايا بالفتى أن تقطعا

فقال حبيب خفض العيش والدعة والاعتياض عن الضيق بالسعة ثم أنشده
ما قاله حين فرّ من أبى فديك يوم مرداهجر

بذلت لكم يا قوم حولى وقوتى * ونصحى وما حازت يداى من التبر
فلما تناهى الامر بى وعدوكم * الى مهجتى وليت أعداءكم ظهرى
وطرت ولم أحفل ملامة عاجز * يقيم لاطراف الردينية السمر
ولو كان لى رأسان أهملت واحدا * لكل رديني وأبيض ذى اثر

فضحك منه ثم التفت الى من حضر مجلسه وقال بمثل هذا فليقاتل الاعداء

(وقيل

(وقيل لانسان) اذا رأيت سوادا بالليل فاقدم ولا تفرق منه فانه يخافك كما تخافه قال أخاف أن يكون ذلك السواد سمع هذه المقالة قبلى (وقيل) لمطرف ابن عبد الله لم لا تخرج تقاتل مع على رضى الله عنه قال لو كان لى نفسان قدمت احداهما فان أصابت الحق أتبعتها الاخرى ولكنها واحدة (ودخل) حميد بن الارقط على الحجاج فأنشده قصيدة شاعر مختارة فى صفة الحروب فقال الحجاج أراك تحسن صفة الحرب أقاتلت الابطال وقابلت الاقيال قال لا أيها الامير الا فى النوم قال وكيف كانت وقعتك قال انتبهت وأنا منهزم فضحك منه ووصله

(صفات من بدل ثباته بالاحجام وقيد بالفرق قدمه عند الاقدام)

قال الله تعالى يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو وقال عليه الصلاة والسلام نصرت بالرعب مسيرة شهر (وقالوا) فلان من خوفه يحسب كل صيحة عليه وكل يد تشير بالاخذ اليه شاعر

مازلت أحسب كل خيل بعدها * خيلا تكر عليهم ورجالا

(آخر)

كان بلاد الله وهى عريضة * على الخائف المطلوب كفة حابل

(المتنبى)

وضاقت الارض حتى صار هاربهم * اذا رأى غير شئ ظنه رجلا

(آخر)

كان بلاد الله فى ضيق خاتم * عليهم فلا تزداد طولا ولا عرضا

(وقالوا) فلان تقلصت من الخوف شفتاه واصفرت من الهلع وجنتاه (ومن أمثالهم) أجبن من المنزوف ضرطا وذلك ان رجلا كان يتعشق نساء وكان يدعى عندهن الشجاعة فنام عندهن يوما فأردن امتحانه فصحن به جاءتك الخيل فانتبه مذعورا ومازال يضرط حتى مات (قال أبو عبيدة) كان خالد بن عبد الله القسرى من أجبن الناس وأخوفهم فخرج عليه المغيرة بن سعد فأخبر بذلك وهو على المنبر بالكوفة فدهش من شدة الخوف واصطكت أسنانه وجفت لهاته فقال أطعمونى ماء وأدركونى فقد هلكت عطشا ونزل عن المنبر هاربا (وفيه يقول يحيى بن نوفل)

بل ّالسراويل من خوف ومن وهل * واستطعم الماء لماجد فى الهرب

(ودخل) الجحاف بن حكيم على عبد الملك بن مروان والاخطل عنده فلما بصر به الاخطل قال يعرض به

الا ابلغ الجحاف هل هو ثائر * بقتلى أصيبت من سليم وعامر

(فقال الجحاف)

بل سوف نبكيهم بكل مهند * ونبكى عميرا بالرماح الشواجر

ثم قال يا ابن النصرانية ما ظننتك تجترئ على بمثل هذا ولو كنت مأسورا لك فحم الاخطل خوفا منه وجزعا فقال له عبد الملك أنا جارك منه فقال يا أمير المؤمنين هبك أجرتنى منه فى اليقظة فمن يجيرنى منه فى النوم أخذ هذا المعنى أشجع السلمى فقال من قصيدة يمدح بها الرشيد

وعلى عدوك يا ابن عم محمد * رصدان ضوء الصبح والاظلام

فاذا تنبه رعته واذا غفا * سلت عليه سيوفك الاحلام

(وقالوا) فلان تخوفه أضغاث أحلام فكيف مسموع كلام فلان يرى صوت الرياح قعقعة الرماح فلان اذا خاف طار من خوفه كل مطار وفر فرار الليل من وضح النهار

* (الفصل الثالث من الباب الثانى عشر) *

* (فيمن ليم على الفرار والاحجام فاعتذر بما ينفى عنه الملام) *

سمع سليمان بن عبد الملك قارئا يقرأ قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت أو القتل واذا لا تمتعون الا قليلا فقال ذلك القليل نريد (وقال) الوليد بن عقبة لعثمان بن عفان يقول لك عبد الرحمن بن عوف لم جفوتنى ولم أفر يوم أحد ولم أتخلف يوم بدر يعرض به فقال أما فرارى يوم أحد فلا تعيرنى به فان الله قد عفا عنى فيمن عفا عنه وأما تخلفى يوم بدر فانى كنت أمرض رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ماتت فأخبره عنى بذلك (ونظرت) امرأة حماس ابن قيس البكرى المعروف بالهارب له وقد رأته يشحذ حربته يوم فتح مكة وهو يقول

ان تقبلوا اليوم فمالى علة * هذا السلاح كامل وأله

وذو غرارين سريع السلة

فقالت ماتصنع بهذه الحربة فقال أعددتها لمحمد وأصحابه فقالت انى أرى
أنه لايقوم للنبى شئ قال والله انى أرجو أن أخدمك بعضهم ثم خرج فلما فتح
رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وانهزم المشركون يوم الخندمة وفر حماس
حتى دخل بيته فقال لامرأته اغلقى الباب فقالت له وأين ما كنت تقول فقال

لو انك شهدت يوم الخندمة * اذ فر صفوان وفر عكرمه
اذ قد لحقنا بالسيوف المسلمة * لهم نشيش حولنا وهمهمه
يقطعن كل ساعد وجمجمه * ضربا فلا نسمع الا غمغمه
لم تنطقى فى اللوم أدنى كلمه

(وذكر) أن كسرى ابرويز لما انهزم من بهرام جور واستجار بملك الروم فعنفه على هربه وأمده بستين ألفا منهم شجاع يعد بألف فسار بهم الى بهرام فخرج بهرام لمحاربته فلما تلاقى الجيشان برز الشجاع لبهرام فضربه بالسيف ضربة قده بها نصفين فلمعه كسرى وأنفذه الى ملك الروم وقال انما فزعت اليك من رجل يضرب مثل هذه الضربة (وذكر) الطرطوشى فى كتابه سراج الملوك أن هذه الضربة لم يسمع بمثلها فى جاهلية ولا اسلام وان هذه الرأس كانت معلقة فى كنيسة من كنائس الروم وكانوا اذا عيروا بانهزامهم من تلك الوقعة يقولون لقينا رجالا هذا ضربهم (وحكى) ان أبا زبيد الطائى واسمه حرملة بن المنذر دخل على عثمان بن عفان فلامه على فراره من الاسد لما عرف من شجاعته فقال يا أمير المؤمنين لاتلمنى لقد رأيت منه منظرا وشهدت مخبرا لايزال ذكره يتجدد فى قلبى وشخصه يتمثل فى عينى خرجنا نريد الحرث بن شمر الغسانى ملك الشأم فأصابنا قيظ ذبلت منه الشفاه وعصبت الافواه فانحزنا الى واد أشجاره مغنة وأطياره مرنة فحططنا رحالنا ثم أخذنا نصف حر يومنا ونذكر مطاولته ومماطلته فبينما نحن كذلك اذ صوب أقصى الخيل أذنيه وفحص الارض بيديه ثم مالبث ان جال فحمحم وبال فهمهم فتضعضعت الخيل وتكعكعت الابل وتقهقرت البغال فمن نافر بشكاله وناهض بعقاله فحدقنا أبصارنا واذا سبع قد أقبل يتطاول فى مشيته كأنه مجبوب وينظر بعينين كأنهما جمر مشبوب له خطيط واصدره نحيط ولبلاعيمه غطيط ولطرفه وميض ولارساغه نقيض كأنه يخط هشيما

ويطأ صريما ذو هامة كالمجن وخد كالمسن وساعد مجدول وعضد مفتول وكف شثنة البراثن ومخالب كالمحاجن فضرب بذنبه الارض فأرهج وكشر فأفرج عن انياب كالمعاول مصقولة غير مفلولة فى فم أشدق كالغار الاخرق ثم تمطى فأشرع بيديه وحفز وركيه برجليه فصار ظله مثليه ثم أقعى فاقشعر ثم مثل فاكفهر وزأر فجرجر ثم لحظ فروى السماء عرشه نخلت البرق يتطاير من تحت جفونه عن شماله ويمينه فأرعشت الايدى واصطكت الاضلاع وارتجت الاسماع وجحمت العيون وانحزت المتون ولحقت الظهور بالبطون وساءت الظنون ثم أنشد

عبوس شموس مصلخد خنابس * جرىء على الارواح للقرن قاهر
منيع و يحمى كل وادير ومه * شديد أصول الماضغين مكابر
براثنه شثن وعيناه فى الدجى * كجمر الغضا فى وجهه الشر طائر
يدل بانياب حداد كأنها * اذا قلص الاشداق منها خناجر

فقال له عثمان اكفف لا أم لك لقد أرعبت قلوب المسلمين ولقد وصفته حتى كأنى أنظر اليه يريد مواثبتى وكان أبو زبيد هذا نصرانيا ومات ولم يسلم وقد ذكر علماء الرواة لاخبار العرب وأشعارها هذه الحكاية بأطول مما أثبتناه لكنا استغنينا باليسير منها عن الكثير لدلالته على الغرض المقصود فى ذكره للاسد بالوصف الشنيع والمرأى الفظيع ليبلغ فى الاعتذار عن هربه مقتضى أربه فلما لم يكن بنا لذكرها على التمام حاجة اقتصرنا على الخلاصة منها لا الجاجة

(من) أحسن من الجبناء فى اعتذاره لما قرع على انهزامه وفراره الحرث ابن هشام وكان قد شهد بدرا مشركا فانهزم فصنع حسان قصيدة استطرد به فيها يقول منها

ان كنت كاذبة الذى حدثتنى * فنجوت منجى الحرث بن هشام
ترك الاحبة ان تقاتل دونهم * ونجا برأس طمرة ولجام

فأجابه الحرث

الله يعلم ماتركت قتالهم * حتى رموا فرسى بأشقر مزبد
وعلمت انى ان أقاتل واحدا * أقتل ولا يضرر عدوى مشهدى

وشممت ريح الموت من تلقائهم * فى مازق والخيل لم تتبدد
فصدفت عنهم والاحبة دونهم * طمعا لهم بعقاب يوم مفسد

وأنشد هذا الاعتذار لبعض ملوك العجم فقال يامعشر العرب لقد بلغتم بلطافة ألسنتكم وحسن احتجاجكم وجميل أوصافكم مبلغا لم يبلغه أحد غيركم حتى اعتذرتم عن الفرار بعذر يسع بعدكم الاعتذار به لكل منهزم وتوفى الحرث هذا سنة ثمان عشرة بالطاعون وهو طاعون عمواس قرية بالشأم وفيها توفى أبو عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل رضى الله تعالى عنهم (ويقال) ان عبد الله بن عنقاء الجهمى لقيه بنو عبس بسوق بامرأته أم الحصين ففر عنهم فعيرته امرأته فقال

أجاعلة أم الحصين خزاية * على فرارى أن لقيت بنى عبس
لقيت أباشاس وشاسا ومالكا * وقيسا فجاست من لقائهم نفسى
جذيمة دعواهم وعود بن غالب * أولئك جاشت من لقائهم نفسى
كأن جلود النمر صبت عليهم * اذا جمعوا بين الاباحة والحبس
أتونا فضموا جانبينا بصادق * من الطعن فعل النار بالحطب اليبس
نحوت سليمى لم تمزق عمامتى * ولكنهم بالطعن قد مزقوا ترسى
وليس الفرار اليوم عارا على الفتى * اذا عرفت منه الشجاعة بالامس

(وقيل لبعضهم) لم انهزمت فقال انما لى نفس واحدة وانا حقيق بالنظر اليها لئلا يذهب رأس المال (وليم) آخر على فراره فقال الحرب سجال وعثراتها لاتقال (وانهزم بعضهم) فأخذ أميره يوبخه ويعنفه على فراره وقال أعطبت يدك ولا طعنت ولا ضربت فقال لأن يشتمنى الامير أصلحه الله وأنا حى خير من أن يترحم على وأنا ميت (وقيل لآخر) ولى فى حرب ويلك لاتهرب بغضب الامير عليك فقال غضب الامير على وانا حى أحب الى من رضاه عنى وأنا ميت *(ومن)* أغاليط أعاذيرهم المسكتة وأكاذيب أساطيرهم المبكتة ماذكره صاحب كليلة ودمنه من أن الحازم يكره القتال ما وجد بدا منه لان النفقة فيه من النفوس والنفقة فى غيره من المال (التقى) عسكر دبيس بن صدقة وعسكر الراشد فولى دبيس منهزما فعبر الفرات يريد النجاة فقصد بعض أحياء العرب فقالت له عجوز من عجائزهم دبير اجئت فقال دبير من لم يجئ

(وقالوا) من جبن سلم ومن تهور ندم (وقال) عبد الله بن المقفع الشجاعة مثاقفة وذلك أن المقتول مقبلا أكثر من المقتول مدبرا فمن أراد السلامة فليؤثر الجبن على الشجاعة (وقيل لجبان) لم لا تقاتل فقال عند النطاح يغلب الكبش الاجم (وقالوا) الحياة أفضل من الموت اذا كانت النجاة الى حياة صالحة على أن موتا فى عز خير من حياة فى ذل (وقالوا) الفرار فى وقته ظفر (وقالوا) الشجاع ملقى والجبان موقى (وقالوا) السلم أزكى للمال وأبقى لانفس الرجال (وقال) شاعرهم وهو البديع الهمدانى

ماذاق هما كالشجاع ولا خلا * بمسرة كالعاجز المتوانى

(وقالوا) الهرب فى وقته خير من الجلد والثبات فى غير وقته (وقال) المتوكل لابى العيناء انى لافرق من لسانك فقال يا أمير المؤمنين الكريم ذو فرق واحجام واللئيم ذو وقاحة واقدام

(الباب الثالث عشر فى العفو وفيه ثلاثة فصول)

(الفصل الاول من هذا الباب)

(فى مدح من اتصف بالعفو عن الذنب المتعمد والسهو)

قال الله تعالى وليعفوا وليصفحوا الا تحبون أن يغفر الله لكم وقال تعالى فمن عفى وأصلح فأجره على الله وقال تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم من أقال مسلما عثرته أقاله الله عثراته يوم القيامة (وقال) عليه الصلاة والسلام ان العفو لا يزيد العبد الا عزا فاعفوا يعزكم الله (ويروى) عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال ما من امام عفا بعد قدرة الا قيل له يوم القيامة ادخل الجنة بغير حساب (وقال) معاذ بن جبل لما بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لى ما زال جبريل يوصينى بالعفو فلولا علمى بالله لظننت أنه يوصينى بترك الحدود (وقيل) لابى الدرداء من أعز الناس قال الذى يعفو اذا قدر وينصر اذا استنصر (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم من عفا عمن ظلمه صغيرة أو كبيرة فاجره على الله ومن كان أجره على الله فهو من المقربين يوم القيامة (وحده) على ما قاله بعض العلماء وقد سئل عنه هو ترك المكافأة عند القدرة قولا وفعلا (وقال آخر) هو السكون عند الاحوال المحركة للانتقام

وهو يجمع أشرف الخلال وأكرم الخصال وأفضل شمائل الجلال واعلى مراتب الكمال وركن متين وحصن حصين من استند اليه واعتمد عليه استنارت له الظلم وأمن من عثرات القدم وعصم من مواقع الندم * ويكفى فى شرفه ان الانسان لا يسمى حليما حتى يكون عاقلا عالما محسنا صبورا وحتى يجمع عظم القدر الى سعة الصدر (وقالوا) الحليم من لم يكن حلمه لفقد النصرة وعدم القدرة وهو غريزة فى الانسان يمنحها واهب الاحسان تصدر عن صدر سالم من الغوائل والادواء صاف من شوائب الكدر والاقذاء لا تستطاع بتعلم وتفكر ولا تدرك بتفقه وتبصر كما قال أبو الطيب المتنبي

وإذا الحلم لم يكن فى طباع * لم يحلم تقدم الميلاد

فقد يكون طبيعة ويكون مكتسبا مستفادا بتمرن النفس اليه وتنقادحبا فى المحمدة اليه * ويعضد هذا ماروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاشج عبد القيس يا أبا المنذر ان فيك خصلتين يرضاهما الله ورسوله الحلم والاناة فقال يا رسول الله أشئ جبلنى الله عليه أو شئ اخترعته من قبل نفسى قال بل شئ جبلك الله عليه فقال الحمد لله الذى جبلنى على خلق يرضاه الله ورسوله وقال المخالفون لهذا المذهب الحلم بالتحلم كما أن العلم بالتعلم واستدلوا لهذا القول بما روى أن جعفر بن محمد الصادق كان اذا أذنب له عبد اعتقه فقيل له فى ذلك فقال انى أريد بفعلى هذا تعلم الحلم * وقيل كان له عبد سئ الخلق فقيل له ما ابقاءك مثل هذا عندك وأنت قادر على أن تستبدل به غيره قال لأتعلم به الحلم ومن ذلك قول الاحنف من لم يصبر على كلمة سمع كلمات وأنشد

وليس يتم الحلم للمرء راضيا * اذا هو عند السخط لم يتحلم
كما لا يتم الحلم للمرء موسرا * اذا هو عند العسر لم يتحشم

(ومن) أحاسن الكلام الصادر عن الحكماء فى شرف الحلم ومن تخلق به من الحلماء (قالوا) الحلم والاناة توأمان نتيجتهما علو الهمة * وهذا كما ورد عن على رضى الله عنه أنه سأل رجلا من أهل فارس عمن كان أحمد ملوكهم سيرة قال أنوشروان فقال على أى أخلاقه كان أغلب عليه قال الحلم والاناة فقال على هما توأمان نتيجتهما علو الهمة * والاناة ترك العجلة بالانتقام عند القدرة قال ابراهيم بن العباس الصولى

لن يدرك المجد أقوام وان كرموا * حتى يذلوا وان عزوا الاقوام
ويشتموا فترى الالوان مسفرة * لاصفح ذل ولكن صفح اكرام

(وقال) قابوس بن وشمكير العفو عن الذنب من واجبات الكرم وقبول المعذرة من محاسن الشيم * ومن كلام النبوة كاد الحليم أن يكون نبيا (ورأى) حكيم نزقة من ملك فقال أيها الملك ليس التاج الذى يفتخر به عظماء الملوك فضة ولا ذهبا ولكنه الوقار المكلل بجواهر الحلم وأحق الملوك بالبسطة من حلم عند ظهور السقطة (وقال) معاوية لابنه يزيد عليك بالحلم والاحتمال حتى تمكنك الفرصة فاذا أمكنتك فعليك بالصفح فانه يدفع عنك معضلات الامور ويوقيك مصارع المحذور وقال الشاعر

لاتحسبن الحلم منك مذلة * ان الحليم هو الاعز الامنع
ان جرعوك الغيظ فاجرعه لهم * تؤجر وتحمد غب ماتجرع

(آخر)

ان التحلم ذل أنت عارفه * والحلم عن قدرة أفضل من الكرم

(وقال معاوية) أفضل ماأعطى الرجل الحلم فانه اذا ذكر ذكر واذا قدر غفر واذا أساء استغفر (وقالوا) العفو يزين حالات من قدر كما يزين الحلى قبيحات الصور (وقالوا) الحلم مطية وطية تبلغ راكبها قصبة المجد وتملكه ناصية الجد (وقال) بعض البلغاء من غرس الحلم شجرا وسقاه الاناة دررا جنى العز منه ثمرا وأثبت المكارم أثرا شاعر

اذا شئت يوما أن تسود عشيرة * فبالحلم سد لا بالتسرع والشتم
فللحلم خير فاعلمن مظنة * من الجهل الا ان تشينه بالظلم

(آخر)

اخفض جناحك للقرابة والقهم * بتوددوا غضض لهم ان أذنبوا
وصل الكرام فان ظفرت بزلة * فالصفح عنهم والتجاوز أقرب

(آخر)

الا ان حلم المرء اكرم نسبة * تسامى بها عند الفخار كريم
فيارب هب لى منك حلما فاننى * أرى الحلم لم يندم عليه حليم

وقالوا

(وقالوا) الحلم حجاب الآفات (وقالوا) من غرس شجر الحلم اجتنى ثمر السلم (وقال) عمر بن عبد العزيز ماقرن الله شيأ الى شئ أفضل من علم الى حلم ومن عفو الى قدرة (وقال حكيم) خير الامور بغية العفو وخير العفو ما كان عن قدرة وقال الشاعر

العفو يعقب راحة ومحبة * والصفح عن ذنب المسئ جميل

(وقال) عمر أيضا استدعوا العفو من الله بالعفو عن الناس والرحمة بهم والشفقة عليهم (وقالوا) اعف عمن لم يسلك من سخطك طريقا حتى يأخذ من رجائك طريقا (ويروى) عن عيسى عليه السلام أنه قال ليس الاحسان أن تحسن الى من أحسن اليك انما تلك مكافأة وانما الاحسان أن تحسن الى من أساء اليك (وقال) سعيد بن العاص ماشاتمت أحدا مذ صرت رجلا لانى ما أشاتم الا أحد رجلين اما كريما فأنا أحق أن احتمله أو لئيما فأنا أولى من رفع نفسه عنه (وقال) عمر بن الخطاب ادرؤا الحدود بالشبهات ولان يخطئ الامام فى العفو أحب الى من أن يخطئ فى العقوبة فاذا وجدتم مخرجا للمسلم فادرؤا الحدود (شاعر)

ومابال من أسعى لاجبر عظمه * سفاها وينوى من سفاهته كسرى
أظن خطوب الدهر بينى وبينهم * ستحملهم منى على مركب وعر
أعوذ على ذى الجهل والحلم منهم * بحلمى ولو عاقبت غرقهم بحرى
أناة وحلما وانتظارا بهم غدا * وما أنا بالوانى ولا الضرع الغمر
ألم تعلموا أنى تخاف عزيمتى * وان قناتى لاتلين على الكسر

* (من عرف بالعفو عند خطا الجانى وصار بالاناة عليه كالاب الحانى) *

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حليما رحيما رؤفا عطوفا يهب ويسمح ويعفو ويصفح (وكان) كسرى يقول عفوى عمن أساء الى بعد قدرتى عليه أسر لى مما ملكت (وكان) معاوية يقول ماوجدت لذة ألذ عندى من غيظ أتجرعه ومن سفه بالحلم أقمعه * وكان يقول انى لاكره أن يكون فى الارض جهل لايشمله حلمى وذنب لايسعه عفوى (وكان) المأمون ممن أوتى الحلم طبعا لاتطبعا ومنح العفو خلقا لاتخلقا فكان يقول انى لاستحلى العفو حتى أخاف انى لا أوجر عليه ولو علم الناس محبتى فى العفو لتقربوا الى بالذنوب

فكأنه القائل بلسان كرمه وافضاله لا بلسان نطقه ومقاله

وجهل رددناه بفضل حلومنا * ولو أننا شئنا رددناه بالجهل
رجحنا وقد خفت حلوم كثيرة * وعدنا على أهل السفاهة بالفضل

(عامر العدوانى)

انى غفرت لظالمى ظلمى * وتركت ذاك له على علمى
فرأيته أسدى الى يدا * لما أبان بجهله حلمى

(وكان) يقول ليس فى الحلم مؤنة ووددت ان أهل الجرائم عرفوا رأيى فى الحلم حتى يذهب عنهم الخوف فتصفو الى قلوبهم (وكان) يقول المذنبون ثلاثة فمنهم من ذنبه مقرون بعذره قد أماطه عنه وأخرجه سليما منه ومنهم من ذنبه فاضح وعذره غير واضح وهو فرد لا أخ له وفذ لا توأم معه فالاولى به أن يقال اذا اعترف بالحوبة وأخلص لى التوبة ومنهم المتردد فى هفواته والمتكرر فى عثراته الجارية عادته أن يكثر التوبة اذا تاب ويفسخ عقد الانابة متى أناب فذاك الذى يعاقب بالاطراح ولا يطمع فى شخصه بالفلاح (وكان) اسماء بن خارجة يقول ما أتانى أحد بما أكره الا أخذت عليه بثلاث خصال فان كان فوقى عرفت له فضل التقدم فاتبعته وان كان دونى صنت نفسى عنه وان كان مثلى تفضلت عليه

(نظم محمود الوراق هذه الكلمات فى هذه الثلاثة الابيات فقال)

سألزم نفسى الصفح عن كل مذنب * وان عظمت منه على الجرائم
فما الناس الا واحد من ثلاثة * شريف ومشروف ومثلى مقاوم
فأما الذى فوقى فاعرف فضله * واتبع فيه الحق والحق لازم
وأما الذى دونى فان قال منكرا * صفحت له عنه وان لام لائم
وأما الذى مثلى فان زل أوهفا * تفضلت ان الفضل بالحلم حاكم

(الناشى فى مثل هذا)

اذا كان دونى من بليت بجهله * أبيت لنفسى ان أقابل بالجهل
فان كنت أدنى منه فى العلم والحجى * عرفت له حق التقدم بالفضل
وان كان مثلى فى محل من النهى * أردت لنفسى ان أجل عن المثل

(وقال المأمون) وجدت المسىء الى عبد الله ولو أساء الى عبد لاخ لصفحت

عنه

عنه اكرامالة فكيف لا أصفح عن عبد مسيء هو عبد الله تعالى

(ولابي فراس الحمداني)

ما كنت مذ كنت الاطوع خلاني * ليست مؤاخذة الاخوان من شاني
يجنى الخليل فاستحلى جنايته * حتى أدل على عفوى واحسانى
يجنى علىّ وأحنو دائما أبدا * لاشئ أحسن من حان على جان

(وقال رجل) للاحنف فى مشاجرة وقعت بينهما ان قلت كلمة لتسمعن عشر كلمات فقال الاحنف لو قلت عشرا لم تسمع واحدة

(ومن) حكاياته الدالة على كرم نجره القاضية له بتضعيف أجره أن رجلا جعل له ألف درهم على أن يغضبه فوقف الرجل وبالغ فى سبه والاحنف يعرض عنه غير مكترث به فلما رآه لا ينظر اليه ولا يردّ عليه أقبل يعض أنامله ويقول واسوأتاه والله ما يمنعه من جوابى الاهوانى عليه ولهذا قيل الحليم من صمت عن سماع الخنى وأغضت عيناه على مضض القذى

(ما اخترناه وانتقيناه من غرر المادح المقولة فيمن أغضى عن المسيء القادح)

(مدح) أعرابي رجلا بالحلم فقال ان أذنبت اليه استغفر فكأنه المذنب وان أحسن اليك اعتذر فكأنه المسيء (الحسن بن رجاء) فى المأمون

صفوح عن الاجرام حتى كأنه * من العفو لم يعرف من الناس مجرما
وليس يبالى أن يكون به الاذى * اذا ما الاذى لم يغش بالكره مسلما

(وقال آخر)

يعفو عن الذنب العظيـ * ـم وليس يعجزه انتصاره
صفحا على الباغى عليـ * ـه وقد أحاط به اعتذاره

(وقال أبو الحسن مهيار بن مردويه الديلمى من أبيات)

واذا اباء المرء قال لك انتقم * قالت خلائقك الكرام بل احلم
شرع من المجد انفردت بدينه * وفضيلة لسواك لم تتقدم
حتى لقد ودّ البرىء لو انه * أدلى اليك بفضل جاه المجرم

(ولغيره من أبيات)

فدهره يصفح عن قدرة * ويغفر الذنب على علمه
كأنه يأنف من أن يرى * ذنب امرئ أعظم من حلمه

(الفصل الثانى من الباب الثالث عشر)
فيمن حلم عند الاقتدار وقبل من المسىء الاعتذار

ولنبدأ الآن بما يجب على الاحرار من الصفح المتبجح بالاقدار (قال) رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يقبل عذرا من معتذر صادقا كان أو كاذبا لم يرد على الحوض (وقالوا) الكريم أوسع مايكون مغفرة اذا ضاقت بالمسىء المعذرة (شاعر)

اذا اعتذر المسىء اليك يوما * من التقصير عذر فتى مقر
فصنه عن عتابك واعف عنه * فان العفو شيمة كل حر

(ويقال) توبة المذنب اقراره وشفيع المجرم اعتذاره (وقال الشاعر)

اقبل معاذير من يأتيك معتذرا * ان بر عندك فيما قال أو فجرا
فقد أطاعك من يرضيك ظاهره * وقد أجلك من يعصيك مستترا

(وقالوا) لا يظهر الحلم الامع الانتصار ولا يبين العفو الا عند الاقتدار (شاعر)

ان للاعتذار حظا من العفـ * ـو براه المقر بالانصاف
ولعمرى لقد أجلك من قد * جاء مقرا بذلة الاقتراف

(آخر)

اذا ما امرؤ من ذنبه جاء تائبا * اليك ولم تغفر له فلك الذنب

(وقالوا) ما أذنب من اعتذر ولا أساء من استغفر (وقال) محمد بن شيرزاذ الاصاغر يهفون والاكابر يعفون (كتب بعضهم) الى رئيس يعتذر اليه من ذنب اقترفه

اغتفر زلتى لتحرز فضلى * واعف عنى ولا يفوتك اجرى
لاتكلنى الى التوسل بالعذ * ر لعلى أن لا أقوم بعذرى

(ومن وصاياهم) اياك وتكرير العذر فانه تذكير بالذنب (وقال الشاعر)

اذا كان وجه العذر ليس ببين * فان اطراح العذر خير من العذر

(ومن وصاياهم) اياك ومايعتذر منه * وقولهم اياك ومايسبق الى القلوب انكاره وان كان عندك اعتذاره فما كل من أسمعته نكرا يطيق أن توسعه منك عذرا

*(ذكر

(رسول الله صلى الله عليه وسلم) وذلك أن أهل مكة كانوا يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة بالقول فقالوا كذاب وساحر ومجنون وغير ذلك من السب والشتم وبعدها بالفعل فكانوا يقصدون نكايته فى نفسه وأهله ولكثرة ايذائهم له قال ما أوذى أحد مثل ما أوذيت رموه بالحجارة فشجوا جبينه وكسروا رباعيته ووضعوا الشوك فى طريقه وشقوا الكرش على رأسه وحاربوه وقتلوا أعمامه وعذبوا أصحابه وألبوا عليه وأخرجوه من أحب البقاع اليه وقتلوا عمه حمزة وبقروا بطنه ومثلوا به حتى اذا فتح الله مكة على يديه ودخلها بغير جحدهم وظهرت بها كلمته على رغمهم أخذ بعضادتى باب الكعبة وقام فيهم خطيبا فحمد الله وأثنى عليه وشكره على ما منحه من الظفر وقال لا اله الا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم قال ما تقولون وما تظنون انى فاعل بكم فقال سهيل بن عمرو نقول خيرا ونظن خيرا أخ كريم وابن أخ كريم وقد قدرت فقال أقول لكم كما قال أخى يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين اذهبوا فأنتم الطلقاء (ولما) ظفر انوشروان ببزرجمهر وكان قد ترك دين المجوس قال الحمد لله الذى أظفرنى بك قال كافئ من أعطاك ما تحب بما يحب فعفا عنه (وحكى) عن سلم بن نوفل وكان سيد قومه أن رجلا ضرب ولده فشجه فأتى به اليه فقال له ما حملك على ما فعلت وما الذى أمنك من انتقامى منك فقال الرجل انما سودناك لانك تحلم وتكظم الغيظ وتحتمل جهل الجاهل فقال له انى آثرت حلمى وكظمت غيظى واحتملت جهلك خلوا عنه فولى الرجل وهو يقول

تسوّد اقوام وليسوا بسادة * بل السيد المعروف سلم بن نوفل

(وحكى) أن عبد الملك بن مروان نقم على رجل ذنبا فهرب منه فلما ظفر به هم بقتله فقال له الرجل ان الله قد فعل ما أحببت من الظفر فافعل ما يحبه من العفو فان الانتقام عدل والتجاوز فضل والله يحب المحسنين فعفا عنه *وأساء بعض جلسائه عليه الادب فاطرحه وجفاه ثم دعاه بعد أيام لامر عن له فرآه شاحب اللون نحيلا فقال له متى اعتللت فقال ما مسنى سقم ولكننى جفوت

نفسى مذ جفانى الامير فاستحسن ذلك منه وعفا عنه (وقال الاصمعى) أتى المنصور برجل ليعاقبه على شئ بلغه عنه قال له أتحصيه فقال يا أمير المؤمنين الانتقام عدل والتجاوز فضل ونحن نعيذ أمير المؤمنين بالله أن يرضى لنفسه بأوكس النصيبين دون أن يبلغ ارفع الدرجتين فعفا عنه (وقال المنصور) لجان عجز عن الاعتذار ماهذا الوجوم وعهدى بك خطيبا لسنا فقال يا أمير المؤمنين ليس هذا موقف مباهاة ولكنه موقف توبة والتوبة تلقى بالاستكانة والخشوع والذلة والخضوع فرق له وعفا عنه (وسعى) الى المنصور برجل من ولد الاشتر النخعى ذكر عنه الميل الى بنى على بن أبى طالب والتعصب لهم فأمر باحضاره فلما مثل بين يديه قال يا أمير المؤمنين ذنبى أعظم من نقمتك وعفوك أوسع من ذنبى ثم قال

فهبنى مسيأ كالذى قلت ظالما * فعفوا جميلا كى يكون لك الفضل
فان لم اكن للعفو منك لسوء ما * أتيت به أهلا فأنت له أهل

فعفا عنه (وأتى) المنصور برجل أذنب فقال يا أمير المؤمنين ان الله أمر بالعدل والاحسان فان أخذت فى غيرى بالعدل فخذ فى بالاحسان فعفا عنه (وأتى) الهادى برجل فعل ما أنكره عليه فجعل يقرعه ويوبخه ويهدده ويتوعده فقال يا أمير المؤمنين اعتذارى عما تقرعنى عليه رد عليك واساكى عن الاعتذار يوجب ذنبا لم أجنه ولكنى أقول

فان كنت ترجو فى القيامة رحمة * فلا تزهدن فى العفو عنى وفى الاجر

(ولما) خرج ابراهيم بن المهدى على عبد الله المأمون عندما عقد لعلى بن موسى الرضا بولاية العهد بعده وأمر الناس بلباس الخضرة كره أهل بغداد ذلك وبايعوا ابراهيم ولقبوه بالمبارك وذلك فى سنة اثنتين ومائتين فأقام سنة واحد عشر شهرا وأياما يخطب له ثم دخل المأمون بغداد فى صفر سنة أربع ومائتين وهى السنة التى مات فيها الشافعى وعليه الخضرة فاختفى ابراهيم ولم يظهر الى سنة عشر فلما ظفر به المأمون أوقفه بين يديه وقد اجتمع فى مجلسه وجوه دولته ووزراؤها وقضاتها وكتابها وأمراؤها وقوادها فاستشار من حضر فى أمره فكل أشار بقتله وكان فيمن حضر أحمد بن أبى خالد ساكتا لا يتكلم ولا يفيض معهم فى شئ من ذلك فقال له المأمون مالك لا تنطق فقال

يا أمير المؤمنين كم قتل مثلك مثله ولم يعف مثلك عن مثله ولان تكون أوحد فى العفو أحب الى من أن تكون شريكا فى العقوبة فأعجب المأمون كلامه وعفا عنه * ويروى أنه لما مثل بين يديه قال له ما حملك على اجترام ما أداك الى حتفك قال القدرة تذهب الحفيظة وولى الثار مخير فى القصاص والعفو والعفو منك أقرب وقد جعلك الله فوق كل ذى حلم كما جعلنى فوق كل ذى ذنب فان تعف فبفضلك وان تعاقب فبعدلك وانه وان كان ذنبى أعظم من أن يحيط به عذر فعفو أمير المؤمنين أعظم من أن يتعاظمه ذنب فقال المأمون قد رأيت وما توفيقى الا بالله تحقيق ظنك فى العفو عن خطيئتك والصفح عن جليل جرمك واقالتك العثرة وامانك على نفسك وأنشد

لما رأيت الذنوب جلت * عن المجازاة فى العقاب
جعلت عنها العقاب عفوا * امضى من الضرب للرقاب

(كان) أبو نواس قد غلب على قلبه حب الامين والتهالك فيه والغرام حتى قال فيه

عذب قلبى ولا أقول بمن * خافه لا أخاف من أحد
اذا تفكرت فى هواى له * لمست رأسى هل طار عن جسدى

فاتصلت هذه الابيات بالمامون فقال من يقال فيه هذا يصلح أن يكون خليفة للمسلمين فبلغ ذلك الامين فأمر بقتل أبى نواس حيث وجد فشفع فيه فأمر بحبسه ولا يمكن من ورقة ولا دواة فحلق رأس عبد له وكتب فيها ابا الفهم

بك استجير من الردى * متعوذا من سطو باسك
وحياة رأسك لا أعو * د لمثلها وحياة راسك
من ذا يكون أبا نوا * سك ان قتلت أبا نواسك

وكتب تحت الابيات اذا قرأ أمير المؤمنين الرقعة يخرقها ثم قال للغلام سر الى دار الخلافة فاذا جئتها ناد نصيحة لامير المؤمنين فاذا دخلت على الخليفة اكشف رأسك ليرى ما فيها مكتوبا ففعل الغلام ما أوصاه به فلما قرأ الامين الابيات ضحك وقال ما ألطفه وأظرفه وأمر باطلاقه (وحكى) عبد الرحمن اليزيدى قال حضرت مجلس المأمون وهو على شراب فدعانى واكرهنى حتى شربت فكلمنى بكلمة فى حال السكر فاجبته عنها جوابا قبيحا وأنا لا أعلم

لما أخذ الشراب منى وغلبة السكر على فأعلمت بذلك بعد انصراف المجلس فكتبت اليه

أنا المذنب الخطاء والعفو واسع * ولو لم يكن ذنب لما عرف العفو
ثملت فابدى منى الكاس بعض ما * كرهت وما ان يستوى السكر والصحو
تنصلت من ذنبى تنصل ضارع * الى من اليه يحسن العفو والسهو
فان تعف عنى ألف خطوى واسعا * وان تكن الاخرى فقد قصر الخطو

فلما قرأ المامون رقعته قال قد صفحنا عنك فان مجلس الشراب يطوى بما فيه ويقال بل وقع على الرقعة

انما مجلس الندامى بساط * للمودّات بينهم وضعوه
فاذا ما انتهى الى ما أرادوا * من حديث ولذة رفعوه

حكاه المرزبانى فى كتاب طبقات الشعراء وعرف باليزيدى لانه كان يؤدب ولد يزيد ابن منصور الحميرى خال المهدى (وقال) الحسن بن سهل للمامون فى رجل مسىء هبه لى فقال وكيف أهبه لمن ليس به قدرة عليه وعفا عنه (واحضر) اليه رجل أذنب فقال له أنت الذى فعلت كذا وكذا قال نعم يا أمير المؤمنين أنا ذاك الذى أسرف على نفسه واتكل على عفوك فعفا عنه (وقال الصولى) ما كان فى الخلفاء أحلم من الواثق ولا أصبر منه على أذى وكان يتشبه بالمامون (فمما) ذكر عنه أنه كان يعجبه غناء أبى حشيشة الطنبورى فوجد المسدود المغنى من ذلك حسدا فكتب فى رقعة بيتين يهجو بهما الواثق وكانت الرقعة معه لا تبرح واتفق ان كتب رقعة يسال فيها حاجة من الواثق فغلط واعطاه الرقعة التى فيها البيتان ففتحها فاذا فيها

من المسدود فى الانف * الى المسدود فى العين
انا طبل له شق * فيا طبل بشقين

وكان على احدى عينى الواثق بياض والى ذلك نحا المسدود فلما قرأهما علم انهما فيه فقال له قد غلطت فى ورقة الحاجة فاحترس من مثلها وردها اليه وقضى حاجته ولم يتغير لها عما كان عليه (ولما) ظفر المتوكل بمحمد بن المغيث الربعى وكان قد خرج عليه فى سنة أربع وثلاثين ومائتين فلما وقف بين يديه وهو مكبل قال له ما حملك على أن خرجت على وأنت لا ذو مال ولا ذو مدد من رجال

فقال الشقوة والجبن يا أمير المؤمنين وأنت الحبل الممدود بين الله وبين خلقه وانى بين ظنين أسبقهما الى قلبى أولى بك من الآخر ثم أنشد

أبى القوم الا انك اليوم قاتلى * امام الهدى والعفو فى الله أجمل
وهل أنا الا جبلة من خطيئة * وعفوك من نور الخلافة يجبل
تضاءل ذنبى عند عفوك قلة * فمن بعفو منك والعفو أفضل
وانك خير السابقين الى التقى * ولا شك أن خير الفعالين تفعل

وأمر بفك قيده وغله وخلع عليه وأمر له بصلة (وهجا) الحيص بيص الشاعر المسترشد فاباح دمه فهرب الى دبيس بن صدقة ثم عاد الى بغداد مستخفيا وكتب الى المسترشد يستعطفه لولا جرائم العبيد لم يظهر حلم الموالى وقد أتيتك مستجيرا بعفوك من سطوتك وبحلمك من نقمتك فوقع على رقعته (٢)
ليوغر بمسارعة العفو مع عظيم الجرم احتقارا بالمعفو عنه

(مكرمة لا نظير لها ولم يكتب المؤرخون مثلها)

حكوا عن محمد بن حميد الطوسى أنه كان يوما على غذائه واذا بضجة عظيمة على الباب فرفع رأسه وقال لبعض غلمانه ما هذه الضجة من كان عند الباب فليدخل فخرج الغلام وعاد وقال يا مولاى ان فلانا أخذ وجىء به موثوقا بالحديد والغلمان والشرط ينتظرون أمرك فيه فرفع يده من الطعام سرورا بأخذه فقال رجل ممن كان حاضرا عنده الحمد لله الذى أمكنك من عدوك فسبيلك أن تسقى الارض من دمه وقال آخر بل يصلب حيا ويعذب حتى يموت وتكلم كل أحد بما وفق له وهو ساكت مطرق ثم رفع رأسه وقال يا غلام فك عنه وثاقه وأدخله الينا مكرما فلم يكن بأسرع مما امتثل أمره وأدخل اليه رجل لا دم فيه فلما رآه هش له ورفع مجلسه وأمر بتجديد الطعام وجعل يبسطه ويلقمه حتى انتهى الطعام ثم أمر له بكسوة حسنة وصلة جميلة وأمر برده الى أهله مكرما ولم يعاتبه بحرف واحد على جنايته ثم التفت الى جلسائه وقال لهم ان أفضل الاصحاب من حض الصاحب على المكارم ونهاه عن ارتكاب المآثم وحسن له ان يجازى الاحسان بضعفه والاساءة عمن اساء اليه بصفحه انا اذا جازينا من أساء الينا بمثل ما أساء فاين موضع الشكر عما أتيح من الظفر انه ينبغى لمن يحضر مجالس الملوك أن يمسك الا عن قول سديد وأمر

رشيد فان ذلك أدوم للنعمة وأجمع للالفة ان الله تعالى يقول يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم (وأحسن منها) ما كتب به المعتصم الى عبد الله بن طاهر عافانا الله واياك قد كانت عليك هناة غفرتها لك لا قدارى عليك وقد بقيت فى قلبى عليك حزازات أخاف عليك منها عند نظرى اليك فان اتاك منى ألف كتاب استقدمك فيها فلا تقدم وحسبك معرفة ما أنا عليه لك اطلاعى اياك على مافى ضميرى والسلام

(وممن) أحسن من الاماثل الى من أساء اليه وأسبل عند القدرة ستر المن عليه يزيد بن المهلب وذلك أنه بلغه أن حمزة بن بيض الشاعر هجاه فأحضره وأمر بتجريده وضربه وكان عليه حلة ديباج كان المهلب وهبها له فعسر نزعها فأمر بتخريقها فلما عزم على ذلك رآه يزيد يهمهم بشفتيه فقال له ويحك ما الذى تقول قال قلت

لعمرك ما الديباج خرقت وحده * ولكنما خرقت جلد المهلب

فاطلقه واعتذر اليه ووصله (ولما) ظفر الحجاج بمحمد بن عبد الرحمن بن الاشعث وكان قد خرج عليه وخلع عبد الملك بن مروان فأمر بضرب أعناق الجند الذين ظفر بهم حتى أتى على رجل من بنى تميم فقال والله أيها الامير لئن أسأنا فى الادب لما أحسنت فى العقوبة فقال الحجاج أف لهذه الجيف أما كان فيهم من يحسن بمثل هذا وأمر باطلاق من بقى وعفا عنهم

(ومن اخبار الحجاج فى العفو) عن عدوه بعد الظفر به ماحكى أنه لما ظفر بعامر بن حطاب مع جماعة من الخوارج الصفرية وكان حنقا عليه لبسالته وشجاعته ونكايته فى أصحابه فقال ياغلام اضرب عنق ابن الفاعلة فقال عامر يا حجاج بئس ما أدبك أهلك أبعد الموت غاية استنعتك بها مايؤمنك لو رددت عليك اضعاف ماقلت فاستحيا الحجاج منه وقال له أفيك موضع للصنيعة قال أجل فأمر له بفرس وسرج وسيف وخلى سبيله (ويقال) انه لما صار الى أصحابه قالوا له عد الى قتال الفاسق فالله أطلقك فقال هيهات غل يدا مطلقها وارتهن رقبة معتقها (وقال)

أأقاتل الحجاج عن ملكوته * بيد تقر بانها مولاته

انى اذا لاخوالد ناة والذى * عفت على عرفانه جهلاته
ماذا أقول اذا وقفت ازاءه * فى الصف واحتجت له فعلاته
أأقول جرت على انى عندذا * لاحق من جارت عليه ولاته
تالله لاكدت الامير بآلة * وجوارحى وسلاحها آلاته
أأكيده وعلىّ سخطة خالقى * وعليه رحمة مالكى وصلاته
لأشد من كفر الكفور وجحده * نار تسوء للفحها حالاته
وتحدث الاكفاء أن صنائعا * غرست له فتحنظلت نخلاته
أبت الحزامة ان أبيت مصعرا * خدى وخيل الحق متعلاته
فاليكم عنى فانى مفلت * هيهاته لايجرنى افلاته

(تقدم) طلحة بن جعفر المتوكل المنعوت بالموفق على هرون بن عبد الملك فوقف بين يديه وأنشد

يابنى هاشم بن عبد مناف * لكم حادث العلا والقديم
ليس عندى وان تغيرت الا * طاعة محضة وقلب سليم
وانتظار الرضا فان رضا الند * ات عز وعتبهم تقويم

فعفا عنه ووصله (وكان) المهلب بن شاهين الشاعر عاملا بنهر فروة ونهر رجا لعزيز الدين فظهرت عليه خيانة فاشخصه وتوعده فلما مثل بين يديه قال

قل للعزيز أدام ربى عزه * وأناله من خيره مكنونه
انى جنيت ولم تزل نبل الورى * يهبون للخدام مايجنونه
ولقد جمعت من الجنون فنونه * فاجمع من الصفح الجميل فنونه
من كان يرجو عفو من هو فوقه * فليعف عن جرم الذى هو دونه

فعفا عنه وأعاده الى عمله (وقال أبو الفتح) محمد بن أردشير كنت بالسيرجان مع الوزير أبى غالب الحسن بن منصور الملقب بذى السعادتين فاتفق أن شربت عنده يوما فسكرت سكرا اسقط معه سفتجتى من كمى وفيها رقاع قد أعطانيها أربابها لاتنجز لهم توقيعاته عليها ومن جملتها رقعتان بخطى قد كتبت فى احداهما

ياقليل الخير موفور الصلف * والذى فى البغى قد حاز السرف
كن لئيما وتواضع تحتمل * وكريما يحتمل منك الصلف

(وفى الاخرى)

يا طارق الباب على عبد الصمد * لا تطرق الباب فما ثم أحد

فأخذ السفتجة وفتحها فوقع على الرقاع بجميع ما فيها ووقع على الرقعة التى فيها البيتان يطلق له ألفا درهم وعلى الاخرى التى فيها البيت الواحد يوجب له فى كل شهر ألف درهم من اتصال الشهر الذى نحن فيه ورد الجميع الى السفتجة وجعلها فى كمى وأضحت من الغداة ولا علم عندى بما جرى فاستدعانى الى الطعام وقت الظهر فلم ير عندى أثر للفعلة التى فعلها اذا وأنا من الضالين ولا سمع منى شكرا على صنيعة فقال لى وقفت على الرقاع قلت لا أيها الوزير ثم ذكرت ما كان فى الاوراق فتصببت عرقا واشتغل قلبى لما وجد فيها بخطى فنهضت الى الرقاع فتأملتها وعدت اليه فشكرته واعتذرت عما وجد فقال لا تعتذر فانا نستحقه اذا لم نقض واجبا ولم نراع صاحبا (وحدث) محمد بن هلال بن المحسن الصابى فى كتاب الهفوات عن الفرج الرمانى الكاتب قال قدم علينا أبو القاسم المعمر بن الحسين المدلجى مع الوزير أبى القاسم العلاء بن الحسين الاهوازى وكنت اذ ذاك كاتب الانشاء وخليفة العلاء فبعث الى المعمر يطلب منى بغلة مسرجة ولم تكن منزلته عندى منزلة من أراعيه فرددت الرقعة مع رسوله ولم أجبه عنها ثم انه بعث الى الرقعة وعلى ظهرها مكتوب

عسى سائل ذو حاجة ان منعته * من اليوم سؤلا أن يكون له غد

فانك لا تدرى اذا جاء سائل * أأنت بما تعطيه أو هو أسعد

فأعدت اليه الرقعة من غير جواب كما فعلت أولا وضرب الدهر ضرباته فصرف العلاء ووزر المدلجى وكنت اذ ذاك متوليا أعمالا كثيرة فانفذ الى من أشخصنى الى شيراز ووردت عليه وأنا لا أشك فى قتلى أو القبض على لما تقدم من سوء فعلى معه فقربنى وأكرمنى وأقمت مترددا اليه اياما وهو يزيد فى برى واكرامى وأنا من فعله متعجب وله مستظرف فلما كان بعد أيام قمت من مجلسه منصرفا فاتبعنى الحاجب وقال الوزير يريد أن يخلو بك فلم يداخلنى ريب فى القبض على فأقمت خائفا أترقب ما يأمر به فى فلما خلا مجلسه استدعانى وأسر الى بعض خدمه شيئا فمضى وعاد معه الرقعة بعينها فسلمها الى فلما رأيتها وددت أن الارض

ساخت بى وقرأت بحيث يسمع ياليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا فقال لى لاترع أوقفتك على سوء فعلك حتى لاتستصغر بعدها أحدا وتطرح مراعاة العواقب ولكن هذا الفعل لاخلاقك مهذبا ثم خلع على ووصلنى وردنى الى عملى (والى هذا) أشار بعض البلغاء الحكماء فى التحريض على اصطناع الكرام الخافضة من أقدارهم الايام فى قوله أحسن الى كل من له سابقة فى الادب وسابقة فى الفضل ولا يزهدنك فيه سوء الحاجة منه وادبار الدولة عنه فانك لاتخلو فى اصطناعك له واحسانك اليه من نفس حرة تملك رقها أو مكرمة حسنة توفى حقها فان الدهر يجبر كما يكسر والدولة تقبل ثم تدبر ومن زرع خيرا حصد أجرا ومن اصطنع حرا استفاد شكرا وأنشد

وعد من الرحمن فضلا ونعمة * عليك اذا ما جاء للخير طالب
ولا تمنعن ذا حاجة جاء راغبا * فانك لاتدرى متى أنت راغب

(والجيد فى هذا المعنى قول من قال)

لاتحقرن امرأ قد كان ذا ضعة * فكم وضيع من الاقوام قد رأسا
فرب قوم جفوناهم فلم نرهم * أهلا لخدمتنا صاروا والناس وسا

(عدنا والعود أحمد) دخل أبو الصقر اسمعيل بن بلبل قبل وزارته للمعتمد على صاعد بن مخلد فى وزارته وفى المجلس أبو العباس بن ثوابة فسأل صاعد عن رجل فقال أبو الصقر أننى يريدنى فقال ابن ثوابة فى الخرء فتضاحك الناس وخجل أبو الصقر فلما ولى أبو الصقر الوزارة دخل عليه ابن ثوابة وقال تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين فقال أبو الصقر لاتثريب عليك اليوم يا أبا العباس يغفر الله لك وهو أرحم الراحمين (وحدث) أبو هريرة الشاعر المصرى قال خرجت يوما الى بركة الحبش بمصر متنزها فى أيام الربيع حين أخذت الارض زخرفها وازينت ومعى آنية شراب وكتاب وكانت تلك عادتى فى كل سنة فجعلت أشرب وأنادم كتابى طول يومى فلما كادت الشمس أن تغرب وتلمع فى أجنحة الطير أخذت فى الانصراف الى منزلى وأنا ثمل فبينا أنا أمشى واذا بفارس خرج من مصر ملتثما لايبين من وجهه غير عينيه فسلم وقال من أين أقبل الشيوخ فقلت فى نفسى أجن الرجل ومن يرى معى فالتفت فاذا خلفى ذود تيوس وراع يسوقه فقلت حضرنا ملاك الوالدة أصلحك الله فضحك

وانصرف ولما كان بعد أيام دخلت الى الامير تكين فى حاجة فقضاها لى وأسرنى بألف درهم وقال هذه حق حضورك ذلك المملاك فعلمت أنه الذى لقينى فأخذتها وانصرفت

(ملح مكارم يغتبط بها القلب والسمع لدلالتها على كرم النجار والطبع)

(قتل) للاحنف بن قيس ولد وكان قاتله أخو الاحنف فأتى به مكتوفا ليأخذه به فلما رآه بكى وأنشد

أقول للنفس تأنيبا وتسلية * احدى يدى أصابتنى ولم ترد
كلاهما خلف من بعد صاحبه * هذا أخى حين أدعوه وذا ولدى

(ولآخر فى معناه وقد قتل قومه أخاه ولم يقصده أحد بنكاية ولا توخاه)

قومى هم قتلوا أميم أخى * فاذا رميت يصيبنى سهمى
فلئن عفوت لاعفون جللا * ولئن سطوت لاوهنن عظمى

(وقيل) للاحنف بن قيس ممن تعلمت الحلم قال من قيس بن عاصم المنقرى بينا هو ذات يوم جالس فى داره اذ أتته جارية بسفود عليه شواء فسقط من يدها على ولد له صغير فمات فدهشت الجارية واختلط عقلها فلما رأى ذلك منها قال لا روع عليك اذهبى فانت حرة لله تعالى (خير منها أو مثلها) ما حكى أن بعض ملوك الفرس وكان عظيم المملكة سيئ الملكة شريف الهمة شديد النقمة قرب اليه صاحب مطبخه طعاما فوقعت نقطة من الطعام على المائدة فزوى لها الملك وجهه وأعرض عنه اعراضا تحقق به الطباخ قتله فعمد الى الصحفة فكفأها على المائدة فقال له الملك ما حملك على ما فعلت وقد علمت أن سقوط النقطة اخطأت بها يدك ولم يجرها تعمدك فما عمدك فى الثانية قال استحييت أن يسمع عن الملك أنه استوجب قتلى واستباح دمى مع قديم خدمتى ولزوم حرمتى فى نقطة واحدة أخطأت بها يدى ولم يجرها تعمدى فاردت أن يعظم ذنبى ليحسن بالملك قتلى ويعذر فى قتل من فعل مثل فعلى فقال الملك ان كان حسن صنعك ينجيك من القتل والتعذيب فليس منجيك من التأديب اجلدوه مائة واخلعوا عليه خلع الرضا وسوغوه انعاما يؤذن بالعفو عما مضى

ولنعقب هذا الفصل من لطيف الاعتذار
ما نستعطف به القلوب بعد النفار

جرى بين الحسين بن علىّ وبين أخيه محمد بن الحنفية رضى الله عنهما كلام وافترقا متغاضبين فلما وصل محمد الى منزله كتب الى الحسين بعد البسملة من محمد بن على الى أخيه الحسين بن على أما بعد فان لك شرفا لا أبلغه وفضلا لا أدركه فان أمى امرأة من بنى حنيفة وأمك فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو كان ملء الارض نساء مثل أمى ما وفين بأمك فاذا قرأت رقعتى هذه فالبس رداءك ونعليك وسر الىّ لترضينى واياك أن أسبقك الى هذا الفضل الذى أنت أولى به منى والسلام فلبس الحسين رداءه ونعليه وجاء اليه وترضاه (وكان) فى قلب الامين من اسحق الموصلى شئ فأهدى له جارية فردّها فكتب اليه اسحق

هتكت الضمير بردّ اللطف * وكشفت أمرا لى فانكشف
فان كنت تحقد شيأ مضى * فهب للخلافة ما قد سلف
وجد لى بالعفو عن زلتى * فبالفضل تأخذ أهل الشرف

فلم يفعل فكتب اليه

أتيت ذنبا عظيما * وأنت أعظم منه
فخذ بحقك أولا * فامنن بصفحك عنه

فعاد الى الجميل (وقال) أبو بكر الصولى أحسن رقعة كتبت فى الاعتذار رقعة كتب بها الراضى الى أخيه المتقى وكان قد جرى بينهما كلام بحضرة المؤدب وكان المتقى قد اعتدى على الراضى أنا معترف لك بالعبودية فرضا وأنت معترف لى بالاخوة فضلا والعبد يذنب والمولى يعفو ويغفر وقد قال الشاعر

ياذا الذى يغضب فى غير شىّ * اعتب فعتباك حبيب الىّ
أنت على أنك لى ظالم * أعز خلق الله طرّا علىّ

فلما وقف المتقى على الرقعة هبت عليه منها رياح الاريحية فعطفت منه عواطف النفس الابية ومضى اليه راضيا وأكب عليه باكيا وانحسمت بينهما مواد الهجر بقبول صادق العذر وازيل مصون الحقد وانتظم

بانتظام الشمل انتظام العقد (وقع) ذو الرياستين الفضل بن سهل الى طاهر بن الحسين والله يانصف انسان لئن أمرت لاتنفذن ولئن أنفذت لا برمن ولئن أبرمت لاتلفن فاجابه طاهر انما أنا أعزك الله كالامة السوداء ان حمل عليها دمدمت وان رفه عنها أمسكت وان عوقبت فبما وجب عليها وان عفى عنها فبالاحسان اليها فعفا عنه (ومالطف) ما كتب به بعض الفضلاء الى أخيه يستعطفه أنت سليل نبوّة وشقيق أخوّة أصلها من سوحة وفرعها من دوحة فنحن لدة أوان ونشوان زمان ورضيعا لبان وركيضا أمومة وغصنا جرثومة درجا من وكر ومهدا في حجر فكيف توقظ عين الدهر وتبسط يد الهجر وتنبه غافي الرقاد والحسود لنا بمرصاد (وكتب اخر) الى صديق يستعطفه أصفيت لك ودّي وا كديت لك عقدي ومنحتك اخائي ولم أمزق لك صفائي فقرب الاخاء بالودّ انقع للغله وأنفع للعله وأسكن للروعة وأشفى للوعة وأطفأ للحرقة وآنس للفرقة (وقال) أعرابي لامير نقم عليه هذا مقام من لايتكل على المعذرة بل يعتمد منك على المغفرة (وقال اخر) لان يحسن في العفو وقد أسأنا في الذنب أولى من أن يسيء بالعقوبة وقد أحسنا في الاعتذار (واعتذر آخر) فقال لذت بعفوك واستجرت بصفحك فاذقني حلاوة الرضا وأجرني من مرارة السخط فيما مضى (وكتب آخر) لكل ذنب عفو وعقوبة فذنوب الخاصة مستورة وسيآتهم مغفورة وذنب مثلي من العامة لايغفر وكسره لايجبر وان كان ولابدّ من العقوبة فعاقبني باعراض لا يؤدي الى ابعاد ولايفضي في الصفح الى ميعاد ولان تحسنوا وقد أسأنا خير من أن تسيئوا وقد أحسنا فان كان الاحسان منافا أحق كم بمكافأته وان كان منكم فما أحقكم باستتمامه أبيات في المعنى

أقل ذا الودّ عثرته وقفه * على سنن الطريق المستقيمه
ولاتسرع بمعتبة اليه * فقد يهفو ونيته سليمه

(آخر)

أسأت ولم أحسن وجئتك هاربا * وأين لعبد من مواليه مهرب
يؤمل غفرانا فان خاب ظنه * فما أحد منه على الارض أخيب

(آخر)

ان كان ذنبي قد أحاط بزلتي * فأحط بذنبي عفوك المأمولا
فلقد رجوتك في الذي لا يرتجي * في مثله أحد فنلت السولا
وضللت عنك فلم يكن لي مذهب * فوجدت حلمك لي عليك دليلا

(آخر)

يامن أسأت وبالاحسان قابلني * وجوده لجميع الناس مبذول
قد جاء عبدك يامولاي معتذرا * وأنت للعفو مرجو ومأمول

(آخر)

ان الكرام اذا ما استعطفوا عطفوا * والحر يغضي ويعفو وهو معترف
والعفو بعد اقتدار فعله كرم * والهجر بعد اعتداء فعله شرف
عاقب بما شئت غير الهجر أرض به * فالهجر فيه لاحزان الفتى تلف

(آخر)

هبني أسأت فأين الفضل والكرم * اذ قادني نحوك الاذعان والندم
ياخير من مدت الايدي اليه أما * ترثي لشيخ نعاه عندك الهرم
بالغت في السخط فاصفح صفح مقتدر * ان الملوك اذا ما استرحموا رحموا

(الخيزراني)

نحن قوم نرى فراقك عيبا * ونرى القرب منك حتما وفرضا
أنت ان كنت قد غضبت جعلنا * للذحر الوجوه أرضا لترضى

(آخر)

ليالي صدودك ليست تضي * وعمر تجنبك ماينقضي
ومايألف القلب ياسيدي * سوى ماتحب وماترتضي

(آخر)

ما أحسن العفو من القادر * لاسيما من قادر قاهر
ان كان لي ذنب ولا ذنب لي * فماله غيرك من غافر
بحرمة الود الذي بيننا * لاتفسد الاول بالآخر

(آخر)

أسأت اليك ثم أسأت عودا * فأين عوائد الصفح الجميل
وأين العفو من مولى عزيز * يجود به على عبد ذليل

(آخر)

ان كنت عبدا مذنبا * فاعطف على بحسن رايك
أو كنت لست بمذنب * فدع التمادى فى جفائك

(بعض العرب)

فهلا أبيت اللعن لا تخزينها * بذنب امرئ أمسى من العلم معدما
فما العبد بالعبد الذى ليس مذنبا * وما الرب بالرب الذى ليس منعما

(آخر)

وما قابلت سخطك باعتذار * ولكنى أقول كما تقول
سأطرق باب عفوك باعتراف * ويحكم بيننا الخلق الجميل

(آخر)

هبنى كما زعم الواشون لا رحموا * أنى أسأت وزلت منى القدم
وهبك جار على ذا العهد فى جرم * لم أجنه ضاق منك العفو والكرم
ما أنصفتنى فى حكم الهوى أذن * تصغى للومى وعن عذرى بها صمم

(آخر)

أخلاقك الغر السجايا مالها * حملت ردى العنف وهى سلاف
والبشر فى مرآة وجهك ماله * يخفى وأنت الجوهر الشفاف

(آخر)

ليت شعرى وقد تمادى بك الهجر * أمنك الجفاء أم كان منى
فلئن جئته فعنك عفا الله * وان كنت جئته فاعف عنى

وكل الناس عيال على النابغة الذبيانى فى قوله للنعمان بن المنذر من أبيات جاء منها

حلفت ولم أترك لنفسك ريبة * وليس وراء الله للمرء مذهب
لئن كنت قد بلغت عنى جناية * لمبلغك الواشى أغش وأكذب
فلا تتركنى بالوعيد كأننى * الى الناس مطلى به القار أجرب
فلست بمستبق أخا لا تلمه * على شعث أى الرجال المهذب

(أبو نواس يستعطف الامين وكتب بها اليه من الحبس)

تذكر أمين الله والعهد يذكر * مقامى وانشاديك والناس حضر

ونثرى عليك الدر يا در هاشم * فمن ذا رأى درا على الدر ينثر
مضت لى شهور مذ حبست ثلاثة * كانى قد أذنبت ماليس يغفر
فان كنت لم أذنب ففيم حبستنى * وان كنت ذا ذنب فعفوك أكبر

(اسحق الموصلى)

لاشئ أعظم من ذنبى سوى أملى * لعفوك اليوم عن ذنبى وعن زللى
فان يكن ذا وذا عندى قد اجتمعا * لانت أعظم من ذنبى ومن أملى

(الفصل الثالث من الباب الثالث عشر)

فى ذم العفو عمن أساء وانتهك حرمات الرؤساء

قال الله تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم * وقال تعالى ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ماعليهم من سبيل (وقد ثبت) أن النبى صلى الله عليه وسلم أمر بقتل ابى عزة الشاعر لما كان يعرض به من أذى النبى صلى الله عليه وسلم بلسانه ويحرض عليه قبائل قريش وفى فعله لنا اسوة قال ابن اسحق لما اخذ أبو عزة الشاعر يوم بدر وأتى به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يارسول الله تصدق بى على بناتى واعف عنى عفا الله عنك قال نعم على أن لا تعين على بقول ولا فعل فعاهده على ذلك وخلى سبيله ثم انه خرج مع أبى سفيان يحرض قريشا على قتال النبى صلى الله عليه وسلم فأخذ يوم أحد فأتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ألم تعاهدنى على أن لا تعين على بقول ولا فعل فقال غلبت فتصدق بى على بناتى واعف عنى عفا الله عنك فقال عليه الصلاة والسلام ان العفو لمكرمة ما مثلها مكرمة ولكن لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين ثم أمر بقتله فقتل

(فما للحكماء من تحريض الحر على مقابلة المسىء بالنكال المر)

قالوا تواضع للمحسن اليك وان كان عبدا حبشيا وانتصف ممن أساء اليك وان كان حرا قرشيا (وقال) على رضى الله عنه وكرم وجهه الخير بالخير والبادى أكرم والشر بالشر والبادى أظلم (وقال الشعبى) يعجبنى الرجل اذا سيم هوانا دعته الانفة الى المكافأة وجزاء سيئة سيئة مثلها فبلغ كلامه الحجاج فقال لله دره أى رجل بين جنبيه وتمثل

ولا خير فى عرض امرئ لا يصونه * ولا خير فى حلم امرئ ذل جانبه

(وقالوا) من ترك العقوبة أغرى بالذنب ولولا السيف كثر الحيف (وقالوا) من مال معك الى الحيف فلا تبخلن عليه بالسيف (وقالوا) السفيه يخالف ولا يؤالف ويمارى ولا يدارى * وقال أوس بن حسان

اذا المرء أولاك الهوان فأوله * هوانا وان كانت قريبا أواخره
فان أنت لم تقدر على أن تهينه * فدعه الى اليوم الذى أنت قادره
وقارب اذا ما لم تكن لك حيلة * وصمم اذا أيقنت انك عاقره

(وقيل لاعرابى) أيسرك أن تدخل الجنة ولا تسيء الى من أساء اليك قال لا بل يسرنى ان أدرك الثار وأدخل مع فرعون النار * أبو عبادة البحترى

تذم الفتاة الرود شيمة بعلها * اذا بات دون الثار وهو ضجيعها

(ويقال) انما هو مالك وسيفك فازرع بمالك من شكرك واحصد بسيفك من كفرك * وقال الشاعر

قط العدى قط البراعة وانتهز * بظبا السيوف سوائم الاضغان
ان البيادق ان توسع خطها * أخذت اليك مآخذ الفرزان

(وقال المأمون) الحلم يحسن بالملوك الا فى ثلاثة أشياء قادح فى ملك ومتعرض بجرم ومذيع لسر (وقال أعرابى) لابن عباس أتخاف على جناحا ان ظلمنى رجل فظلمته فقال له العفو أقرب للتقوى فقال ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل وقال الشاعر

اذا كان حلم المرء عون عدوه * عليه فان الجهل أعنى وأروح
وفى الحلم صغر والعقوبة هيبة * اذا كنت تخشى أيد من عنه تصفح

(آخر)

أرى اللين ضعفا والتشجع هيبة * ومن لا يهب يحمل على مركب وعر
وما كل حين ينفع الحلم أهله * ولا كل حين يدفع الجهل بالصبر

(وقال الجاحظ) من قابل الاساءة بالاحسان فقد خالف الله فى تدبيره وظن أن رحمة الله دون رحمته فانه تعالى يقول من يعمل سوأ يجزبه وقال تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره فجازى على الخير بالثواب والشر بالعقاب (وقال) اكثم بن صيفى من تعمد الذنب فلا ترحمه دون العقوبة فان الادب رفق والرفق يمن * وقال ابو الطيب أحمد بن الحسين المتنبى

من

من الحلم أن يستعمل الجهل دونه * اذا اتسعت فى الحلم طرق المظالم

(آخر)

من أكرم الناس أكرموه * ووقروه وبجلوه

ومن يهنهم يهن عليهم * فى حرأميه يدخلوه

(وقال الشافعى) من استغضب فلم يغضب فهو حمار كما أن من استرضى فلم يرض فانما هو جبار (وقال رجل) لابن سيرين انى وقعت فيك فاجعلنى فى حل قال ما أحب ان أحل لك ماحرم الله عليك (وقال) على كرم الله وجهه ردا الحجر من حيث جاء فان الشر لايدفع الا بالشر وقال الشاعر

ألا لايجهلن أحد علينا * فنجهل فوق جهل الجاهلينا

(احتجاج من جازى السيئة بمثلها ممن ملك عقد الامور وحلها)

لما ولى طاهر بن عبد الله بن الحسين خراسان بعد موت أبيه استؤمر فى رجلين أحدهما ضعيف والآخر عليل فوقع فى أمرهما الضعيف يقوى والعليل يبرأ فان يكونا ممن لايؤمن شرهما فدعهما مكانهما فان من أطلق مثلهما على الناس فهو شر منهما وشريكهما فى اعمالهما (واعتذر) بعض بنى أمية الى السفاح فهم بالصفح عنهم فقال أبو مسلم ان الصفح مقرب الى الله تعالى مبعد من النار اذا قصد طريقه وأصيب به أهله واما هؤلاء الذين تضمنت قلوبهم غدرا وأورى زندهم شرا فلم تنفد ضغائنهم ولاتذيب بوائقهم فالقتل لهم اشفى والراحة منهم أولى فأمر بقتلهم فقتلوا (ودخل) اسمعيل الملقب بسديف على السفاح وعنده سليمان بن هشام بن عبد الملك وقد ادناه واعطاه يده فقبلها فلما رأى سديف ذلك قام بين يدى السفاح وأنشده قصيدة يمدحه فيها ويحرضه على قتل من ظفر به من بنى أمية جاء منها

يا ابن عم النبى أنت ضياء * استبنا بك اليقين الجليا

ياوصى الشهيد أكرمك الله * فقد كنت للشهيد وصيا

لايغرنك ماترى من خضوع * ان تحت الضلوع داء دويا

بطن البغض فى القديم فاضحى * ثابتا فى قلوبهم مطويا

فضع السيف وارفع السوط حتى * لاترى فوق ظهرها أمويا

فقام أبو العباس ودخل واذا المنديل قد ألقى فى عنق سليمان ثم جر فذبح

(ومن الاغرا وان لم يعتمد) لما أساءت البرامكة على الرشيد وأراد الايقاع بهم جعل يتردد فى اعمال الحيلة عليهم فتكلم الرشيد يوما فى مجلسه بكلمة نزع القوم بها فكل يحكى فى نوعها حكاية أو ينشد شعرا فى معناها وكان فى المجلس ابن عزيز فأنشد أبياتا فى غير المعنى الذى كانوا بصدده كانت سببا لامضاء عزيمته على قتل البرامكة يقول فيها

ليت هندا أنجزتنا ما تعد * وشفت أنفسنا مما نجد

واستبدت مرة واحدة * انما العاجز من لا يستبد

فاستعاده منه الرشيد البيتين مرارا ثم أوقع الرشيد بالبرامكة بعد ذلك بثلاثة أيام وسنذكر فى الفصل الاوسط من الباب الآتى من ايقاعه بهم ما فيه للمتأمل مقنع وللمستخبر مستمتع ان شاء الله تعالى * ولم أر فى التحريض أبلغ من قول القائل فى قصيدة طويلة ذات معان جمة وفوائد جليلة

ما كل يوم ينال المرء ما طلبا * ولا يسوغه المقدور ما وهبا

وأعجب الناس من ان نال فرصته * لم يجعل السبب الموصول مقتضبا

وأنصف الناس فى كل المواطن من * سقى الاعادى بالكاس الذى شربا

فالعفو الاعلى الاعداء مكرمة * من قال غير الذى قد قلته كذبا

قتلت عمرا وتستبقى يزيد لقد * رأيت رأيا يجر الويل والحربا

لا تقطعن ذنب الافعى وترسلها * ان كنت شهما فأتبع رأسها الذنبا

هم جردوا السيف فاجعلهم به جزرا * هم أوقدوا النار فاجعلهم لها حطبا

واذكر بمنحاهم مثوى أبى كرب * فيهم وحبس عدى عندهم حقبا

وسيف جدك لما أن أضربهم * جاؤا به لك فى اسلابهم سلبا

لا عفو عن مثلهم فى مثل ما طلبوا * وان يكن ذاك كان الهلك والعطبا

فنهم أهل غسان ومجدهم * عال وان حاولوا ملكا فلا عجبا

ان تعف عنهم يقول الناس كلهم * لم يعف حلما ولكن عفوه رهبا

وان أحسن من ذا العفو لو هزموا * لكن هم انبوا من سيفك الهربا

علام تقبل منهم فدية وهم * لا فضة قبلوا منه ولا ذهبا

اسق الكلاب غدا من فتية دمها * عند البرية تستسقى به الكلبا

لو لم يسر جاز أن تعفو محاجزة * والليث لا يحسن النقبا اذا وثبا

(آخر)

يفيض الى الشرحتى اذا أتى * ليـنزل رحـلى قلت للشر مرحبا
وأركب ظهر الشر حتى أذله * اذالم أجـد الاعـلى الشر مركبا
واكوى بلانارا ناسا بظلمهم * وأصفح احيانا وان كنت مغضبا

(ولله در من قال)

اذا آمن الجهال جهلك مرة * فعرضك للجهال غنم من الغنم
وان أنت باريت السفيه اذا انتمى * فأنت سفيه مثـله غيرذى حلم
فلا تعترض عرض السفيه وداره * بحلم فان أعيا عليـك فبالصرم
وغم عليه الجهل والحلم والقه * بمنزلة بين العداوة والحلم
فيرجوك تارات ويخشاك تارة * وتأخذ فيما بين ذلك بالحزم
فان لم تجد بدا من الجهل فاستعن * عليـه بجهال فذاك من العزم
ودع عنك فى كل الامور عتابه * فانك ان عاتبته كان كالخدم
ومن عاتب الجهال لم يشف نفسه * ولكنه يزداد سقما على سقم

(آخر)

حبست لكم نفسى على الحلم والرضا * فيأمن ذوخوف ويدرك طالب
اذا أنت لم تصلح لسيفك ماجنى * سفيهك صارت فى الصدور معاتب

(المتنبى)

لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى * حتى يراق على جوانبه الدم

(نبذة من أدنى النقض والابرام فى ذم مكافأة اللئيم بالاكرام)

(قالوا) العفو يفسد من اللئيم بقدر ما يصلح من الكريم (وقال) معاوية بن يزيد بن معاوية لابيه هل ذممت عاقبة حلم قط قال ما حلمت عن لئيم وان كان وليا الا اعقبنى ندما على ما فعلت وقال الشاعر

متى تضع الكرامة فى لئيم * فانك قد أسأت الى الكرامه
وقد ذهبت صنيعته ضياعا * وكان جزاء فاعلها الندامه

(وقالوا) جنب كرامتك اللئام فانك ان أحسنت اليهم لم يشكروا وان أساؤا لم يستغفروا (شاعر)

ان ذا اللؤم اذا أكرمته * حسب الاكرام حقا يلزمك

فأهنه انه من لؤمه * ان تسمه بهوان يكرمك

(ولآخر)

انّ اللئيم اذا رأى * لينا تزيد فى حرانه
لاتخدعن فصلاح من * جهل الكرامة فى هوانه

(ويقال) اللئام الى رهبوت أحوج منهم الى رحموت (المتنبى)

ووضع الندى فى موضع السيف بالعلا * مضر كوضع السيف فى موضع الندى

(وقالوا) الكريم يصلح بالاحسان والكرامة واللئيم بالهوان والملامة

(المتنبى)

اذا أنت أكرمت الكريم ملكته * وان أنت أكرمت اللئيم تمردا

(ابراهيم بن المهدى)

اذا كنت بين الحلم والجهل باقلا * وخيرت أنى شئت فالحلم أفضل
ولكن اذا أنصفت من ليس منصفا * ولم يرض منك الحلم فالجهل أنبل
اذا جاءنى من يطلب الجهل عامدا * فانى سأعطيه الذى جاء يسأل
ولم أعطه اياه الا لانه * وان كان مكروها من الذل أجمل
وفى الخير ابطاء فان جاء عاجلا * كما تشتهيه النفس فالشر أعجل

(وينسب لعلى رضى الله عنه)

لئن كنت محتاجا الى الحلم اننى * الى الجهل فى بعض الاحايين أحوج
ولى فرس للخير بالخير ملجم * ولى فرس للشر بالشر مسرج
فمن شاء تقويمى فانى مقوم * ومن شاء تعويجى فانى معوج
وما كنت أرضى الجهل جدا ولا أبا * ولكننى أرضى به حين أحرج
فان قال بعض الناس فيه سماجة * لقد صدقوا والذل بالحرّ أسمج

(أبو نواس)

فى الناس ان جربته * من لا يعزك أو تذله
فاترك مدارة اللئيم فان فيها العجز كله

الباب الرابع عشر فى الانتقام وفيه ثلاثة فصول

(الفصل الاول من هذا الباب)

فى التشفى والانتقام ممن أحضر قسرا فى المقام

قال

قال الله تعالى واذا ما غضبوا هم يغفرون ولم يقل هم يقتلون وفى هذا دليل
على أن الانتقام قبيح فعله على الكرام فانهم قالوا الكريم اذا قدر غفر واذا عثر
بمساءة ستر واللئيم اذا ظفر عقر واذا أمن غدر

(ولنقدم كلاما شافيا فى ذم الغضب اذ هو الزمام القائد للعطب)

جاء فى تفسير قول الله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان
تذكروا فاذا هم مبصرون أن الطائف من الشيطان هو الغضب (ويروى)
أن رجلا قال للنبى صلى الله عليه وسلم يارسول الله قل لى قولا ينفعنى الله به
وأقلل لعلى أعرفه قال لاتغضب فأعاد عليه المسئلة قال لاتغضب فأعاد عليه
المسئلة قال لاتغضب (وقال) يحيى بن زكريا لعيسى عليهما السلام أخبرنى
بما يقربنى من رضا ربى ويبعدنى من سخطه قال لاتغضب (وقال) رسول الله
صلى الله عليه وسلم ماتعدون الشديد فيكم قالوا الذى لايصرعه الرجال قال
لا ولكنه الذى يملك نفسه عند الغضب (وذكر) أن جعفر بن محمد الصادق
دخل على المهدى وقد امتلأ غضبا على انسان فقال ياأمير المؤمنين انك
لاتغضب الا لله فلا تغضب له أكثر من غضبه لنفسه (وقد) قال بعض الحكماء
اياكم والغضب فرب غضب استحق به الغضبان غضب الله عز وجل عليه
(ويقال) ان فى التوراة يا ابن آدم لاتغضب فاغضب عليك يا ابن آدم اذكرنى
حين تغضب أذكرك حين أغضب فلا أمحقك فيمن أمحق (وقالوا) اياك وعزة
الغضب فانها تفضى بك الى ذلة الاعتذار (وقالوا) الغضب على من لاتملك
لؤم وعلى من تملك شؤم (وقال) بعض الاعراب الغضب عدو العقل فانه يحول
بين صاحبه وبين العقل والفهم فيستولى عليه سلطان الهوى فيصرفه عن
الحسن وهو الاحتمال الى القبيح وهو الغضب ومن عصى الحق غمره الباطل
(وقال ابن المعتز) الغضب يصدئ القلب حتى لايرى صاحبه شيأ حسنا
فيفعله ولا قبيحا فيجتنبه (ويقال) ماترك شيأ من الاحوال الذميمة ولاتأخر عن
سبب من الاسباب اللئيمة من أنفذ غضبه وأساء فى الانتقام أدبه واستطاب
فعله واستعذبه (وقالوا) ليس من عادات الكرام سرعة الغضب والانتقام
(وقالوا) ثلاثة يعدون فى المجانين وان كانوا عقلاء الغضبان والسكران
والغيران (وقال) عمر بن عبد العزيز ثلاثة من كن فيه فقد استكمل الايمان

من اذا غضب لم يخرجه غضبه الى الباطل واذا رضى لم يخرجه رضاه من الحق واذا قام جدال لا يأخذ ماليس له * واذا تمكن منه الغضب على أحد حبسه ثلاثة أيام حتى يسكن غضبه ثم يحضره فان وجب عليه العقوبة عاقبه والا أطلقه

ما اخترناه من كلام الحكماء وأقوال الكرام الاماجد
فى ذم التشفى من العدو والمعاند

قالت عائشة رضى الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينتقم لنفسه الا أن تنتهك حرمة من حرمات الله تعالى فينتقم لله بها (وقالوا) أقبح المكافأة المكافأة بالاساءة (وقال معاوية) ان أولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة (وقالوا) الاقتدار يمنع الحزم من الانتصار (وقال) على رضى الله عنه أنا الى العفو والرحمة أقرب منى الى العقوبة والنقمة (وقال) جعفر الصادق لان أندم على العفو عشرين مرة أحب الى من أن أندم على العقوبة مرة واحدة * وحكى أن رجلا من قريش كان يطلب رجلا يدخل فى الجاهلية فلما ظفر به قال لولا ان القدرة تذهب الحفيظة لانتقمت منك وتركه * ولهذا يقال كل عزيز دخل تحت القدرة واتضح بالتنصل عذره فهو ذليل حقه على من قدره بالقدرة جليل أن يتعمد اساءته بالاحسان اليه ويفك اساره بالامتنان عليه وينزله من اكرامه منزلة المطيع من خدامه ويعفيه من عتبه وملامه كما أعفاه من سخطه وانتقامه (وقيل) أقبح افعال ذوى التمكن والاقتدار عقوبة من التجأ الى الاعتذار * شاعر

ليست الاحلام فى حال الرضا * انما الاحلام فى حال الغضب

(وقال المنصور) فى كلام لولده المهدى لذة العفو أطيب من لذة التشفى وذلك أن لذة العفو يلحقها حمد العاقبة ولذة التشفى يلحقها ذم الندم * ويحكى عن عنان بن خريم أنه دخل على المنصور وقد قدم بين يديه جماعة كانوا قد خرجوا عليه ليقتلهم فقال أحدهم يا أمير المؤمنين من انتقم فقد شفى غيظه وأخذ حقه ومن شفى غيظه وأخذ حقه لم يجب شكره ولم يحسن فى العالمين ذكره وانك ان انتقمت فقد انتصفت واذا عفوت فقد تفضلت على أن اقالتك عثار عباد الله موجبة لاقالته عثرتك وعفوك عنهم موصول بعفوه عنك فقبل قوله وعفا عنهم * وقال الشاعر

لذة العفو ان نظرت بعين الـ * عدل اشهى من لذة الانتقام
هذه تكسب المحامد والمجـ * ـد وهذه تجيء بالآثام

(والعرب تقول) لا سودد مع الانتقام * وقالوا اسرعة العقوبة من لؤم الظفر (وقيل) ليس من الكرم عقوبة من لا يجد امتناعا من السطوة * وأسر على رجلا من أصحاب عائشة رضى الله عنها يوم وقعة الجمل فقيل له ويلك وأنت ممن ألب علينا فقام الاشتر فقال دعنى أضرب عنقه يا أمير المؤمنين فقال الرجل يا أمير المؤمنين لان تلقى الله وقد عفوت عنى خير لك من أن تلقاه وقد شفيت غيظك وانتصرت لنفسك فقال اذهب حيث شئت * وانشد للمأمون

يخشى عدوّى من بعيد سطوتى * فاذا قدرت على العدوّ عفوت

(وقال بعض الحكماء) التزين بالعفو خير من التقبح بالانتقام * وقال على رضى الله عنه ليس شئ بخير من الخير الا ثوابه وكل شئ فى الدنيا سماعه أعظم من عيانه وكل شئ فى الآخرة عيانه أعظم من سماعه (ويقال) التشفى طرف من العجز ومن رضى به لا يكون بينه وبين الظالم الاستر رقيق وحجاب ضعيف ولان يثنى عليك بسعة الصدر خير من أن تذم بضيقه (وقال ابن المعتز) مبالغة المقتدر فى العقوبة تقربه من غضب الله وتبعده من انتساب الكرم اليه (وقال) كفى بالظفر شفيعا للمذنب الى القادر (وقال بعض الحكماء) لا يحملنك الحنق على اقتراف اثم يشفى غيظك ويسقم دينك (ويقال) لا تشن حسن الظفر بقبح الانتقام (وقالوا) عقوبة المقتدر تبدأ به تقبح صورته وتثلم حسبه وتجلب ندمه * شاعر

اذا أنت لم تصبر على الحقد لم تفز * بمجد ولم تسعد بتقريظ مادح

(آخر)

رأيت انتقام المرء يزرى بعقله * وان لم يقع الا باهل الجرائم

(وقال) الفضيل بن عياض لا يكون العبد من المتقين حتى يأمن عدوه بوائقه (وقلت) اذم مسرفا فى الانتقام فلان منزوع الرحمة من قلبه مصروف الوجه عن المعترف بذنبه يرى العفو مغرما والعقوبة مغنما ان ضحكت فى وجهه عبس وان تخاضعت له شمس لا يرقب فى المسئ الا ولا ذمة ولو شفع فيه سواد الامة * ومن رسالة للبديع الهمدانى يصف ملكا عظيم الشان يحسبه

المتأمل انسانا وهو شيطان وفلان سماء اذا تغيم لم يرج صحوه واذا تغير لم يشرب صفوه واذا سخط لم ينتظر غيره ليس بين رضاه والسخط عوجة كما ليس بين غضبه والسيف فرجة وليس من سخطه مجاز كما ليس بين الموت والحياة معه مجاز يغضبه الجرم الخفى ولا يرضيه العذر الجلى وتكفيه الجناية وهى ارجاف ثم لا يشفيه العقوبة وهى اجحاف حتى انه يرى الذنب وهو أضيق من ظل الرمح ويعمى عن العذر وهو أبين من عمود الصبح وهو ذو اذنين يسمع بهذه القول وهو بهتان ويحجب بهذه العذر وهو برهان وذو يدين يبسط أحدهما الى السفك والسفح ويقبض الاخرى عن العفو والصفح وذو عينين يفتح أحدهما الى الجرم ويغمض الاخرى عن الحلم فزحه بين القد والقطع وحده بين السيف والنطع ومراده بين الظهور والكمون وأمره بين الكاف والنون ثم لا يعرف من العقاب الاضرب الرقاب ولا من التأديب غير اراقة الدماء ولا يهتدى الا الى ازالة النعماء ولا يحلم عن الهفوة كوزن الهبوة ولا يغضى عن السقطة بجرم النقطة ثم ان النقم بين لفظه وقلمه والارض تحت يده وقدمه فلا يلقاه الولى الا بغمه ولا العدو الا بذمه فالارواح بين حبسه واطلاقه كما أن الاجسام بين حله ووثاقه

* (ومما ينتظم فى سلك هذا المقول مدح التراحم الراضى به أرباب العقول) *

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الراحمون يرحمهم الرحمن يوم القيامة ارحموا من فى الارض يرحمكم من فى السماء (وقال) عليه الصلاة والسلام لا ينزع الله الرحمة الا من قلب شقى * وقالوا من كرم أصله لان قلبه * وقيل من أمارات الكريم الرحمة ومن أمارات اللئيم القسوة (وقالوا) من شكر الظفر الصفح عن الذنوب والستر للعيوب (وفى الحديث) ان الله رحيم يحب من عباده الرحماء * وقال الاقرع بن حابس لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقد رآه يقبل الحسن ان لى عشرة أولاد ما قبلت أحدا منهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لا يرحم لا يرحم (وقال) مالك بن دينار ما ضرب الله عبدا بعقوبة أعظم من قسوة القلب ولا غضب الله على قوم الا نزع منهم الرحمة * وكان أبو بكر الصديق رضى الله عنه أشجع الناس اذا لقى الناس وأرحم الناس

اذا

اذا استحكم البأس ويقال أرق الناس قلوبا أقلهم ذنوبا (وقال) عمر ابن العزيز استدعوا العفو عن الناس والرحمة من الله بالرحمة لهم * وفي بعض الكتب المنزلة يقول الله تعالى ان كنتم تريدون رحمتي فارحموا عبادي * شاعر

ابغ للناس من الخير كما تبغي لنفسك
وارحم الناس جميعا * انهم أبناء جنسك

(الفصل الثاني من الباب الرابع عشر)
في ذكر من ظفر فعاقب بأشد العقوبة ومن راقب

لما ظفر رسول الله صلى الله عليه وسلم بعقبة بن أبي معيط أمر بصلبه الى شجرة فقال يا رسول الله أنا من بين قريش قال نعم قال فمن للصبية قال النار فصلب رواه أبو داود في مراسيله وغيره وقيل انه أول مصلوب صلب في الاسلام (وكان) النضر بن الحرث بن كلدة شديد العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان يوم بدر أخذ أسيرا فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله فقتله علي رضي الله عنه صبرا وذكر أن أخته قيلة بنت الحرث تعرضت لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالبيت فاستوقفته فوقف فأنشدته

يا راكبا ان الاثيل مظنة * من صبح خامسة وأنت موفق
أبلغ بها ميتا بأن تحية * ما ان تزال بها الركائب تخفق
مني اليك وعبرة مسفوحة * جادت لمائحها وأخرى تخنق
هل يسمعني النضر ان ناديته * ان كان يسمع ميت من ينطق
ظلت سيوف بني أبيه تنوشه * لله ارحام هنالك تمزق
قسرا يقاد الى المنية متعبا * رسف المقيد وهو عان موثق
أمحمد ولانت نجل كريمة * في قومها والفحل فحل معرق
ما كان ضرك لو مننت وربما * من الفتى وهو المغيظ المحنق
لو كنت قابل فدية لفديته * بأعز ما يغلو به من ينفق
فالنضر أقرب من قتلت قرابة * وأحقهم ان كان عتق يعتق

فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم شعرها رق لها وقال لو كنت سمعت شعرها من قبل ما قتلته (ولما) فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة أمر بقتل ستة نفر وأربع نسوة فأما النفر فعكرمة بن أبي جهل وهبار بن الاسود

وعبد الله بن أبى سرح ومقيس بن صبابة والحويرث بن نقيد وهلال بن عبد الله ابن خطل فأما عكرمة فانه هرب ثم أسلم وهرب هبار بن الاسود ثم أسلم بعد ذلك وكذلك عبد الله بن أبى سرح وأما مقيس بن صبابة فقتله غيلة وأما الحويرث فهرب فلقيه على بن أبى طالب فقتله وأما هلال بن عبد الله بن خطل فقتله عمار بن ياسر بين الركن والمقام * وأما النساء فهند بنت عتبة وسارية مولاة عمرو بن هشام وقينتا هلال بن عبد الله بن خطل كانتا تغنيان بهجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فاما هند فأسلمت وأما سارية فقتلها على رضى الله عنه وأما قينتا هلال فقتلت احداهما وأسلمت الاخرى (وقدم) اناس من عرينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فاسلموا وكانوا فى الصفة فقطنوا المدينة فسقمت أجسادهم فشكوا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ألا تخرجون مع راعينا فى ابله فتشربون من البانها وأبوالها قالوا بلى فخرجوا فشربوا الالبان والابوال فصحوا فلما صحوا قتلوا الراعى وارتدوا عن الاسلام واستاقوا الابل فجاء الصريخ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعث فى اثرهم فما ترحل النهار حتى أتى بهم فقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم وتركهم فى الحرة حتى ماتوا (وكان) عمرو بن هند من أشد ملوك العرب بأسا وأسوأهم قدرة وأعظمهم جراءة يذكر عنه أنه لما قتلت بنو تميم أخاه سعدا غضب وآلى على نفسه أنه متى ظفر بهم قتل رجالهم وسبى حريمهم فلما ظفر بهم أحمى لهم الصفا ومشى عليه من رجالهم من بلغ أجله فأتى بشاب ليمشى عليه كما فعل أصحابه وأقبلت أمه معه فلما رأت الصفا وشدة وهجه قطعت ثديها ورمت بهما على الصفا وقالت يا بنى ق بشديى قدمك وأقلل بوطئهما ألمك ثم أنشدت

ابنى لو قبل الفداء لجدت بالـ * كبد التى أضحت عليك تقطع
ياليت حر النار باشر مهجتى * أوليت خدى فوق خدك يلذع

فرق لها عمرو وأمر باطلاق ولدها واطلاق من بقى من قومها (وروى) ابن الكلبى عن أبيه قال أول من خرج من الحرم بعض اياد وتغلب وانتشروا فى أرض نجد فبعث اليهم الملك زيد بن برعش فغزاهم فابلى فيهم وأسر وسبى فلما قدم على الملك عرض الاسرى على السيف فقرب شابا من اياد ليقتل فاقبلت

امه وهي تقول

يا أيها الملك المغيث القاهر * الحلم يلزم حين يعفو القادر
هذا عبيدك مسلم بجريرة * بادي الضراعة أو منيق عاثر
ان تسط تسط محكما أو تعفون * فالذنب يغفره المليك الغافر
لاذوا بعفوك من عقابك بعدما * جردت لها منظومة وخناجر
فاصرف الى الابقاء عزمك فيهم * طولا فليس لهم مجير ناصر

فرق لها الملك وقال لها لك ما لانه خارك منهم فاقبلت تخطخارها شققا وتصل بعضها ببعض حتى ضم طرفاه مائة رجل أو أكثر فاستضحك الملك وأمر باطلاقهم وقتل الباقين *(ومن)* الحقد المستبشع والتشفي المستشنع ماذكره ابن حمدون في تذكرته عن عبد الله بن الزبير حين ظفر باخيه عمرو وكان يشايع بني أمية وهدم دور قوم بالمدينة في هواهم فلما ولي أخوه عبد الله الخلافة أخذه وأقامه للناس ليقتصوا منه فبالغ كل ذي حقد عليه في الاقتصاص وكان عبد الله لا يسأل أحدا ادعى عليه شيأ بينة ولا حجة وكان أرباب الحقوق يدخلون عليه السجن يضربونه والقيح ينضح من ظهره على الارض والحائط فلما لم يبق أحد من ذوي الحقوق أمر أن يرسل عليه الجعلان فكانت تدب عليه فتنقب لحمه وهو معقول لا يستطيع حركة حتى مات فدخل الموكل به على عبد الله وفي يده عس لبن يريد أن يصطربه وهو يبكي قال له امات قال نعم قال أبعده ثم تناول العس فشرب ما فيه وقال لا تغسلوه ولا تكفنوه وادفنوه في مقابر المشركين فدفن بها (وكان الحجاج) شديد الوطأة على الجناة ذكر أهل التاريخ أنه لما مات أحصي من قتل صبرا سوى من قتل في حروبه وسراياه فوجدوا مائة ألف وعشرين ألفا ومات في حبسه خمسون ألف رجل وثلاثون ألف امرأة منهن ست آلاف مخدرات وكان يحبس الرجال والنساء في موضع واحد ولم يكن لحبسه سقف يقيهم الحر والبرد وكان الحراس يحصبونهم اذا استظلوا من وهج الشمس وزمهرير البرد ولما أخرجوا بعد موته كان فيهم اعرابي فقيل له كم كان لك في السجن قال اثنتا عشرة سنة قيل له فما ذنبك قال بلت في ربض واسط ولما أطلق جعل يعدو وهو يقول

اذا نحن جاوزنا مدينة واسط * خربنا وبلنا لا نخاف عقابا

(وذكر) أهل التاريخ أيضا انه ركب يوم جمعة يريد الجامع فسمع ضجة عظيمة فقال ماهذا قالوا أهل السجن يشكون ماهم فيه فالتفت الى ناحيتهم وقال اخسؤا فيها ولا تكلمون فيقال انه مات فى تلك الجمعة بواسط سنة خمس وتسعين وهو ابن أربع وخمسين سنة * وآخر كلام سمع منه اللهم اغفر لى فان عبادك يظنون أن لا تفعل * وكانت مدة امرته على الناس عشرين سنة وفى الشهر الذى مات فيه ولد أبو جعفر المنصور وولى الخلافة فى ذى الحجة ايضا سنة ست وثلاثين ومائة ومات فى الشهر المذكور سنة ثمان وخمسين فكانت مدة خلافته اثنتين وعشرين سنة الا سبعة ايام (ولما) التقى مصعب بن الزبير بالمختار ابن أبى عبيد الثقفى هزمه وأسر من عسكره ستة آلاف وثمانمائة رجل فقتلهم صبرا بين يديه فى يوم واحد وهو ينظر اليهم وكانوا ألفا وثمانمائة من أشراف العرب وخمسة آلاف من الموالى (وكان) أبو مسلم الخراسانى ممن حذاه فى الفعل حذو النعل بالنعل أحصى من قتل فكان ستمائة ألف نفس وقد ذكرناه فيما سبق من الكتاب * وفيه يقول أبو جعفر حين قتل وقد وضعت رأسه بين يديه

زعمت أن الدين لا يقتضى * دونك فاستوف أبا مجرم

فاشرب بكأس كنت تسقى بها * أمر فى الحلق من العلقم

* ولما أسرف فى القتل وجد رقعة على المنبر فقرأها فاذا فيها اقتل ماعسى أن تقتل فلست تقدر أن تقتل قاتلك فكف (وبابك الحرمى) قتل فى حروبه التى كانت بينه وبين الاموين مائتى ألف ألف وخمسمائة ألف وخمسا وخمسين ألفا وكان ظهوره سنة احدى ومائتين فى خلافة المأمون واستمرت فتنته الى أيام المعتصم فارسل اليه العساكر فكانت الحرب بينه وبينهم دولا الى ان كانت الدائرة عليه فهزم عسكره وأسر وفتحت مدينته التى بناها ودخلها المسلمون واستباحوها فى أيام المعتصم سنة اثنتين وعشرين ومائتين وفيها فتحت عمورية وأحضر بين يدى المعتصم فأمر بقطع يديه ورجليه فلما قطعت لطخ بدمه وجهه حتى لا يرى فى وجهه أثر الجزع ثم أمر به فضربت رقبته وصلب وفى قتله يقول أبو عبادة البحترى من أبيات

لم يبق فيه خوف بأسك مطمعا * للطير في اخفاء ولا ابداء
أخليت منه البيد وهي قراره * ونصبته علما بسامراء
فتراه مطردا على أعواده * مثل اطراد كواكب الجوزاء
مستشرفا للشمس منتصبا لها * في أخريات الجذع كالحرباء

(وكان) بشر بن مروان شديدا على الجناة وكان اذا ظفر بجان أقامه على كرسي وسمر كفيه في الحائط ونزع الكرسي من تحت رجليه فلا يزال يضطرب حتى يموت (وقال الشعبي) ما رأيت في العمال مثل عبد الله التميمي كان لا يعاقب الا في دين الله وكان اذا أتى برجل نباش حفر له قبرا ودفنه فيه حيا واذا أتى برجل نقب في قوم جعل منقبته في صدره حتى تخرج من صدره واذا أتى برجل شهر سلاحا قطع يده فربما أقام أربعين لا يؤتى اليه بجان خوفا من سطواته (ودخل) شبل بن عبد الله على عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس السفاح بعد ما ولي الخلافة ووليها وهو ابن أربع وعشرين سنة في ربيع الآخر سنة اثنين وثلاثين ومائة وعنده ما ئتا رجل من بني أمية وهم جلوس معه على المائدة فقام مولى لبني العباس فأنشده

أصبح الملك ثابتا في أساس * بالبهاليل من بني العباس
طلبوا وتر هاشم فشفوها * بعد ميل من الزمان وياس
يا كريم المطهرين من الرجس * ويا رأس كل طود وراس
لا تقيلن عبد شمس عثارا * واقطعن كل رقلة وغراس
دلها أظهر التودد منها * وبها منكم كحز المواس
أقصهم أيها الخليفة واقطع * عنك بالسيف شأفة الارجاس
ولقد غاظني وغاظ سوايا * قربهم من نمارق وكراسي
أنزلوها بحيث أنزلها الله بدار الهوان والاتعاس
واذكروا مصرع الحسين وزيد * وقتيلا بجانب المهراس
والقتيل الذي بحران أضحى * ثاويا بين غربة وتناسي

وهما حمزة بن عبد المطلب وابراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس المنعوت بالامام فأمر بهم عبد الله فشدخوا بالعمد وبسطت البسط عليهم وجلس عليها ودعا بالطعام وانه ليسمع أنينهم وعويلهم فلما فرغ من طعامه قال ما أكلت

أكلة قط هي أهنأ ولا أمرأ ولا أطيب في نفسي من هذه ثم أخرج عمه عبد الصمد بن علي في طلب بني أمية في اقطار الارض ان وجد حيا قتله وان وجد مقبورا نبشه وأحرق من فيه حتى اتى دمشق فدخلها وقتل في جامعها يوم جمعة في شهر رمضان خمسين ألفا من بني أمية ومواليهم كانوا قد استجاروا بالجامع فلم يجرهم ولما وصل الى الرصافة أخرج هشاما من قبره فضرب مائة سوط وعشرين سوطا حتى تناثر لحمه وقال انه ضرب أبي ستين سوطا ظلما * وذكر الدوحي في كتابه بلغة الظرفاء في تاريخ الخلفاء سبب ذلك ان هشاما اتهمه بقتل سليط المنتسب الى أبيه عبد الله ففعل به ذلك (وقد) رأينا صوابا أن نذكر مقتل زيد المشار اليه في الابيات المتقدم ذكرها فالشيء بالشيء يذكر وان كان غير داخل فيما ترجمنا عليه في هذا الفصل وكان ظهوره في سنة ثنتين وعشرين ومائة بالكوفة وأرسل هشام الى محاربته يوسف بن عمر الثقفي فلما قامت الحرب بينهم على ساقها انهزم أصحاب زيد وبقي بجماعة يسيرة فقاتل أشد قتال وهو يقول

وذل الحياة وذل الممات * وكلا أراه طعاما وبيلا
فان كان لابد من واحد * فسيروا الى الموت سيرا جميلا

ولم يزل يقاتل حتى أصابه سهم في جبهته فمات مقتولا منه فدفنه أصحابه ثم دل يوسف على قبره فأخرجه وقطع رأسه وأرسله الى دمشق فعلق وصلب جثته عارية فتدلت سرته حتى سترت سوأته وذلك في السنة التي ظهر فيها ولم يزل كذلك الى أيام الوليد بن يزيد بن عبد الملك فامر بها فاحرقت * وفيه يقول حكيم بن عياش الكلبي يخاطب آل بني طالب من أبيات

صلبنا لكم زيدا على جذع نخلة * ولم أر مهديا على الجذع يصلب
وقستم بعثمان عليا سفاهة * وعثمان خير من علي وأطيب

ومات هشام سنة خمس وعشرين ومائة في ربيع الاول وله من العمر ست وخمسون سنة وكانت مدة خلافته تسع عشرة سنة وأشهرا واياما * والقتيل بجانب المهراس هو حمزة بن عبد المطلب وانما نسب قتله لبني أمية لان أبا سفيان قاد الجيوش يوم أحد لقتال المسلمين والمهراس ماء باحد قال المبرد وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم عطش في يوم أحد فجاءه علي

رضى الله عنه فى درقته بماء فعافه وغسل به الدم عن وجهه (ولما) زالت دولة بنى أمية كان آخرهم مروان بن الحكم المكنى بالحمار وهرب فتبعه صالح بن على الى بلاده مصر فقتله بقرية من قراها تسمى بوصير * ويحكى أنه لما قتل قدم رأسه بين يدى صالح فنقب فقطع لسانه فأخذه هر فقال صالح والله لو لم يرنا الدهر من عجائبه الا لسان مروان فى فم هر لكفانا معتبرا ثم أدخل عليه ابنتان لمروان فقالت كبراهما السلام عليك يا أمير المؤمنين قال لست بأمير المؤمنين فقالت السلام عليك أيها الامير فقال وعليك السلام فقالت لقد وسعنا عدلكم فقال اذا لا يبقى على وجه الارض منكم أحد انكم بدأتم بلعن على بن أبى طالب على منابركم فاستوجبتم اللعنة من الله وقتلتم الحسين بن على وسرتم برأسه فى الآفاق وقتلتم زيد بن على ونبشتموه وأحرقتموه بالنار وصلبتم يحيى بن زيد وأمرتم من بال على وجهه وقتلتم ابراهيم بن محمد الامام وهو أسير فى أيديكم ظلما وعدوانا قالت أيها الامير فليسعنا عفوكم قال أما هذا فنعم ثم أمر فرد عليها ما ذكرت انه أخذ لها وخلى سبيلها * وأنشد المهدى قول بشار بن برد فيه لما أنفق الاموال التى جمعها المنصور فى اللذات والشرب والغناء

بنى أمية هبوا طال نومكم * ان الخليفة يعقوب بن داود
ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا * خليفة الله بين الناى والعود

فخرج المهدى الى البصرة وما يريد غيره فلما صار بالبطائح من همذان مر بدار كان بشار على سطحها قائما فلما أحس بمرور المهدى عليه خاف أن يعرفه فاندفع بشار يؤذن فقال المهدى من هذا الذى يؤذن فى غير الوقت فقالوا بشار فقال على به فلما مثل بين يديه قال له يا زنديق هذا من بذائك تؤذن فى غير الوقت ثكلتك أمك فلو سكت لسانك ما عرف مكانك ثم امر بضربه بالسياط فضرب حتى مات فصلبه (وقال) ابن عبدوس فى كتابه الذى صنفه فى أخبار الوزراء فى سبب قتله انه هجا يعقوب بن داود وزير المهدى فصنع يعقوب على لسانه هجاء للمهدى ودخل عليه فقال يا أمير المؤمنين ان هذا الاعمى الملحد قد هجاك قال وما قال قال يعفينى أمير المؤمنين من انشاد ذلك فلم يزل به حتى أنشده

خليفة يزنى بعماته * يلعب بالدف وبالصولجان

أبدلنا الله به غيره * ودس موسى فى حرا لخيزران

فقال له وجه من يحمله فخاف يعقوب من أن يقدم على المهدى فيمدحه فيعفو عنه فوجه اليه من ألقاه فى البطائح وقيل بل دس عليه من قتله فى طريقه وقيل انما قتل على الالحاد وكان يرى رأى الثنوية وذلك فى سنة ثمان وستين ومائة * وفى المحرم سنة تسع ومائتين مات المهدى وله من العمر اثنان وأربعون سنة وخمسة عشر يوما * وكانت مدة خلافته عشر سنين وشهرا واحدا

(وممن شفى غيظه من العدو المخالف ولم يغض له عن ذنبه السالف)

الحجاج كان أيوب بن القرية قد خرج مع عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث الكندى كاتبا له لما خلع ربقة الطاعة وادعى الخلافة فحاربه الحجاج دفعات فكانت الدائرة عليه وأخذ أيوب مع من كان معه فلما قدم على الحجاج أسيرا قال له ما أعددت لهذا الموقف قال ثلاثة حروف كانهن ركب صفوف دنيا واخرى ومعروف فقال له الحجاج بئس ما منتك به نفسك يا ابن القرية أتراني ممن ينخدع بكلامك والله لانت أقرب الى الآخرة منك الى موضع نعلى هذه قال أقلنى عثرتى واسقنى ريقى فانه لا بد للجواد من كبوة وللحليم من هفوة فقال له أنت الى السطوة أقرب منك الى العفو عن الهفوة ألست القائل وأنت تحرض حزب الشيطان وعدو الرحمن تغدوا بالحجاج قبل أن يتعشى بكم ثم أمر بضرب عنقه فضربت وذلك فى سنة أربع وثمانين (ولما) انهزم عبد الرحمن ابن محمد بن الاشعث لحق سعيد بن جبير بمكة وكان قد خرج معه فأخذه خالد بن عبد الله القسرى فبعث به الى الحجاج فلما دخل سعيد على الحجاج قال له سعيد قال نعم قال ألم أقدم العراق واتهمت ان قام الموالى فلما بلغنى فقهك وحالك جعلتك امام قومك ووجدت عطاءك أربعين دينارا فبلغت بك سبعين دينارا قال بلى قال وسهلت اذنك قال بلى واستقضيت أبا بردة من أبى موسى وهو فقيه ابن فقيه فجعلتك وزيره وكاتبه وأمرته أن لا يقطع أمرا دونك قال بلى قال وأوفدت وفدا الى أمير المؤمنين فجعلتك مثلهم ولا يوفد مثلك فاستعفيتنى فأعفيتك وذلك كله بغير غضب من الحجاج ثم قال فما أخرجك على قال كانت لابن الاشعث فى عنقى بيعة فاستوى جالسا وقال يا عدو الله فبيعة أمير المؤمنين

كانت فى عنقك قبل بيعة عبد الرحمن يا حرسى اضرب عنقه فلما ضربت عنقه التبس على الحجاج عقله مكانه فجعل يقول قيود يا قيود يا قيود فظنوا أنه يطلب القيود التى على سعيد فقطعوا رجليه من انصاف ساقيه وأخذوا القيود وقد أورد القصاص هذه الحكاية على غير هذا النمط والصحيح هو هذا والله أعلم (ايقاع الرشيد بالبرامكة) لما ولى الرشيد الخلافة قال ليحيى بن خالد يا أبت قد قلدتك أمر الرعية وأخرجته من عنقى اليك فاحكم بما ترى واستعمل من رأيت وافرض لمن رأيت وأقطع من رأيت فانى غير ناظر معك فى شئ ثم ولى فى سنة ست وسبعين ومائة جعفر بن يحيى المغرب كله من الانبار الى أقصى بلاد افريقية وولى الفضل المشرق كله من النهروان الى أقصى بلاد الترك وكان يحيى يميل الى الفضل والرشيد يميل الى جعفر فكان يقول ليحيى أنت للفضل وأنا لجعفر وكان الرشيد يسمى جعفرا باخيه ويدخله معه فى ثوبه (ولما) وقع من جعفر الذنب لم يحتمله الرشيد ولا قدر على الاغضاء عنه وجعل يتردد فى اعمال الحيلة على البرامكة ولا يرى منهم ذنبا ظاهرا بينا يقتلهم به حتى لا يتوجه عليه لوم من الناس فى قتلهم لما كان بينه وبينهم من اتحاد الود فتكلم الرشيد يوما بكلمة نزع فيها جلساؤه كل منزع منهم من يحكى فى نوعها حكاية ومنهم من ينشد شعرا فأنشد بعضهم أبياتا فى غير المعنى الذى هم بصدده فكان سببا لامضاء عزمه فى الايقاع بهم يقول فيها

ليت هندا انجزتنا ما تعد * وشفت أنفسنا مما نجد
واستبدت مرة واحدة * انما العاجز من لا يستبد

فاستعاد الرشيد الابيات مرات فكان ذلك محرضا له على الايقاع بهم * وكان عندما تغير عليهم صرف الفضل عما كان بيده من ولاية الشرق أولا فأولا من سنة ثمانين الى سنة ثلاث وثمانين ولم يزل جعفر مع الرشيد على الحالة المرضية الى أن ركب فى يوم الجمعة مستهل صفر سنة تسع وثمانين الى الصيد وجعفر معه يسايره خاليا به وانصرف مقمسيا الى القصر الذى كان ينزله بالانبار فلما وصل اليه ضمه واعتنقه وقال لولا انى أريد الجلوس الليلة مع النساء لما فارقتك وسار جعفر الى منزله وواصله الرشيد بالالطاف الى وجه السحر فبعث اليه مسرورا الخادم ومعه سالم وابن عصمة فهجموا عليه وأخذه مسرور وضرب

عنقه ولقي الرشيد برأسه فانفذ الرشيد جثته الى بغداد وقطعت نصفين وصلبا على الجسرين (ولما) انصرف الرشيد من الرقة سنة تسع وثمانين الى بغداد مر بالجسر فرأى جثة جعفر فقال لئن مضى أثرك لقد بقي خبرك ولئن حط قدرك لقد علا ذكرك ثم أمر بها فاحرقت (ولما) قتل الرشيد جعفرا رحل الى الرقة وحمل معه يحيى وولده الفضل فحبسهما فيها بعد أن ضرب الفضل مائتي سوط ولم يجد ليحيى الا خمسة آلاف دينار وللفضل الا أربعين ألف درهم ولم يجد لجعفر ولا لاخيه موسى شيأ ووجد لمحمد بن يحيى سبعمائة ألف درهم (ويقال) انه وجد لجعفر فى قصره سركة فيها أربعة آلاف دينار وزن كل دينار مائة دينار مكتوب على أحد جانبي الدينار

وأصفر من ضرب دار الملوك * يلوح على وجهه جعفرا

وعلى الوجه الآخر

يزيد على مائة واحدا * اذا ناله معسر تيسرا

(ولما) أوقع الرشيد بالبرامكة وقتل جعفرا وحبس يحيى أباه والفضل أخاه كتب يحيى اليه من السجن من عبد أسلمته ذنوبه وأوبقته عيوبه وخذله رفيقه ورفضه صديقه فحل فى الضيق بعد السعة وعالج البؤس بعد الدعة فساعته شهر وليلته دهر قد عاين الموت وقارب الفوت فتذكر يا أمير المؤمنين كبر سني وضعف قوتي وارحم شيبتي وهب لى رضاك بعفو ذنب ان كان فان من مثلي الزلل ومن مثلك الاقالة وليس أعتذر الا باقراري حتى ترضى عني فان رضيت رجوت أن يظهر لك من عذري وبراءة ساحتي ما لا يتعاظمك ما مننت به علي من رأفتك ورحمتك زاد الله فى عمرك وجعل يومي قبل يومك (فرد عليه الرشيد من كتاب) ان أمير المؤمنين لم يأت على ولدك اللعين ومن رأيه ترك الباقين ولم يأمر بحبسك وهو يريد بقاء نفسك انما أخرك واياهم لتعالج البؤس بعد النعيم ثم تصير الى العذاب الاليم فابشر أيها المخادع الزنديق والمخالف الفسيق بما أعدلك أمير المؤمنين من تبديد شملك وخمول ذكرك واطفاء أمرك فتوقعه صباحا ومساء (ووقع الرشيد عليه) وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بانعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون

ثم تناساه هو وابنه الفضل فى سجن الرقة حتى ماتا فيه فمات يحيى فى المحرم سنة تسعين ومائة فجأة من غير علة وعمره أربع وستون سنة ومات الفضل فى شهر رمضان سنة اثنين وتسعين ومائة ولما بلغ الرشيد موته قال أمرى قريب من أمره وكذا كان فانه توفى بعده بخمسة أشهر فى المحرم سنة ثلاث وتسعين وقد بلغ من العمر سبعا وأربعين سنة * وكانت ولايته ثلاثا وعشرين سنة وشهرين وايا ما فانه ولى سنة سبعين ومائة * وكان الفضل ترب الرشيد ورضيعه أرضعته أم الفضل وأرضعت الفضل أم الرشيد (وذكر) ان الرشيد أقام يتردد فى قتل جعفر سنين لا تطاوعه نفسه فى قتله قال حسين الخادم أشهد بالله لقد رأيت الرشيد متعلقا باستار الكعبة قائلا فى مناجاته اللهم انى استخيرك فى قتل جعفر بن يحيى (ورثاهم) بعد موتهم من عامة الشعراء وغيرهم جم غفير وقد اخترنا أبياتا من أحاسن قصائدهم أردنا أن نبين فيها محاسن مقاصدهم (فمن ذلك) أبيات لاشجع الاسلمى

ولى عن الدنيا بنو برمك * ولو تولى الخلق ما زادا
كأنما أيامهم كلها * كانت لاهل الارض أعيادا

(آخر)

كأن أيامهم من حسن بهجتها * مواسم الحج والاعياد والجمع

(اخر)

يا بنى برمك واها لكم * ولايامكم المنقلة
كانت الدنيا عروسا بكم * فهى اليوم ثكول أرملة

(وفيهم يقول الصيف بن ابراهيم من أبيات)

هوت أنجم الجدوى وشلت يد الندى * وغارت بحور الجود بعد البرامك
هوت أنجم كانت لابناء برمك * بها يعرف السارى وجوه المسالك

(وللرقاشى)

ألان استرحنا واستراحت ركابنا * وأمسك من يجدى ومن كان يجتدى
فقل للمطايا قد أرحت من السرى * وطى الفيافى فدفدا بعد فدفد
وقل للمنايا قد ظفرت بجعفر * ولم تظفرى من بعده بمسود
وقل للعطايا بعد فضل تعطلى * وقل للرزايا كل يوم تجددى

(ويقال) انّ الذى سعى بهم هو على بن عيسى بن ماهان وذكر بعض المؤرخين انه وجد على باب على بن عيسى المذكور بعد قتل جعفر هذان البيتان ولا يعلم من كتبهما ولا من قائلهما

انّ المساكين بنو برمك * صبت عليهم نوب الدهر
انّ لنا فى أمرهم عبرة * فليعتبر صاحب ذا القصر

وكانت نكبته قريبا من نكبتهم كان الايقاع بهم بعد رجوع الرشيد من الحج فى المحرم سنة تسع وثمانين ومائة وعمر جعفر يومئذ خمس وأربعون سنة (وكانت مدة دولتهم سبع عشرة سنة وسبعة أشهر واياما (ولله) در أبى كلثوم بن عمرو العتابى حيث قال يعرّض بالبرامكة ويذكر عاقبة صحبة السلطان وأنّ ما للمتعلق بها من غدر الزمان أمان

تلوم على ترك الغنى باهلية * طوى الدهر عنها كل طرف وتالد
رأت حولها النسوان يرفلن فى الكسا * مقلدة أجيادها بالقلائد
أسرك أنى نلت ما نال جعفر * من الملك أو ما نال يحيى بن خالد
وأنّ أمير المؤمنين أغصنى * معصمها بالمرهفات البوارد
ذرينى تجينى ميتة مطمئنة * ولم تج أهوال بتلك الموارد
فان كريمات المعالى مشوبة * بمستودعات من بطون الاساود
وان الذى يرقى من المجد والعلا * ملقى بانواع الاذى والمكايد

(ولله) در المأمون اذ قال وكانه يعتذر عن ايقاع أبيه بالبرامكة وان لم يقصده لا يستطيع الناس ان ينصفوا الملوك من وزرائهم ولا يستطيعون أن ينظروا بالعدل بين ملوكهم وحماتهم وكفاتهم وذلك أنهم يرون ظاهر حرمتهم وخدمتهم ونصيحتهم ويرون ايقاع الملوك بهم ظاهرا ولا يزال الرجل يقول فى ذلك ما أوقع به الا رغبة فى ماله أو رغبة فيما لا تجود النفوس به أو الحسد أو الملالة وشهوة الاستبدال ولا والله ماهو هذا وانما هى لجنايات فى صلب الملك أو فى تعرض الحرم فلا يستطيع الملك أن يكشف للعامة موضع العورة ويحتج لتلك العقوبة بما يستحق ذلك الذنب فلا يستطيع الملك ترك عقابه لما فى ذلك من الفساد مع علمه بأن عذره غير مبسوط للعامة ولا معروف عند أكثر الخاصة (ومن التشفى الشنيع) ما حكى أن سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب

كان

كان يطعن على عبد الله بن المقفع أشياء كثيرة منها أنه كان يهزأ به و يسأله عن الشئ بعد الشئ تعنتا فاذا أجابه قال له أخطأت و يضحك منه فلما كثر ذلك عليه غضب وافترى عليه فقال له ابن المقفع يا ابن المغتلمة والله ما اكتفت أمك برجال العراق حتى نفذتهم الى رجال أهل الشام فحقدها عليه فآلى على نفسه ان أمكنه الله منه ليقتلنه شر قتلة فاتفق أن عيسى بن على أمر ابن المقفع أن ينطلق الى سفيان وكان اذ ذاك على شرطة بغداد برسالة كان المنصور أمره بها فقال له انى لا آمن سفيان فقال له انطلق اليه ولا تخف فانه لم يكن ليعرض ذلك وهو يعلم مكانك منى فلم يجد ابن المقفع بدا من امتثال أمر عيسى فذهب حتى أتى باب سفيان فاستأذن فأذن له وكان فى مجلسه العام فعدل به الى مقصورة ثم قام سفيان من مجلسه الى المقصورة فلما رأى ابن المقفع قال له وقعت والله فقال له أنشدك بالله تعالى فقال أمى مغتلمة كما قلت ان لم أقتلك قتلة لم يقتل بها أحد قبلك وأمر بتنور فسجر ثم أمر به فقطع عضوا عضوا ويلقى فى التنور وهو ينظر حتى لم يبق منه عضو متصل بعضو ثم قال يا ابن الزنديقة لا حرقنك بنار الدنيا قبل نار الآخرة ثم أمر به فأحرق بعد ذلك (وكان) رافع بن الليث خلع هرون الرشيد ولبس البياض وتغلب على بلاد ما وراء النهر وذلك فى سنة تسعين ومائة وكان على بن عيسى اذ ذاك على خراسان فحاربه فلم يقدر عليه فخرج الرشيد اليه من بغداد سنة ثلاث وتسعين فلما بلغ طوس مرض واشتد به المرض فلما كان يوم موته أخذ المرآة بيده فنظر فيها وجهه فرأى عليه غبرة الموت فقال انا لله وانا اليه راجعون فبينما هو فى تلك الحالة اذ دخل عليه أخو رافع بن الليث أسيرا فلما مثل بين يديه قال انى لارجو اذ لم تفتنى أن لا يفوتنى أخوك والله لو لم يبق من عمرى الا أن أحرك شفتى بقتلك لقلت اقتلوه ثم دعا بقصاب وقال له لا تشحذ مديتك وفصله عضوا عضوا وعجل لئلا يحضرنى أجلى وعضو من أعضائه فى جسده ففصله ثم جعله أشلاء ثم قال له اعدد ما فصلت منه فاذا هو أربعة عشر عضوا فرفع يديه وقال اللهم كما أمكنتنى منه فمكنى من أخيه ثم مات من ساعته (وكتب رجل) كان فى حبس المأمون اليه لما طال حبسه أغفلت يا أمير المؤمنين أمرى وتناسيت ذكرى ولم تتأمل حجتى وعذرى وقد مل من صبرى الصبر ومسنى من حبسك الضر فاجابه

المأمون ركوبك مطية الجهل صبرك أهلا للقتل وبغيك على وعلى نفسك نقلك عن سعة الدنيا الى قبر من قبور الاحيا ومن جهل الشكر على المنن قل صبره على المحن فاصبر على عواقب هفواتك وموبقات زلاتك على قدر صبرك على كثير جناياتك فان حصل فى نفسك كف عن معصيتى وعزم على طاعتى وندم على مخالفتى فلن تعدم مع ذلك جميلا من نيتى (ولما) ظفر أبو جعفر المنصور بعبد الله بن حسن قيده وحبسه فى داره فلما أراد المنصور خروجه الى الجيش جلست ابنة لعبد الله تسمى فاطمة على طريقه فلما بصرت به أنشدت

ارحم كبيرا سنه متهدما * فى السجن بين سلاسل وقيود
وارحم صغار بنى يزيد انهم * فقدوا الفقد لك لا لفقد يزيد
ان جدت بالرحم القريبة بيننا * ما جدنا من جدكم ببعيد

فلما سمع المنصور أبياتها قال أدركتنيه ثم أمر به فحدر فى المطبق فكان آخر العهد به * ويزيد المذكور فى شعر فاطمة هو أخو عبد الله بن حسن وأخذ عبد الله لاجل ولديه محمد وابراهيم وكانا قد خرجا على المنصور وغلبا على المدينة ومكة والبصرة فبعث المنصور اليهما عيسى بن موسى فقتل محمد بالمدينة وكان قتل ابراهيم ومحمد بين البصرة والكوفة فى رمضان سنة خمس وأربعين ومائة * وقال أبو بكر الخطيب مات عبد الله بحبس الكوفة يوم الاضحى سنة خمس وأربعين ومائة وهو ابن ست وأربعين سنة * وكان المنصور قل ما يظفر بأحد الا قتله سواء كان مستوجبا للقتل أو غير مستوجب وهذا كان فى أول خلافته فقال له عبد الصمد بن على قد ضخمت فى القتل والعقوبة حتى كان لم يسمع بالعفو فقال ان بنى أمية لم تبل رممهم وآل أبى طالب لم تغمد سيوفهم ونحن قوم رأونا بالامس سوقة واليوم خلفاء ولا تتمهد الهيبة فى صدورهم الا باطراح العفو عنهم واستعمال العقوبة فيهم (ومن عجائب الظفر) ما حكاه الصولى أن المتوكل قال ركبت الى دار الواثق أزوره فى مرضه فى اليوم الذى مات فيه ولم أدر بذلك فدخلت الدار وجلست فى الدهليز ليؤذن لى فسمعت بكاء نادبة بناحية تشعر بموته فتجسست واذا ايتاخ ومحمد بن عبد الملك الزيات يأتمران فى فقال محمد نلقيه فى التنور وقال ايتاخ بل ندعه فى الماء البارد حتى يموت ولا يرى عليه أثر القتل فبينما هما كذلك اذ جاء أحمد بن أبى دواد وكان

القاضى يومئذ فمنعه الخدام الدخول فدافعهم حتى دخل فجعل يحدثهما بما لا أعقله لما داخلنى من الخوف واشغال القلب باعمال الحيلة فى الهرب والخلاص مما ائتمرا به فى فبينا أنا كذلك اذ خرج الغلمان يتعادون الى ويقولون انهض يا مولانا فما شككت أنى أدخل وأبايع ولد الواثق وينفذ فى ما قرر فدخلت فلقينى ابن أبى دواد فقبل يدى وأمسكها الى أن صار بى الى السرير وقال اصعد الى المكان الذى أهلك الله له فلما صعدت وجلست سلم على بالخلافة وجاء محمد بن عبد الملك الزيات واتياخ فسلما على أيضا ثم استدعوا القواد فسلموا على ثم الناس على طبقاتهم فلما انقضت المبايعة بقيت متعجبا مما اتفق مع ما سمعته من كلام ابن الزيات واتياخ فسألت عن الحال وكيف جرت فقيل لى بينا محمد بن عبد الملك الزيات واتياخ فى تقرير ما سمعته اذ دخل عليهما ابن أبى دواد فسلم عليهما وعزاهما وقال انا رسول المسلمين اليكما وهم يقرؤن السلام عليكما ويقولون لكما قد بلغنا وفاة امامنا وعند الله نحتسبه وأنتما المنظور اليكما فى هذا الامر فمن اخترتما لامامتنا فقالا ابنه محمد فقال بخ بخ ابن أمير المؤمنين الا أنه صغير لا يصلح للامامة فمن غيره قالا فلان وفلان وعدا جماعة الى أن قالا وجعفر بن المعتصم فقال رضى المسلمون اصفقا على يدى فصفقا ثم أرسل الى أمير المؤمنين فكان ما رأى قال المتوكل فبقى ما قاله اتياخ وابن الزيات فى نفسى فقتلتهما بما احتزما عليه من قتلى فقتلت ابن الزيات فى التنور واتياخا بالماء البارد * وكان ابن الزيات قد اتخذ التنور لابن أسباط المصرى وهو صورة خابية مدورة وجعل لباطن جوانبه مسامير أطرافها الى داخل فاذا وقف فيه الواقف لا يستطيع الحركة الى جهة أخرى من جهاته الا ضربته المسامير فلا يزال قائما فيه حتى يموت فلما ألقى فيه ابن الزيات مر به عبادة المخنث فقال يا ابن الزيات أردت تخبز فى التنور فخبزت فيه قال المسعودى أقام ابن الزيات فى التنور أربعين يوما الى أن مات وكانت مدة وزارته للمتوكل أربعين يوما (وذكر) أن الجاحظ كان من خواص ابن الزيات فلما قبض عليه هرب الى البصرة فقيل له لم هربت قال خفت أن يقال لى ثانى اثنين اذ هما فى التنور وقتل ابن الزيات فى الرابع من صفر سنة ثلاث وثمانين ومائتين وكان قد وزر لثلاث خلفاء المعتصم والواثق والمتوكل ولما قبض عليه قال يا نفس

ألم يكفك التجارة واليسار والرغد من العيش حتى طلبت الوزارة وتعرضت للسباع فى غيلها ذوقى الآن ماجنيت على نفسك * ومات الواثق بسر من رأى سنة اثنتين وثمانين ومائتين وله من العمر ستة وثلاثون سنة وكانت مدة خلافته خمس سنين وتسعة أشهر وأياما (أتى الاسكندر) بسارق فأمر بصلبه فقال أيها الملك انى فعلت مافعلت وأنا كاره قال وتصلب أيضا وأنت كاره

(من راقب فى العقوبة رجاء الخلاص يوم الجزاء بالأعمال والقصاص)

قال الله تعالى ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون قال بعض المفسرين هذا وعيد للظالم وتعزية للمظلوم (كتب) عمر بن عبد العزيز الى عدى بن ارطاة اذا أمكنتك القدرة على المخلوق فاذكر قدرة الخالق عليك واعلم أن لك عند الله مالرعيتك عندك (وقال بعض الحكماء) اذكر عند القدرة قدرة الله عليك وعند الظلم عدل الله فيك (وفى المثل) كما تدين تدان (وقالوا) لا يندمل من المظلوم جراحه حتى ينكسر من الظالم جناحه (وقال أعرابى) لمن جار عليه لئن هملجت الى الباطل انك لعطوف عن الحق (وقال) عبيدة بن أبى لبابة من طلب عزا بباطل وجور أورثه الله ذلا بانصاف وعدل (وقال الشاعر)

لاتعالج ذا الذنب بالانتقام * واحترس من تباعة الآثام
فكرام الانام سيماهم العفو * وقديما عن الذنوب العظام

(أتى) سليمان بن عبد الملك برجل جنى جناية يجب عليه فيها التعزير لا غير فأمر بقتله فقال يا أمير المؤمنين اذكر يوم الاذان قال وما يوم الاذان قال اليوم الذى قال الله فيه فأذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين فبكى سليمان وأمر باطلاقه (أتى) الرشيد ببعض من خرج عليه فلما مثل بين يديه قال ماتريد ان أصنع بك قال الذى تريد أن يصنع الله بك اذا وقفت بين يديه أذل منى بين يديك فاطرق الرشيد مليا ثم رفع رأسه وقال اذهب حيث شئت فلما خرج قال بعض من حضر يا أمير المؤمنين تفنى مالك وتقتل رجالك حتى تظفر بمثل هذا الباغى وتطلقه بكلمة واحدة انا لا نأمن أن تتسلط عليك الاشرار بالاحسان اليهم فامر برده فلما مثل بين يديه علم انه قد أغرى به فقال يا أمير المؤمنين لا تطعهم فى فلو أطاع الله فيك خلقه ما استخلفك عليهم ساعة واحدة فأمر باطلاقه (أخذ) الحجاج محمد بن الحنفية بعد ما قتل عبد الله بن الزبير فقال بايع امير المؤمنين

عبـد الملك بن مروان قال اذا اجتمع الناس عليه كنت كاحدهـم قال والله لاقتلنك قال لعلك لاندرى قال مالى لاأدرى قال محمـد حدثنى أبى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله فى كل يوم ثلثمائة وستين لحظة يقضى فى كل لحظة ثلثمائة وستين قضـية فلعله أن يكفيك فى قضية من قضاياه فانتفض الحجاج وقال لقد لحظك الله فاذهب حيث شئت وخلى سبيله وكتب الحجاج بهذا الكلام الى عبـد الملك بن مروان ووافق ذلك كتاب ملك الروم الى عبـد الملك يتوعده ويهدده فكتب اليه عبد الملك بهذا الكلام فكتب ملك الروم اليه ماانت بابى عذرة هذا الكلام ماهذا الا كلام من أهل بيت نبوّة (وقال رجل) لامير غضب عليـه أسألك بالذى أنت بين يديه غدا أذل منى بين يديك اليوم وهو على عقابك أقدر منك على عقابى الا نظرت فى أمرى نظر من يرى برءى أحب اليه من سقمى وعدله فىّ أولى به من ظلمى فعفا عنه وأطلقه (ولما) هجم ابن حمران على مصر فى أيام المستنصر بالله واحرق دار الزيت وتخطف عسكره اجتمع الناس الى أبى الفضل الجوهرى الواعظ فشكوا حالهم اليه فكتب الى المستنصر ان كنت خالقـا فارحم خلقك وان كنت مخلوقا فخف خالقك والسـلام فرفع ذلك عنهم (غضب) محمد بن سليمان على رجل فأمر بطرحه فى القصر فقال له رجل اتق الله فىّ فقـال خلوا سبيله فانى كرهت ان أكـون كالذى اذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم (قدم) الى أحمد بن نصير مجوسى جنى جناية فأمر بضربه فقال أيها الامير اضرب بقدر ماتقوى عليه يريد بذلك القصاص فى الآخرة فتركه وترك العمل (واخذ) مصعب رجلا من أصحاب المختار بن أبى عبيدة فأمر بضرب عنقه فقال أيها الامير ما أقبح بك ان أقوم يوم القيامة الى صورتك هذه الحسنة ووجهك الذى يستضاء به وأتعلق باطرافك وأقول رب سل مصعبا فيم قتلنى قال اطلقوه فقال أيها الامير اجعل ماوهبت من حياتى فى خفض عيش قال اعطوه مائة ألف درهم فقال أيها الامـير اشهد أن لابن قيس الرقيات منها خمسين ألفا قال ولم قال لقوله فيك

انما مصعب شهاب من اللـّـه * تجلت عن وجهه الظلماء

ملكه ملك رأفة ليس فيه * جبروت كلا ولا كـبرياء

يتقى الله فى الامور وقد أفـلح من كان همه الاتقاء

فتبسم مصعب وقال ان فيك لموضعا للصنيعة وأمر بملازمة جنابه فلم يزل معه حتى قتل فى جمادى الاولى سنة اثنتين وتسعين وقتل أخوه عبد الله فى جمادى الاولى وكانت مدة خلافته تسع سنين واثنين وعشرين يوما وماتت أمه أسماء بعده بخمسة أيام لم تشب ولم يقع لها سن ولها من العمر مائة سنة واسم ابن قيس الرقيات عبد الله وانما عرف أبوه بقيس الرقيات لانه تشبب فى شعره بثلاث نسوة اسم كل واحدة منهن رقية وقيل اجتمع فى جداته ثلاث رقيات وعلى القول الاول يقال الرقيات بالضم على الصفة وقيس بالتنوين وعلى الثانى يقال قيس الرقيات بالكسر على الجدات وأما الرقيات اللاتى شبب بهن فنهن رقية بنت عبد الله بن جعفر وفيها يقول

زودتنا رقية الاحزانا * يوم جازت حولها سكرانا

ورقية بنت عبد الواحد بن قيس وفيها يقول

أمست رقية دونها العمر * فالرقة السوداء فالبشر

ورقية بنت الحسن وهى ابنة عم رقية بنت عبد الواحد وفيها يقول

اتكنى عن رقية أم تبوح * ومن تبع الهوى حينا فضوح

(الفصل الثالث من الباب الرابع عشر)

فى أن الانتقام بحدود الله خير فعلات من حكمه الله وولاه

قال الله تعالى تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون (وروى) أبو داود فى مراسيله التى أخرجها فى سننه عن مكحول عن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقيموا الحدود فى السفر والحضر على البعيد والقريب ولا تبالوا فى الله لومة لائم (وروى) أبو هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال حد يقام فى الارض خير لاهلها من مطر أربعين صباحا (وقال) الحسن البصرى رحمه الله تعالى ان الله تعالى أنزل الحدود ليزجر بها عن الخبائث والفواحش وأنزل القصاص حياة لعباده فاقتصوا وحدوا ولا تخافوا فى الله لومة لائم ولا يحل لاحد أن يشفع فى اسقاط حد من حدود الله تعالى ولا يجوز للمشفوع اليه أن يشفع فيه لما روى عبد الله بن عمر رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من حالت شفاعته دون حد من حدود الله تعالى فقد ضاد الله تعالى

(نعما) وردعن ذوى البصائر والاحلام فى كنه مشروع الايقاع والايلام (قال) رسول الله صلى الله عليه وسلم لا جلد فوق عشر جلدات الا فى حد من حدود الله عز وجل (وقال) عليه الصلاة والسلام ادرؤا الحدود بالشبهات قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه أوقفوا الحدود ما وجدتم موقفا ولأن يخطئ الامام فى العفو خير من أن يخطئ فى العقوبة فاذا وجدتم مخرجا للمسلم فادرؤا عنه الحدود (وقال) بعض الحكماء رب ذنب مقدار العقوبة فيه اعلام المذنب بما جنى لا يتجاوز حد الارتفاع الى حد الايقاع (وقيل) لحمة بن رافع الدوسى من أعدل الناس قال من عفا اذا قدر وأجمل اذا انتصر ولم يطغه غير الظفر (ويحكى) أن جعفر بن محمد الصادق قال لابى جعفر المنصور وقد غضب على رجل فاسرف فى عقوبته أعيذك بالله يا أمير المؤمنين أن تغضب لله سبحانه باكثر مما غضب به لنفسه ان الله تعالى يقول يوم القيامة للمنتقم فوق حقه لم عاقبت عبدى بأكثر مما حددته فيقول يارب انما غضبت لك فيقول الله سبحانه أكان غضبك ان يكون فوق غضبى (وقال) أبو الدرداء لرجل اسمع كلاما ياهذا لا تغرقن فى سبنا ودع للصلح موضعا فانا لا نكافئ من عصى الله فينا باكثر من أن نطيع الله فيه (وقال) بعض الحكماء ان الحق ثقيل فمن قصر فيه عجز ومن جاوزه ظلم ومن انتهى اليه اكتفى (أتى المأمون) برجل وجب عليه حد فأمر بضربه فقال يا أمير المؤمنين قتلتنى قال الحق قتلك قال ارحمنى قال ما أنا بأرحم من الذى أوجب الحد عليك (وقالوا) جماع الخير كله فى القيام بحدود الله (تقدمت) امرأة الى ابن الزيات وكان قد حبس ابنها فى دم فاستغاثت فنهرها وزوى وجهه عنها فقال بعض من حضر ارحمها أيها الوزير انها أمه قال افلا أرحم أم المقتول (شاعر)

اذا عفا لم يك فى عفوه * من به كدر نعماه
وان سطا عاقب ذا زلة * بقدره لا يتعداه

(وقال) اكثم بن صيفى لا تعاقب على الذنوب فوق عقوبتها فان الله تعالى أقدر منك على عدوك (وقال) سرى السقطى خصلة من أعلام الاسلام وقواعد الايمان من اذا قدر لم يتناول ما ليس له (وقالوا) العفو احتمال الذنب الذى لا يكون عن عمد ولا يفضى الى حد ولا ينقض سنة ولا يولد جرأة فاما الذى

يرتكب عمدا ويوجب حدا فالاحتمال له ترخيص فى الذنوب والتجاوز عنه ابطال للحدود وذلك مالا تحتمله السياسة ولا تطلقه الشريعة فمن عفا عمن يستوجب الحد كان كمن عاقب من يستحق المثوبة

(ذكر) الحدود التى أوجبها الله تعالى على من أفرط فى ارتكاب الفواحش وتغالى (الحدود) وضعها الله سبحانه للردع عن ارتكاب ماحظر وترك ما أمر فلا تقام الا بعد سماع بينة أو اقرار فان لم تكن بينة أحلف الخصم وذلك فى حقوق الآدميين وهى نوعان حد وتعزير والحد أنواع حد زنا وحد سكر وحد سرقة وحد قذف (فحد الزنا) وهو أكبر الكبائر يثبت بأحد أمرين اما باقرار أو بينة والبينة أربعة شهداء يشترط فى قبول شهادتهم رأى العين للمباضعة وفى جواز تعمد النظر خلاف وحد الرؤية أن يرى من شهد تغييب البالغ العاقل حشفة ذكره فى احد الفرجين لا عصمة بينهما ولا شبهة *والزانى نوعان بكر ومحصن ويجلد الفاعل فى البكر ان كان حرا بالغا عاقلا عالما بالتحريم مائة سوط على سائر أعضائه دون الوجه والرأس والخاصرة وسائر الاعضاء المخوفة ويغربان كلاهما وقال مالك بتغريب الرجل دون المرأة وقال أبو حنيفة لا يغرب والتغريب عام مسافة القصر وحد الكافر غير الحربى والمسلم فى الجلد والتغريب سواء وحد العبد على النصف من حد الحر ويغرب نصف عام فى أحد القولين وقال مالك لا يغرب لما فى تغريبه من الاضرار بسيده فاما المحصن فهو الذى أصاب وطأ محرما بعد نكاح وحده الرجم بالحجارة حتى يموت ولا يلزم الراجم توقى مقاتله ولا يجلد فان رجم بالبينة رجم فى حفير يمنعه من الهرب وان هرب أتبع بالرجم حتى يموت وان رجم باقراره لم يحفر له وان هرب لم يتبع واذا تاب الزانى بعد القدرة عليه لم يسقط عنه الحد (حد السرقة) والسرقة أخذ مال من حرز بلغت قيمته نصابا اذا سرقه بالغ عاقل مختار لا شبهة له فى المال ولا حرزه فحده قطع يده اليمنى من مفصل الكوع والنصاب ربع دينار أو ما قيمته ربع دينار وهو عشرة دراهم عند الشافعى وثلاثة دراهم عند مالك والاحراز يختلف باختلاف الاموال واذا قطع السارق والمال باق رد على مالكه وان سرقه ثانية قطع وقال أبو حنيفة لا يقطع فى مال مرتين وان عفا رب المال عن القطع لم يبطل ويستوى

فى قطع السرقة الرجل والمرأة والحر والعبد والمسلم والكافر * واذا سرق ثانيا قطعت رجله اليسرى فان سرق ثالثا قطعت يده اليسرى فان سرق رابعا قطعت رجله اليمنى وان سرق خامسا لم يقتل بل يعزر لانها معصية ليس فيها حد ولا كفارة * واذا تلف المسروق فى يد السارق ضمن بدله وقطع لان الضمان يجب بحق الآدمى والقطع يجب لله فلا يمنع أحدهما الآخر كالدية والكفارة ولا يقطع صبى ولا مجنون ولا عبد سرق من مال سيده ولا والد سرق من مال ولده ولا ولد سرق من مال والده أو جده لان لكل واحد منهما شبهة فى مال الآخر (حد الخمر) كل ما أسكر كثيره من خمر أو نبيذ حد شاربه سواء أسكر أولم يسكر اذا كان مكلفا * والسكر ما زال معه العقل حتى لا يفرق بين السماء والارض ولا بين الطول والعرض هذا قول أبى حنيفة وقيل هو أن يجمع بين اضطراب الكلام فهما وافهاما وبين اضطراب الحركة مشيا وقياما (ويحكى) أنه لما جلس أبو بكر محمد بن أبى داود الاصفهانى الظاهرى بعد أبيه يفتى استصغروه فدسوا اليه رجلا وقالوا له سله متى يكون الشارب سكران فسأله الرجل فقال اذا عرت عنه الهموم وباح بسره المكتوم فعلم بهذا الجواب موضعه من العلم (وقال آدم بن عبد العزيز فى حده)

شربنا الشراب الصرف حتى كأننا * نرى الارض تمشى والجبال تسير
اذا مر كلب قلت قد مر فارس * وان مر هر قلت ذاك بعير
تسايرنا الحيطان من كل جانب * نرى الشخص كالشخصين وهو صغير

* والحد فى حق الحر أن يجلد أربعين بالايدى أو باطراف الاكمام أو بالسوط ويبكت بالقول الممض والكلام الرادع وحد العبد على النصف من حد الحر كذا جلد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وصدرا من خلافة عمر فقال للصحابة أرى الناس قد انتهكوا فى شرب الخمر فما ترون فقال على رضى الله عنه أرى أن يجلد الحر ثمانين والعبد أربعين ففعل ذلك فلما لم يكن بد من اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل الفقهاء الاربعين الاولى حدا والثانية تعزيرا لاجل الافتراء لان الشارب اذا سكر عربد واذا عربد افترى واذا افترى استحق التعزير فان مات فى الاربعين كانت نفسه هدرا وان مات فى الثمانين ففيه قولان أحدهما جميع الدية لتجاوزه النص

فى حده وهو الاربعون والثانى نصف الدية لان نصف حده نص والآخر مزيد (وحد القذف) ثمانون جلدة اجماعا وهو من حقوق الآدميين يستحق بالطلب ويسقط بالعفو ويعتبر فى المقذوف خمس شروط البلوغ والحرية والعقل والاسلام والعفة وان كان غير ذلك لا يحد قاذفه بل يعذر لاجل الاذى * وشرط القاذف أن يكون بالغا عاقلا حرا وان كان صغيرا أو مجنونا فلا يحد ولا يعزر وان كان عبدا حد أربعين لنقصه بالرق ويستوى فى الحد المسلم والكافر والمرأة ولا يحد القاذف بالسرقة والكفر بل يعزر لاجل الاذى * والقذف بالزنا ما كان بالتصريح لا بالتعريض وقيل بالتصريح والتعريض وهو مذهب مالك وقيل لا حد فى التعريض وهو مذهب الشافعى (والتعزير) هو تأديب على ذنوب لم تشرع فيها الحدود ولا يبلغ به أدنى الحد فلا يبلغ به فى الحر الى الاربعين ولا فى العبد الى العشرين فالذى لم تشرع فيه الحدود كمباضعة الاجنبية فيما دون الفرج وسرقة ما دون النصاب والسرقة من غير حرز والقذف بغير الزنا أو الجناية التى لا قصاص فيها * ويجوز أن يكون التعزير بالعصا وبالسوط وهو على حسب ما يراه الامام ويختلف باختلاف الذنب وحال فاعله كقوله عليه الصلاة والسلام أقيلوا ذوى المروآت عثراتهم الا فى الحدود فيعزر من جل قدره بالاعراض عنه ويعزر من دونه بالتعنيف ويعزر من دونه بزواجر الكلام ويعزر من دونه بالضرب وحالهم فى الحبس كذلك من يوم الى غاية غير مقدورة * ويجوز فى التعزير العفو عنه اذا لم يتعلق به حق لآدمى كالشتم والضرب وان عفا المشتوم أو المضروب كان ولى الامر مخيرا بين التعزير تقويما أو العفو صفحا وان تعافوا قبل الترافع اليه كان ولى الامر مخيرا (والجنايات) هى قود وعقل * والجنايات على النفوس ثلاثة عمد محض وخطأ وشبه عمد (أما العمد المحض) فهو أن يتعمد رجل قتل انسان بما يقتل غالبا ففيه القود أو الدية * والقود أن يقتل القاتل بمثل ما قتل به المقتول اذا قتل بالسيف لم يقتص منه الا بالسيف وان أحرقه أو اغرقه أو رماه بحجر أو رماه من شاهق أو ضربه بخشبة أو حبسه ومنعه الطعام والشراب فمات فللولى أن يقتص بذلك لقوله تعالى وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به * والدية فى هذا القتل مائة من الابل فى مال القاتل حالة فان أعوزت الابل وجب قيمتها بلغت ما بلغت وقيل ألف دينار

أو اثنا عشر ألف درهم وأول من سن الدية مائة من الابل عبد المطلب * وحكم القود فيه أن يفضل القاتل على المقتول بحرية أو اسلام فلا يقتل حر بعبد ولا ذكر بأنثى ولا مسلم بكافر وهو مذهب مالك والشافعي فان قتل حر عبدا فلا قود وكذا لو قتل مسلم كافرا وقال أبو حنيفة يقتل المسلم بالكافر والحر بالعبد كما يقتل العبد بالحر والكافر بالمسلم ويقاد الرجل بالمرأة والمرأة بالرجل والكبير بالصغير والعاقل بالمجنون مراعاة لقول الله تعالى ان النفس بالنفس وقال المخالف له هذه الآية واردة بحكاية ما كتب في التوراة على أهلها والذي خوطب به المسلمون كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى ولا يقاد والد بولد ويقاد الولد بالوالد والاخ بالاخ (وأما الخطأ) الظاهر فهو ان ينسب اليه الفعل من غير قصد لايقاع الفعل بالمقتول كرجل رمى هدفا فأصاب انسانا أو ركب دابة فرمحت بانسان فمات فهذا وما أشبهه اذا حدث عنه القتل قيل فيه خطأ محض تجب فيه الدية دون القود على عاقلة الجاني في ماله مؤجلة تؤخذ من حين يموت المقتول في ثلاث سنين اخماسا عشرون خلفة وهي التي مضى عليها سنة وخلفت عن أمهاتها وعشرون بنت مخاض وهي التي مضى لها من العمر سنتان وعشرون بنت لبون وهي التي مضى لها من العمر ثلاث سنين وعشرون حقة وهي التي مضى لها من العمر أربع سنين وسميت حقة لانها استحقت أن يحمل عليها وعشرون جذعة وهي التي مضى لها من العمر خمس سنين ولا يتحمل القاتل مع العاقلة شيأ من الدية ولا يتحملها الاب وان علا ولا الابن وان سفل لانهما ليسا من العاقلة * وعلى القاتل خطأ مع الدية عتق رقبة مؤمنة سليمة من العيوب فانه لما أخرج نفسا مؤمنة من جملة الاحياء لزمه أن يدخل نفسا مثلها في جملة الاحرار لان اطلاقها من قيد الرق كاحيائها من قتل لان الرقيق ممنوع من تصرف الاحرار ومن لم يجد رقبة ولا ما يتوصل به اليها فعليه صيام شهرين متتابعين (ودية نفس الحر المسلم) ألف دينار وان كانت ورقا اثنا عشر ألف درهم وان كانت ابلا بمائة من الابل وهي أصل الدية ودية المرأة على النصف من دية الرجل في النفس والاطراف ودية اليهودي والنصراني ثلث دية المسلم وقال مالك نصفها ودية المجوسي ثلثا عشر دية المسلم ودية العبد قيمته وان

زادت على الحز أضعافا (وأما شبه العمد) فهو ان يكون عامدا فى الفعل غير قاصد للقتل كمعلم أدب صبيا فمات أو عزر السلطان رجلا على ذنب فتلف فلا قود فى القتل وفيه الدية على العاقلة وهو ان يزاد عليها بثلثها تؤخذ فيها ثلاثون حقة وثلاثون جذعة وأربعون خلفة * والعاقلة هم العصبات الذين يرثون بالنسب والولاء واذا اشترك جماعة فى قتل رجل واحد وجب القود على جميعهم وان كثروا ولولى الدم أن يعفو عمن شاء منهم ويقتل باقيهم وان عفى عن جميعهم فعليهم دية واحدة تقسط عليهم بالسوية وان كان بعضهم جارحا وبعضهم ذابحا فالقود فى النفس على الذابح الموفى والجارح مأخوذ بجراحته * واذا قتل الواحد جماعة قتل بالاول ولزمه القود فى الباقين وتؤخذ دياتهم من ماله * والقود فى الاطراف كما قال الله تعالى وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن والجروح قصاص ولا تقاد يمنى بيسرى ولا صحيحة بشلاء ولا ضرس بسن ولا ثنية برباعية ولا لسان ناطق بلسان أخرس لانه أكثر من حقه ويؤخذ الاخرس بالناطق وما انقسم الى أعلى وأسفل لم يؤخذ الاعلى بالاسفل ويقاد الشريف بالدنىء

(ما الدية فيه كاملة من جوارح الانسان وحواسه)

العقل الاذنان السمع على حدله العينان البصر على حياله الاجفان الاهداب على حيالها الانف الشم على حياله الشفتان النطق على حياله الاسنان اللسان الذوق على حياله اللحيان اليدان الاصابع على حيالها الصلب قوة الامناء الاليتان الذكر الانثيان ابطال شهوة الجماع على حيالها الرجلان منفعة المشى والبطش من غير قطع اليدين والرجلين سلخ جميع الوجه نزع لحم الاكتاف نزع جميع اللحم النابت على الظهر

(ما تختص به المرأة دون الرجل)

الثديان وفى الرجل خلاف الشفران الافضاء * ويجب فى كل جفن ربع الدية وفى كل سن خمس من الابل وكذلك فى الاضراس والرباعيات وفى كل اصبع من اليد أو الرجل عشر الدية لا يفضل اصبع على اصبع وفى كل انملة ثلث عشر الدية ما خلا الابهام فان فى كل انملة منه نصف العشر (واذا) وجب القود فى نفس أو طرف لم يكن لوليه أن ينفرد باستيفائه الا باذن السلطان

وان صار الى حقه من غير اذن السلطان فلا شئ عليه واذا تعذر وخاف فوات القاتل فالولى مخير بين أن يعفو أو يقتل أو يأخذ الدية وذلك مما خص الله به هذه الامة وذلك ان الله كتب على أهل التوراة القصاص وحرم عليهم العفو وأخذ الدية واوجب على أهل الانجيل العفو وحرم عليهم القصاص وأخذ الدية (المحاربون) وهو اجتماع جماعة على شهر السلاح وقطع الطريق وأخذ الاموال ومنع السابلة فالحكم فيهم كما قال الله تعالى انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الارض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الارض وحكم هذه الآية أنها مرتبة باختلاف أفعالهم لا باختلاف صفاتهم فمن قتل وأخذ المال قتل وصلب ومذهب مالك وأبى حنيفة أن يصلب حيا ثم يطعن بالرماح حتى يموت ولا باس أن يطعم ويسقى ولا يجوز العفو عن هذا القتل وان عفا ولى الدم ومن قتل ولم يأخذ المال قتل ولم يصلب ومن أخذ المال ولم يقتل قطعت يده اليمنى للسرقة ورجله اليسرى للمجاهرة باخافة السبيل ومن هيب ولم يقتل ولم يأخذ المال عزر لا غير ونفى (والنفى) هو الحبس وهو قول مالك وأبى حنيفة وقال الشافعى هو أن يطلبوا الاقامة الحدود فيبعدوا فان تابوا اسقطت عنهم الحدود وقيل الامام مخير بين هذه العقوبات فى كل قاطع طريق من غير تفصيل * وتوبة المحارب قبل القدرة عليه فان لم يكن فى منعة وضع عنه الحد الالهى ولا يسقط عنه حد الآدمى وقال مالك توبة المحارب قبل القدرة عليه تضع عنه جميع الحدود والحقوق الا الدماء والله أعلم

(الباب الخامس عشر فى الاخوة وفيه ثلاث فصول)

(الفصل الاول من هذا الباب)

(فى مدح اتخاذ الاخوان فانهم العدد والاعوان)

(قال) الله تعالى حكاية عن قول الكفار فى دركات النار فى طلبهم الاغاثة من الصديق على ازالة ما مسهم من عذاب الحريق او تخفيف ما نالهم من العذاب الاليم فما لنا من شافعين ولا صديق حميم (قيل) انما سمى الصديق صديقا لصدقه فيما يدعيه من المودة وسمى العدو عدوا لعدوه عليك اذا ظفر بك (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثروا من الاخوان فان الله حى كريم يستحى أن

يعذب عبده بين اخوانه (وقال) عليه الصلاة والسلام المرء كثير بأخيه (وقال) عليكم باخوان الصدق فانهم معونة على حوادث الزمان وشركاء فى السراء والضراء وما أحسن قول من قال

مادامت النفس على شهوة * الذمن وذ صديق أمين
من فاته ود أخ صالح * فذلك المقطوع منه الوتين

(وقيل لحكيم) ما أحسن العيش قال اقبال الزمان وعشرة السلطان وكثرة الاخوان

ماضاع من كان له صاحب * يقدر أن يرفع من شانه
وانما الدنيا بسكانها * وانما المرء باخوانه

(ولعلى كرم الله وجهه فى معناه)

عليك باخوان الصفاء فانهم * عماد اذا استنجدتهم وظهور
وليس كثيرا ألف خل وصاحب * وان عدوا واحدا لكثير

(وقال) المغيرة بن شعبة التارك للاخوان متروك (ويقال) الرجل بلا أخ كشمال بلا يمين وقال الشاعر

وما المرء الا باخوانه * كما يقبض الكف بالمعصم
ولا خير فى الكف مقطوعة * ولا خير فى الساعد الاجذم

(وقالوا) من لم يرغب فى الاخوان بلى بالعداوة والخذلان (وقالوا) اتخاذ الاخوان مسلاة للاحزان (وقالوا) مثل الصديق كاليد توصل باليد والعين تستعين بالعين (الثعالبى) الحاجة الى الاخ المعين كالحاجة الى الماء المعين * وقال الصديق ثانى النفس وثالث العينين * وقال فى لقاء الاخوان روح الجنان وراحة الجبان * وقال لا فاكهة أطيب من مفاكهة الاخوان ولا نسيم أروح من مناسمة الخلان * وقيل لبعضهم ايما أعز عليك شقيقك أم صديقك قال شقيقى اذا كان صديقى (وقالوا) الاخ الصالح خير لك من نفسك لان النفس أمارة بالسوء والاخ الصالح لا يأمرك الا بالخير (ولم يقل) فى احتياج الانسان الى صديق يزينه فى المشاهد ويعينه على بلوغ المقاصد مثل قول الفقيه منصور

لولا صدود الصديق عنى * ما نال واش مناه منى
ولا أدمت البكاء حتى * قرح فيض الدموع جفنى

وما

وماجفاء الصديق الا * هجوم خوف عقيب أمن

(وقالوا) اصطف من الاخوان من كان ذا عقل موفور يهتدى به الى مراشد الامور فان الاحمق لا يثبت له وصال ولا يدوم لصاحبه على حال (وقالوا) اصطف من الاخوان ذا الدين والحسب والرأى والادب فانه ردء لك عند حاجتك وركن عند نائبتك وأنس عند وحشتك وزين عند عاقبتك (وقال حسان بن ثابت رضى الله عنه)

أخلاء الرجال هموكثير * ولكن فى البلاء هموقليل

فلا يغررك خلة من تصافى * فمالك عند نائبة خليل

وكم خل يقول أناوفى * ولكن ليس يفعل مايقول

سوى خل له حسب ودين * فذالك مايقول هو الفعول

(وقد صرح الشاعر فى اعتبار الاخلاق واختبار الاعراق) بقوله

واذا جهلت من امرئ أعراقه * وذكرتها فانظر الى مايصنع

ان النبات اذا استدام به الثرى * مرج النبات به فطاب المرتع

(آخر)

صافى الكريم نخير من صافيته * من كان ذا شرف وكان عفيفا

ان الكريم اذا تضعضع حاله * فالخلق منه لايزال شريفا

(وقال على رضى الله عنه الاخ رقعة فى ثوبك فانظر بم ترقعه (وقال العتابى) لاتستكثرن من الاخوان الا ان كانوا أخيارا فان الاخوان غير الاخيار بمنزلة النار قليلها امتاع وكثيرها ابوار وقد قال الشاعر

لاتركنن الى أهل الزمان ولا * تأمن الى أحد واستشعر الحذرا

فان شككت فجرب من تعاشره * حتى يقول لك التجريب كيف ترى

(آخر)

تخير من الاخوان كل ابن حرة * يسرك عند النائبات بلاؤه

وقارن اذا قارنت حرا فانما * يزين ويزرى بالفتى قرناؤه

(عدى بن زيد)

اذا كنت فى قوم فصاحب خيارهم * ولاتصحب الاردى فتردى مع الردى

عن المرء لاتسأل وسل عن قرينه * فكل قرين بالمقارن يقتدى

(آخر)

لا تك للجاهل خدنا فقد * يعتبر الصاحب بالصاحب
علامة الانسان فى خدنه * تبين للشاهد والغائب

(ولبعضهم)

اذا اخترت أن يبقى لك الدهر صاحبا * فمن قبل أن يصفو لك الود فاغضبه
فان كان فى حال التباغض راضيا * والا فقد جربتــــه فتجنبه

(قال ابن مسعود) ما شئ أدل على شئ ولا الدخان على النار من الصاحب على الصاحب (وقال حكيم) كل انسان يأنس الى شكله كما أن كل طير يطير مع جنسه (ومن النوادر) أن حكيما رأى غرابا مع حمامة فعجب من تألفهما مع مباينتهما فى الجنس فأثارهما فاذا كل منهما مكسور الجناح فقال انما جمع بينهما العلة (وقالت الحكماء) الاضداد لا تتفق والاشكال لا تفترق (وقالوا) على قدر تشاكل الاجناس تتألف قلوب الناس وأقربهما مشاكلة أحسنهما مواصلة واكثرها تنافرا أطولها تهاجرا (وحكى) أن عبد الله بن جعفر جاء مكة ليلا فبات خارجها فلما أصبح دخلها فقال يا أهل مكة عرفنا أخياركم من أشراركم فى ليلة واحدة نزلنا ومعنا أخيار وأشرار فنزل أخيارنا على أخياركم وأشرارنا على أشراركم وقد نظم المتنبى هذا القول فى بيت واحد فقال

وشبه الشئ منجذب اليه * واشبهنا بدنيانا الطغام

(ولغيره)

لكل امرئ شكل من الناس مثله * وأكثرهم شكلا أقلهم عقلا
وكل أناس يألفون لشكلهم * وأكثرهم عقلا أقلهم شكلا
لان كثير العقل ليس بواحد * له فى فريق كل حين له مثلا

(آخر)

وقائل كيف تهاجرتما * فقلت قولا فيه انصاف
لم يك من شكلى ففارقته * والناس أشكال والاف

(وقال الجاحظ) من شأن الاجناس أن تتواصل ومن عادة الاشكال أن تتقاوم والشئ يتغلغل الى معدنه ويحن الى عنصره فاذا صادف منبته ولاقى عنصره وشج بعروقه وسبق بفروعه وتمكن على الاقامة وثبت ثبات الطينة

(وقال

(وقال حاتم)

واني وحيد الفقر مشترك الغنى * وتارك شكل لا يوافقه شكلى
وشكلى شكل لا يقوم بمثله * من الناس الا كل ذى ثقة مثلى
ولى ملح فى المجد والبذل لم يكن * تأنقها فيما مضى أحد قبلى
وأجعل مالى دون عرضى جنة * لنفسى وأستغنى بما كان من فضلى

(أبو سليمان الخطابى)

وما غربة الانسان فى شقة النوى * ولكنها والله فى عدم الشكل
وانى غريب بين بست وأهلها * وان كان فيها أسرتى وبها أهلى

(ويقال) المودة نسبة من غير رحم وصلة من غير قرابة (شاعر)

ولقد صحبت الناس ثم سبرتهم * وبلوت ما وصلوا من الاسباب
فاذا القرابة لا تقرب نائيا * واذا المودة أقرب الانساب

(آخر)

ما القرب الا لمن صحت مودته * ولم يخنك وليس القرب بالنسب
كم من قريب بعيد الود مطعن * ومن بعيد سليم الود مقترب

(فنون شروط الاخاء وحقوقه الواجبة على كل أحد لصديقه)

والقول الجامع لحقوق الصديق ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال للمسلم على المسلم ست خصال واجبات فمن ترك واحدة منها فقد ترك حقا واجبا لاخيه عليه أن يسلم عليه اذا لقيه ويشمته اذا عطس ويعوده اذا مرض ويجيبه اذا دعاه وينصحه اذا غاب ويشيعه اذا مات (وقال) عمر بن الخطاب ثلاث يصفو بها ود أخيك تسلم عليه اذا لقيته وتوسع له فى المجلس وتدعوه بأحب أسمائه اليه نظم بعض الشعراء هذه الكلمات

ثلاث بها تصفو بود أخيكا * اذا اجتمعت بعد الاخوة فيكا
تسلم عليه ضاحكا متحببا * اليه اذا لاقيته ولقيكا
وتوسع له بالود فى كل مجلس * كما كنت يوما موسعا لابيكا
وتدعوه من أسمائه بأحبها * اليه تكن بالود منه وشيكا
وداوم عليها مع أخيك فانه * من السوء عند النائبات يقيكا

(وسئل) عبد الله بن عمر ما حق الصديق على صديقه قال لا تشبع ويجوع

وتلبس ويعرى وان تواسيه بالبيضاء والصفراء نظم شاعر هذه الكلمات فقال

خليلى على منى ثلاث * واجبات اخصها اخوانى
حفظه فى المغيب ان غاب عنى * ولقياه بالبشر ان لاقانى
ثم بذلى بما حوته يمينى * مشفقا فى الخطوب ان مادعانى

(فمما يعتمد من شرائط الاخاء والمودة رعاية الاخ أخاه فى الرخاء والشدة) (قال) على رضى الله عنه لايكون الصديق صديقا حتى يحفظ أخاه فى ثلاث فى نكبته وغيبته ووفاته (وقال) طاوس اليمانى لاتواخين الا الكريم الابوه الكامل المروه الذى ان بعدت عنه خلفك وان قربت اليه كنفك (وقال الثعالبى) ينبغى أن يكون الصديق لصديقه أسمع من خادم وأطوع من خاتم (وقيل) لابن السماك واسمه محمد بن صبيح أى الاخوان أخلق ببقاء المودة قال الوافر دينه الوافى عقله الذى لايملك على القرب ولا ينساك عند البعد ان دنوت منه دعاك وان بعدت عنه رعاك لايقبضه عنك يسر ولا يقطعه عنك عسر ان استعنته عضدك وان احتجت له رفدك وتكون مودة فعله أكثر من مودة قوله يستقل كثير المعروف من نفسه ويستكثر قليل المودة من صديقه (وقال) جعفر الصادق رضى الله عنه للصداقة خمس شروط فمن كانت فيه فانسبوه اليها ومن لم تكن فيه فلا تنسبوه الى شئ منها وهى أن يكون زين صديقه زينه وسريرته له كعلانيته وان لايغيره عليه مال وان يراه أهلا لجميع مودته ولايسلمه عند النكبات (وقال) أبو بكر بن عبد الله المزنى اذا انقطع شسع نعل أخيك ولم تواسه فى الحفاء فقد ملت الى جانب من الجفاء (ومن حق الصداقة) حفظ العهد وبذل المال واخلاص المودة ورعاية الغيب وتوقير المشهد ورفض الوحدة وكظم الغيظ واستعمال الحلم ومجانبة الخلاف واحتمال الكل وطلاقة الوجه وصدق اللسان والمشاركة فى الباساء

(ولقد كرم نجار من قال فى معرض الافتخار)

لم يبق منى على الايام باقية * الا انقضت غير حفظ العهد والذمم
هذان خلقان أيام الحياة معى * لايبرحان على الاكثار والعدم

(أبو العتاهية)

احب

أحب من الاخوان كل مواتى * وكل غضيض الطرف عن عثراتى
يوافقنى فى كل أمر أريده * ويحفظنى حيا وبعد مماتى
ومن لى بهذا ليت انى وجدته * فقاسمته مالى من الحسنات

(وقالوا) خير الاخوان من يستر ذنبك فلم يقرعك به ويخفى معروفه عندك فلم يمن به عليك (وقال أعرابى) اصحب من ينسى معروفه عندك ويذكر حقوقك عليه (وقال آخر) اصحب من اذا صحبته زانك وان خدمته صانك وان أصابتك خصاصة مانك وان رأى منك حسنة عدها وان عثر على سيئة سدها لا تخاف بوائقه ولا تختلف عليك طرائقه (أبو نصر الميكالى)

أخوك من ان كنت فى * نعمى وبؤسى عادلك
وان بدا لك نقمة * بالبر منه عادلك

(آخر)

خير اخوانك المشارك فى المر وأين الشريك فى المر اينا
الذى ان حضرت زانك فى الحى وان غبت كان أذنا وعينا

(آخر)

لعمرك ما زان الفتى فى أموره * ولا شانه الا طباع الخلائق
ولا صاحب الاقوام فى كل حالة * كحر كريم أو خليل موافق
يواسيك فى البلوى ويمحك الهوى * ويصفيك ودا ماخضا غير ماذق
يكون اذا نابتك يوما عظيمة * سنانا لدى الهيجاء فى كل مارق

(آخر)

ان أخا الصدق من كان معك * ومن يضر نفسه لينفعك
ومن اذا ريب الزمان صدعك * شتت فيك شمله ليجمعك

(وقيل) لخالد بن صفوان أى اخوانك أوجب عليك حقا قال الذى يسد خللى ويغفر زللى ويقبل عللى ويبسط عنده أملى (وقال الثعالبى) صديقك من يرضى خلتك ويسد خلتك (وقال) الحجاج لابن القرية ما الكرم قال صدق الاخاء فى الشدة والرخاء (ويقال) صديقك من ساعفك فى اطوارك وقدم سعيه فى قضاء أوطارك أبو تمام حبيب

من لى بانسان اذا أغضبته * وجهلت كان الحلم رد جوابه

واذا صبوت الى المدام شربت من * أخلاقه وسكرت من آدابه
وتراه يصغى للحديث بطرفه * وبقلبه ولعله أدرى به

(وقال) الخليل بن أحمد يجب على الصديق مع صديقه استعمال أربع خصال الصفح قبل الاستقالة وتقديم حسن الظن قبل التهمة والبدل قبل المسئلة ومخرج العذر قبل العتب (وقال رجل) لمطيع بن اياس جئتك خاطبا لمودتك قال قد زوجتكها على شرط أن تجعل صداقها أن لا تسمع فى مقالة الناس (وقالوا) الستر لما عاينت أحسن من اذاعة ما ظننت شاعر

اذا شئت أن تدعى كريما مهذبا * حليما ظريفا ماجدا فطنا حرا
فان مابدت من صاحب لك زلة * فكن أنت محتالا لزلته عذرا

(وقيل) لبعض الادباء من الرفيق قال من أحسن شغله وأوكد فرضه ونفله فقيل له من الشفيق قال من ان دهمتك محنة قذيت عينه لك وان شملتك منحة قرت عينه بك فقيل له فمن الوفى قال من يحكى بالقصد كمالك ويرعى بلحظه جمالك قيل له فمن الصاحب قال الذى من اذا نأى ذكرك عند الناس وان دنا خدمك فى الكاس (وقال بعض البلغاء) اذا جادلك أخوك بماله فقد جادلك بنفسه لانه قد بذل لك ما الاقوام لنفسه الابه واذا بخل عليك برفده فلا تصدقه فى وده ولله در القائل

اذا صاح بى صاحبى يا أخى * وقد عظه الدهر ليته
أعلل بالوصل عرس الاخاء * ليزكو ما كنت ربيته
له الصفو مما حوته يدى * ويبقى اذا زارنى بيته

(آخر)

أميل مع الصديق على ابن أمى * وآخذ للصديق من الشقيق
فان أبصرتنى حرا مطاعا * فانك واجدى عند الصديق

(وقالوا) لتكن معاونتك أخاك بمهجتك عند البلاء أكثر من معاونتك اياه عند الرخاء (وقالوا) اجعل حسنات أخيك له محسوبة وسيآته الى الزمان منسوبة (وقالوا) من علامة الصديق أن يكون لصديق صديقه صديقا ولعدو صديقه عدوا (وقالوا) ليس من الحب أن تحب ما يبغض حبيبك (السرى الرفاء)

وليس يكون المرء سلم صديقه * اذا لم يكن حرب العدو المخالف

(آخر)

صديق عدوّى داخل فى عداوتى * وانى لمن ود الصديق ودود

(آخر)

تود عدوّى ثم تزعم أننى * صديقك ان الرأى منك لعازب

(آخر من أبيات)

اذا صافى صديقك من تعادى * فقد عاد الدوا وانقطع الكلام

(وقالوا) يجب على الصديق أن يحتمل لصديقه ثلاث مظالم ظلم الغضب وظلم الدالة وظلم الهفوة (وقالوا) اذا صح الود سقطت شروط الادب (ويقال) اذا صح الاعتقاد ذهب الانتقاد * وقال المأمون أحب الاخوان الىّ من يكفينى مؤنة التحفظ

(ومما يجب عليه من حسن الصنيع رفض العتاب واجتناب التقريع)

قال عيسى عليه السلام الصبر على أخ يعيب فيه خير من أخ تستأنف مودّته (وقيل) من عاتب فى كل ذنب أخاه فحقيق أن يمله ويقلاه (وقالوا) قديم الحرمة وحديث التوبة يمحوان ما بينهما من الاساءة * شاعر

زين أخاك بحسن وصفك فضله * واثبت لما يأتى من الحسنات

وتجاف من عثراته واسائه * من ذا الذى ينجو من العثرات

(وقالوا) العفو الذى يقوم مقام العتق ما سلم من تعداد السقطات وخلص من تذكار الفرطات (وقالوا) ليس من العدل سرعة العذل * ويقال العتاب داعية الاجتناب (وقالوا) عتاب الاحباب داعية الهجر والسباب (وقالوا) العتاب آكد دواعى القطيعة بين الاحباب * شاعر

لولا كراهية السباب واننى * أخشى القطيعة ان ذكرت عتابا

لذكرت من عثراتكم وذنوبكم * مالو يمرّ على الفطيم لشابا

(آخر)

تحمل من صديقك كل ذنب * وعد خطاه من نمط الصواب

ولا تعتب على ذنب حبيبا * فكم هجر تولد من عتاب

(أحمد بن يوسف)

وكم قد قلتمو قولا لدينا * له لولا مها بتكم جواب

تركت عتابكم وعفوت انى * رأيت الهجر مبدؤه العتاب

(آخر)

اذا اعتذر الصديق اليك يوما * من التقصير عذر أخ مقر
فصنه عن عتابك واعف عنه * فان العفو شيمة كل حر

(آخر)

لا تجفونّ أخاوان أبصرته * لك جافيا ولما تحب منافيا
فالغصن يذبل ثم يصبح ناضرا * والماء يكدر ثم يرجع صافيا

(آخر)

أخلص الود لمن آخيته * واغفر العثرة منه ان عثر
واذا زلت به النعل فلا * تلبسن من أجله جلد النمر
عد بحلم منك يطفى جهله * انما الجهل كنار تستعر

(آخر)

اذا أنت عاتبت الملوك فانما * تخط على جار من الماء أحرفا
وهبه ارعوى بعد العتاب ولم تكن * مودته طبعا فصارت تكلفا

(اخر)

وكم من قائل قد قال دعه * فلم يك وده لك بالسليم
فقلت اذا جزيت الغدر غدرا * فما فضل الكريم على اللئيم
واين الالف يعطفنى عليه * واين رعاية الحق القديم

(ويقال) اذا انبسطت المكاتبة انقبضت المصاحبة (وقال) أبو بكر الخوارزمى لا خير فى حب لا تحتمل أقذاؤه ولا يشرب على الكدر ماؤه وانما العشرة مجاملة والمجاملة لا تسع الاستقصاء والكشف لا يحتمل الحساب والصرف (محمود الوراق)

ان التجنى قاطع الرفد * والغيظ يخرج كامن الحقد
فاقبل اخاك على تغيره * وارع الذى قد كان من عهد

(آخر)

ومن لم يغمض عينه عن صديقه * وعن بعض ما فيه يمت وهو عاتب
ومن يتبع جاهدا كل عثرة * يجدها ولا يسلم له الدهر صاحب

(بشار بن برد)

اذا كنت فى كل الامور معاتبا * خليلك لم تلق الذى لا تعاتبه
وان أنت لم تشرب مرارا على القذى * ظمئت وأى الناس تصفو مشاربه
فصن واحدا أوصن أخاك فانه * مقارف ذنب مرة ومجانبه
ومن ذا الذى ترضى سجاياه كلها * كفى المرء نبلا ان تعد معايبه

(آخر)

ارض من المرء فى مودته * بما يودى اليك ظاهره
من يكشف الناس لم يجد أحدا * تصح منهم له سرائره
يوشك أن لا يتم وصل أخ * فى كل زلاته تنافره

(ابن الرومى)

هم الناس فى الدنيا فلا بد من قذى * يلم بعين أو يكدر مشربا
ومن قلة الانصاف أنك تبتغى الـ * ـمهذب فى الدنيا ولست المهذبا

(العباس بن الاحنف)

ان بعض العتاب يدعو الى الهجـ * ـر ويؤذى به المحب الحبيبا
واذا ما القلوب لم تضمر الو د فلن يعطف العتاب القلوبا

(وقالوا) الاستقصاء أول الزهد وآخر الود (ومن أمثالهم) رب خطرة صغيرة عادت همة كبيرة وقال الشاعر

هذى مخايل برق خلفها مطر * جود وورى زناد خلفه لهب
وأزرق الصبح يبدو قبل أبيضه * وأول الغيث قطر ثم ينسكب

(نصر بن سيار)

أرى خلل الرماد وميض جمر * ويوشك أن يكون لها ضرام
فان النار بالعودين تذكو * وان الحرب أولها كلام
فان لم يطفها عقلاء قوم * يكون وقودها جثث وهام

(عبد الله بن طاهر)

اذا ما صديقى ضرنى سوء فعله * ولم يك عما ساءنى بمفيق
صبرت على أشياء منه تريبنى * مخافة أن أبقى بغير صديق

(ومنه قول الآخر)

وكنت اذا الصديق أراد غيظى * وأشرفنى على حنق بريقى
غفرت ذنوبه وعفوت عنه * مخافة أن أعيش بلا صديق

(ومنهم من استحسن عتاب الاصحاب فربما كان حضا على اكتساب المحاب) (قالوا) معاتبة الاخ الصديق خير من فقده فلعلها تكون سببا الى صلاحه ورشده (وقالوا) ترك المعاتبة من علامات الاهمال والتواطئ على منهيات الاعمال (وقالوا) شر الاصحاب من لم ينجع فيه العتاب (وقال) على رضى الله عنه عاتب أخاك بالاحسان اليه واردد شره بالافضال عليه (وقال) على بن عبيدة الريحانى العتاب حدائق الاحباب وثمار الود ودليل الظفر وحركات الشوق وراحة الواجد ولسان المشفق (وقالوا) العتاب يداوى القلوب و يترجم عن خفيات العيوب وما أحسن قول من قال

تواقف عاشقان على ارتعاب * أرادا الوصل من بعد اجتناب
فلا هذا يمل عتاب هذا * ولا هذا يمل من الجواب
فلا عيش كوصل بعد هجر * ولا شئ ألذ من العتاب

(اخر)

أعاتب من أهواه فى كل حالة * ليجتنب الامر الذى معه الذنب
فانى أرى التأنيب عند حدوثه * بمنزلة الغيث الذى قبله الجدب

(ومن مستحسنات المعاتبات قول القائل)

لا غرو ان كان من دونى يسركم * وأننى عنكمو بالويل والحرب
يدنو الاراك فيمسى وهو ملتثم * ثغر الفتاة ويلقى العود فى اللهب

(ولبعضهم)

سأنسيك نفسى ان نسيت مودتى * كانك لم تخطر ببالى ولا وهمى
وأكفيك اذ لم تبغ حمدى مذمتى * فتبرأ من حمدى وتبرأ من ذمى
وأنساك نسيان القرون التى مضت * عليها الليالى من جديس ومن طسم
فان قيل لى أين الذى كان بينكم * رددت عليه أنه كان فى الحلم

(جرير)

فان تك قد مللت الآن منى * فسوف ترى مجانبتى وبعدى
وسوف تلوم نفسك ان بقينا * وتبلوا الناس والاخوان بعدى

فلا والله لا أنسالُ حتى * أوسد مضجعى وأزور لحدى

(ابن الرومى)

تخذتكمو حصنا منيعا لتدفعوا * نبال العدا عنى فكنتم نصالها
اذا كنتم لا تدفعون ملمة * عن النفس كونوا لا عليها ولا لها

(ابراهيم بن العباس رحمه الله تعالى)

وكنت أخى بأخوة الزمان * فلما نابا صرت حربا عوانا
وكنت أعدك للنائبات * فها أنا أطلب منك الامانا
وكنت أذم اليك الزمان * فها أنا أطلب فيك الزمانا

(وقال بعض الامويين يعاتب عيسى بن موسى)

ان تكلمت لم يكن لكلامى * موقع والسكوت ليس بمجدى
وأرانى اذا تأملت أمرى * ناقص الحظ فى دنوى وبعدى
فأبن لى أكل هذا التوانى * فى جميع الاخوان أم لى وحدى
أم ترى ما اصطنعته عند غيرى * واجبا أن أعده لك عندى
قد لعمرى أيست منك حياتى * ومحال أنى أرجيك بعدى

(وينبغى) للفطن اللبيب أن لا يوغل فى عتاب الحبيب فانهم قالوا فى كلام بعض الحكماء بعض المعاتبة حزم وكلها عزم كالخشبة المنصوبة فى الشمس تمال فيزيد ظلها وتفرط فى الامالة فتنقصه (وقالوا) الجواد اذا ضرب فى غير وقته كبا والحسام اذا استكره نبا (ولهذا) قال بعض الاعراب أقل الناس عقلا من أفرط فى اكتساب الاخوان وأقل عقلا منه من ضيع من ظفر به منهم (ويقال) قارب الاخوان فان المقاربة أقرب الانساب ولا تتقص عليهم فان التقصى أقطع الاشياء للاسباب (ويقال) بدقيق العتب على الاحباب تنفر وحشيات الخواطر والالباب * وليعمل الصاحب فى مصاحبة اخيه بقول القائل

صاف الصديق وأصفه صفو الصفا * واخصص صديقك بالصداقة تخصص

أو بقول الآخر وهو أليق بمن حسنت أخلاقه وكرمت أعراقه

خذ من صديقك مرأى غير مستمع * لا تعدون عيان المرء للخبر
ان كنت لا تصطفى ممن ترى أحدا * فاخلق لنفسك اخوانا على قدر

(وقالوا) كثرة العتاب تحيي مودّات الضغائن وتثير كوامن الدفائن (شاعر)

كثر العتاب فقلت ان عاتبتها * كان العتاب لوصلها استهلا كا
ورجوت أن تبقى المودّة بيننا * موقوفة فتركت ذاك لذا كا

(وما أظرف من قال)

وأخ كايام الحياة اخاؤه * تلوّن ألوانا على خطوبها
اذا عبت منه خلة فكرهتها * دعتني اليه خلة لا أعيبها

(وكتب) يزيد بن معاوية لسالم بن زياد قليل العتاب يؤكد أواخي الاسباب وكثيره يقطع وصائل الانساب

لا تكثرن في كل حادثة * عتب الصديق فانه يهفو
هب مشربا يصفو فتحمده * أترى المشارب كلها تصفو

(آخر)

لا يؤيسنك من صديق نبوة * ينبو الفتى وهو الجواد الخضرم
فاذا نبا فاستبقه وتأنه * حتى يفي به الطباع الاكرم

(آخر)

وأرى الصديق اذا استشاط تغيظا * فالغيظ يخرج كامن الاحقاد
ولربما كان التغيظ باعثا * لتناول الآباء والاجداد

(آخر)

كاف الخليل على الجميل بمثله * فاذا أساء فكافه بعتابه
واذا عتبت على امرئ آخيته * فتوق طائر عتبه وسبابه
وألن جناحك ما استلان مودّة * وأجب دعاه اذا دعا بجوابه

(ومن) ذوي الانفة من أطاع أمر عقله فكافأ المتكاف للهوى على فعله بمثله كقول الشاعر

اذا تاه الصديق عليك كبرا * فته كبرا على ذاك الصديق
وان سلك الغرام به طريقا * فخذ عرضا سوى ذاك الطريق
فايجاب الحقوق بغير راع * حقوقك رأس تضييع الحقوق

(آخر)

واذا الصديق نأى بجانب نفعه * وحمال صوب غمامه المتدفق
وازورّ عنك بجاهه وبماله * وببشره وجنى ولم يتخلق

فاعدده فى الموتى فلا معنى له * وارمى به الغرض البعيد وحلق
ان ظن نى للنار منه شفاعة * يوم القيامة ساء ظن الاحمق

(الكميت)

ولست اذا ولى الصديق بوده * بمكتئب أبكى عليه وأندب
ولكنه ان دام دمت وان يكن * له مذهب عنى فلى عنه مذهب
الا ان خير الود ود تطوعت * به النفس لا ود أتى وهو متعب

(أبو العتاهية)

ما أنا الا كمن عنانى * أرى خليلى كما يرانى
لست أرى ما ملكت طرا * مكان من لا يرى مكانى
من ذا الذى يرتضى الاقاصى * ان لم ينل خيره الادانى

(آخر)

ومن شيمتى أنى اذا المرء ملنى * وأظهر اعراضا ومال الى الغدر
أطلت له فيما يحب عنانه * وتاركته فى جس مس وفى سر
فان عاد فى ودى رجعت لوده * وان لم يعد ألفيت ذاك الى الحشر

(محمد بن حازم)

تمادى به الهجران واستحسن الغدرا * والى يمينا الا يكلمنى الدهرا
فوالله ما استنفت بعد مودة * صديقا ولا أرهقت ذا زلة عسرا
فان عاد فى ودى رجعت لوده * والا فانى لا أحمله اصرا
وان مال عنى خائبا نحو عذره * تسليت عنه واستعرت له صبرا
اعد لمن أبدى العداوة مثلها * وأجزى على الاحسان واحدة عشرا

(سعيد)

أشكو الى الله حياء امرئ * ما كان بالجافى ولا بالملول
كان وصولا دائما عهده * خير الاخلاء الودود الوصول
ثم ثناه الدهر عن رأيه * فحال والدهر لقوم يحول
فان يعد أشكو له وده * وان يطل هجرا فانى حمول

(آخر)

فى سعة الارض وفى أهلها * مستبدل بالخل والجار

فمن دنا منك فأهلا به * ومن تولى فالى النار

(ملح) من مدح الاخلاء الاصفياء وصفات مودات الاصدقاء الاولياء (مدح) الصاحب بن عباد صديقا له فقال تصفحت أوطار القلوب فلم أجد أحسن من قربه وتأملت أشخاص الخطوب فلم أرع بافظع من بعده محاسنه أنوار لم تحجب بسجوف ومباسمه شموس لم تتصل بكسوف وألفاظه تذكرني بالشباب وريعانه بل بافنان الصبا وقينانه (ومدح) اعرابي صديقا له فقال مجالسته غنيمة وصحبته سليمة ومواخاته كريمة هو كالمسك ان بعته نفق وان تركته عبق (شاعر يصف أخا له)

أخ واب وابن وأم شفيقة * تفرق في الاحباب ماهو جامعه
سلوت به عن كل من كان قبله * وأذهلني عن كل ماهو تابعه

(آخر)

ولي صاحب أصفيه ودي وانه * لينصفني في وده ويزيد
أمنت صروف الدهر بيني وبينه * اذا دب بين الصاحبين حسود

(وصف المأمون) ثمامة بن أشرس فقال انه كان يتصرف في القلوب تصرف السحاب مع الجنوب (شاعر ولقد أحسن في وصفه لصديقه)

خل بلغت برأيه شرف العلا * وأخ غنيت به عن الاخوان
ومتى طلبت عليه طالب حاجة * كفلت يداه بذمتي وضماني

(آخر)

موفق لسبيل الرشد متبع * يزينه كل ما يأتي ويجتنب
له خلائق بيض لا يغيرها * صرف الزمان كما لا يصدأ الذهب

(ومن كلام الثعالبي) يصف صديقا له فلان كريم ملء لباسه موفق مدد أنفاسه ذو جد كعلو الجد وهدى كحديقة الورد عشرته الطف من نسيم الشمال على صفحات الماء الزلال والصق بالقلب من علائق الحب

فتى قد قد السيف ما ناء عوده * ولا وهنت أعضاؤه ومفاصله
اذا جد عند الجد ألهاك جده * وذو باطل ان شئت ألهاك باطله

(آخر)

أخ لي لم يلده أبي وأمي * تراه الدهر مغموما لغمي

يشاطرنى سرورى فى ابتهاجى * ويأخذ عندهمى شطر همى
يسرنى عيو بى حين تبدو * مخافة كاشح لهج بذمى
ويصفى الود منه أهل ودى * ويمنع من معاداتى وظلمى
وينفذ حكمه فى كل مالى * كما فى ماله يرضى بحكمى
فلو أحد من المحذور يفدى * اذا لفديته بدمى ولحمى

(آخر)

لى صديق اذا نبابى صديق * نبوة الدهر كان خير صديق
حقه واجب على مقيم * لا يؤدى وقد قضى لى حقوقى
صادق الود والاخاء وما كل * صديق فى وده بصدوق
فهو كالام فى اللطافة واللين * وكالوالد الشفيق الرفيق
والشقيق الوصول والبر ان كا * ن بعيد امنى وفوق الشفيق
قد جرى فى مفاصل الحب منه * حيث لا يهتدى مجارى العروق
خف ثقلى على صديقى مذاصبح * دون الاخوان وهو صديقى
هو جارى ان جار دهروان عق * زمان فماله من عقوق

(الفصل الثانى من الباب الخامس عشر)
فيما يدين به أهل المحبة من شرائع العوائد المستحبة

(اعلم) ان أول ما ينبغى أن نبدأ به ما يجب من الادب على الجليس فى مصاحبة الرئيس (فمن) واجب أدبه أن الداخل على الرئيس أحد رجلين اما خصيص به أو اجنبى عنه فان كان أجنبيا فينبغى له اذا أذن له فى الدخول اليه أن يقف حيث يراه وان يبدأ بالسلام اذا دخل عليه وينظر بعين الاكبار اليه فان استدناه دنا وان أذن له فى الجلوس فليجلس حيث انتهى به المجلس حتى يدنيه ان أراد اكرامه فان فى ذلك تبجيلا لقدره وتأميلا لتحسين ذكره (قال) الاحنف بن قيس لان أدعى من بعد أحب الى من أن أبعد من قرب وان كان خصيصا به ممن يجلس الى جانبه ويفشى اليه من سره ما يكتمه عن غيره فينبغى له وقت جلوسه ان يكون بينه وبين الرئيس فرجة لاحتمال ان يجئ ممن يجب عليه اكرامه ويرفع منزلته فيجلس فى تلك الفرجة (ومن) أدب الرئيس قلة الخلاف والمعاملة بالانصاف وترك الجواب على فاحش الخطاب وستر العيب وحفظ

الغيب وان يحسن الحديث اذا حدّث ويحسن الاستماع اذا حدّث وليكن حرمة مجالسه اذا غاب كحرمته اذا حضر (وقالوا) اذا كلمك رئيسك فاصغ اليه بسمعك وأقبل عليه بوجهك ووكل بشفتيه ناظريك وأشغل بحديثه خاطرك واسمعه سماع مستبشر به مستظرف له وان أحكمته علما واتقنته فهما وأن لاتفرط فى الدلالة عليه فربما ساقت الانقباض اليه (وفى) كلام بعض الحكماء الاستماع بالعين فاذا رأيت عين من تحدّثه مقبلة على غيرك فاصرف حديثك الى غيره (شاعر فى بنى العباس)

اذا حدثوا لم يخش سوء استماعهم * وان حدثوا أبدوا بحسن بيان

(وما أحسن قول من قال)

اذا ماسيد أدناك فاعلم * بان عليك عين الانتقاد
فكن عف الجوارح ذا حفاظ * فعين الانتقاد بلا رقاد

(وقال العباس) لولده عبد الله ان هذا الرجل يعنى عمر بن الخطاب رضى الله عنه يستخليك ويستشيرك ويقدمك على الاكابر من الصحابة وانى أوصيك بخمس خلال لاتفشين له سرا ولاتغتابن عنده أحدا ولاتجرين عليه كذبا ولاتعصين له أمرا ولاتطلعنه منك على خيانة (وقالوا) من دخل على السلطان فعليه بتخفيف السلام وتقليل الكلام وتعجيل القيام (ومن أدبه) أن يكون مع رئيسه كما كان حارثة بن بدر مع زياد (حكى) أن زيادا اليم على استئثاره حارثة ابن بدر فقال كيف أطرح رجلا هو يسايرنى منذ دخلت العراق لم يصك ركابه ركابى ولاتقدمنى فنظرت الى قفاه ولاتأخر عنى فلويت عنقى اليه ولاأخذ على الشمس فى شتاء ولاالروح فى صيف ولاسألته عن شئ من العلوم الاحسبت أنه لايحسن غيره (وقالوا) لايقدر على صحبة الملوك الامن لايستقل ماحملوه به ولايغترّ بهم اذا رضوا عنه ولايتغير لهم اذا سخطوا عليه ولايطغى اذا سلطوه ولايبطر اذا أكرموه ولايلحف اذا سألهم (وقالوا) اصحب الملوك بالحرمة والصديق بالتواضع والعدو بالحجة والعامة بحسن الخلق (وقالوا) من استخف بالاخوان أفسد مروأته ومن استخف بالعلماء أفسد دينه ومن استخف بالملوك أفسد دنياه (وقال) عبد الملك بن صالح لعبد الرحمن بن وهب الحمصى مؤدب ولده بعد أن استخلصه وأنزله فوق منزلته ياعبد الرحمن

انى

انى قد جعلتك جليسا مقربا بعد ان كنت تابعا مبعدا ومن لم يعرف نقصان ما خرج منه لم يعرف رجحان ما دخل فيه لا تطرينى فى وجهى فانا أعلم بنفسى منك ولا تساعدنى على شئ يقبح وان لج بى الغضب فان مرآة الرضا ترغبنى عنه فينقص عندى دينك بالمساعدة عليه وكن على التماس الحظ بالسكوت أحرص منك على التماسه بالكلام فقد قيل اذا أعجبك الصمت فتكلم ولا تردن علىّ فى محفل وكلمنى بقدر ما استطعمك واعلم أنّ الاستماع أحسن من القول واذا حدثتك حديثا فلا يفوتك منه شئ فانّ قلة التفهم من القائل وضع له وأرنى فهمك فى طرفك فرب طرف انطق من لسان

(ويجب) على الرئيس فى معاشرة الجليس الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم فى أدبه * قال أنس بن مالك ما بسط رسول الله صلى الله عليه وسلم ركبتيه بين يدى جليس قط ولا جلس اليه أحد فقام من عنده حتى يكون الرجل هو الذى يقوم ولا صافحه أحد قط فأخذ يده منه حتى يكون الرجل هو الذى يأخذ يده ولا رأيته قام مع أحد فانصرف عنه حتى يكون الرجل هو الذى ينصرف وكان يكرم من يدخل اليه وربما بسط له ثوبه ويؤثره بالوسادة التى تحته ويعزم عليه بالجلوس عليها ويكنى أصحابه ويدعوهم بأحب أسمائهم اليهم ولا يقطع على أحد حديثه وكان لا يجلس اليه أحد وهو يصلى الا خفف من صلاته وسأله عن حاجته (وقال) سعيد بن العاص رضى الله عنه لجليسى علىّ ثلاث اذا دنا رحبت به واذا جلس وسعت له واذا حدث أقبلت عليه (وقال) عمر بن الخطاب رضى الله عنه ثلاث تثبت لك المحبة فى صدر أخيك ان تبدأه بالسلام وتوسع له فى المجلس وتدعوه بأحب الاسماء اليه (وقال) يحيى ابن خالد لولده جعفر يا بنى اذا حدثك جليسك فأقبل عليه واصغ اليه ولا تقل قد سمعناه وان كنت احفظ له منه حتى كانك لم تسمعه الا منه فان ذلك مما يكسبه المحبة والميل اليك ولا تستخدمه اذا جلس الى مؤانستك فقد حكى انّ هشام بن عبد الملك كان يعتم فقام اليه سعيد بن الوليد المعروف بالابرش ليسوى عمامته فقال له مه انا لا نتخذ الاخوان خولا (وقام) عمر بن عبد العزيز وأصلح السراج لجلسائه فقال أحدهم ألا أمرتنى يا أمير المؤمنين فكنت أكفيك اصلاحه فقال ليس من المروأة أن يستخدم المرء جليسه قمت وأنا عمر

ومما يثنى عطف الصديق الى التآلف
زيارته صديقه من غير انقطاع ولا تكلف

(قال) رسول الله صلى الله عليه وسلم من عاد مريضا أو زار اخا نادى مناد أن طبت وطاب ممشاك تبوأت من الجنة منزلا * وأحسن ما يقال امش ميلا وعد أخا وامش ميلين وأصلح بين اثنين وامش ثلاثا وزر أخا فى الله (وقالوا) المودّة جسم روحها الزيارة (وقالوا) المحبة شجرة ثمرتها المقة وأصلها الزيارة (شاعر)

رأيت أخا الدنيا وان بات آمنا * على سفر يسعى به وهو لا يدرى

تثاقلت الا عن يد أستفيدها * وزورة ذى ودّ أشد به أزرى

(وعلى) الزائر فى الزيارة الاغباب فانه به يؤمن من تجافى الاحباب *قال عليه الصلاة والسلام زر غبا تزدد حبا (وقالوا) ربما كان التقالى فى كثرة التلاقى * وما أحسن قول عبد المنعم بن غلبون المقرى

عليك باغباب الزيارة انها * اذا كثرت كانت الى العى مسلكا

ألم تر أن الغيث يسأم دائما * ويسأل بالايدى اذا هو أمسكا

(وقالوا) قلة الزيارة أمان من الملالة (وقالوا) كثرة التعاهد سبب التباعد (شاعر)

زر قليلا لمن يودّك غبا * فدوام الوصال داعى الملال

(اعتذار من لم يزر) أظرف ما كتب فى ذلك قول على بن الجهم

أبلغ أخانا تولى الله صحبته * انى وان كنت لا ألقاه ألقاه

وان طرفى موصول برؤيته * وان تباعد عن مثواى مثواه

الله يعلم أنى لست أذكره * وكيف يذكره من ليس ينساه

(مكاتبات فى استدعاء الزيارة) كتب بعضهم الى صديق له طال العهد بالاجتماع حتى كدنا نتناكر عند التلاقى وقد جعلك الله للسرور نظاما وللانس تماما فاطلع فى فلك عينى شمسا وفى سماء قلبى بدرا فامضاء العزم بالحر أحرى (وكتب سعيد بن حميد لبعض أصدقائه) قد طلعت الكواكب تنتظر بدرها فرأيك فى الطلوع قبل غروبها (شاعر)

ولما نزلنا منزلا طله الندى * أنيقا وبستانا من النور حاليا

أجدلناطيب المكان وحسنه * منى فتمنينافكنت الامانيا

(آخر)

لو تفضلت بالمجىء الينا * لقررنا بقرة العين عينا

(وكتب آخر) يومنا أعزك الله رقيق الحواشى لين النواحى ذوسماء قدرعدت وبرقت وأنت موضع السرور ونظام العيش والحبور فاقبل الينا ثم ولا تتأخرعنا تندم وانك بطاعتنا تسعد وبمخالفتنا الاترشد (كتب بعضهم) الى صديق له يستزيره بابيات منها

والالف لايصبر عن الفه * أكثر من يوم ويومين

وقد صبرنا عنكم جمعة * ماهكذا فعل المحبين

(وكتب) حميد بن مهران الى أبى أيوب الهاشمى يستدعيه

أقيك الردى يابديع الورى * ومن حل من هاشم فى الذرى

ويفديك من وده فى المغيب * اذا امتحن الود واهى العرى

وصالك يعدل صدق الرجا * وصفو المدام وطيب الكرى

وقد تاقت النفس من وامق * الى أن تراك فماذا ترى

(آخر)

جعلت فداك فى رأسى خمار * وليس دواؤه الا العقار

وعندى من تحب فدتك نفسى * وأقداح وأكواب تدار

فبادر غير مأمور سريعا * فان بنا الى وردك انتظار

(ومن) أظرف الاستدعاوات ما كتب به الرشيد هرون الى جعفر بن يحيى

سل عن الصارم ابن يحيى تجده * راحلا نحونا من النهروان

ليصون المدام سهدا ويغشى الـ * ـهجر بين الاصوات والعيدان

فأتنا نصطبح ونلتذ جمعا * لثلاث بقين من شعبان

فقام اليه وقدم بين يديه رقعة مكتوبا فيها

ان يوما كتبت فيه الى عبـ * ـدك يوم يسود كل زمان

يوم لهو كأنه طلعة الكأ * س اذا قابلت خدود القيان

فاصطبح واغتبق فداؤك نفسى * من جميع الآلام والحدثان

(آخر)

عندنا جدى رضيع * ودنين غير فارغ
وطفيـــــلى مليح * واغل فى الكاس والغ
وغـزال من بنى الديـ * ـلم يحكى البـدو بازغ
ماله عنـدك عيب * غـيرأن ليس ببالغ
والزلال العذب مع بعـ * ـدك ملح غيرسائغ
فتحشم واركب الهمـ * ـلاج واحضر لاتراوغ

(وكتب بعض المجان)

عندنا قدرفريك * ليس للقدرشريك
ونبيـذ فى رطيل * وغلام مستنيك
فتعالوا نتغـدى * ثم نشرب و نتيك

(وما أحسن) قول المعتمد بن عباد يستدعى ندماءه من الزهراء الى قصره بقرطبة

حسد القصر فيكم الزهراء * ولعمرى وعمركم ما أساؤا
قد طلعتم بها شموسا صباحا * فاطلعوا عندنا بدورا مساء

(ولآخر)

وماذا عليكم لو مننتم بزورة * فأوجبتم فيها علينا التفضلا
فان لم تكونوا مثلنا فى اشتياقنا * فكونوا أناسا تحسنون التجملا

*(اعتذار من لم يزر) * أبو اسحق الصابى

عرانى عنـك يا مولا * ى عذر أيما عـذر
عصوف الريح مع مد * عظيم زاخر يجرى
فـلم أقـدم على الماء * ولم أجسر على الجسر
ولم أسمع الى الآن * على ما مـد من عمرى
بريح حجبت روحا * وبحر صد عن بحر

وهو مأخوذ من قول الحسن بن وهب وقد اعتذر عن تأخره عن زيارة محمد بن عبد الملك الزيات لمطر عاقه عن زيارته

أوجب العذر فى تراخى اللقاء * ما توالى من هذه الانواء
لست ادرى ماذا أذم وأشكو * من سماء تعوقنى عن سماء
غير أنى أدعو على تلك بالصحـ * ـو وأدعو لهـذه بالبقاء

فسلام

فسلام الاله أهديه منى * كل يوم لسيد الوزراء

(كتب) بعض ظرفاء المحبين الى محبوبه يستدعيه لزيارته فلم يجبه بما أحب

كتبت اليك من شوقى بدمعى * وحرمة وجهك الحسن الجميل
لقد أسهرتنى وأطلت ليلى * وأضحكت العواذل من عويلى

(فكان جوابه لما قرأه)

لقد أثقلت فى عتب طويل * وقد أكثرت من قال وقيل
فاما ماذكرت فقد فهمنا * وليس الى الزيارة من سبيل

(ومن) أحسن ما أوجبه الوداد وافترض عيادة الاخ أخاه فى حال المرض (قال) رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المسلم اذا عاد أخاه المسلم لم يزل فى حديقة الجنة حتى يرجع قيل يارسول الله وما حديقة الجنة قال جناتها (حكى) أن المسور بن مخرمة اعتل فجاءه ابن عباس نصف النهار فقال له المسور يا ابن عباس ان أحب الساعات الىّ ساعة أؤدى فيها حق الصديق (دخل بعضهم) على محمود الوراق يعوده فأنشده

فان تك حمى الغب شفك وردها * فعقباك منها أن يطول لك العمر
وقيناك لو يعطى الهوى فيك والمنى * لكانت بنا الشكوى وكان لك الاجر

(وكتب) أبو تمام حبيب بن أوس الطائى الى الحسن بن وهب يتوجع له من حمى أصابته

ياحليف الندى ويا توأم الجو * د ويا خير من حبوت القريضا
ليت حماك لى وكان لك الاجـ * ـر فلا تشتكى وكنت المريضا

(وكتب) أبو الفتح بن خاقان يتوجع للمتوكل من رمد اعتراه

عيناى أجل من عينيك للرمد * فاسلم وقيت الردى فى آخر الابد
من ضن عنك بعينيه ومهجته * فلا رأى الخير فى مال ولا ولد

ويجب على اللطيف الظريف فى عيادة المريض الضعيف تخفيف السلام وتقليل الكلام وتعجيل القيام (ويقال) جلسة العيادة خلسة (وقالوا) التخفيف خير عادة فى العيادة فان حاله كما قال عمرو بن العلاء وقد عاده صديق فى مرض ألم به فابطأ عنده فقال له ما يبطئك قال أريد أن اسامرك قال أنت معافى وأنا مبتلى والعافية لا تدعك تسهر والبلاء لابد عن انام

والله أسأل أن يسوق لاهل العافية الشكر والى أهل البلاء الصبر (ومن آدابه) الاغباب فانه جاء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أغبوا فى زيارة المريض واربعوا الا أن يكون مغلوبا (وحكى سلمة) قال دخلت على الفراء أعوده فاطلت وألحفت فى السؤال فقال لى ادن فدنوت فانشدنى

حق العيادة يوم بعد يومين * ولحظة مثل لحظ العين بالعين
لا تبرمن مريضا فى مسائلة * يكفيك من ذاك تسأل بحرفين

(آخر)

أدب العيادة ان تكون مسلما * وتكون فى اثر السلام مودعا
فاذا نظرت الى العليل فلا تكن * متخشعا فى اللمح أو متوجعا
بل كن اذا أبدى الحراك مسكنا * منه وعند الخوف منه مشجعا
واحذر بان تنعى اليه ميتا * أو أن تذكره لميت مصرعا
واذا وجدت عليه اشفا فاقم * من غير أن ترأى بذلك مسرعا
وتوق شر العائدين فشرهم * من كان منهم موهما ومروعا

(دخل) على بن ابراهيم العلوى المعروف بالاعرج على على بن عيسى عائدا فانشده

كم لوعة للندى عليك وكم * من قلق للمجود من قلقك
ألبسك الله ثوب عافية * فى نومك المعترى وفى أرقك
ينزع من جسمك السقام كما * نزعت حبل الملام من عنقك

(آخر)

تلقيت السلامة من مريض * توقى كل نائبة تنوب
فانك ما اعتللت بل المعالى * وانك ما مرضت بل القلوب

(آخر)

ولما اشتكيت اشتكى كل ما * على الارض واعتل شرق وغرب
لانك قلب لهذا الزمان * وما صح جسم اذا اعتل قلب

(البسامى)

اذا ما صديق لى تأوه واشتكى * عدمت سرورى ما اشتكى ورقادى
وحرمت شرب الراح ما دام شاكيا * ولم أخله من طار فى وتلادى

(اعتذار

(اعتذار من لم يعد)

ان كنت فى ترك العيادة تاركا * حظى فانى فى الدعاء لجاهد
فلربما ترك العيادة مشفق * وانى على غل الضمير الحاسد

(ولآخر)

كحلت مقلتى بشوك القتاد * لم أذق مذ حممت طعم الرقاد
يا أخى الحافظ الاخوة والنا * زل من مقلتى مكان السواد
منعتنى عليك رقة قلبى * من دخولى عليك فى العواد
لو بأذنى سمعت منك أنينا * لتفتت من الانين فؤادى

(ولآخر يعتذر بكونه لم يعلم)

دفع الله عنك نائبة السو * وحاشاك أن تكون عليلا
أشهد الله ما علمت وماذا * لك من العذر جائزا مقبولا
ولعمرى أن لو علمت لقاسم * تك نصفا وكان ذاك قليلا
فاجعلن لى الى التعلق بالعذ * ر سبيلا لم أجد لى سبيلا
فقديما ما جاد ذو الود بالو * د وما سامح الخليل الخليلا

(الشريف أبو يعلى بن الهبارية)

العذر لى تركى عيادة سيدى * انى له فيما اعتراه مقاسم
لا بل نصيبى منه فوق نصيبه * وعليه فيما أدعيه مياسم
فلئن تألم جسمه أفديه من * داء يخامره وقلبى يألم
وأنا أحق بأن أعاد وانما * يدعى لخدمته الصحيح السالم

(حكى) محمد بن داود الظاهرى فى كتاب الزهرة أن الرشيد لما بلغه أن الفضل ابن الربيع عليل كتب اليه معتذرا عن تأخره عن العيادة

أعزز على بان تكون عليلا * أو أن يكون بك السقام نزيلا
ولئن سئلت أجيب عنك بلوعة * اذ قيل أوعك أو أحس غليلا
فوددت أنى مالك لسلامتى * فأعيرها لك بكرة وأصيلا
هذا أخ لك يشتكى ماتشتكى * وكذا المحب اذا أحب خليلا

(أنشدنى) الشيخ الامام الفقيه المفيد أمين الدين محمد بن على المحلى النحوى لنفسه يعتذر من تركه لعيادة بعض الرؤساء

ان جئت نلت ببابك التشريفا * وان انقطعت فأوثر التخفيفا
فوحق حبيك انني قدما انني * عوفيت أكره ان أرى الضعيفا

(ومما) يورد من المحبة أعذب الموارد هدية يستعطف بها القلب الشارد (قال) رسول الله صلى الله عليه وسلم تهادوا تحابوا وتذهب الشحناء (وقال) عليه الصلاة والسلام تهادوا فان الهدية تذهب وغر الصدور (وكان) صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية ويثيب عليها * وقال لو اهدى الى كراع لقبلت ولو دعيت الى كراع لأجبت * وقالت عائشة رضى الله عنها اللطفة عطفة تزرع فى القلوب المحبة والالفة (وفى الاثر) الهدية تجلب الى المودة القلب والسمع والبصر (شاعر)

ان الهدية حلوة * كالسحر تجتلب القلوبا
تدنى البغيض من الهوى * حتى تصيره حبيبا
وتعيد مضطغن العدا * وة فى تباعده قريبا

(ومن أمثالهم) اذا قدمت من سفر فأهد لاهلك ولو حجر (وقال الجاحظ) ما استعطف السلطان ولا استرضى الغضبان ولا أزيت السخائم ولا استدفعت المغارم بمثل الهدايا (وقالوا) فى نشر المهاداة طى المعاداة (وقال) ضياء الدين بن الاثير فى رسالة يذكر فيها الهدية الهدية رسول يخاطب عن مرسله بغير لسان ويدخل على القلوب من غير استئذان * وبهدية المرء يستدل على عقله كما ذكر أن رجلا أهدى الى قتادة نعلا رقيقة فجعل النعمان يرزنها بيده ويقول يعرف قدر الرجل فى سخف هديته اللهم الا أن يهدى شيأ سخيفا حقيرا فيصيره بالاعتذار عنه شريفا خطيرا كما فعل أبو العتاهية فانه أهدى الى الفضل بن الربيع نعلا وكتب له معها

نعلا بعثت بها لتلبسها * قدم تسير بها الى المجد
لو كان يحسن ان أشركها * جلدى جعلت شراكها خدى

(وأهدى) الاخيطل الاهوازى الى ابن حجر فى يوم نوروز طبقا فيه وردة وسهم ودينار ودرهم وكتب معه

قل لابن حجر ذى السماح الخضرم * لازلت كالورد نضير المبسم
ونافذا مثل نفاذ الاسهم * فى عز دينار ونجح درهم

(وقال)

(وقال بعضهم) من امتنع من اهداء القليل لجلالة قدر المهدى اليه انقطعت سبل المودة بينه وبين اخوانه ولزمه الجفاء من حيث التمس الاخاء (أبو العتاهية)

هدايا الناس بعضهم لبعض * تولد فى قلوبهم الوصالا

وتزرع فى القلوب هوى وودا * وتكسوهم اذا حضروا جمالا

(آخر)

ما من صديق وان تمت صداقته * يوما بأنجح فى الحاجات من طبق

اذا تلثم بالمنديل منطلقا * لم يخش نبوة بواب ولا غلق

لا تكذبن فان الناس مذ خلقوا * لرغبة يكرمون الناس أو فرق

(وبالجملة) اذا كانت من الصغير الى الكبير فلطفت ودقت كان أبهى وأحسن واذا كانت من الكبير الى الصغير فعظمت وجلت كان أوقع لها وأنجع (أهدى) يعقوب الكندى الى بعض اخوانه سيفا وكتب معه الحمد لله الذى خصك بمنافع ما أهدى اليك فجعلك تهتز للمكارم اهتزاز الصارم وتمضى فى الامور مضاء المأثور وتصون عرضك بالارفاد كما تصان السيوف فى الاغماد ويظهر دم الحياء فى صفحة خدك المشروف كما يشف الرونق فى صفحات السيوف وتصقل شرفك بالعطيات كما تصقل متون المشرفيات (واهدى الصابى) دواة ومرفعا وكتب معهما قد خدمت مجلس مولانا بدواة يداوى بها مرض عفاته ويروى بها قلوب عداته على مرفع يؤذن بدوام رفعته وارتفاع النوائب عن ساحته (وأهدى أيضا) الى بعض الاصحاب فرسا وكتب معه قد قدمت اليك فرسا والله تعالى يبارك لك فيه ويجعل الخير معقودا بنواصيه والاقبال غرة وجهه ونيل الامانى طلق شده وفتح الفتوح غاية شاوه وادراك المطالب تحجيل قوائمه وسلامة العواقب منتهى عنانه والسلام

(من اهدى هدية حقيرة واعتذر عنها) كتب بعضهم مع هدية حقيرة

قبول الهدية اكرومة * وحاشاك من أن ترد الكرم

فان الملوك على قدرها * لتقبل نشابة أو قلم

(ابن التعاويذى)

هدية المرء تنبى عن مروأته * وعن حقارة مهديها وخسته

وما يحط من المهدى اليه اذا * كانت محقرة عن قدر رتبته

فاغفر جريمة من خست هديته * وتلك منه على مقدار قدرته

(وكتب آخر مع هداية أهداها اليلا)

بعثت عشيا الى سيد * بما هو من خلقه مقتبس
هدية خل صحيح الاخاء * جرى منه ذكرك مجرى النفس
فجد بالقبول وأيقن بان * لفرط الحياء أتت فى الغلس

(آخر)

يا أيها المولى الذى * عمت أياديه الجميله
اقبل هدية من يرى * فى حقك الدنيا قليله

(آخر)

قد بعثنا اليك أيدك الله * بشئ فكن له ذا قبول
لا تقسه الى ندى كفك الغمر * ولا نيلك الكثير الجليل
فاغتفر قلة الهدية منى * ان جهد المقل غير قليل

(ومن) ظرائف الهدايا التى هى من أحسن ما يسطر فى الصحف ويذكر ما يروى أن يحيى بن خالد بن برمك عزم على ختان ولده فاهدى اليه وجوه الدولة كل منهم بحسب حاله وقدرته فصنع بعض المتجملين العاجزين خريطتين وملأ احداهما ملحا طيبا وملا الاخرى سعدا معطرا وكتب معهما رقعة فيها لو تمت الارادة لأسعفت العادة ولو ساعدت القدرة على بلوغ النعمة لتقدمت السابقين الى خدمتك واتعبت المجتهدين فى كرامتك لكن قعدت بى القدرة عن مساواة أهل النعمة وقصرت بى الجدة عن مباهاة أهل المكنة وخشيت أن تطوى صحيفة البر وليس لى فيها ذكر فأنفذت المفتتح بيمنه وبركته وهو الملح والمختتم بطيبه ونظافته وهو السعد باسطا يد المعذرة صابرا على ألم التقصير متجرعا غصص الاقتصار على اليسير والقائم بعذرى فى ذلك ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج والخادم ضارع فى الامتنان عليه بقبول خدمته ومعذرته والاحسان اليه بالاعراض عن جراءته والرأى اسمى ثم دخل دار يحيى ووضع الخريطتين والرقعة بين يديه فلما قرأ الرقعة أمر أن تفرغا وتملأ احداهما دنانير والاخرى دراهم (ومن الحكايات المستظرفة) ما يحكى أن بعض القيان افتصدت فاهدى لها محبوها هدايا فكان من جملتهم من أهدى ثلاث سلال مخيطة ففتحت

سلة منها فوجدتها مملوأة ماشا وفيها رقعة مكتوب فيها ماش خير من لاش وفتحت الاخرى فاذا هي مملوأة عصافير فطاروا وفيها رقعة مكتوب فيها هذه أعتقتها لوجه الله تعالى شكرا له على سلامتك من فصدك وفتحت الاخرى فاذا هي فارغة لاشئ فيها الا رقعة مكتوب فيها لو كان لنا شئ لاهديناه فضحك من كان حاضرا ولم تدع القينة شيأ مما أهدى اليها الا أعطته منه

(اعتذار من لم يهد شيأ)

تأنق فى الهدية كل قوم * اليك غداة شربك للدواء
فلما أن هممت بها مدلا * لموضع حرمتى بك والاخاء
رأيت كثير ما أهدى قليلا * لديكم فاقتصرت على الدواء

(آخر)

ان أهد نفسى فهو مالكها * ولها أصون كرائم الذخر
أو أهد مالا فهو واهبه * وأنا الحقيق عليه بالشكر
أو أهد شكرا فهو مرتهن * بجميل فعلك آخر الدهر

(آخر)

وافق المهرجان حاشاك منى * رفعة الحال وهى داء الكرام
فاقتصرنا على الدعاء وفيه * عون صدق على قضاء الزمام

(آخر)

هديتى تقصر عن همتى * وهمتى تفضل عن مالى
فخالص الود ومحض الولا * أحق ما يهديه أمثالى

(ومن واجبات شيم الاحرار حفظ ما أودعوه من الاسرار)

وكتمان السر مما يجب على الاخوان أن يأخذوا أنفسهم و يروضوا به طباعهم لما فيه من الفضل وتمام الطبيعة والعقل (يحكى) أن رجلا أراد صحبة انسان فسأل بعض أصدقائه عنه فأنشده

كريم يميت السر حتى كأنه * اذا استنطقته عن حديثك جاهله
ويبدى لكم حبا شديدا وهيبة * وللناس أشغال وحبك شاغله

فقال مثل هذا ينبغى أن يناط بحبته القلوب ويطلع على خفايا السرائر والغيوب * وهذان البيتان لكثير عزة من أبيات (وأسر رجل) الى صديقه

حديثا فلما فرغ منه قال حفظته قال بل نسيته (وقيل) لعمرو بن ربيعة كيف كتمانك للسر فقال اجعل له عوضا من قلبي وشعبة من نفسي فيكون بخروجه خروجها * وقيل لاعرابي ما بلغ من حفظك للسر قال أفرقه تحت شغاف قلبي ثم لا أجمعه وأنساه كأنني لم أسمعه (وقالوا) قلوب العقلاء حصون الاسرار * وقالوا صدور الاحرار قبور الاسرار * شاعر

ولي سرائر في الضمير طويتها * ينسى الضمير بانها في طيه

* وقيل لبعضهم كيف كتمانك للسر قال أكتم المخبر وأحلف للمستخبر (وما) أحسن قول المرتضى وقد سأله الصابي كيف كتمانك للسر في محاورة جرت بينهما

لسر صديقي بين جنبي معقل * مداه على المستبطنين طويل
اذا لحقت اذني به من لسانه * فليس عليها للمغاص سبيل

(وكتب اليه أيضا)

وللسر من بين جنبي ممكن * خفي قصي عن مدارج أنفاسي
أضن به ضني بموضع حفظه * فاحميه عن احساس غيري واحساسي
كأني من فرط احتفاظي أضعته * فبعضي له واع وبعضي له ناسي

(آخر)

لا يكتم السر الا من له حسب * فالسر عند كرام الناس مكتوم
والسر عندي في بيت له غلق * قد ضاع مفتاحه والبيت مختوم

(مجنون ليلى)

ومستخبر عن سر ليلى رددته * بعمياء من ليلى بغير يقين
يقولون خبرنا فانت أمينها * وما أنا ان خبرتهم بأمين

(يروى) أن عليا رضي الله عنه قال لابي الاسود الدؤلي أريد رجلا محدثا فقال يا أمير المؤمنين ألست كذلك قال بلى ولكن أريد رجلا استريح منك اليه ومنه اليك وليكن كتوما للسر فان الرجل اذا أنس بالرجل ألقى اليه بجره وبجره وقال الشاعر

نصل الصديق اذا أراد وصالنا * ونعيد بعد صدوده احيانا
لا نظهر عند القطيعة سره * بل حافظ من ذاك ما استرعانا

(آخر)

(آخر)

ان الكريم الذى تبقى مودته * ويحفظ السر ان صافى وان صرما
ليس الكريم الذى ان غاب صاحبه * بث الذى كان من اسراره علما

(سالم اليشكرى)

اذا ما غفرت الذنب يوما لصاحب * فلست معيدا ما حييت له ذكرا
ولست اذا ما حال عن حفظ وده * وعندى له سر مذيعا له سرا

(ناقضه آخر فقال)

ولا أكتم الاسرار لكن أذيعها * ولا أترك الاسرار تغلى على قلبى
فان سخين العين من بات ليلة * تقلبه الاسرار جنبا الى جنب

(ومما يفصم بين المتحابين عرا المحاورة التزام ما يجب من حقوق المجاورة) قال الله تعالى والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب فذو القربى الجار الملاصق والجار الجنب البعيد عن الملاصقة والصاحب بالجنب الرفيق فى السفر (وكان يقال) ليس حسن الجوار كف الاذى ولكنه الصبر على الاذى * وأدنى حقوق الجار أن لا تؤذيه بقتار قدرك وان تؤمنه من حسدك وشرك (وقال) جابر بن عبد الله الجيران ثلاثة فجار له حق واحد وجار له حقان وجار له ثلاثة حقوق فاما الذى له حق واحد فجار مشرك لا رحم له فله حق الجوار وأما الذى له حقان فجار مسلم لا رحم له له حق الاسلام وحق الجوار وأما الذى له ثلاثة حقوق فجار مسلم ذو رحم له حق الاسلام وحق الرحم وحق الجوار (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم لابى ذر يا أبا ذر اذا طبخت اللحم فاكثر المرق وتعاهد جيرانك (وكان يقال) من نال من جاره حرم بركة داره (وقد ورد) عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ولا يؤذى جاره ولا يخيب من قصده (وكان) عبد الله بن أبى بكرة ينفق على أربعين دارا من جيرانه من سائر جهات داره الاربع فى كل سنة أربعين ألف دينار وكان يبعث اليهم الاضاحى والكسوة فى الاعياد والمواسم (واعطى) أبو الجهم العدوى فى داره بالبصرة مائة ألف درهم فقال لهم وبكم تشترون منى جوار سعيد بن العاص قالوا وهل رأيت جوارا يشترى قط قال والله لابعت دارا تجاور رجلا ان غبت عنه سأل

عنى وحفظنى فى أهلى وان رآنى رحب بى وقربنى وان سألته قضى حاجتى وحيانى وان لم أسأل عنه عطف على وبدانى والله لو أعطيت فيها ملأها ذهبا ما اخترته عليه ولا نظرت اليه فبلغ ذلك سعيدا فبعث اليه بمائة ألف درهم (وقال) جعفر بن أبى طالب لابيه يا أبة انى لأستحى ان أطعم طعاما وجيرانى لا يقدرون على مثله فقال له أبوه انى لارجو أن يكون فيك خلف من عبد المطلب * وقال الحسن البصرى ليس حسن الجوار كف الاذى ولكنه الصبر على الاذى (وقالوا) الاحسان الى الجار يعمر الديار ويزيد فى الاعمار * شاعر

انى لاحسد جاركم بجواركم * طوبى لمن أضحى لدارك جارا
ياليت جارك باعنى من داره * شبرا فاعطيه بشبر دارا

(وقال) بعض حكماء العجم حسن الجوار خير قرين وعلى استخلاص المودة خير معين * مسكين الدارمى

نارى ونار الجار واحدة * فاليه قبلى ينزل القدر
ماضر جار الى أجاوره * ان لا يكون لبابه ستر
أعمى اذا ما جارتى خرجت * حتى يوارى جسمها الستر (آخر)
أجود وأرعى حرمة الجار اننى * كريم بما لى كل عرق مهذب
وأمنع جيرانى من الضيم والاذى * وأركب من اكرامهم كل مركب

* (ومن النوادر المحكية فى اكرام الجار) * ما حكى أن يهوديا عطارا نزل ببعض أحياء العرب يبيع لهم من بضاعته العطرية فمات عندهم فاتوا شيخا لهم لم يكن يقطع فى الحى أمر دونه فاعلموه بخبر اليهودى فجاء وغسله وكفنه وتقدم وأقام الناس خلفه وقال اللهم ان هذا التاجر وله علينا ذمام فاذا قضينا ذمامه وصار اليك فلك الخيار أن تفعل به ما هو له أهل أو تفعل به ما أنت له أهل فانك أهل التقوى وأهل المغفرة * شاعر

راع حقوق الجار فى كل ما * حدده الله وأوصى به
وزره فى الصحة مستبشرا * وعده فى السقم وأوصابه
ولا تغير له حالة * تبدو كشهد القول أوصابه

{وهذه ظرف تكون لما ذكرناه ختاما ولنفس المتأمل وقلبه شركا وزماما}
{فيما يلزم الاصدقاء من تمازج الارواح امتزاج الصهباء بالماء القراح}

قبل

قيل لبعضهم صف لنا الصديق قال أنت هو وهو أنت الا انكما جسمان بينكما روح * وقيل لاسباط الشيبانى صف لنا الاخوة وأوجز فقال أغصان تغرس فى القلوب فتثمر على قدر العقول * وقيل لافلاطون مامعنى الصديق قال هو أنت الا أنه غيرك (وقيل) لبعضهم ما الاصدقاء قال نفس واحدة وأجساد متفرقة * وقال ابن المقفع الاخ نسيب الجسم والصديق نسيب الروح * وقيل لارسطوطاليس وقد سئل عن الصديق ما معناه فقال قلب تضمنه جسمان نظمه بعض الشعراء فقال

بنفسى أخ لى فى الامور مساعد * فلى وله جسمان والقلب واحد
اذا غاب عنى لم أجد طعم لذة * لان فؤادى شطره متباعد

(لآخر)

بابى من هو منى فى الحشا * ليته يوما على عينى مشى
روحه روحى وروحى روحه * ان يشأ شئت وان شئت يشا

(ولقد تتبعت) ما قاله الناس فى الاتحاد فما رأيت ولا سمعت أحسن من قول أبى الحسين الحلاج فى ذلك

أنا من أهوى ومن أهوى أنا * نحن روحان حللنا بدنا
نحن مذ كنا على عهد الهوى * تضرب الامثال فى الناس بنا
فاذا أبصرتنى أبصرته * واذا أبصرته قلت أنا

(وله)

جبلت روحك من روحى كما * يجبل العنبر بالمسك العبق
فاذا مسك شئ مسنى * فاذا أنت أنا لا نفترق

(وله)

مزجت روحك من روحى كما * تمزج القهوة بالماء الزلال
فاذا مسك شئ مسنى * فاذا أنت أنا فى كل حال

وهذا غاية ما بلغه علمى وأدركه فهمى وتصرف الناس فى حسن الاختيار معدود من المواهب وللناس فيما يعشقون مذاهب (وقد) أحسن الشريف الرضى فى قوله يخاطب أبا اسحق الصابى

أنت الكرى مؤنس طرفى وبعضهم * مثل القذى مانع طرفى من الوسن
لقد تمازج قلبانا كأنهما * تراضعا بدم الاحشاء لا اللبن

(ويقال) كاتب صديقك كما تكاتب حبيبك فان عذل الصداقة أرق من عذل العلاقة والنفس بالصديق آنس منها بالعشيق (ويقال) اذا كاتبت أخاك فليكن المداد من سواد الفؤاد والقرطاس من بياض الوداد فان من كرمت خصاله وجب وصاله

(الفصل الثالث من الباب الخامس عشر)
فى ذم الثقيل والبغيض بما استحسن من النثر والقريض

قال الله تعالى واذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث قالت عائشة رضى الله عنها هذه الآية نزلت فى الثقلاء (وكان) أبو هريرة رضى الله عنه اذا استثقل رجلا يقول اللهم اغفر له وارحمنا منه * وكان الاعمش واسمه سليمان ابن مهران اذا رأى ثقيلا قال ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون (وروى) عنه أنه قال من فاتته ركعتا الفجر فليلعن الثقلاء (وقيل له) لم عمشت عينك قال من نظرى الى الثقلاء فانى ما رأيت ثقيلا قط الا وأعمشت عينى * وكان يقول اذا كان عن يسارك ثقيل فى الصلاة فتسليمة واحدة تكفيك * وكان بعضهم اذا رأى ثقيلا قال استراح العميان من النظر (وقيل) لارسطوطاليس لم صار الثقيل أثقل من الحمل الثقيل قال لان الحمل تشترك الجوارح فى حمله والثقيل ينفرد القلب بثقله * شاعر

ان الثقيل وان تخفف جهده * كان الثقيل على الفؤاد ثقيلا

(وقال) بعض الملوك لطبيب جس نبضى فجسه وقال مزاج معتدل الا انى أرى فيه تكديرا فهل جالسك اليوم ثقيل قال نعم فقال هذا من ذاك (وقال) بختيشوع للمأمون لا تجالس الثقلاء فان الفلاسفة قالوا مجالسة الثقلاء حمى الروح (وقيل) لمحمد بن زكريا الرازى أيما أمر الثقيل المبرم اوشرب الدواء الكريه الرائحة المر الطعم فقال ليس ما أكسب الداء كما أعقب الشفاء ان مجالسة الثقيل تجلب الاسقام وتحل الاجسام وتورث الاحزان وتؤلم الابدان وتهد الاركان وشرب الدواء يجلو الاجسام ويحلل الاسقام ويشحذ الافهام ويدفع الاحزان وينشط الكسلان ويقوى الامكان

(وقال)

(وقال) ارسطاليس للاسكندر اياك ومجالسة الثقيل فان منها ذبول الروح وذهول العقل وموت الفزع (وقال الاصمعى) ستة يضنين وربما قتلن انتظار المائدة ودمدمة الخادم والسراج المظلم وبكاء الاطفال وخلاف من تحب ورؤية الثقيل

(ومما أثار بطلعته كوامن البغضاء فكشفت عن مساويه ستور الاعضاء) عاد الاعمش أبو حنيفة فقال له بعدما أبرم فى جلوسه يا أبا محمد ما أشد شئ مر بك فى علتك قال جلوسك عندى قال ما تشتهى قال أشتهى أن لا أراك ويحكى أنه قال له يا أبا محمد لولا ما أخاف من التثقيل عليك لاتيتك فى كل وقت فقال انك لتثقل على وأنت فى بيتك فكيف اذا جئتنى (وقال رجل) لابى العيناء ان الله لم يأخذ من عبد كريمتيه الا عوضه الله خيرا منهما فما الذى عوضك قال أن لا أرى ثقيلا مثلك (واعتذر رجل) الى آخر فى تقليل زيارته فقال ما رأيت احسانا يعتذر منه الا هذا (صلى) امام بقوم فأطال فلما سلم لامه بعض من صلى خلفه من الظرفاء فقال وانها لكبيرة الا على الخاشعين فقال أنا رسول الخاشعين اليك بانك ثقيل فانهم لا يطيقون الصبر على احتمال بردك (وقد) نظم أبو الحسن على بن أبى الطيب الباخرزى أبياتا يهجو بها اماما ثقيلا ويذكر ما وجد من جوره فى تطويله مقيلا ذكرها فى هذا الموضع لانى لما جمعت من المعنى البديع واللفظ الرائق

وأثقل روحا من عقاب عقنقل * أخف دماغا من جنوب وشمال
يؤم بنا فى القطع قطع خديسة * وأتم بصخر حطه السيل من عل
يطيل قياما فى المقام كأنه * منارة قس راهب متبتل
ويفحش فى القرآن لحنا كأنما * يشد بامراس الى صم جندل
فقلت له لما تمطى بصلبه * واردف أعجازا وناء بكلكل
وزاد برغمى ركعة فى صلاته * ألم يكن التسليم منك بأمثل

(دخل ثقيل) على الصاحب بن عباد فأطال الجلوس وأبرم فى المحادثة فكتب الصاحب رقعة واعطاه اياها فقرأها فاذا فيها

ان كنت تزعم أن الدار تملكها * حتى نقوم فنبغى غيرها دارا
أو كنت تعلم أن الدار أملكها * فقم لكى تذهب الاشجان والعارا

(ولما) قدم محمد بن المكرم من الجبل قال له أبو العيناء مالك لم تهد لنا شيأ فقال والله ما جئت الا فى خف قال كذبت لو قدمت فى خف خلفت روحك يا عجبا من جسم كالخيال وروح كالجبال (وقال رجل) لبعض المغنين فى مشاجرة جرت بينهما والله ما تعرف الثقيل الاول ولا الثقيل الثانى فقال كيف لا أعرفهما وأنا أعرفك وأعرف أباك * ألم بهذا بعض الشعراء فقال

ثقيلا براه الله وابن ثقيلة * أرى الثقل طبعا فى أبيك وفيكا
أبوك امام الناس فى الثقل كلهم * وأنت ولى العهد بعد أبيكا

(آخر)

يا من تبرمت الدنيا بطلعته * كما تبرمت الاجفان بالسهد
يمشى على الارض مختالا فأحسبه * من بغض طلعته يمشى على كبدى
لو ان فى الناس جزأ من سماجته * لم يقدم الموت اشفاقا على أحد

(قصد) حماد الراوية دار مطيع بن اياس فحجب فكتب اليه يسأله الدخول عليه

هل لذى حاجة اليك سبيل * لا نطيل الجلوس فيمن يطيل

فلما قرأ البيت أجابه

أنت يا صاحب الكتاب ثقيل * وكثير من الثقيل القليل

وقال محمد بن عرفة النحوى المعروف بنفطويه يهجو ثقيلا

يا ثقيلا على القلوب اذا عن * فقد أيقنت بطول السهاد
يا قذى فى العيون ما بين الف * يا غريما أتى على ميعاد
يا ركودا فى يوم غيم وصيف * يا وجوه التجار يوم الكساد
خل عنا فانما كنت فينا * واو عمرو كالحديث المزاد

(الناجم يذم ثقيلا)

يا قوة الناس ويا ضعف الامل * يا حيرة المماق أعيته الحيل
* يا زحل الدهر ومريخ الدول *

(ومما استجدته من مذام الثقلاء الشافية محاسنها أفهام العقلاء)

قال بعض البلغاء محذرا من مجالسة الثقيل اذا وافاك ثقيل فأره من خلقك التضرم ومن طبعك التبرم ولا توسعه ترحيبا ولا تحفل به تقريبا ولا تقبل

اليه بوجهك ولا تبخل عليه بنهجك وأوحشه عند استئناسه وتهجم له بين جلاسه وأبعده ما استطعت واقطعه فيمن قطعت فبعده راحة لنفسك ومجلبة لانسك فانك ان أدنيته اليك وأدللته عليك ضنى به جسدك وكبدك وزاد به نكدك وكمدك (أبو بكر الخوارزمى) فلان أثقل من موت الخناق وكتاب الطلاق وفقد الحبيب وطلعة الرقيب وقدح اللبلاب فى كف المريض وأشد من خراج بلا غلة ودواء بلا علة ورؤية الموت عند الكافر وقد ختم أعماله بالكبائر فلان وخز فى الاكباد وسقم فى الاجساد * وصف العباس ابن الاحنف ثقيلا فقال والله ما الحمام مع الاصرار وكثرة الذنوب مع الاقتار وشدة السقم فى الاسفار بآلم من لقائه (أبو نواس) الحسن بن هانئ الحكمى يذم ثقيلا

ثقيل يطالعنا من أمم * اذا سره رغم أنفى ألم
لطلعته وخزة فى الفؤاد * كوخز المشارط فى المحتجم
أقول له اذ أتى لا أتى * ولا نقلته الينا قدم
فقدت خيالك لا من عمى * وصوت كلامك لا من صمم

(وصف) بعضهم ثقيلا فقال لا أدرى كيف لم تحمل الامانة أرض حملته وكيف احتاجت الى الجبال بعدما أقلته كانما قربه فقد الحبائب وسوء العواقب وكانما وصله عدم الحياة وموت الفجاة (شاعر)

يطول بقربك اليوم القصير * ويرحل ان مررت بنا السرور
لقاؤك للمبكر فأل سوء * ووجهك أربعاء لا تدور

(آخر)

اذا ما بدى طالعا فكأنه * حضور غريم أو طلوع رقيب
وان جاء نحوى قاصدا فكأنه * كتاب بعزل أو فراق حبيب

(آخر)

وثقيل أشد من غصص المو * ت ومن كيده العذاب الاليم
لو عصت ربها الجحيم لما كا * ن سواه عقوبة للجحيم

(حسام الدين البخارى)

خلق الناس من منى وهذا الـ * ـولد النحس من رجيع أبيه

ففشا الافشا ثقيلا مقيتا * ليس فيه خير لمن يرتجيه
لم يكن منهما انكاح ولكن * فتحت فرجها فاحدث فيه
نتنا لناظري ولقلبي * حرجا كلما نظرت اليه

(نادرة) دخل اعرابي على ثلاثة يشربون واغلا فقال أحدهم

أيها الداخل الذي جاء يطوى * حين لذ الحديث لي ولصحبي

(فقال الثاني)

خف عنا فانت أثقل والله * علينا من فرسخي دبر كعب

(وقال الثالث)

ومن الناس من يخف وفيهم * كرحى البزر دائر فوق قطب

(فقال الاعرابي)

لست بالبارح العشية والله * لشتم ولا لشدة ضرب
أو تميلوا بالكبر فوراً علينا * ثم تعلوا من فوق ذاك بقعب

فاستظرفوه وخلطوه بهم

(ومما يكون لنفس المتأمل قوتا ذم من كان بغيضا ممقوتا)

(سئل) جعفر الصادق رضى الله عنه هل يكون المؤمن بغيضا قال لا ولا يكون ثقيلا (وذكر انوشروان) أنه لما أراد أن يصير ولده هرمز ولى عهده استشار أولياءه في ذلك فكل ذكر عيبا لا يستحق به الملك فمن قائل لا يصلح للملك لانه قصير وذلك مما يذهب بهاء الملك فقال أنوشروان محتجا له انه لا يكاد يرى الا راكبا أو جالسا على سرير فلا يبين عليه ذلك ومن قائل انه ابن رومية والملك اذا كان ابن أمة نقصه ذلك من أعين الناس فقال أنوشروان محتجا له ان الابناء ينتسبون الى الآباء ولا ينتسبون الى الامهات فلا يضره ما قلت فقال الموبذان ان فيه عيبا وهو أنه مبغض الى الناس فقال أنوشروان عند ذلك هذا هو العيب الذي لا مدح معه ولا عذر عنه والداء الذي لا برء له فقد قيل ان من كان فيه خير ولم يكن ذلك الخير للناس فلا خير فيه (وقالوا) فلان أوحش من ربع تحول سكانه وتحمل اظعانه وغارت نجومه وعفت رسومه (وقالوا) فلان أقذى للعين من ساعة داعية البين بين المحبين * وقالوا فلان لا تحبه الناس حتى تحب الارض الدم وذلك انها تعاف الدم فلا تقبله

*شاعر يهجو بغيضا

يا بغيضا زاد فى البغـ * ـض على كل بغيض
أنت عندى قدح اللبـ * ـلاب فى كف المريض

(وقالوا) فلان ابغض من زوال النعمى وفوت المنى وطلعة الردى (وقالوا) مجالسة البغضاء تزيد الهموم وتجلب الغموم وتؤلم القلب وتشد أزر الكرب وتكدح فى النشاط وتطوى بساط الانبساط

(الباب السادس عشر فى العزلة وفيه ثلاثة فصول)

(الفصل الاول من هذا الباب)

فى ذم الاستئناس بالناس لتلون الطباع وتنافى الاجناس

(قال الله تعالى) حكاية عن موسى عليه الصلاة والسلام ففررت منكم لما خفتكم فوهب لى ربى حكما وجعلنى من المرسلين (وقال) عليه الصلاة والسلام أحب العباد الى الله الاتقياء الاخفياء الذين اذا غابوا لم يفتقدوا واذا شهدوا لم يقربوا أولئك أئمة الهدى ومصابيح الظلم (وقيل) لبعض العباد ما أصبرك على الوحدة قال أنا جليس الرب اذا شئت أن يناجينى قرأت كتابه واذا شئت ان أناجيه صليت له (وقال) ذو النون المصرى الانس بالله نور ساطع والانس بالخلق غم قاطع (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم صومعة المؤمن بيته يكف فيها نفسه وبصره ولسانه وفرجه (وقال الجنيد) للسرى السقطى أوصنى فقال لا تكن مصاحبا للاشرار ولا تشتغل باللاهى عن الاخيار (وفى) كتاب كليلة ودمنة ينبغى لذى المروءة أن يكون اما مع الملوك مبجلا أو مع النساك متبتلا كالفيل اما أن يكون مركبا نبيلا أو فى البرية مهيبا جليلا (وقال) على رضى الله عنه من وجد فى نفسه وحشة من الناس فليعلم أن الله أحب أن يؤنسه به (وقالوا) ما استغنى أحد بالله الا وافتقر الناس اليه (وقال) بعض الحكماء الانس بالله من حبه لك فان الله اذا أحب عبدا أوحشه من خلقه (وقد قيل) من خلق التوحيد حب الوحدة (وقال الجنيد) أطيب ساعاتى خلواتى وألذ طاعاتى فى مناجاتى (ولله در من قال)

من حمد الناس ولم يبلهم * ثم بلاهم ذم من يحمد
وصار بالوحدة مستأنسا * يوحشه الاقرب والابعد

* (فيما) * يكون عونا للكريم على الانقطاع ذم ما الناس عليه من لؤم الطباع (قال) سفيان الثورى للحسن البصرى دلنى على من أجلس اليه قال تلك ضالة لا توجد (وقيل لبعضهم) ما الصديق قال اسم وضع على غير مسمى وحيوان غير موجود * الناشى

سمعنا بالصديق ولا نراه * على التحقيق يوجد فى الانام
وأحسبه محالا نمقوه * على وجه المجاز من الكلام

(وقيل لبعضهم) من أبعد الناس سفرا قال من كان فى طلب صديق صدوق يكون عونا له على مهماته وغوثا على ملماته (سمع المامون) أبا العتاهية ينشد

وانى لمحتاج الى ظل صاحب * يروق ويصفو ان كدرت عليه

فقال خذمنى الخلافة وأعطنى هذا الصاحب وقبل هذا البيت

عذيرى من الاخوان لامن جفوته * صفا لى ولا من كنت طوع يديه

(وقال بعضهم) ان كان فى مخالطة الناس خير فان تركهم اسلم (وقال) بعض الرهبان لرجل ان استطعت أن يكون بينك وبين الناس سور من حديد فافعل وان كان الانس فى الجماعة فان السلامة فى العزلة (وقال الشاعر)

ليس فى الناس وفاء * لا ولا فى الناس خير
قد بلوت الناس طرا * فكسير وعوير

(آخر)

كن لقعر البيت جلسا * وارض بالخلوة أنسا
واغرس الناس بارض الـ * ـزهد مهما شئت غرسا
وليكن يأسك دون الـ * ـطمع الكاذب ترسا
لست بالواجد حرا * أو ترد اليوم أمسا

(كتب بعضهم) الى صديق له أما بعد فانى أحمد الله الى الناس وأذم الناس اليه (وقيل لبعضهم) ما تجد فى الخلوة قال الراحة من مدارة الناس والسلامة من شرهم (وقال الشاعر)

وقالوا لقاء الناس أنس وراحة * ولو كنت أرضى الناس ما عشت مفردا

(وكتب) محمد بن عبد الله بن طاهر الى أخيه من مدينة السلام وكان أخوه بخراسان يشكو اليه قلة وفاء الرئيس وتأذيه بحضرة الجليس فكتب اليه جوابا

طب عن الامة نفسا * وارض بالوحدة أنسا
ما رأينا أحداسا * وى على الخبرة فلسا

(آخر)

قد بلوت الناس طرا * لم أجد فى الناس حرا
صار أحلى الناس فى العين اذا ما ذيق مرا

(أبو حامد الغزالى)

لا تجزعن لوحدة وتفرد * ومن التفرد فى زمانك فازدد
ذهب الاخاء فليس ثم أخوة * الا التملق باللسان وباليد
فاذا كشفت ضميرما بصدورهم * ابصرت ثم نقيع سم الاسود

(آخر)

اذا ما طلبت أخا مخلصا * فهيهات منك الذى تطلب
فكن بانفرادك ذا غبطة * فما فى زمانك من تصحب

(آخر)

بلوت الاناس وأهل الزمان * وكل بهجر ولوم خليق
وأوحشنى من عدوى الزمان * وآنسنى بالعدو الصديق

(آخر)

بلوت الناس من غرب وشرق * فلم تظفر يدى بصديق صدق
فقلت مجانبا للخلق طرا * يبيت منادمى قدحى وزقى
وفى الآداب لى الف وأنس * وفضل الله يأتينى برزقى

(آخر)

ما أعجب الناس فى تقلبهم * ذا شهد طعمه وذا صبر
ترضى على الشخص حين تبصره * ويسخط العقل حين يختبر

(وقال) بعض الحكماء الوحشة من الناس على قدر المعرفة بهم منه * قول على رضى الله عنه أخبر تقله (وقال المأمون) لولا أن كلام على فرع من كلام النبوة لعكسته وقلت اقله تخبر (وقال) وهيب بن الورد صحبت الناس منذ خمسين سنة فما وجدت رجلا غفر لى زلة ولا أزاح لى علة ولا أقالنى عثرة ولا ستر لى عورة (وقال) على رضى الله عنه اذا كان الغدر طباعا فالثقة بكل أحد عجز

(شاعر)

أما الوفاء فشئ قد سمعت به * وما وجدت له عينا ولا أثرا
فمن توهم فى الدنيا اخا ثقة * فانه بشر لا يعرف البشرا

(آخر)

ذهب الوفاء ذهاب أمس الذاهب * فالناس بين مخاتل ومو ارب
يفشون بينهم المودّة والصفا * وقلوبهم محشوة بعقارب

(آخر)

لك الخير فاعلم ليس فى الناس منصف * وكل وداد فهو منهم تكلف
وكل اذا عاهدته فهو ناقض * لعهدك أو واعدته فهو مخلف
وأبناء هذا الدهر كالدهر لم يثق * به وبهم الا جهول مسوف

(آخر)

ذهب الوفاء فلا وفا * ء ولا حياء ولا مروة
الا التواصل باللسا * ن من النفوس بلا أخوة

(عبد المحسن الصورى)

نزع الدهر خلتين من النا * س وفاء الاخاء وصدق الصديق

(ويقال) العزلة عن الناس توفر العرض وتبقى الجلالة وتستر الفاقة وتدفع مؤنة المكافأة فى الحقوق (لما) وقع الاختلاف فى المدينة خرج عروة بن الزبير الى العقيق واعتزل الناس فعاتبه بعض اخوانه فقال رأيت السنتهم لاغية وقلوبهم لاهية وأديانهم واهية فخفت أن تلحقنى معهم الداهية (شاعر)

ألام على التفرد كل وقت * ولى فيما ألام عليه عذر
وكل أذى فصبور عليه * وليس على قرين السوء صبر

(آخر)

وأفردنى عن الاخوان علمى * بهم فبقيت مهجور النواحى
فكم ذم لهم فى جنب مدح * وجد بين أثناء المزاح

(الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه)

اذا لم أجد خلا تقيا فوحدتى * ألذ وأشهى من غوى أعاشره
وأجلس وحدى للسفاهة آمنا * أقر لعينى من جليس أحاذره

(وقال)

(وقال) جعفر الصادق العزلة أسكن للفؤاد وأبعد من الفساد وأعود للمعاد (الثعالبي) اذا كان الصديق المجانس متعذرا وصحيح الاخاء لا يكاد يرى فالثقة بغير الله منفصمة العرى (وقالوا) اذا أنس اللبيب بالوحدة دون المصاحب ونزه نفسه باكرامها عند تغير الاخ والصاحب وتزين بالدين وتحلى بحلية المؤمنين والزم نفسه الرياضة بالآداب وأعتق رقبها من أليم العذاب فقد استراح وأراح ووجد فى كل قطر المطار والمراح (وأنشد) لعلى بن عبد العزيز الجرجانى

ما تطعمت لذة العيش حتى * صرت فى وحدتى لكتبى جليسا
ليس شئ أعز عندى من نفـ * ـسى فلم أبتغى سواها أنيسا
انما الذل فى مداخلة النا * س فدعها وعش كريما رئيسا

(وما أحسن قول بعضهم فى المعنى)

اذا ما خلوت من المؤنسين * جعلت المؤانس لى دفترى
فلم أخل من شاعر محسن * ومن مضحك طيب مندر
ومن حكم بين أثنائها * فوائد للناظر المفكر
فان ضاق صدرى بأسراره * وأودعته السر لم يظهر
فلست أرى مؤثرا ما حييت * عليه نديما الى المحشر

(ولآخر)

وما ظفرت يدى بصديق صدق * أخاف عليه الا خفت منه
ولم تدع التجارب لى صديقا * أميل اليه الا ملت عنه
أنست بوحدتى حتى لو انى * رأيت الانس لاستوحشت منه

(ابو فراس)

بمن يثق الانسان فيما ينوبه * ومن أين للحر الكريم صحاب

(ومما) اخترت من كلام الحكماء الاجلاء فى التحذير من اتخاذ الاصدقاء والاخلاء (قال بعض الزهاد) لو أن الدنيا ملئت سباعا ما خفتها ولو بقى واحد من الناس لخفته (وقالوا) استعذ من شرار الناس وكن من خيارهم على حذر (وقال آخر) ما بقى فى الناس الا حمار رامح أو كلب نابح أو أخ فاضح (وقال أبو الدرداء) كان الناس ورقا لا شوك فيه فصاروا شوكا لا ورق فيه (وقال سلمان)

الناس أربعة أصناف آساد وذئاب وثعالب وضأن فالآساد الملوك والذئاب التجار والثعالب القراء المخادعون والضأن المؤمن ينهشه كل من يراه (شاعر)

الناس أخلاقهم شتى وان جبلوا * على تشابه أفراد وأزواج

(وقال) بعض الحكماء احذروا الناس فما ركبوا اسنام بعير الا دبروه ولا ظهر جواد الا عقروه ولا قلب مؤمن الا أخربوه (وقال) خالد بن صفوان الناس أجياف فمنهم كالكلب لا تراه الدهر الا هرارا على الناس ومنهم كالقرد يضحك من نفسه (وقال) عبد الحميد الكاتب الناس أجياف مختلفون وأطوار متباينون فمنهم من علق مظنة لا تباع ومنهم من غل مظنة لا تبتاع (وقال) جعفر الصادق لبعض اخوانه اقلل من معرفة الناس وأنكر من عرفت منهم وان كان لك مائة صديق فاطرح منهم تسعة وتسعين وكن من الواحد على حذر (وقال) بعض البلغاء بلوت الناس طرا فلم أجد الا من يرى الحق باطلا والباطل حقا واللئيم مرفوعا والكريم ملقى والنصح غشا والغش نصحا والمدح هجاء والهجاء مدحا (العتابي في مثل ذلك)

تساوى أهل دهرك في المساوى * فما يستحسنون سوى القبيح
وصار الناس كلهم غثاء * فما يرجون للامر النجيح
وأضحى الجود عندهم جنونا * فما يستعقلون سوى الشحيح
وكانوا يغضبون من الاهاجي * فصاروا يغضبون من المديح

(وقال حكيم) مصاحبة الناس خطر فمن صبر على صحبتهم فقد بالغ في العذر انما هو كراكب بحر ان سلم بدنه من الغرق لم يسلم قلبه من الفرق (شاعر)

تجنب قرين السوء واصرم حباله * وان لم تجد عنه محيصا فداره
ومن يطلب المعروف في غير أهله * تجده وراء البحر أو في قراره

(وصف) بعض البلغاء أهل زمانه فقال أحظى الناس لديهم من أحسن اليهم فان قصر عنهم رفضوه وابغضوه ووتروه ولم يعذروه ان حضروا داهنوا وان غابوا شاحنوا ينطوون على الاحن ولا يرثون للممتحن غنيهم شحيح وفقيرهم مجيح ان رأوا خيرا دفنوه وان ظنوا شرا أعلنوه الواثق منهم على غرر والمتمسك بهم على خطر هم بين طاعن ثالب ومتقول كاذب وحسود موارب ان اختبرتهم تكشفوا وان اعتبرتهم تزيفوا وأنشد

ان

ان يسمعوا الخير يخفوه وان سمعوا * شرا أذيع وان لم يسمعوا كذبوا

(ولقد أحسن فى التحذير من قال)

اياك أن تصطفى ممن ترى أحدا * ولا تثق بامرئ فى حالة أبدا

من عاش منفردا لم يأته ندم * على اتخاذ صديق فى الانام غدا

(ومما) يكون مماثلا لهذا القول ومعادلا التحذير من صحبة السلطان وان كان عادلا (قال الاعمش) صحبة السلطان خطران أطعته خاطرت بدينك وان أغضبته خاطرت بنفسك والسلامة منه أن لا تعرفه (وقال) ابن مسعود ان الرجل ليدخل الى ذى سلطان ومعه دينه ويخرج وليس معه منه شئ (وقال) عبد الله بن عمر ما ازداد رجل من ذى سلطان قربا الا ازداد من الله بعدا (وقال) الفضيل بن عياض كنا نتعلم اجتناب السلطان كما نتعلم السورة من القرآن * وقال أيضا لأن يدنو الرجل الى حتفه ومنيته خير له من أن يدنو الى ذى سلطان * وقال أيضا ما أقبح بالعالم أن يقال أين هو فيقال هو فى بيت الامير وكتب أبو بكر بن عياش الى عبد الله بن المبارك ان كان الفضيل بن موسى لا يجالس السلطان فأقرئه منى السلام (أبو الفتح البستى)

يا من يرى خدمة السلطان عدته * ما أرش ذلك الا الذل والندم

فجسمه تعب والنفس خائفة * وعرضه غرض والدين منثلم

هذا اذا شرفت ايام دولته * نعوذ بالله ان زلت به القدم

(وقال) زياد بن أبى سفيان يوما لجلسائه من أنعم الناس عيشا قالوا أمير المؤمنين يعنى معاوية قال فكيف بثغوره وأموره ان لأعواد المنبر لهيبة ولقرع لجام البريد لروعة قال فنحن قالوا فأنت قال فكيف بجنودى وخراجى ومداراة الناس قالوا فمن اذا قال رجل له دار يسكنها وزوجة صالحة يأوى اليها وخادم وكفاف من العيش لا يعرفنا ولا نعرفه فانه ان عرفنا وعرفناه أفسدنا آخرته ودنياه (شاعر)

وصاحب السلطان فى محنة * فى آجل الامر وفى حينه

ان ساءه خاف على نفسه * أو سره خاف على دينه

(آخر)

ان الملوك بلاء حيثما رحلوا * فلا يكن لك فى أكنافهم ظل

ماذا تريد بقوم ان هم غضبوا * جاروا عليك وان أرضيتهم ملوا

فان أتيتهم تبغى نوالهم * رجعت منقبضا من دينك الكل

فاستغن بالله عن أبوابهم كرما * ان الوقوف على أبوابهم ذل

(الفصل الثانى من الباب السادس عشر)

فيما يحض على الاعتزال من ذميم الخلائق والخلال

فأهم ما نبدأ به منها ولا يمكننا الاعراض عنها ترفع من سوغته الاقدار منصبا أو مالا على صديق ما برح فى وده يتغالى (قال بعضهم)

تغير عنى حين ولوه منصبا * وعهدى به من قبل ذا وهو صاحب

وما هو فى الدنيا بأول صاحب * وأول رجل غيرته المناصب

(آخر)

ان الولاية معيار العقول بها * يبين من فيه نقص أو به عور

فكم أصمت سميعا كان ذا أذن * قبل التولى وأعمت من له بصر

(ويروى) عن محمد بن ادريس الشافعى أنه قال أظلم الناس لنفسه اللئيم فانه اذا ارتفع جفا أقاربه وانكر معارفه واستخف بالاشراف وتكبر على ذوى الفضل (شاعر)

ليس الكريم الذى ان نال منزلة * فضلا وطولا على اخوانه تاها

الحر يزداد للاخوان مكرمة * ان نال حظا من السلطان أو جاها

(أبو بكر الخوارزمى)

كفى حزنا أن لا صديق ولا أخ * يفيد غنى الا داخله كبر

فلا نال فوق القوت مثقال ذرة * صديق ولا أوفى على عسره يسر

وماذاك الا رغبة فى وصاله * والا حذارا أن يلم به العذر

(ولبعضهم يعاتب صديقا له ولى حين ولى)

ولما صرت قد ملكت يد الليالى * وحكمك الزمان على بنيه

عدلت عن الوداد وكنت قدما * لدينا تبتغيه وترتضيه

(آخر)

دعوت الله أن تعلو محلا * علوّ البدر فى أفق السماء
فلما أن علوت علوت عنى * فكان اذا على نفسى دعائى

(آخر)

انّ الولاية غيرت أصحابنا * فلووا وجوههم عنا وتبدّلوا
فاصبر على جور الليالى منهم * واترك عناءهم الى أن يعزلوا

(آخر)

قل لعبيد الله ذاك الذى * قد غير السلطان أطباعه
ابتاع ودى وهو ذو عسرة * حتى اذا نال الغنى باعه

(آخر)

وربّ ذى ثقة قد كان لى سكنا * وكنت منه مكان العين فى الراس
ولى وأعرض عنى اذ أفادغنى * وخانه سوء بنيان وآساس
حتى اذا ما قضى من ماله وطرا * فيما أحب من اللذات والكاس
غدا الىّ بوجه ضاحك طلق * وعاد فى ودّه من بعد افلاس

(آخر)

تاه علينا وزاد اطراقه * وخاننا عهده وميثاقه
وكل من نال فوق رتبته * تغيرت للصديق أخلاقه

(وقال) عبد الصمد بن بابك يشكو صديقا مال حين اكتسب المال وحال عند ما صلح منه الحال

أشكو اليك زمان ظلّ يعركنى * عرك الاديم ومن يعدى من الزمن
وصاحب الست مغبوطا بصحبته * دهرا فغادرنى فردا بلا سكن
هبت له ريح اقبال فطار بها * نحو السرور وألجانى الى الحزن
نأى بجانبه عنى وصيرنى * مع الاسى ودواعى البين فى قرن
وباع صفو وداد كنت أقصره * عليه مجتهدا فى السرّ والعلن
وكان غالى به حينا فأرخصه * يامن رأى صفو ودّ بيع بالثمن
فليس فى الارض مغبون بصفقته * ان لم يكن ذاك منسوبا الى الغبن
كأنه كان مطويا على احن * ولم يكن من عيون الشعر أنشدنى
انّ الكرام اذا ما أسهلوا ذكروا * من كان يألفهم فى المنزل الخشن

(وقال آخر) يعاتب صديقاله تغير عليه عندما نظر الزمان بعين المقت اليه

وكنت أخي أيام عودك يابس * فلما اكتسى واخضر صرت مع النسر
لعمرك لوذوقتني ثمر الغنى * أذقتك مايرضيك من ثمر الشكر
فلونلت مايغني بك اليوم أوغدا * أنلتك مايبقى الى آخر الدهر
ألم ترأن الفقر يرجى له الغنى * وأن الغني يخشى عليه من الكفر

(آخر)

ألم ترأن ثقات الرجال * اذا الدهر ساعدهم ساعدوا
وان خانه دهره أسلموه * فلم يبق منهم له واحد
ولو علم الناس أن المريض * يموت لما عاده عائد

(آخر)

كم من صديق لنا أيام دولتنا * قد كان يمدحنا فصار يهجونا
لم ندر اذا ما انقضت عنا امارتنا * من كان ينصح ممن كان يغوينا
ما ان يلاطفنا من كان يصحبنا * الا ليخدعنا عما بايدينا

(آخر)

صديقك حين تستغني كثير * ومالك عند فقرك من صديق
فلا تغضب على أحد اذا ما * طوى عنك المودة عند ضيق

(آخر)

أرى قوما وجوههم حسان * اذا كانت حوائجهم الينا
وان كانت حوائجنا اليهم * تغير حسن وجههم علينا
ومنهم من يمنع مالديه * ويغضب حين نمنع مالدينا
فان يك فعلهم سمجا وفعلي * قبيحا مثله فقد استوينا

(ومما) يدل على صغر الهمة والنفس التلون على الصديق المصاحب بالامس (قال) بعضهم لأن أبتلى بألف جموح لجوج أحب الي من أن ابتلى بمتلون (وقال آخر) اذا كان لك صديق فلا تتمن له رفعة فبقدر ارتفاعه يكون انحطاطك من عينه * ولا تلتفت الى قول حبيب بن أوس الطائي

ان الكرام اذا ما اسهلوا ذكروا * من كان يألفهم في المنزل الخشن

فليس كما قال فانه بالرتبة يشمخ أنفه بعد الخسة والضعة ويفرد صديقه بالبؤس وان كان من قبل شريكه وقسيمه فى الدعة ويقابل اقباله فى الزيارة بالملالة ويعد معرفته له عثرة لا يرجى لها اقالة فان وقف ببابه حجبه وان دخل فى غمار الناس ازدراه ومن تبرم به أعجبه وخذ بما قال الفقيه منصور بن اسمعيل المقرى

اذا ما رأيت امرأ فى حال عشرته * بادى الصداقة ما فى وده دغل
فلا تمن له حالا ايسر بها * فانه بانتقال الحال ينتقل

وكان منصورا ألم بقول بعض البلغاء لا تطلبن لاخيك رتبة هى أرفع من رتبته التى هو مساويك فيها فانه ينتقل عنك فى أحوال ثلاثة يكون صديقك عند حاجته اليك ومعرفتك عند استغنائه عنك وعدوك حال احتياجك اليه (وقال) بعض الاعراب يذكر صديقا تلون عليه صفرت عياب الود بينى وبينه بعد امتلائها واكفهرت سوالف وجوه المسرات وكانت نضرة بمائها فأدبر ما كان بينى وبينه مقبلا وأقبل ما كان مدبرا وصارت مودته متنقلة كتنقل الافياء واخوته متلونة كتلون الحرباء (وقال بعضهم) المتلون ان ودك لشئ ملك عند انقضائه (ويقال) اياك ومن مودته على قدر حاجته اليك فعند ذهاب الحاجة ذهاب المودة (وقال) بعض الاعراب لولده يا بنى لا تصحب من اذا أيس من خيرك مال الى غيرك (وقالوا) اذا انقطع من صديقك رجاؤك فألحقه بعدوك (وما أحسن قول بعضهم)

اذا تاه الصديق عليك كبرا * فته زهدا على ذاك الصديق
وان سلك الغرام به طريقا * فخذ عرضا سوى ذاك الطريق
فايجاب الحقوق لغير راع * حقوقك رأس تضييع الحقوق

(ولبشار بن برد)

اذا كان ذواقا أخوك من الهوى * موجهة فى كل أوب ركائبه
فخل له وجه الفراق ولا تكن * مطية رحال كثير مذاهبه

(الكميت بن زيد) ولقد أحسن فى الانفة اذا عطس بأنف شامخ وأبان عن أنف فى الكرم راسخ من أبيات يفتخر

وما أنا بالنكس الدنى ولا الذى * اذا صد عنه ذو المروأة يقرب

ولكنه ان دام دمت وان يكن * له مذهب عنى فلى عنه مذهب
ألا ان خير الود ود تطوعت * به النفس لا ود أتى وهو متعب

(وقيل) لبعض الولاة كم لك من صديق فقال أما فى حال الولاية فكثير ثم أنشد

الناس اخوان من دامت له نعم * والويل للمرء ان زلت به القدم

(آخر)

تلونت حتى لست أدرى من العمى * أريح جنوب أنت أم ريح عاصف
قريب بعيد جاهل متبصر * سخى بخيل مستقيم مخالف
صدوق كذوب لست ادرى خليله * أيجفوه من تلوينه أم يلاطف
ولست بذى غش ولست بناصح * وانى من عجبى لشأنك واقف
كذاك لسانى شاتم لك مادح * كما أن قلبى جاهل بك عارف

(كتب بعضهم) الى صديق له تلون عليه أما بعد فقد عاقنى الشك فى أمرك عن عزيمة الامر فيك لانك بدأتنى بلطف من غير جراءة ثم أعقبتنى جفاء من غير جريمة فأطمعنى أولك فى اخائك وآيسنى آخرك من وفائك فسبحان من لوشاء لكشف بايضاح الرأى فى أمرك عن ظلمة الشك فيك فأقمنا على ائتلاف وافترقنا على اختلاف والسلام (وكتب آخر)

قل للذى لست أدرى من تلونه * أناصح أم على غش يداجينى
انى لاكثر مما سمته عجبا * يد تشج وأخرى منك تواسينى

(ولما) نكب على بن عيسى الوزير لم ينظر ببابه أحدا من أصحابه وآله واخوانه الذين كانوا ملازمين له فى حال تصرفه واشتغاله فلما ردت اليه الوزارة اجتمعوا اليه وعطفوا عليه وجعل كل منهم يأخذ فى السبق للقياه والنظر الى محياه فحين رآهم كذلك أنشد

ما الناس الا مع الدنيا وصاحبها * فكيف ما انقلبت يوما به انقلبوا
يعظمون أخا الدنيا فان وثبت * عليه يوما بما لا يشتهى وثبوا
لا يحلبون لحى در لقحته * حتى يكون لهم شطر الذى حلبوا

*عادى الزمان بعض الوزراء فنظر بعين المقت اليه وقبض عنه المساريد القبض عليه ثم عاد فألبسه من الاقبال حللا أجره أذيالها وصرف لخدمته

بأزمّة الانقياد فحمله أعباء المنن وأثقالها فقال يعاتب من انقطع عنه في حال خموله ويشعره بأن نجم سعده طلع بعد أفوله

عاداني الدهر بعض شهر * فأعرض الناس ثم بانوا
يا أيها المعرضون عني * عودوا فقد عاود الزمان

(ومن ذميم فعلات الاخوان الخوان اغتياب من غاب من الاخوان)

(قال الله تعالى) ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه * وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله حرم من المسلم دينه وعرضه وأن يظن به السوء (وقالوا) الاخ الصادق من أهدى الى أخيه عيبه وحفظ له غيبه * وقالوا الغيبة جهد العاجز * وقالوا اياك وصحبة من اذا حضر أثنى ومدح واذا غاب عاب وقدح (وقالوا) اللئيم اذا غاب عاب واذا حضر اغتاب (وقالوا) الريبة عار والغيبة نار (ويقال) من عف عن الريبة كف عن الغيبة (وقال العتابى) شر الاخوان من اذا وجد مادحا مدح وان وجد قادحا قدح وان استودع سرا فضح * الشريف الرضى

اذا أنت فتشت القلوب وجدتها * قلوب أعاد في جسوم أصادق

(ابن المعتز)

بلوت أخلاء هذا الزمان * وأقللت بالهجر منهم نصيبي
وكلهم ان تصفحتهم * صديق العيان عدو المغيب

(وقال) من أكل خبزه بلحوم الناس لم يصن نفسه من الادناس * ومر عمرو ابن العاص على جيفة ملقاة فقال لاصحابه والله لان يأكل أحدكم من هذه حتى يمتلئ خير له من أن يأكل لحم أخيه (وكان) أبو الطيب الظاهري يهجو بني ساسان فقال له نصر بن أحمد الى متى تأكل خبزك بلحوم الناس فخجل ولم يعد (وقيل) أوحى الله الى موسى عليه السلام من مات مصرا على الغيبة فهو أول من يدخل النار ومن مات تائبا منها فهو آخر من يدخل الجنة (وقال) علي بن الحسين لرجل اياك والغيبة فانها ادام كلاب الناس (اغتاب) رجل رجلا عند مسلم بن قتيبة فقال له مه فلقد تلمظت بمضغة طالما عافتها الكرام * ويحكى عنه انه ذكر عنده رجل فتكلم فيه بعض أهل المجلس فقال له مسلم قد أوحشتنا من نفسك ومن ودتك ودللتنا على عورتك * وما أشد نصح من قال

لايكن لسانك رطبا بعيوب أصدقائك تزيدهم فى اعدائك (أضاف) ابراهيم ابن أدهم أناسا فلما قعدوا للطعام اخذوا فى الغيبة فقال لهم ابراهيم ان من قبلنا كانوا يأكلون الخبز قبل اللحم وأنتم أكلتم اللحم قبل الخبز (أبو تمام)

قبح الله صاحبا قطف الصحـ * ـبة حرب المغيب سلم التلاقى

(الصاحب بن عباد)

احذر الغيبة فهى الـ * ـفسق لا رخصة فيه

انما المغتاب كالآ * كل من لحم أخيه

(الوزير المغربى)

أى شئ يكون أقبح مرأى * من صديق يكون ذا وجهين

من ورائى يكون مثل عدوّى * واذا يلقنى يقبل عينى

(ابن المعتز)

أخ لى يعطينى الرضا فى حضوره * ويمنعنى بعض الرضا وهو بائن

اذا ما التقينا سرّنى منه ظاهر * وان غاب عنى ساءنى منه باطن

على غير ذنب غير أن مساويا * له علمتنى كيف تأتى المحاسن

(ولبعضهم يهجو)

صديقك لا يثنى عليك بطائل * فماذا به عنك العدوّ يقول

وحسبك من لؤم وخبث طوية * بانك عن عيب الصديق سؤل

(آخر)

يضاحكنى فوه اذا ما لقيته * ويرشقنى ان غبت عنه بأسهم

وكم من صديق ودّه فى لسانه * وفى قلبه ان غبت صاب وعلقم

(آخر)

لى صاحب جعل المساوى دأبه * تصوير معناها وصيغة لفظها

فكأنه ملك الشمال موكل * أبدا بكتب السيآت وحفظها

(آخر)

وما صاحبى عند الرخاء بصاحب * اذا لم يكن عند الامور الصعائب

اذا ما رأى وجهى فأهلا ومرحبا * ويرمى ورائى بالسهام القواضب

(آخر)

اذا انتقد الناس الكرام رأيتهم * يطنوا طنين الزيف فى كف ناقد

(كثير عزة)

أنت فى معشر اذا غبت عنهم * بدلوا كل مايزينك شينا
واذا مارأوك قالوا جميعا * أنت من أكرم الرجال علينا

(ولله در من قال)

شر السباع الضوارى كونه وزرا * والناس شرهم مادونه وزر
كم معشر سلموا لم يؤذهم سبع * وماترى بشرا لم يؤذه بشر

(ومما يرغب الوحيد فى انفراده حسد أهل الصفوة من وداده)

الحسد داء دوى وخلق ردى يدل على فساد الدين وقلة اليقين ومازال صاحبه حليف هموم وأليف غموم وظالما فى زى مظلوم وأى خير عند من جبلت على الحقد طباعه وحنيت على الغل أضلاعه وأمر بالاستعاذة بالله من شره وحض على الاحتراس من ضره (قيل) لعبد الله بن عبدة كيف لزمت البدو وتركت قومك قال وهل بقى فى الناس الا من اذا رأى نعمة بهت واذا رأى عثرة شمت ثم أنشد

عين الحسود اليك الدهر ناظرة * تبدى المساوى والاحسان تخفيه
يلقاك بالبشر يبديه مكاشرة * والقلب ملتئم فيه الذى فيه

(وقال معاوية بن أبى سفيان) كل الناس قادر أن أرضيه الا حاسد نعمة لا يرضيه الا زوالها * وقالوا الحسد داء يفعل فى الحاسد أكثر من فعله فى المحسود * نظم هذه الكلمات محمود الوراق فقال

أعطيت كل الناس منى الرضا * الا الحسود فانه اعيانى
لا أن لى ذنبا اليه علمته * الا تظاهر نعمة الرحمن
يطوى على حسد حشاه لان يرى * من حال مالى أو لفضل بيانى
ماان أرى يرضيه الا ذلتى * وذهاب أموالى وقطع لسانى

(ونظمه آخر فقال)

قل للذى بات محسودا على نعم * دع الحسود فقد قطعته قطعا
لو كنت تملك ما يرديه منك لما * صنعت معه كعشار الذى صنعا

(وقال) بعض البلغاء الحسد شؤم واعتباره لؤم يقضى الاشباح ويضنى

الارواح ويورث الارق ويحدث القلق ويكدّر غدران رفاهيـة العيش ويشعل نيران السفاهة والطيش وانّ الحسود مجروح فى جلده متألم مظلوم فى برده ظالم معارض لله فى مشيئته معترض عليه فى قضيته يعيش محروما ويبيت مغموما مدفوع فى الدنيا الى الكرب والتلف وممنوع فى العقبى من القربى والزلف لاتعمل شعلة القابس فى الحطب اليابس مايعمله الحسد بجسد صاحبه وبدن راكبه يشرب دمه ويأكل لحمه ويهشم عظمه ويجعله معرضا للكروب ومبغضا الى القلوب فجدير بالانسان أن يفرّ من الحسد فوق فراره من الاسد (وقالوا) أسد يؤاتيك خير من حسود يراقبك (وقال) بعض السلف اذا أراد الله أن يسلط على عبده من لا يرحمه سلط عليه حاسدا يحسده (وقال اردشير) كل خلة رديئة فهى دون الحسد لانّ الحاسد يسعى بمن أحسن اليه ويتمنى الغوائل لمن أنعم عليه * أبو الطيب المتنبى

يريد بك الحساد ما الله دافع * وسمر العوالى والحديد المدرب

(وله)

وأظلم خلق الله من كان حاسدا * لمن بات فى نعمائه يتقلب

(وله)

سوى وجع الحساد داوفانه * اذا حلّ فى قلب فليس يحول

فلا تطمعن من حاسد فى مودّة * وان كنت تبديها له وتنيل

(وقال ابن المعتز) الحاسد مغتاظ على من لا ذنب له ويبخل بما لا يملكه ويطلب مالا يجده (وقال حكيم) الحسد يدى نقص الحاسد ويدل على كمال المحسود * وما أحسن قول المعافى بن زكريا النهروانى

الاقل لمن كان لى حاسدا * أتدرى على من أسأت الادب

أسأت على الله فى فعله * لانك لم ترض لى ما وهب

فجازاك عنه بأن زادنى * وسدّ عليك وجوه الطلب

(أبو فراس)

لمن جاهد الحساد أجر المجاهد * وأعجز ما حاولت ارضاء حاسد

ولم أر مثلى اليوم أكثر حاسدا * كأن قلوب الناس لى قلب واحد

(وقالوا) لا تندمل من الحسود جراحه حتى ينقص من المحسود جناحه

(وقالوا)

(وقالوا) حسب الحسود مايلقى من صغر الهمة فى حزنه لسرور صاحب النعمة (وقالوا) من عادات الاغبياء معاداة الاغنياء (وقال) عبد الله بن مسعود لاتعادوا نعم الله قيل له ومن يعادى نعم الله قال الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله يقول الله تعالى فى بعض الكتب المنزلة الحسود عدو نعمتى ومتسخط لقضائى غير راض بنعمتى * ولم أسمع بأحسد من حمزة ابن بيص فى قوله وقد مرّ بواد مملوء ابلا وشاء وزرعا وزرعاء

الزارعون وليس لى زرع بها * والحالبون وليس لى ما أحلب
فلعل ذاك الزرع يؤذى أهله * ولعل ذاك الشاء يوما تجرب
ولعل طاعونا يصيب علوجها * ويصيب ساكنها الزمان فتخرب

قال المرزبانى صاحب الاتفاق فلم يكن الا أيام قلائل حتى أصابهم جميع ماتمنى لهم (وأظرف من هذا) ماحكى أن ثلاثة من الحساد اجتمعوا فقال أحدهم لاحد صاحبيه مابلغ من حسدك قال ما اشتهيت ان أفعل بأحد خيرا قط لئلا أرى أثر ذلك عليه فقال له أنت رجل صالح لكنى ما اشتهيت أن يفعل بأحد خير قط لئلا تشير الاصابع بالشكر اليه فقال الثالث مافى الارض خير منكما لكنى ما اشتهيت أن يفعل بى أحد خيرا قط قالا ولم قال لانى أحسد نفسى على ذلك فقالا له أنت ألأمنا جسدا وأكثرنا حسدا (وقالوا) الحسود عدو مهين لايدرك وتره الا بالتمنى * شاعر

اياك والحسد الذى هو آفة * فتوقه وتوق غرة من حسد
ان الحسود وان أراك مودّة * بالقول فهو لك العدوّ المجتهد

(وقال على رضى الله عنه) لله درّ الحسد ما أعدله بدأ بصاحبه فقتله (وقيل) للعتابى فى مرض أصابه ماتشتهى قال اكباد الحساد وأعين الرقباء وألسن الوشاة (وقال) بعضهم لولده اياك والحسد فانه يبين عليك ولايبين على عدوك (وكان) يقال الحريص محروم والبخيل مذموم والحاسد مغموم (ذم أبو بكر الخوارزمى حاسدا فقال) وأما فلان فمعجون من طينة الحسد والمنافسة ومضروب فى قالب الضيق والمناقشة يحمى من رزق الله مباحا ويحرم ماليس فيه جناحا ويحجر من رحمته جاوا سعا ويغار على البحر ممن يسبح فيه وعلى البدر ممن يستضىء به وعلى الشمس ممن طلعت عليه

وعلى نسيم الهواء عمن وصل اليه لوملك السماء لنهاها عن الامطار ولو أطاعته الارض لمنعها من تغذية النبات والاشجار ولو سخرت له الاشجار لحال بينها وبين الاثمار كان كل رغيف يعطى من قوته وقوت عياله وكان كل درهم ينفق من ماله ومال اطفاله على انه يبخل على نفسه بالهواء ويحاسب اعضاءه على الغداء والعشاء * وقال شاعر

لامات حسادك بل خلدوا * حتى يروا منك الذى يكمد
ولا خلاك الدهر من حاسد * فان خير الناس من يحسد

(أبو تمام)

ان يحسدونى فانى لا ألومهم * قبلى من الناس أهل الفضل قد حسدوا
فدام لى ولهم مابى ومابهم * ومات اطولنا هما بما يجد

(وله)

واذا أراد الله نشر فضيلة * طويت أتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت * ما كان يعرف طيب عرف العود

(والمشهور)

حسدوا الفتى اذ لم ينالوا سعيه * فالناس أعداء له وخصوم
كضرائر الحسناء قلن لوجهها * حسدا وبغيا انه لدميم

(ابن المعتز)

ومن عجب الايام بغى معاشر * غضاب على سبقى اذا أنا جاريت
يغيظهم فضلى عليهم ونقصهم * كانى قاسمت الحظوظ فأحظيت

(آخر)

انى حسدت فزاد الله فى حسدى * لا عاش من كان يوما غير محسود
لا يحسد المرء الا من فضائله * بالعلم والحلم أو بالفضل والجود

(ومما يؤمر الكريم باجتنابه جار سوء ملاصق لجنابه)

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول أعوذ بالله من جار سوء فى دار مقامه فان البادى يتحول (وكان) عمر رضى الله عنه يقول ثلاث كلهن فواقر صديق ان أسديت اليه عارفة لم يشكرها وان

سمع كلمة لم يغفرها وجاران رأى حسنة أخفاها وان عثر على سيئة أفشاها وامرأة ان أقمت عندها آذتك وان غبت عنها خانتك (وكان يقال) من جهد البلاء جار سوء معك فى دار مقامة يلبس لك من البغضاء لامة لا ينجع فيه عتب ولا يرعوى لملامة (ومن دعاء الاعمش) اللهم انى أعوذ بك من جار ترانى عيناه وترعانى أذناه ان رأى خيرا دفنه وان سمع شرا أعلنه (وقال) لقمان لابنه يا بنى حملت الحجارة والحديد فلم أر شيأ أثقل من جار سوء فى دار مقامة * شاعر وقد عرض داره للبيع كراهة فى جاره

الا من يشترى دارا برخص * كراهة بعض جيرتها تباع

(ولآخر)

يلوموننى ان بعت بالرخص منزلى * ولم يعلموا جارا هناك ينغص

فقلت لهم كفوا الملام فانما * بجيرتها تغلو الديار وترخص

(وقال رجل) لسعيد بن العاص والله انى لا احبك قال ولم لا تحبنى ولست لى بجار ولا ابن عم (ويقال) فى التوراة أحسد الناس للعالم وأبغاهم عليه أقاربه وجيرانه (وقالوا) ألأم الناس سعيد لا تسعد به جيرانه ولا تسلم منه اخوانه (استعرض) أبو مسلم الخراسانى فرسا أهدى له فقال لاصحابه لم يصلح هذا فكل قال شيأ فبعضهم قال يصلح لان ينفى به العار بأخذ الوتر والثار وآخر يقول يصلح لمنازلة الاقيال ومناضلة الابطال وآخر يقول يصان عن أن يذال بالاحداق ليوم يحرز به قصب السباق فقال أبو مسلم كلكم أخطات استه الحفرة وزاف نقده عند الامتحان والخبرة فقالوا ولماذا يصلح أيها الامير فقال لمن يجد فى الهرب والفرار من جار سوء يعدم بمساكنته السكون والقرار (وقيل) لابى الاسود الدؤلى لم بعت دارك فقال ما بعت دارى وانما بعت جوارى (أنشدنى) أفضل الاماثل وأنبل الافاضل ذو العلم والعلم والسنان والقلم انسان عين الاعيان وزين أرباب البيان الامير ناصر الدين حسن عرف بابن النقيب الكنانى لنفسه يذم جارا له

لى جار شخصه * اكسير أوصاف المعايب

حسد الجيرة فيه * وعداوات الاقارب

ليته لم يعنني * لم يكن عون النوائب

(الفصل الثالث من الباب السادس عشر)
فيما نختم به الكتاب من دعاء نرجو أن يسمع ويجاب

(قال الله تعالى) قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم * وقال تعالى وإذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان * وقال تعالى وقال ربكم ادعوني أستجب لكم (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم الدعاء مخ العبادة * وقال عليه الصلاة والسلام استقبلوا امواج البلاء بالدعاء * وقال عليه الصلاة والسلام ان الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل فعليكم عباد الله بالدعاء (ولما كان) الدعاء في الفضيلة بهذه المثابة استحب لمن وضع كتابا أن يختم به كما كابدأ بالتحميد كتابه فاستخرت الله تعالى وانتخبت من الادعية التي صدرت عن صدور أهل الانابة وروت نفوس العباد منهل الاجابة وحذفت خوف التطويل اسانيدها ليسهل على الراغب فيها أن يديها متى أحب ويعيدها (وأشرف الاوقات) التي يتكفل النجح فيها باجابة الدعوات أوقات اختارها الله لاداء ما افترض من الصلوات فاذا أراد امرأ وطلبته فليتضرع عقيب صلواته وتلو مناجاته لله بالاستكانة والخضوع ليرجع من توجهه وعرف القبول منه يضوع وليقل اللهم ارزقني موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك والغنيمة من كل بر والسلامة من كل اثم والفوز بالجنة والنجاة من النار اللهم لا تدع لي ذنبا الا غفرته ولا عيبا الا سترته ولا ضرا الا كشفته ولا سقما الا شفيته ولا رزقا الا بسطته ولا خوفا الا امنته ولا سوأ الا صرفته ولا حاجة من حوائج الدنيا والآخرة لك فيها رضا ولي فيها صلاح الا قضيتها برحمتك يا أرحم الراحمين (اللهم) اني أعوذ بك من دنيا تمنع خير الآخرة ومن عاجل يمنع خير الآجل ومن حياة تمنع خير الممات ومن أمل يمنع خير العمل وأسألك الظفر والسلامة ودخول دار المقامة (اللهم) لا تحرمني سعة مغفرتك وسبوغ نعمتك وشمول عافيتك وجزيل عطائك ومنح مواهبك لسوء ما عندي ولا تخذلني بقبيح عملي ولا تصرف وجهك الكريم عني (اللهم) لا تحرمني وأنا أدعوك ولا تخيبني وأنا أرجوك (اللهم) انك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب اللهم ان كنت كتبتني عندك في أم الكتاب شقيا محروما مقترا علي في الرزق فامح

من

من أم الكتاب شقائى واقتار رزقى وأثبتنى عندك سعيدا مرزوقا فانك تمحو ماتشاء وتثبت وعندك أم الكتاب (اللهم) هذا مقام اللائذ بجنابك العائذ بك من النار يافارج الهم يا كاشف الغم يامجيب دعوة المضطر يارحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما ارحمنى رحمة تغننى بها عمن سواك (اللهم) انى أدعوك بما دعاك به عبدك ذو النون اذ ذهب مغاضبا فظن أن لن تقدر عليه فنادى فى الظلمات ان لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين فاستجبت له ونجيته من ظلمات ثلاث ظلمة الخطيئة وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت فانه دعاك وهو عبدك وسألك وهو عبدك وأنا أسألك وأنا عبدك وأدعوك وأنا عبدك أن تصلى على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد وأن تستجيب لى كما استجبت له وأدعوك بما دعاك به عبدك أيوب اذ قال مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين فاستجبت له وكشفت مابه من ضر وآتيته أهله ومثلهم معهم رحمة من عندك فانه دعاك وهو عبدك وسألك وهو عبدك وأنا أسألك وأنا عبدك وأدعوك وأنا عبدك أن تصلى على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد وان تفرج عنى كما فرجت عنه وأن تستجيب لى كما استجبت له انك سميع الدعاء (اللهم) انى أعوذ بك من نفس لاتشبع وقلب لايخشع وعلم لاينفع ودعاء لايسمع وعين لاتدمع وصلاة لاترفع (اللهم) انى أسألك فى صلاتى وفى دعائى براءة تطهر بها قلبى وتؤمن بها روعى وتكشف بها كربى وتغفر بها ذنبى وتصلح بها أمرى وتغنى بها فقرى وتذهب بها ضرى وتفرج بها غمى وتسلى بها همى وتشفى بها سقمى وتقضى بها دينى وتجلو بها حزنى وتجمع بها شملى وتبيض بها وجهى واجعل ماعندك خيرا لى (اللهم) أصبح ظلمى مستجيرا بعفوك وذنبى مستجيرا بمغفرتك وخوفى مستجيرا بأمنك وفقرى مستجيرا بغناك وضعفى مستجيرا بقوتك وذلى مستجيرا بعزك ووجهى الفانى البالى مستجيرا بوجهك الدائم الباقى (اللهم) مقلب القلوب والابصار ثبت قلبى على دينك ولاتزغ قلبى بعد اذهديتنى وهب لى من لدنك رحمة انك أنت الوهاب (اللهم) صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد واجعلنى فى حفظك وكلاءتك وودائعك التى لاتضيع واحفظنى من كل سوء ومن شر كل ذى شر واحرسنى من شر الشيطان الرجيم والسلطان المليم انك أشد بأسا وأشد تنكيلا (اللهم) ان كنت منزلا بأسا

من بأسك أو نقمة من نقمك على أهل معصيتك بياتا وهم نائمون أوضحى وهم يلعبون فصل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد واجعلنى وأهلى فى كنفك ومنعك وحرزك (اللهم) انّ هذين الليل والنهار خلقان من خلقك فاعصمنى فيهما بحولك وقوتك ولا ترهما منى جراءة على معصيتك ولا ركونا الى مخالفتك واجعل عملى فيهما مقبولا وسعيى مشكورا وسهل لى ما أخاف عسره وصعب على أمره واقض لى فيهما بالحسنى وامنى مكرك ولا تهتك عنى سترك ولا تنسنى ذكرك (اللهم) صل وسلم على سيدنا محمد وآله وافتح مسامع قلبى لذكرك حتى أعى وحيك وأتبع كتابك وأصدق رسلك وأومن بوعدك وأخاف وعيدك وأوفى بعهدك وآخذ بأمرك ولا اجترئ على نهيك (اللهم) انى استودعك نفسى ودينى ومالى وأهلى وكل نعمة أنعمت بها علىّ فاجعلنى اللهم فى كنفك وأمنك وكفايتك وكلاءتك وحفظك ورعايتك ووديعتك يامن لا تضيع ودائعه ولا يخيب سائله ولا ينفد ما عنده (اللهم) انى أدرأبك فى نحور أعدائى وكيد من كادنى وبغى على (اللهم) انى أسألك رحمة من عندك تهدى بها قلبى وتجمع بها شتات أمرى وتلم بها شعثى وتحفظ بها غائبى وتصلح بها شاهدى وتزكى بها عملى وتلهمنى بها رشدى وتعصمنى بها من كل سوء (اللهم) وما قصرت عنه مسئلتى ولم تبلغه أمنيتى من خير وعدته أحدا من خلقك فانى أرغب اليك فيه (اللهم) ياأبصر الناظرين ويا أسمع السامعين ويا أسرع الحاسبين أغننى بالعلم وزينى بالحلم وأكرمنى بالتقوى وجملنى بالعافية (اللهم) انى أسألك حسن الظن بك والصدق فى التوكل عليك وأعوذبك أن تبتلينى ببلية تحملنى ضرورتها على العبث بمعاصيك وأعوذبك أن أقول قولا حقا من طاعتك ألتمس به سواك وأعوذبك أن تجعلنى عبرة لغيرى وأعوذبك أن يكون أحد أسعد بما آتيتنى منى وأعوذبك ان أتكلف طلب مالم تقسمه لى وما قسمت لى من قسم أو رزقتنى من رزق فأتنى به فى يسر وعافية حلالا طيبا وأعوذبك من كل شئ يزحزحنى عن بابك ويباعد بينى وبينك أو ينقص حظى عندك أو يصرف وجهك الكريم عنى (اللهم) دعاك الداعون ودعوتك وسالك السائلون وسألتك وطلبك الطالبون وطلبتك (اللهم) أنت الثقة والرجاء واليك منتهى الرغبة والدعاء والشدة والرخاء (اللهم) وصل وسلم

على

على سيدنا محمد وآله واجعل اليقين فى قلبى والنور فى بصرى والنصيحة فى
صدرى وذكرك على لسانى (اللهم) أنت العاصم والمانع والواقى الدافع
من كل سوء أسألك الرفاهية فى معيشتى بما أقوى به على طاعتك وأبلغ به
رضوانك وأصير به منك الى دار السلام غدا (اللهم) لاترزقنى رزقا يطغينى
ولا تبتلينى بفقر يضنينى وأعطنى فى الآخرة حظا وافرا وفى الدنيا معاشا واسعا
(اللهم) اليك مددت يدى وفيما عندك عظمت رغبتى فاقبل توبتى وارحم
ضعف قوتى واغفر خطيئتى واجعل لى فى كل خير نصيبا والى كل بر سبيلا
(اللهم) اغفر لى كل ما سلف من ذنوبى واعصمنى فيما بقى من عمرى واردد على
أسباب طاعتك واستعملنى بها واصرف عنى أسباب معصيتك وحل بينى
وبينها (اللهم) أنت متعالى الشأن عظيم الجبروت شديد المحال ذو الكبرياء
قادر قاهر قريب الرحمة سامع الصوت صادق الوعد وفى العهد مجيب
المضطر قابل التوب محص لما خلقت تدرك ماطلبت شكور ان شكرت
ذاكر ان ذكرت أسألك يا الهى محتاجا وأرغب اليك فقيرا والجأ اليك
خائفا وأرجوك ناصرا اللهم ضعفت فلا قوة لى اللهم جئتك مسرفا على
نفسى مقرا بسوء عملى (اللهم) خلقتنى وأمرتنى ونهيتنى ورغبتنى فى ثواب
ما به أمرتنى ورهبتنى عقاب ما عنه نهيتنى وجعلت لى عدوا يكيدنى
وسلطته على فاسكنته صدرى وأجريته مجرى الدم منى لايغفل ان غفلت
ولاينسى ان نسيت يؤمننى عقابك ويخوفنى غيرك ان هممت بفاحشة
شجعنى وان اردت صالحا ثبطنى ينصب لى حبائل الشهوات ان وعدنى
كذبنى وان اتبعت هواه أضلنى ان لم تصرف عنى كيده يستزلنى وان لم تفلتنى
من حبائله يصدنى وان لم تعصمنى منه يضلنى اللهم صل وسلم على سيدنا محمد
وعلى آل سيدنا محمد واقهر سلطانه عنى بسلطانك عليه فأفوز مع المعصومين
منه (اللهم) لاهادى لمن أضللت ولا مضل لمن هديت ولا مانع لما أعطيت
ولا معطى لما منعت ولا قابض لما بسطت ولا باسط لما قبضت ولا مقدم
لما أخرت ولا مؤخر لما قدمت (اللهم) أنت العليم فلا يجهل وأنت الحليم فلا
يعجل وأنت الكريم فلا يبخل وأنت العزيز فلا يذل وأنت المنيع فلا يرام
وأنت المجير فلا يضام اغفر لى ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت

وما أنت أعلم به منى أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شئ قدير وبالاجابة جدير لا اله الا أنت

(قال المقيد) لشوارد فوائد ماذكر من الاضداد والمؤلف من غرائبها بين الاشباه والانداد وعندما تم كتابنا واتسق قمر محاسنه بعد السرار وكاد سنا حسنه يعلق بالبصائر دون الابصار وتفجرت من خلال سطوره ينابيع الحكم وهم بحبابها أن يفهق فيمتزج بما كتم وسفرت الفاظه عن معان كأحسن ما ينشق عنه الكمائم وقامت نفثات بدائعه لصريع الهموم مقام الرقى والتمائم تقاضانى بوعدى اياه عند ابتدائه بأن أطلعه باهر العقول أوليائه وأعدائه فاستخرت الله تعالى الكريم وأمسكت من عنان القلم فى مضمار الاطناب وقصرت خطوه لعلمى أن السآمة مقرونة بالاكثار والاسهاب وجلوته فى حلل فنونه وفاء بعهده وانجازا لما سبق من وعده ماذا من صحائفه أكفا يستل بها التغديق عن سوء التلفيق ويدرأ بها شبهات من يرى أن بيده زمام التوفيق فهو يتصرف به على حكم اختياره ومراده ويبلغ غاية أمله بجياد سعيه واجتهاده والى الله ابرأ من الحول والقوة وأسأله أن يزحزحنى عن الوقوع فى هذه الهوة وأن يجعل هذا الكتاب للنفوس يعجب ويروق ويجريه بالمحبة مجرى الدم فى العروق وان يدخلنى جنات يجل وصفها وتفوق انه من راجيه قريب ولداعيه سميع مجيب آمين

يقول المتوكل على من وصف نعمه بالاسباغ الفقير الى الله تعالى محمد الصباغ مصحح دار الطباعة السنية التى ببولاق مصر المعزية

كمال التحلى بغرر الخصائص الواضحة والتخلى عن عرر النقائص الفاضحة بحمد الله الذى وفق لهداه من اصطفاه من عباده وأولاه والصلاة والسلام على النبى الختام المخصوص بأشرف السجايا والمتميز بأعظم العطايا وعلى آله أولى الفضائل وأصحابه الذين لهم أحسن الشمائل (وبعد) فقد تم طبع هذا الكتاب الفائق ذى المورد العذب والمنهل الرائق الموسوم بغرر الخصائص

الواضحة وغرر النقائص الفاضحة انفرد فى حسن ترتيبه ولطف عبارته وتهذيبه جمع فابدع ونقل فأمتع ظهر فضله وعز مثله أشرقت شمسه وسما اسمه حبذا السمير والانيس والنديم والجليس وآلات الطرب وأطواق الذهب تفجرت عن ينابيع الحكمة أنهاره وفاضت بعوارف المعارف بحاره وانسجم بالخير أمطاره وغنت أطياره فحق له لطف الطبع وشرف الوضع بدار الطباعة العامرة ببولاق مصر القاهرة التى أنقذت الكتب من أسر التحريف وأطلقتها عن قيد التصحيف وكستها من البهاء أحسن حلة بهية ومن الجمال أبهج حلية علية وهو من المحاسن التى انتظمت فى سلك الوجود وعاد نفعها على كل موجود فى أيام ابتسم ثغرها عن العدل وأفاضت على الانام جزيل الفضل فى ظل صاحب السعادة وحليف المجد والسيادة من جبلت على حبه القلوب مدت أكف الدعاء لعلام الغيوب أن يديم له النصر والتعزيز خديو مصر العزيز بن العزيز بن العزيز سعادة أفندينا المحروس بعناية ربه العلى اسمعيل بن ابراهيم بن محمد على لازالت الدنيا مشرقة بكوكب سعده حاملة لرايات مجده ناطقة بالثناء على الاشبال غرة جبين الايام والليال ملحوظة دار الطباعة المذكورة بنظر ناظرها المشمر عن ساعد الجد والاجتهاد فى تدبير نضارها صاحب الهمة العلية والمعارف البهية من لا تزال عليه اخلاقه باللطف تثنى حضرة حسين بك حسنى لازال موفقا للخيرات مسديا لانواع المبرات ثم ان التصحيح بعد التنقيح بمعرفة الفقير الى الله تعالى محمد

الصباغ أسبغ الله عليه النعم أتم اسباغ واسفر بدر التمام

وفاح مسك الختام فى العشر الثانى من الشهر

المعظم بولادة النبى صلى الله عليه وسلم

سنة ١٢٨٤ من الهجرة النبوية على

صاحبها افضل التحية

وعلى آله الكرام

وصحابته

الفخام

م



الواضحة وغرر النقائص الفاضحة انفرد فى حسن ترتيبه ولطف عبارته
وتهذيبه جمع فابدع ونقل فأمتع ظهر فضله وعز مثله أشرقت شمسه وسما
اسمه حبذا السمير والانيس والنديم والجليس وآلات الطرب وأطواق
الذهب تفجرت عن ينابيع الحكمة أنهاره وفاضت بعوارف المعارف بحاره
وانسجم بالخير أمطاره وغنت أطياره فحق له لطف الطبع وشرف الوضع
بدار الطباعة العامرة ببولاق مصر القاهرة التى أنقذت الكتب من
أسر التحريف وأطلقتها عن قيد التصحيف وكستها من البهاء أحسن حلة بهية
ومن الجمال أبهج حلية علية وهو من المحاسن التى انتظمت فى سلك الوجود
وعاد نفعها على كل موجود فى أيام ابتسم ثغرها عن العدل وأفاضت على
الانام جزيل الفضل فى ظل صاحب السعادة وحليف المجد والسيادة من
جبلت على حبه القلوب فمدت أكف الدعاء لعلام الغيوب أن يديم له النصر
والتعزيز خديو مصر العزيز بن العزيز بن العزيز سعادة أفندينا المحروس
بعناية ربه العلى اسمعيل بن ابراهيم بن محمد على لازالت الدنيا مشرقة بكوكب
سعده حاملة لرايات مجده ناطقة بالثناء على الاشبال غرة جبين الايام والليال
ملحوظة دار الطباعة المذكورة بنظر ناظرها المشمر عن ساعد الجد والاجتهاد
فى تدبير نضارها صاحب الهمة العلية والمعارف البهية من لا تزال عليه
اخلاقه باللطف تثنى حضرة حسين بك حسنى لازال موفقا للخيرات مسديا
لانواع المبرات ثم ان التصحيح بعد التنقيح بمعرفة الفقير الى الله تعالى محمد
الصباغ أسبغ الله عليه النعم أتم اسباغ واسفر بدر التمام
وفاح مسك الختام فى العشر الثانى من الشهر
المعظم بولادة النبى صلى الله عليه وسلم
سنة ١٢٨٤ من الهجرة النبوية على
صاحبها افضل التحية
وعلى آله الكرام
وصحابته
الفخام
م